

حقيقة الإسلام

وما يدور حوله من شبهات وأوهام

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى

1438 هـ

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٣٨ هـ. لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام يمكن من استرجاع الكتاب، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

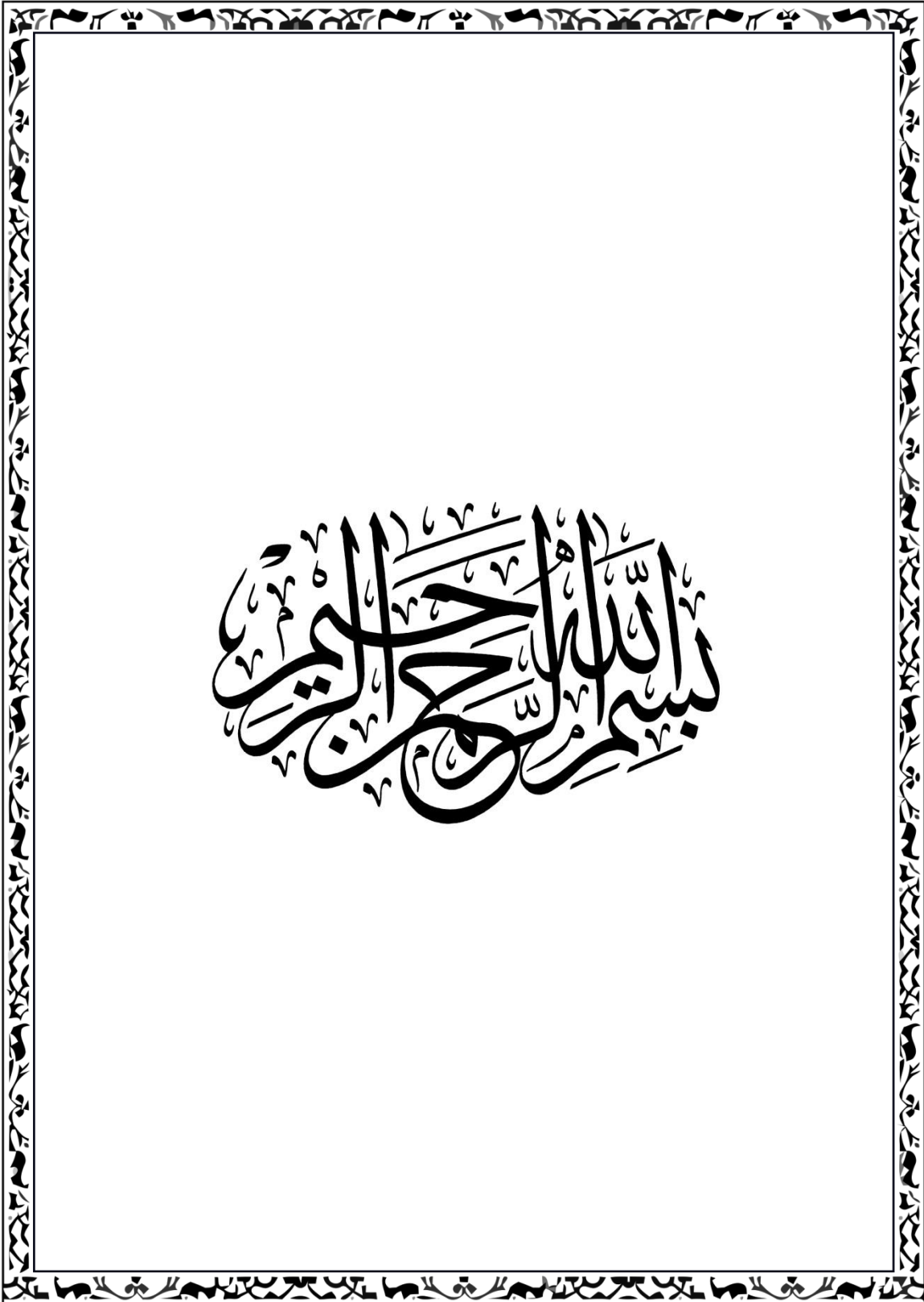
**حقيقة الإسلام
وما يدور حوله من شبهات وأوهام**

تأليف

**أبي العبادلة أحمد
المصري**

مكتبة الذخاير

خلف الجامع الأزهر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم من فضيلة الشيخ الدكتور/ عادل بن يوسف العزازي

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ
أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ،

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله
عليه وسلم.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر
الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد:

فإن الإسلام يتعرض لحمولات تشويه من أعدائه قديماً وحديثاً صباحاً ومساءً قاصدين
من ذلك التنقص من دين الإسلام، وتشكيك أهله منه، وقد كثرت هذه الحملات
وتنوعت، فبعضها عبارة عن جمعيات ينضم لها آلاف المتطوعين في بلاد المسلمين،
وبعضها من خلال القنوات الفضائية، وبعضها من خلال مواقع التواصل الاجتماعي.

ولئن كان هؤلاء يحاولون التنقص من الدين إلا أن الأمر يأتي لصالح الإسلام بخلاف ما أرادوا، فقد فضحوا أنفسهم وما ازداد الإسلام إلاقوة، فإن الضد يظهر حسنه الضد، وإذا أراد الله نشر فضيلة قيد لها لسان حسود.

وأما هذه الحملات المسعورة، لم يقف علماء الإسلام مكتوفي الأيدي، بل قاموا بواجبهم الشرعي لدفع شبهات أعدائه والرد عليهم شبهة شبهة بما ألجم لهؤلاء الأعداء حناجرهم، وأخرس ألسنتهم، وكانت الدائرة عليهم فإن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه وكلمة الله هي العليا.

وكانت المواجهة بعضها مقروءًا وبعضها مسموعًا، وبعضها مناظرات تنتهي بدخول الناس في دين الله أفواجًا.

ومن هذه الأعمال الطيبة هذا الكتاب الذي بين يديك (حقيقة الإسلام وما يدور حوله من شبهات وأوهام) للأخ الفاضل الشيخ أحمد فقد جمع هذه الشبهات، وقد بدأه بذكر بشارات الكتب السابقة بالنبي صلى الله عليه وسلم، ثم يتكلم عن وسطية الإسلام في العقيدة والعبادة والمعاملات، ويقارن بينها وبين ما عندهم فيبطل باطلهم، ثم ينتقل لبيان جمال الإسلام في حفظ الحقوق من حق الحياة وحقوق المرأة وحقوق الأقليات، متعرضًا لبعض شبهات أعداء الإسلام والرد عليها ويكشف خططهم وأدواتهم للتحذير منهم، فجاء الكتاب جامعًا لما يحتاجه المسلم أمام هذه التيارات الفكرية.

وأرجو الله عز وجل أن يثيب مؤلفه خيرًا، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته ويرزقني وإياه وجميع المسلمين الإخلاص في القول والعمل، كما أسأله سبحانه أن يكتب له القبول إنه ولي ذلك والقادر عليه.

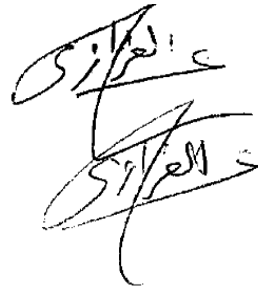
وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

الفقيه إلى عفوره

عادل بن يوسف العزازي

القاهرة ٧ من محرم ١٤٣٨



مقدمة المؤلف (جامع السفر)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً).

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون).

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً)

أما بعد:

فإني أشكر الله تعالى على أن ألهمني ووفقني في جمع هذا السفر ليضاف إلى المكتبة الإسلامية يستفيد منه جميع الناس على اختلاف أديانهم وثقافتهم

الداعي إلى جمع هذا الكتاب:

١- أن الإسلام أصبح غريباً بين الناس وهذا ما نبأ به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بذلك ففي صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء) والسبب هو الحرب الشرسة ضده وبدون وجه حق من دول الغرب ولا سيما اليهود والنصارى ليفسدوا على المسلمين دينهم حقداً وحسداً على سرعة انتشاره؛ وقد احتدمت هذه الحرب الشعواء بعد قيام ثورات الربيع العربي؛ فانتشرت الشبهات والأوهام حول الإسلام وفي وسائل الإعلام خوفاً من تأييد الشعوب للأحزاب الإسلامية خاصة بعد أن ذاقوا أشد أنواع الظلم والإذلال على يد العلمانيين؛ فكان من الطبيعي أن يفوز المسلمون بالانتخابات؛ فحمل الإعلام الغربي والعلماني على عاتقه الهجوم على الإسلام والإفتاء عليه باختلاق شبهات وأباطيل حوله والإسلام منها براء؛ كل ذلك لينفر الناس من الإسلام؛ فلا

يطالبون بالحكم الإسلامي خوفاً منه؛ ولكن حربهم باءت بالفشل؛ فلقد اكتسح الإسلاميون الإنتخابات في كثير من الدول مثل تركيا ومصر وتونس وليبيا واليمن.... وكما قال تعالى: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (الحشر: ٨)

٢- الحاجة الملحة إلى الأدلة الواضحة الجلية لثبوت الإسلام وصحته بأسلوب عصري يتناسب مع كل طوائف وطبقات المجتمع العالمي؛ كاليهود والنصارى والمجوس والبوذيين والمهاجرين والعلمانيين....

٣- الرد على الشبه المشهورة والمتداولة في الإعلام المأجور حول الإسلام.

٤- كشف المخططات الخبيثة المسمومة والتي يسير عليها أعداء الدين لهدم الإسلام.

٥- شرح موضوعات أخرى مهمة يحتاج إليها العامة من الأمة.

* فاجتهدت وقمت ولله الحمد بجمع هذه المادة في بضع سنوات، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب؛

خطة الكتاب:

الكتاب اشتمل على تمهيد وخمسة فصول كما يلي:

التهميد: ويشمل تعريف الإسلام وما يدعو إليه، وأدلة وجود الله تعالى للرد على الملحدين.

الفصل الأول: ويتكلم بشيء من التفصيل عن الأدلة الجلية على صدق خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم وبدأت بهذا الموضوع الهام لأنه الأساس في حقيقة الإسلام، فمحمد صلى الله عليه وسلم هو رسول الإسلام فلو ثبت صدقُهُ ثبت بالضرورة صحة الإسلام، فجمعت فيه بعض نصوص الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى والتي تبشر بمبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم،

وستجد فيه الكثير من الإعجاز العلمي للقرآن لأن هذا من الأدلة الهادية القوية على صدق خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم، وذكرت شهادات واعترافات علماء من الغرب بذلك، وعلى العكس ذكرت الكثير من الإنتكاس العلمي للكتاب المقدس عند اليهود والنصارى (نواقض للعلم القطعي) بما يثبت تحريفه، وذكرت اعترافات علماء وهم بذلك،

وذكرت كذلك بعض نبؤات النبي محمد صلى الله عليه وسلم والتي تحققت بالفعل، وذكرت شيئاً من سيرته وأهم إنجازاته العظيمة في سنوات قليلة بما يدل على أنه نبي مرسل من عند الله تعالى.

الفصل الثاني: ويتكلم عن بعض مبادئ الإسلام، ومنها: مبدأ العدالة في الإسلام ومبدأ الوسطية في الإسلام ومبدأ اليسر في الإسلام ومبدأ السماحة في الإسلام، مع المقارنة بين القرآن وكتاب اليهود والنصارى في هذه الموضوعات.

الفصل الثالث: ويتكلم عن بعض الحقوق في الإسلام ويشتمل على عدة موضوعات هامة يتشوق إلى معرفتها العامة وهي:

حقوق الإنسان في الإسلام، ذكر ما يتردد على ألسنة العلمانيين في هذا الموضوع من الشبه الواهية مشفوعة بالردود الشافية الكافية، موازنة بين حقوق الإنسان في الإسلام والذساتير الوضعية، حقوق المرأة في الإسلام، مع ذكر الشبه الواهية المتعلقة بهذا الموضوع والردود الشافية الكافية عليها، الموازنة بين حقوق المرأة في الإسلام والذساتير الوضعية، حقوق غير المسلمين في الإسلام بشيء من التفصيل مع الرد على ما يُحاك في الصدور في هذا الموضوع وذكر بعض المقارنات، ثم خُتِمَ الفصل بالكلام عن حقوق الحيوان في الإسلام...

الفصل الرابع: ويتحدث عن خطط الأعداء لهدم الإسلام، فذكرت عشر خطط رئيسية، ليعلم الجميع بما ينسجه ويطنخه أعداء الإنسانية لتدمير الأمة الإسلامية، ولتتم الفائدة ذكرت خطة شاملة لاستعادة الهوية الإسلامية مرة ثانية.

الفصل الخامس: ويتكلم عن عدة موضوعات مهمة لعامة الأمة، فيتحدث عن أهداف الإسلام، والمميزات والثمار الذهبية من تطبيق الشريعة الإسلامية، وأسباب الإعراض عن الدخول في الإسلام، وعاقبة الكفر، نواقض الإسلام.

* ثم ختمتُ الكتاب بعدة وصايا هامة إلى العامة.

عملي في هذا الكتاب:

- ١- قمت بمطالعة عشرات الكتب التي تتكلم في موضوعات الكتاب.
- ٢- إستخلصت النتائج وقمت بعملية جمع وتمحيص وترتيب وشرح وتحقيق.
- ٣- حرصت كل الحرص على تسهيل العبارات بل قد تصل لدرجة ركافة الألفاظ حتى تكون في متناول كل طوائف وطبقات المجتمع على إختلاف دياناتهم وثقافتاتهم.
- ٤- أكثرت من المقابلات بين القرآن الكريم من جهة والكتاب المقدس عند اليهود والنصارى من جهة أخرى.

تنبيهات هامة:

- ١- مادة الكتاب جمعتها من مصادر كثيرة جداً جداً لكنني ذكرت في ثنايا الكتاب وآخر الكتاب ما تذكرته من مصادر وقد تكون هناك مصادر أخرى إطلعت عليها ولم أذكرها؛ والسبب أنني لم أكن نويت حينها إخراج الكتاب وطبعه.
- ٢- قد تقابلت في الكتاب بعض المصطلحات الخاصة بعلم الحديث مثل:

* (في الصحيحين) = متفق عليه = الشيخان = البخاري ومسلم

* (ص:ج) = صحيح الجامع الصغير للألباني.

* (ض:ج) = ضعيف الجامع للألباني.

* (س:ص) = سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني.

* (س:ض) = سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني.

* السنن الأربعة = سنن أبي داود وسنن النسائي وسنن الترمذي وسنن ابن ماجه.

٣- ستجد الكثير من الإعجاز العلمي في الفصل الأول والفصل الخامس في موضوع عاقبة الكفر، كذلك ذكرت الكثير ممن أسلموا في ثنايا الكتاب ولا سيما الفصل الأول والخامس عند ذكر عاقبة الكفر.

٤- أنا بشر فأنسى وأخطيء فالمعصوم من عصمه الله تعالى، وأنا أيضاً لست عالماً من العلماء بل أنا طويلب علم حقيقة لا تواضعاً فما كان في الكتاب من صحيح فمن الله وحده وما كان من خطأ أو نسيان فمن نفسي ومن الشيطان والله ورسوله منه بريئان ونعوذ بالله الرحيم الرحمن من الخطأ والنسيان والخذلان .

* وأخيراً أشكر كل من تعاون معي لإخراج هذا الكتاب وأخص منهم الشيخ محمد عبدالرحمن الذي تعاون معي حتى تم طبع الكتاب وأسأل الله له التوفيق والنجاح فيما يحبه الله ورسوله.

وأسأل الله العليّ الأعلى أن ينفع به كلّ من قرأه، وأسأله تعالى كما وفقني وأعانني على جمعه أن يتقبله مني، وأن يجعله ذخراً لي في الآخرة وأن يجعله في ميزان حسناتي وحسنات والديّ، وأن يجعله حجاباً لي من النار، وأن يجعلني وأهلي جميعاً ممن يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب إنه رب الأرباب وواسع الرحمة والغفران وهو الرحيم الرحمن وهو نعم المولى ونعم النصير وهو على كل شيء قدير،

وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تَهْمِيدٌ،

ونتكلم فيه عن الآتي:

أولاً: تعريف الإسلام

الإسلام معناه الإستسلام والإنقياد لله تعالى

ثانياً: ما يدعو إليه الإسلام

الإسلام يدعو إلى:

- ١- توحيد الربوبية فلا ربَّ للكون ولا خالق له ولا يتصرف فيه أحد إلا واحد وهو الله تعالى، وتوحيد الألوهية بمعنى توحيد العبادة لله وحده فهو وحده المتسحق للعبادة لأنه هو خالق الكون كله ويتصرف فيه كيف يشاء
 - ٢- الإيمان بجميع الأنبياء الذين ثبتت نبوتهم بالأدلة القطعية
 - ٣- ويدعو إلى السلام الشامل والعدل بين كل الخلق
 - ٤- يدعو إلى محاسن الاخلاق كالحياء والتواضع والعفو والسماحة والوسطية والحلم والصبر والشجاعة في الحق والإحسان إلى الآخرين.... وبالجملة يدعو إلى حسن الخلق عامة
 - ٥- إعطاء كل ذي حق حقه مثل حقوق الآباء والأبناء والانسان والنساء والجيران والضعفاء والفقراء والحيوان.....
 - ٦- حماية الحقوق بتشريع الحدود الزاجرة عن اقتراف المخالفة .
- *** وهذا كله ستعرفه تفصيلاً من خلال فصول الكتاب

ثالثًا: أدلة وجود الله وذلك للرد على الملحدين الذين ينكرون وجود الله الخالق

فبما أن الإسلام يدعو إلى توحيد الألوهية والربوبية فيجب ان نذكر باختصار أدلة وجود الله تعالى ليقنع الملحدون بوجود إله خلق الكون ويتحكم فيه ومن ثم يجب عبادته ومن هذه الأدلة ما يلي:

١- من أين أتت أول خلية حيّة؟

فلا بد من مُوجد لها وهو الله تعالى

٢- آدم هو أبو البشر وقد خُلِقَ بلا تطور في الأرحام بل خُلِقَ من طين ثم سواه الله رجلاً،

وحواء خلقت من ضلع آدم بلا تطور في الأرحام،

وعيسى جاء من أم بلا أب

ويحي جاء من أم عاقر (عقيم) وأب عجوز جدًّا شاب شعره كله.

فمن الذي غَيَّرَ العادة في الحالات السابقة؟ هو الله تعالى

٣- ولعلمهم يقولون بنظرية دارون وغيره من التطوريين وهي أن الإنسان تطور من قرد حتى

أصبح إنسانًا، ويرد عليهم أن الصفات مختلفة تمامًا بين الإنسان والقرد ومن ذلك أن القرد

لا يتكلم والإنسان يتكلم والقرد له ذيل والإنسان لا ذيل له

٤- وبفرض أن الإنسان تطور من القرد فمن الذي خلق القرد؟؟؟

سؤال مفحم لهم:

إذا كانت نظرية التطور صحيحة فلماذا توجد قروود حتى الآن لم تتطور إلى إنسان!!!

٥- التخصيب في الرحم منه الناجح والفاشل ،

بل أحيانًا يحدث التخصيب وبعد أشهر يسقط الجنين

وأحيانًا يحدث تخصيب لأكثر من بويضة ويأتي التوائم

* والعجيب أن الأولاد يكونون من أب واحد وأم واحدة ومع ذلك يختلفون في الشكل واللون والحجم والطول والقوة والصوت واللهجة وفصاحة اللسان والذكاء.... حتى أن التوائم المتماثل تجد بينهم خلاف في الصفات مع ان النطفة واحدة (الحيوان المنوي) فهذا دليل قوي على أن هناك مَنْ يتحكم في ذلك وليس إلا الله الخالق. قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَأْنِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ) (الروم: ٢٢)

(وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) (فاطر: ٢٨)

جدير بالذكر أن البروفيسور جيمس جينز أسلم بعدما قرأ عليه العالم الهندي عناية الله المشرقي الآية السابقة والقصة طويلة راجعها في كتاب (الإسلام يتحدى: ١٨٤) للشيخ وحيد الدين خان.

* هل فكر الملحدون في الآيات الموجودة في الإنسان كالجهاز الهضمي والقلب والكبد والكليتين وجهاز التنفس.... فهذه الأجهزة تعمل ليلاً ونهاراً دون ملل او كلل بل إننا لا نشعر بالدورة الدموية في أجسادنا ونعيش في راحة دون شعور بتضجر من عمل هذه الاجهزة والتي تعمل دون توقف منذ تخليق الإنسان في رحم أمه إلى أن يموت فمن الذي جعلها تعمل دون توقف حتى أنها تعمل أثناء نومنا؟

ليس إلا الله تعالى الذي قال: (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) (الذاريات: ٢٠-٢١)

أي وفي أنفسكم آيات (معجزات) تدل على وجود الله تعالى الخالق لذي يتحكم في ملكوته ومخلوقاته.

وقال تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (فصلت: ٥٣)

* هل فكر الملحدون في الطفل الوليد كيف ينمو سريعاً مع أنه يُطعم شيئاً واحداً وهو اللبن؟ فينمو منه الشعر واللحم والعظم والأظفار....

* بل هل فكروا في الذي خلق اللبن من الدم والرفث وجعله صافياً مستساغاً؟

* ومن الذي ألهم الطفل الوليد أن يلتقم حلقة ثدي أمه ويمتص اللبن من ثديها مع أنه لا يعقل؟

وكما قال تعالى: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (النحل: ٧٨)

٦- الزرع يُسقى بماء واحد ومع ذلك يحدث التباين بين ثمار الأشجار في الأرض الواحدة، بل وتباين الثمار في الشجرة الواحدة من حيث الحجم واللون والطعم والرائحة، فلا بد من متحكم فيها وهو الله تعالى.

لذلك قال تعالى: (وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِزَاتٌ وَجَنَاتٌ مِنْ أُعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَحِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَظِيرٌ صِنَوَانٌ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (الرعد: ٤)

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَمْرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا) (فاطر: ٢٧)

٧- الحوت حين ابتلع سيدنا يونس عليه السلام لم يأكله فمن الذي منعه؟

ولم تهضمه معدته فمن الذي منعه من ذلك؟

ومن الذي حفظ سيدنا يونس في باطن الحوت فأمده بسبل الحياة من مأكلاً ومشرباً وتنفساً...؟

٨- العلم الحديث أثبت أن الأرض وسائر الكواكب معلقة في الهواء وكذلك الشمس الأقمار تدور والشمس أيضاً تدور بدقّة وبنظام بديع،

فمن الذي يُمسك الكواكب؟ ومن الذي يديرها بهذا التقدير البديع؟

هو الله تعالى القائل: (فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) (الأنعام: ٩٦)

وقال أيضاً: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) (يس: ٣٨-٤٠)

(إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (القمر: ٤٩)

٩- الكسوف والخسوف من أقوى الأدلة على ان هناك إله خالق يتحكم في الكون وهو الله تعالى لذلك قال في القرآن فقال: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِاللَّيْلِ تَسْكُونُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَمَنْ رَحْمَتِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (القصص: ٧١-٧٣)

١٠- كذلك تقلبات الجو من حيث درجة الحرارة والرياح والأمطار دليل قوي على أن هناك إله يتحكم في الكون وليس إلا الله تعالى الخالق وهو رب العالمين.

وجدير بالذكر:

أن هيئة الأرصاد تقوم بدراسة حالة الجو للتأكد من إمكانية إقلاع الطائرات وتحلقها في الجو بسلام.

مع العلم أن الطائرات لا تستقر في الجو إلا بأمر الله وفضله

ولقد نبّه الله تعالى على ذلك في القرآن فقال:

(أَمْ يَرَوْنَ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (النحل: ٧٩)

(أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ) (الملك: ١٩)

لذلك أحياناً تكون حالة الجو جيدة جداً ومع ذلك تحدث الكوارث للطائرات لأن الله لم يأذن لها بالإستقرار.

* وكذلك يدرسون حالة الجو للتأكد من إمكانية تحرك السفن بسلام.

لذلك قال تعالى: (أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَيُكَيِّلًا أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (الإسراء: ٦٨-٧٠).

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (الروم: ٤٦)

(وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَّارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ إِنَّ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ أَوْ يُوقِفُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ) (الشورى: ٣٢-٣٤)

(وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (الجاثية: ٥)

* وكلنا نعلم تاريخياً أن الله تعالى أهلك قوم عاد بالريح الشديدة وذكره القرآن الكريم فقال:

(وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ مَا تَدْرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرِّيمِ) (الذاريات: ٤١-٤٢)

ولا زالت العواصف الجوية تهلك الكثير من المدن كما يحدث في أمريكا واليابان....
لذلك فإن دراسة حالة الجو مهمة لضمان سلامة وسائل السفر البرية أيضًا.

إفحام مبين للملحدين:

الملحدون لا يؤمنون إلا بما يرونه فلا يؤمنون بالملائكة ولا بالجن لأنهم لا يرون الملائكة ولا الجن، وكذلك لا يؤمنون بالله تعالى لأنهم لا يرونه،

وهنا نقول لهم أنتم آمنتم بأشياء لا تُرى ومن ذلك:

* أنكم آمنتم بالجاذبية الأرضية وهي لا تُرى.

* وآمنتم بالكهرباء وهي لا تُرى.

* وآمنتم بوجود الروح وهي لا تُرى.

* وآمنتم بالعقل وهو لا يُرى.

* وآمنتم بالهواء ولا تراه العيون.

* وآمنتم بالأوكسجين والأوزون مع أننا نستنشقه ولا نراه.

* وآمنتم بطبقة الغلاف الجوي ولم تروه.

وإذا قالوا إننا استدللنا على هذه الأشياء بطرق أخرى كالشم واللمس والتجارب العلمية

قلنا لهم كذلك المخلوقات على اختلاف أنواعها وأحوالها وتباينها في النوع الواحد يدل على

وجود الإله الخالق الواحد الأحد

وصدق من قال:

سل الواحة الخضراء والماء جاريا وهذه الصحاري والجبال الرواسيا
 سل الروض مزداناً سل الزهر والندى سل الليل والإصباح والطير شاديا
 وسل هذه الأنسام والأرض والسما وسل كل شيءٍ تسمع الحمد ساريا
 فلو جم هذا الليل وامتد سرمداً فمن غير ربي يرجع الصبح ثانيا

ويحسن بنا أن نذكر ما ذكره الفخر الرازي في (تفسيره: ٩١/٢):

(سألوا الشافعي رضي الله عنه ما الدليل على وجود الله الخالق فقال ورقة الفرساد طعمها ولونها
 وريحها وطبعها واحد عندكم قالوا نعم قال فتأكلها دودة القز فيخرج منها الإبريسم والنحل فيخرج
 منها العسل والشاة فيخرج منها البعر ويأكلها الطباء فينعقد في نوافجها المسك فمن الذي جعل
 هذه الأشياء كذلك مع أن الطبع واحد فاستحسنوا منه ذلك وأسلموا على يده وكان عددهم سبعة
 عشر

وسئل أبو حنيفة رضي الله عنه عن أدلة وجود الله تعالى فتمسك بأن الوالد يريد الذكر فيكون أنثى
 وبالعكس فدل على الصانع.

وتمسك أحمد بن حنبل رضي الله عنه بقلعة حصينة ملساء لا فرجة فيها ظاهرها كالفضة المذابة
 وباطنها كالذهب الإبريز ثم انشقت الجدران وخرج من القلعة حيوان سميع بصير فلا بدّ من الفاعل
 عنى بالقلعة البيضة وبالحيوان الفرخ.

وسأل هرون الرشيد مالكا عن دليل وجود الله تعالى فاستدل باختلاف الأصوات وتردد النغمات
 وتفاوت اللغات

وسئل أبو نواس عنه فقال

تأمل في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك
 عيون من لجين شاخصات وأزهار كما الذهب السبيك
 على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك

سئل أعرابي عن الدليل فقال البعرة تدل على البعير والروث على الحمير وآثار الأقدام على المسير
فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج أما تدل على الله الحليم العليم القدير)
انتهى بتصرف

*** وإليك قطوف من قصيدة الأديب السوداني إبراهيم بديوي وهي أبيات تحكي شيئاً من آيات الله
تعالى وقد نقلتها من أرشيف ملتقى أهل الحديث وذكرها الدكتور علي القرني في درس خاص تحت
عنوان (دعوة إلى التأمل)

لله في الآفاق آيات لعل *** أقلها هو ما إليه هداكا
ولعل ما في النفس من آياته *** عجب عجاب لو ترى عينكا
الكون مشحون بأسرار إذا *** حاولت تفسيراً لها أعياكا
قل للطبيب تحظفه يد الردى *** ياشافي الأمراض من أرداكا؟
قل للمريض نجا وعوفي بعد ما *** عجزت فنون الطب من عافاكا؟
قل للصحيح يموت لا من علة *** من بالمنايا يا صحيح دهاكا؟
قل للبصير وكان يحذر حفرة *** فهوى بها من ذا الذي أهواكا؟
بل سائل الأعمى خطا بين الرّحام *** بلا اصطدام من يقود خطاكا؟
قل للجنين يعيش معزولا بلا *** راع ومرعى مالذي يرعাকা؟
قل للوليد بكى وأجهش بالبكاء *** لدى الولادة مالذي أبكاكا؟
وإذا ترى الثعبان ينفث سمه *** فاسأله من ذا بالسموم حشাকা؟
وأسأله كيف تعيش يا ثعبان أو *** تحيا وهذا السم يملأ فাকা؟
وأسأل بطون النحل كيف تقاطرت *** شهداً وقل للشهد من حلاكا؟

- بل سائل اللبن المصفى كان بين *** دم وفرث مالذي صفاكا؟
- وإذا رأيت الحي يخرج من حنايا *** ميت فاسأله من أحيكا؟
- وإذا ترى ابن السود أبيض ناصعاً *** فاسأله من أين البياض أتاكا؟
- وإذا ترى ابن البيض أسود فاحماً *** فاسأله من ذا بالسواد طلاكا؟
- قل للنبات يجف بعد تعهد *** ورعاية من بالجفاف رماكا؟
- وإذا رأيت النبات في الصحراء يربو *** وحده فاسأله من أرباكا؟
- وإذا رأيت البدر يسري ناشراً *** أنواره فاسأله من أسراكا؟
- وأسأل شعاع الشمس يدنو وهي أبعد *** كل شيء مالذي أدناكا؟
- قل للمرير من الثمار من الذي *** بالمر من دون الثمار غذاكا؟
- وإذا رأيت النخل مشقوق النوى *** فاسأله من يا نخل شق نواكا؟
- وإذا رأيت النار شب لهيها *** فاسأل لهيب النار من أوراكا؟
- وإذا ترى الجبل الأشمّ مناطحاً *** قَمَمَ السحاب فسله من أرساكا؟
- وإذا رأيت النهر بالعذب التلال *** جرى فسله من الذي أجراكا؟
- وإذا رأيت البحر بالملح الأجاج *** طغى فسله من الذي أطعاكا؟
- وإذا رأيت الليل يغشى داجيا *** فاسأله من يا ليل حاك دجاكا؟
- وإذا رأيت الصبح يُسفر ضاحياً *** فاسأله من يا صبح صاغ ضحاكا؟

ستجيب ما في الكون من آياته *** عجب عجاب لو ترى عيناك

هذي عجائب طالما أخذت بما *** عينك وانفتحت بما أذناكا!

ربي لك الحمد العظيم لذاتك *** حمداً وليس لواحد إلاك

يا مدرك الأبصار والأبصار لا *** تدري له وليكنه إدراكا

إن لم تكن عيني تراك فإنني *** في كل شيء أستبين غلاك

يا منبت الأزهار عاطرة الشذى *** ما خاب يوماً من دعا ورجاك

يا أيها الإنسان مهلاً ما الذي *** بالله جل جلاله أغراك؟

* ولقد أجمل القرآن الكريم وأبلغ حين قال في ختام سورة النمل: (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِيكُمْ آيَاتِهِ

فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِعَافِيٍّ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (النمل: ٩٣)

وبعد:

سؤال وجواب لأولي الألباب:

قد يقول بعض الملحدين أليس من المحتمل أن يكون هناك عدة آلهة؟

الجواب ذكره القرآن الكريم فقال:

(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) (الأنبياء: ٢٢)

(مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) (المؤمنون: ٩١)

لذلك أمرنا الله تعالى في القرآن بتوحيد الالهية فقال: (وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ إِلَّا مَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيتَايَ فَارْهَبُونِ) (النحل: ٥١)

وأخيراً نقول:

حتى إن الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى نهي عن صناعة وعبادة التماثيل وعبادة غير الله تعالى يعني أمر بالوحدانية كما في (سفر التثنية: ٥/٧-٩) (الخروج: ٢٠/٣-٥).

ومع ذلك وللأسف الشديد تجد اليهود يسجدون لبعض الهياكل (تماثيل)، وتجد النصارى يسجدون للراهب والخشب (الصليب).

* وسترى المزيد حين نتكلم عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في الفصل القادم إن شاء الله تعالى.

الفصل الأول

**الأدلة الجلية على نبوة خير البرية
محمد صلى الله عليه وسلم**

مقدمة

بداية أقول إن من يحتاج إلى أدلة على ثبوت الإسلام وصدق سيد الأنام محمد (صلى الله عليه وسلم) هو كمن يطلب أدلة على نسبة ضوء النهار إلى الشمس وكمن يطلب أدلة على أن الشمس تشرق من المشرق وتغرب من المغرب، وصدق من قال:

قد تنكر العينُ ضوءَ الشمسِ من رمد * وينكر الفمُ طعمَ الماءِ من سقم

ومع ذلك لقد أصبح العالم غير المسلم في أمسّ الحاجة إلى معرفة الأدلة التي تثبت صدق نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بسبب تشويه الغرب لصورة الإسلام في إعلامهم وافترائهم على الإسلام في أمور كثيرة؛

لذلك خصصت الفصل الأول في توضيح الأدلة الجلية على صدق خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم لأنه إذا ثبت ذلك ثبت قطعاً صحة الإسلام وما يدعو إليه من عقائد وأحكام؛ وهذه الأدلة كثيرة لكنني أوجزت فتكلمت عن البعض فقط والقليل يدل على الكثير فذكرت خمسة أدلة قوية وهي:

الدليل الأول: بشارات الكتاب المقدس بمبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم

الدليل الثاني: تأييد الله تعالى له بالمعجزات

الدليل الثالث: إخبار النبي محمد صلى الله عليه وسلم بغيبات كثيرة

الدليل الرابع: سيرته العطرة تدل على أنه نبي مُرسل

الدليل الخامس: نصره الله تعالى للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ولدين الاسلام

عامّة

الدليل الأول على ثبوت الإسلام وصدق سيد الأنام محمد

بشارات الكتاب المقدس بمبعث رسول الإسلام محمد

توطئة: قبل أن نلج في هذا الموضوع نوضح عدة أمور هامة إلى العامة:

الأمر الأول: الكتاب المقدس ينقسم إلى قسمين:

* القسم الأول يسمى بالعهد القديم أو العتيق ويشتمل على:

١- التوراة التي أنزلها الله على سيدنا موسى عليه السلام

٢- المزامير (الزبور) التي أنزلها الله على سيدنا داود

٣- الأسفار التاريخية

٤- أسفار لرسل آخرين، وأمثال

٥- أسفار أخرى كنشيد الإنشاد وغيره.

* القسم الثاني يسمى بالعهد الجديد ويشتمل على:

١ - عدة أناجيل

٢ - مجموعة رسائل بولس

٣ - مجموعة الرسائل الكاثوليكية

٤ - سفر " أعمال الرسل " للوقا

٥ - سفر رؤيا يوحنا.

ملحوظة: الإنجيل هو الكتاب الذي أنزله الله على سيدنا عيسى عليه السلام لكنه لم يكتب في عهده بل كُتِبَ بعد رفع المسيح بأكثر من خمس وستين سنة لذلك كُتِبَتْ عدة أناجيل ووقع الاختلاف فيما بينها كما ستراه هنا في ثنايا الكتاب.

وسيدنا عيسى عليه السلام بُعث مُجَدِّدًا لشريعة موسى عليه السلام ، فهو الذي جَدَّد التوراة بعدما نسخ بعض الأحكام لبني إسرائيل، فقد أحلَّ لهم بعضًا فقط مما كان محرَّمًا عليهم، وفي هذا يقول القرآن على لسان سيدنا عيسى:

(وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي هُرِّمَ عَلَيْكُمْ) [آل عمران: ٥٠]

لذلك فإن النصارى يقدسون العهد القديم لأن أصل في تشريع الأحكام لهم.

الأمر الثاني: أصل الكتاب المقدس ليس عربيًا

لأن بني إسرائيل وأنبيائهم كانوا عجمًا وليسوا عربًا، ولغتهم الأصلية العبرانية، فالكتاب المقدس أصله عبراني وليس عربيًا، ولكنه تُرجم إلى اليونانية في العصور الأولى، ثم تُرجم إلى الإنجليزية، وبعد ذلك تم ترجمته إلى العربية.

وهناك تراجم كثيرة، ولقد تُرجم الكتاب المقدس إلى العربية عدة مرات، وكلها لا تتفق مع بعضها، بل يوجد فيها اختلافات فيما بينها، وهذا يدل على التحريف الذي طال ترجمة الكتاب المقدس، وهذا هو السبب الأول في ضياع الإسم العلم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب المقدس لأن المترجمين ترجموا الأسماء، مع أن الأسماء لا تترجم، فترجموا كلمة (محمد) إلى (مشتهى الأمم)، وترجموا (البارقليط) إلى (المعزي) مع

أن البارقليط كلمة يونانية أصلها الاسم الذي فيه حمد كثير، وهو قريب من أحمد أو محمد باعتراف القساوسة السابقين الذين هداهم الله إلى الإسلام وغيرهم ممن لم يسلموا، وسوف نشرح ذلك في بشارات الإنجيل برسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم.

الأمر الثالث: عناد اليهود والنصارى، فالبشارات بمبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة في الكتاب المقدس، ولكنهم يكابرون ويعاندون ويجرفون الكلم عن مواضعه حقداً وحسداً على العرب كما ستره لاحقاً،

ومع ذلك يقول النصارى: إن الكتاب المقدس فيه ألف بشارة بمبعث عيسى عليه السلام، ولا توجد بشارة واحدة بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم، ويقولون إن الكتاب المقدس فيه الآلاف من التنبؤات المستقبلية، حتى أنه تنبأ بوزير الخارجية الأمريكي الأسبق (كيسنجر)، وهنا نفحمهم ونقول لهم:

كيف يتنبأ الكتاب المقدس برجل مثل كيسنجر، وهو لم يترك ثمة أثر في التاريخ، ولا يتنبأ برجلٍ غيّر مسار التاريخ، بل ظل أثره نحو خمسة عشر قرناً؟ فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم غيّر مسار التاريخ، ولا يزال أثره موجوداً منذ قرون عديدة، وهذا لا ينكره أحد، وهناك العشرات من الدول الإسلامية.

لماذا لم يُشر الكتاب المقدس إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حتى ولو بالتحذير منه؛ لأنه سوف يغير مسار التاريخ؟

فهذا مما يدل على أنهم في حيص بيص من أمرهم، وكما قيل هل يستقيم الظل والعود أعوج.

الأمر الرابع: تأكيد القرآن على وجود البشارات بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم في الكتاب المقدس، فقد أكد على ذلك في عدة مواضع منها قوله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ...) [الأعراف:

[١٥٧]، فهذه الآية تُصَرِّح بوجود بشارات بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل.

وقال تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [الفتح: ٢٩] وهذه الآية تُصَرِّح بأن وصف النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه موجود في التوراة والإنجيل.

وقال تعالى: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ...) [الصف: ٦]، وهذه تصرح بأن الإنجيل ذكر اسم (أحمد) وهو اسم من أسماء نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا ما ستره لاحقًا.

الأمر الخامس: البشارات كثيرة ولكنني سأذكر بعضها منها فقط من باب ضرب المثال ليتضح المقال وسوف أذكر الشرح وما يتعلق به من شبهات واهية وأزليتها بأجوبة شافية كافية ليتضح الحق لكل من يبحث عنه بدون عصبية ومن الله وحده التوفيق والسداد.

الأمر السادس: استفدت هذه البشارات من:

(١) كتاب العلامة منقذ السقار (هل بشر الكتاب المقدس بمحمد صلى الله عليه وسلم) نقلت منه بتصريف.

(٢) وكذلك (المختصر القويم في دلائل نبوة النبي الكريم) وليد نور.

- ولكن بتصريف وزيادات بسيطة من عندي وفقني الله إليها.

* ومن أراد الإستزادة من ذلك فليراجع كتاب (إظهار الحق) للعلامة الشيخ
رحمت الله الهندي ففيه الكثير جدًا بفضل الله تعالى، وقد اختصره في مجلد لطيف فضيلة
الدكتور أحمد محمد عبد القادر ملكاوي الدكتور بجامعة الملك سعود.

من بشارات العهد القديم بمحمد صلى الله عليه وسلم

البشارة الأولى: ذكرها النبي موسى عليه الصلاة والسلام

في سفر التثنية (إصحاح ١٨ عدد ١٧-١٩):

(قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطلبه).

فهذا النص لو نظرنا إليه بتجرد وتمعن لوجدنا فيه عدة نقاط كلها تنطبق على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، بل هناك صفات لا تنطبق إلا عليه دون غيره من إخوانه الأنبياء، ومن هذه النقاط ما يلي:

(١) قوله: (أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم) فلم يقل من أنفسهم. والأخوة قد يراد بها بنو إسرائيل أو أبناء عمومته، ولكن المراد بها هنا هم أبناء عمومة بني إسرائيل، وإلا لقال (من أنفسهم).

فمن عادة الكتاب المقدس أن يطلق لفظ الأخوة على بني العمومة، ومن ذلك قوله: (وأوصى الشعب قائلاً: أنتم مارون بتختم إخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير) [التثنية: ٤/٢]، وبنو عيسو بن إسحاق هم أبناء عمومة لبني إسرائيل بن إسحاق. وكذلك قوله: (لا تكره أدومياً، فإنه أخوك) [التثنية: ٣/٢٣]، والآدوميين هم أبناء عمومة لبني إسرائيل، وكذلك قوله: (وأرسل موسى رسلاً من قادش إلى ملك أدوم هكذا يقول أخوك: إسرائيل قد عرفت المشقة التي أصابتنا) [العدد: ١٤/٢٠]، فالآدوميين أبناء عمومة إسرائيل، ومع ذلك أطلق عليهم لفظ الأخوة.

فكذلك قوله في النص الذي معنا (من إخوتكم) يراد به أبناء العمومة من الأجداد وهم العرب لأنهم من نسل إسماعيل بن إبراهيم، وإسماعيل أخو إسحاق بن إبراهيم، وإسحاق جاء من نسله بنو إسرائيل.

فلو كان المراد خروج النبي المبشر به من بني إسرائيل لقال (من أنفسهم)، ولذلك تجد القرآن الكريم عاتب العرب بقوله: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) [التوبة: ١٢٨]، فلم يقل (من إخوانكم) لأن محمداً صلى الله عليه وسلم من نفس العرب، وهم أبناء عمومة لبني إسرائيل من جهة الأجداد في نفس الوقت. وبقية النص يدل على ذلك.

* **ولاحظ** أنه قال: (أقيم لهم) ولم يقل أقيم منهم، وهذا دليل واضح على أنه ليس منهم؛ لأنه سيكون لهم.

(٢) **قوله: (مثلك)** فقد وصف النبي المبشر به في النص بأنه مثل موسى عليه السلام، وهذا لا ينطبق إلا على محمد صلى الله عليه وسلم فقط، وذلك لعدة أوجه منها:
الوجه الأول: أن موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وُلداً ولادةً طبيعية، بخلاف عيسى الذي ولد من غير أب.

الوجه الثاني: أن محمداً تزوج مثل موسى، وأنجب وكون أسرة في حين أن عيسى لم يتزوج أصلاً.

الوجه الثالث: أن محمداً صلى الله عليه وسلم جاء بشريعة جديدة مثل موسى بخلاف عيسى الذي جاء مُجَدِّداً ومكماً لشريعة موسى، فقد قال في إنجيل متى (الإصحاح الخامس عدد: ١٧) (لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقص بل لأكمل) ولذلك يطلق على كتاب موسى العهد القديم وكتاب عيسى العهد الجديد، أما كتاب محمد صلى الله عليه وسلم فيطلق عليه القرآن الكريم.

الوجه الرابع: أن محمداً صلى الله عليه وسلم مات ميتةً طبيعية، ودفن في قبر مثل موسى في حين أن النصارى يعتقدون في عيسى أنه صُلب، وقتل شَدْ قَتْلَةً. ونحن نعتقد أنه رفع وما قتل حتى الآن، وفي كلا الحالتين لا يشبه موسى في هذا الوجه. قال تعالى: (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ) [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

الوجه الخامس: أن محمداً صلى الله عليه وسلم بعث مثل موسى لمحاربة الشرك، وليس لتحمل الخطيئة كما يعتقد النصارى في عيسى.

الوجه السادس: أن محمداً مثل موسى في معتقد أمته فهو عَبْدٌ لله ورسوله ولم يقل أنه ابن الله، أما عيسى فيعتقد النصارى فيه أنه ابن الله، وهو أحد الثالوث تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم أكد على عبوديته لله تعالى بقوله: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله)^(١).

الوجه السابع: أن كلاً من محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام بعث بالسيف، وقاد أمته، وملك عليهم، ولا ننسى أن موسى أراد أن يجارب الجبابرة في بيت المقدس، ويفتح هذه البلدة، ولكن بني إسرائيل جُبنوا وتقايسوا عن القتال، وهذا يعني أنه بعث بالسيف لمحاربة الشرك، وقاد أمته، وملك عليهم، وهذا ما حدث لمحمد صلى الله عليه وسلم تماماً. في حين أن النصارى يعتقدون في عيسى أنه صُلبَ وقتل شر قتلة ليتحمل الخطيئة، وهذا يعني أنه ما بعث بالسيف ولا مَلَكَ أمته أصلاً، بل هو الذي قال: (مملكتي ليست من هذا العالم لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود) [يوحنا: ١٨/٣٦]، ولما أراد بنو إسرائيل أن يجعلوه ملكاً عليهم هرب منهم، ففي (إنجيل يوحنا الإصحاح: ٦/ ١٥) (لما علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً انصرف أيضاً إلى الجبل وحده).

من خلال الأوجه السابقة تعلم أن محمداً أشبه بموسى من عيسى، وتنطبق عليه جميع الأوجه التي تجعله مثل موسى.

ومما يؤكد ذلك بدهاءة أن العهد القديم نص على أنه لم ولن يأتي نبي في بني إسرائيل

مثل موسى، ففي (سفر التثنية: ٣٤/ ١٠):

(١) رواه البخاري من حديث عمر بن الخطاب (٣٢١٤).

(ولم يَقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهًا لوجه) وسيدنا عيسى من بني إسرائيل فلا ينطبق عليه النص.

(٣) قوله: (وأجعل كلامي في فمه) وهذا يشير إلى أن النبي المبشّر به لا يأتي بكتاب مكتوب؛ وذلك لأنه لا يعرف القراءة ولا الكتابة، بل ينزل عليه الوحي ويقرأ عليه فيحفظ كلام الله في صدره، فينتقل الكلام من فم الوحي إلى فم النبي المبشّر به. وهذا يدل على أُمّية النبي المبشّر به.

ويؤيد ذلك ما جاء في سفر أشعياء (إصحاح ٢٩ عدد ١٢):

(أويدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة، ويقال له اقرأ هذا فيقول: لا أعرف الكتابة)، وفي إحدى التراجم: (ما أنا بقارئ لا أعرف القراءة).

وهذه الصفة تنطبق على محمد صلى الله عليه وسلم ولا تنطبق على عيسى، لأن سيدنا عيسى عليه السلام كان قارئًا، ففي إنجيل لوقا: (الإصحاح الرابع / ١٤-١٧): (ورجع يسوع بقوة الروح إلى الجليل، وخرج خبر عنه في جميع الكورة المحيطة، وكان ... ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت، وقام ليقرأ فدفَع إليه سفر أشعياء ...)

أما محمد صلى الله عليه وسلم فقد كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، ولم يأت نبي أمي لا يقرأ ولا يكتب سواه.

وما ذكره سفر أشعياء يتفق تماما مع حديث عائشة عند البخاري في (صحيحه: ٣) ومسلم في (صحيحه: ١٦٠) في قصة نزول الوحي أول مرة على محمد صلى الله عليه وسلم، (قال له جبريل: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ ثلاث مرات، ثم قال له: (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) [العلق: ١-٥] أي اقرأ عن ظهر قلب ما سيُتلى عليك.

ولقد أكد القرآن الكريم على أُمّية النبي محمد عليه الصلاة والسلام فقال تعالى (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ

يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ
(الأعراف: ١٥٧)

(فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)
(الأعراف: ١٥٨)

(وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ بَلْ
هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ)
(العنكبوت: ٤٩، ٤٨)

ومعنى (الأمي) لا يقرأ ولا يكتب،

وقد اعترف الكفار في عهده أنه أمي لا يعرف القراءة وحكاه القرآن عنهم فقال
تعالى: (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (الفرقان:
٥) ومعنى (اكتتبتها) أي أمر بكتابتها وإلا لقالوا كتبتها

سؤال: كيف يقول جبريل اقرأ والنبى صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ
هل كان جبريل لا يعلم ذلك؟

الجواب: حتى يكون إقراراً من النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لا يقرأ

سؤال: كيف يقول جبريل له اقرأ ولم يُعطه صحيفة لينظر فيها؟

الجواب: إن النبي صلى الله عليه وسلم أنهى الموضوع من الأساس فقال
(ما أنا بقاريء) يعني لست متعلماً القراءة ولا الكتابة لذلك لم يطلب
النظر في الصحيفة المراد قراءتها، ففي الواقع العملي إذا قلت لشخص
أمي غير متعلم عندي خطاب أريد منك أن تقرأه لي لأجابه على الفور
بأنه لا يحسن القراءة فهو أمي ولن يطلب منك النظر في الخطاب أولاً.

١- وأما حديث (ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قرأ وكتب) (موضوع) قاله الألباني في
(س:ض/٣٤٣) وقال: وأما ما جاء في صحيح البخاري من حديث البراء في قصة صلح الحديبية:
فلما كتب الكتاب كتبوا: " هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله " قالوا: لا نقر لك بهذا لو نعلم أنك
رسول الله ما منعناك شيئاً ولكن أنت محمد بن عبد الله، فقال: " أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله "
ثم قال لعلي: " امح رسول الله " قال علي: والله لا أمحوك أبداً فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب (هذا ما قاضى محمد بن عبد الله) فليس على ظاهره بل هو من باب
بنى الأمير المدينة، أي أمر ببنائها، ودليله رواية المسور بن مخرمة عند البخاري أيضاً بلفظ: (والله
إني لرسول الله وإن كذبتوني اكتب: محمد بن عبد الله) وفي نفس الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم
أخذ الكتاب وقال لعلي إياها ثم محاها ولو كان يحسن القراءة لما احتاج أن يُريه موضع الجملة.

(٤) قوله: (يكلّمهم بكل ما أوصيه به) وهذا يشير إلى أن النبي المبشر به في النص سيتمكّن من تبليغ دينه كله.

وهذا ينطبق على محمد صلى الله عليه وسلم، ولا ينطبق على أخيه عيسى عليهما الصلاة والسلام، فقد اكتمل دين الإسلام قبل موت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ففي أواخر حياته نزل قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [المائدة: ٣].

أما عيسى عليه السلام فلم يتمكن من تبليغ وصاياه وشريعته كلها إلى تلاميذه، وهو ما أكده في إنجيل يوحنا (الإصحاح السادس: ١٢-١٣) حيث قال المسيح: (إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذلك روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمرٍ آتية).

(٥) قوله: (ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطلبه) فهذا يشير إلى أن النبي المبشر به نبي واجب السمع والطاعة، وأن من يعصيه، فإنه سيتعرض لعقوبة الله عز وجل، وهذا ما حدث مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم، حيث انتقم الله من أعدائه من مشركي العرب والعجم، وانتصرت القلة القليلة من المسلمين على الجموع الكثيرة من مشركي العرب والعجم، بل فتحوا الفرس والروم، ولما تحزبت عليه الأحزاب من كل جانب نصره الله عز وجل. وهذا كله لم يحدث لأخيه عيسى عليه السلام، فإنه لم يتغلب على مقاتليه فضلاً عن الذين تركوا الإيمان به، بل إنه في معتقد النصارى أنه تم القبض عليه وصلب وقتل شر قتلة.

فصفة الغلبة على الأعداء انطبقت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولم تنطبق على سيدنا عيسى عليه السلام، ومن يراجع التاريخ الإسلامي وخاصة الفتوحات الإسلامية يجد ذلك صراحة.

اعتراض واهي وجواب شافي

اعترض النصارى على أن يكون النبي المبشر به في كلام سيدنا موسى عليه السلام أن يكون من العرب، فقالوا: لا بد وأن يكون من بني إسرائيل، ودليلهم هو قوله قبل هذا النص بعددين: (يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون) [سفر التثنية: ١٨/١٥]، ومعنى (وسطك) أي من بني إسرائيل.

وجوابه من وجهين:

الوجه الأول: أن من يتبع التحقيق المجرد عن العصبية يجد أن هذا محرف، ويدل عليه أمور:

أولاً: أن موسى لم يذكر هذه الكلمة في المقطع الآخر الذي يبين صفات هذا النبي المنتظر، والتي شرحناها سابقاً حيث قال: (من وسط إخوتك)، ولو كانت هذه الكلمة من كلام الله لما صح أن يتركها.

ثانياً: أن التنبؤ بالنبي المنتظر ذكره كل من بطرس واستفانوس كما ذُكرت في النص الذي معنا تماماً بدون كلمة (من وسطك)، ولو كانت ثابتة لذكرها، ففي (سفر أعمال الرسل: ٢٢/٣) قال بطرس: (فإن موسى قال للآباء إن نبياً مثلي سيقم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون في كل ما يكلمكم به). وفي (سفر أعمال الرسل: ٣٧/٧) قال استفانوس: (هذا موسى الذي قال لبني إسرائيل نبياً مثلي سيقم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون).

ثالثاً: قوله: (من وسطك من إخوتك مثلي) يستحيل أن يكون من كلام الرب سبحانه وتعالى، وذلك لأن كل النصوص أشارت ووصفت بأن النبي المبشر به سيكون مثل موسى، وهنا يقول: (مثلي)، والمتكلم هو الرب سبحانه وتعالى ولا يقول أحد أبداً بأن هناك مثال لله تعالى سوى النصارى تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. وهذا ما تفتنت له بعد تحليل النص بتجرد وتمعن.

الوجه الثاني: أن جميع أوصاف النبي المبشر به والتي ذكرت في النص تحققت في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولم تتحقق في سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام كما بيناه سابقا والحمد لله رب العالمين.

أخيراً نقول: لقد ظهر الحق (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) [الإسراء: ٨١]، وصدق من قال:

الحق يعلو والأباطل تَسْقُلُ والحق عن أحكامه لا تسأل
فإن استحالت حالة وتبدلت فالله تعالى لا يستحيل ولا يتبدل

* راجع المزيد حول البشارة السابقة في :

[مختصر كتاب إظهار الحق: ٢١٤-٢١٩] للدكتور أحمد محمد ملكاوي

البشارة الثانية : نبوءة النبي موسى عليه الصلاة والسلام بخروج نبي من فلسطين وآخر من جزيرة العرب (مكة)

في (سفر التثنية: ٣٣/١-٣):

(هذه البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته، فقال: جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلاًلاً من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة، فأحب الشعب جميع قديسيه في يدك وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقوالك).

ومعنى (ربوات القدس) أي ألوف القديسين الأطهار وهم الأتباع، ففي ترجمة الكتاب المقدس عام ١٨٤١ ميلادية (واستعلن من جبل فاران ومعه ألوف أطهار في يمينه شعلة من نار).

وفي (سفر دانيال: ٧/١٠): (ألوف ألوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدامه).

هذا النص يشير إلى ثلاثة مواضع:

الموضع الأول: جبل سيناء حيث كلم الله موسى .

والموضع الثاني: سعير، وهو جبل يقع في أرض يهوذا كما أوضحه [سفر يشوع : ١٥/١٠-١٢]، وأرض يهوذا في وسط فلسطين، وهو المكان الذي ظهر فيه عيسى عليه الصلاة والسلام.

والموضع الثالث: جبل فاران، وهو في شبه الجزيرة العربية، ومنه خرج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

اعتراض والجواب عنه : النصارى اعترضوا وقالوا إن منطقة فاران تقع بين سيناء وفلسطين، والنص ذكرها إشارة إلى مجد اليهود،

ويرد عليهم أن هناك أمور أثبتت أن فاران هي مكة، ومن ذلك ما يلي:

الأمر الأول: أن منطقة فاران نشأ فيها إسماعيل كما تقول التوراة في [التكوين: ٢١/٢٠-٢١]: (كان الله مع الغلام فكبر، وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس، وسكن في برية فاران، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر) ، والمعروف تاريخياً أن إسماعيل وأمه قطنا مكة، فيكون المراد بجبل فاران جبل مكة.

وقد انتشر أبناء إسماعيل في مكة واليمن، ففي [التكوين: ١٥/١٦-١٨] (هؤلاء بنو إسماعيل ... وسكنوا من حويلة إلى شور التي أمام مصر)، وشور في جنوب فلسطين، وهي المقابلة لمصر، أما حويلة فهي في شمال اليمن كما في (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٢٩)، وعليه فإن أبناء إسماعيل سكنوا من اليمن، وهي جنوب الحجاز إلى فلسطين، وهي شمال الحجاز، والسعودية تقع بين اليمن وفلسطين كما توضح ذلك خريطة العالم، وهذا يعني أنهم انتشروا حتى ملأوا الحجاز، وجنوب الحجاز (اليمن)، وشمال الحجاز (فلسطين).

الأمر الثاني: الأدلة التاريخية تشير إلى أن فاران هي مكة، حيث بنى إسماعيل وأبوه الكعبة، وتفجرت مياه زمزم من تحت قدم إسماعيل وهو صبي.

وقد اعترف بذلك عدد من المؤرخين، ومنهم جيروم القديس والمؤرخ اللاهوتي يوسيبوس فقد قالوا: إن فاران هي مكة،

وفي قواميس أهل الكتاب أن فاران هي صحراء العرب.

الأمر الثالث: إذا كان المراد بفاران منطقة بين سيناء وفلسطين كما يزعم النصارى واليهود، فمن النبي الذي خرج من هذه المنطقة، وكان معه الآلاف من الأتباع؟ فلم يردّ أبداً أنه خرج منها نبي أصلاً، وهذا يدل على أن فاران ليست في هذه المنطقة، بل هي في مكة كما قال القديس جيروم، والمؤرخ اللاهوتي سيبوس. فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي خرج من مكة، ولما هاجر إلى المدينة بسبب إيذاء قومه له عاد إليها بعد ذلك بعدة آلاف من أصحابه وفتح مكة، وكان كل واحد منهم معه شعلة من النار، ودخلوا من كل جانب حتى أضاءوا وادي مكة بتلك النار، وأصبح أهل مكة الذين

كانوا يعادون النبي محمد صلى الله عليه وسلم أصبحوا تحت قدميه، وهذا لا يجمله أحد شم رائحة التاريخ الإسلامي والعربي.

الأمر الرابع: إذا كان المراد من النص الإشارة إلى مجد اليهود كما يزعمون هم. فلماذا ذكر هذه المواضع فقط؟ فالمعروف تاريخياً أن مجد اليهود لم يتوقف عند هذه المواضع الثلاثة فهم انتشروا خارج مصر وفلسطين، بل إن كثيراً من اليهود انحدروا إلى يثرب، وهي المدينة المنورة التي هاجر إليها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وانتشروا في بلاد كثيرة أيضاً، فكيف يشير النص إلى مجد اليهود، ويحدد ثلاثة مواضع في منطقة ضيقة بالنسبة إلى ساحة انتشار اليهود؟ أليس هذا هو عين النقض؟

ومما يؤكد أن النص للبشارة وليس للمجد أن عيسى خرج فعلاً من فلسطين ومحمد صلى الله عليه وسلم خرج من مكة وتبعه الآلاف.

الأمر الخامس: هذا النص يتفق مع النص القرآني قال تعالى: (وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) [التين: ١-٣]، فهذه السورة ذكرت نفس المواضع، فالمراد بـ (وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ) بلدهما وهي بلاد الشام، وتشمل فلسطين وسوريا، وعيسى بعث من فلسطين، والمراد من (وَطُورِ سِينِينَ) سيناء في مصر، ومنها بعث موسى، والمراد من (الْبَلَدِ الْأَمِينِ) مكة المكرمة، ومنها بعث محمد عليهم جميعاً الصلاة وأزكى التسليم. قاله ابن كثير في تفسيره.

ولاحظ أن القرآن قَدَّمَ بلاد الشام، لأن منها خرج أنبياء لبني إسرائيل قبل موسى وعيسى ومحمد كإسحاق ويعقوب ويوسف.....

الأمر السادس: ومما يؤكد أن فاران هي مكة نبوءة النبي حبقوق وفيها (الله جاء من تيمان والقُدوس من جبل فاران) [حبقوق: ٣/٣]، ومعناها أن الشريعة خرجت من تيمان ومعناها الجنوب والمراد جنوب فلسطين بلدة أنبياء بني إسرائيل، فالمعنى العام هو أن هناك نبي سيخرج من جنوب فلسطين من منطقة تسمى جبل فاران ومنطقة الحجاز هي التي تقع في جهة جنوب فلسطين.

اعتراض واهي وجواب شافي كافي:

بعض النصارى واليهود يزعمون أن فاران في اليمن.

ويرد عليهم بأن هذا غير صحيح لسببين:

أولاً: أرض الحجاز تفصل بين فلسطين واليمن فهي الأقرب إلى فلسطين من

اليمن من جهة الجنوب كما توضحه خريطة العالم.

ثانياً: أن اليمن لم يخرج منها نبي أصلاً.

* مما سبق يتضح جلياً لكل ذي لب أن فاران هي مكة فلا محيص عن الحق، ولا

داعي للمكابرة والمعاندة، فهذا لن يفيد شيئاً.

وإنني لأتعجب من عناد النصارى فهم يجاربون النصوص التي تبشر بنبوة سيدنا

محمد صلى الله عليه وسلم حتى وإن لم تكن في صالحهم كما في هذا النص فتارة يؤولونه

على أنه ذكر لمجد اليهود وتارة يُحرفونه بأن المراد من فاران منطقة بين سيناء وفلسطين،

وكلاهما ثبت بالتحقيق والدليل بطلانها كما سبق بيانه والحمد لله على توفيقه.

البشارة الثالثة : نبوءة النبي أشعيا عليه السلام بصفة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصفة مخرجه

ففي العهد القديم [سفر أشعيا: ٤٢/١-١٢]:

(هو ذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرّرت به نفسي، وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم، لا يصيح ولا يُرْفَعُ ولا يُسْمَعُ في الشارع صوته، قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة خامدة لا يطفئ إلى الأمان يخرج الحق، لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته، هكذا يقول الرب خالق السماوات وناشرها باسط الأرض ونتائجها معطي الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحًا: أنا الرب قد دعوتك بالبر، فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهدًا للشعب، ونورًا للأمم لتفتح عيون العمي، لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة، أنا الرب هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر، ولا تسيحي للمنحوتات ... لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التي سكنها قيثار، لترنم سكان سلع من رؤوس الجبال ليهتفوا ليعطوا الرب مجدًا ويخبروا بتسيحه في الجزائر).

ملحوظة: الجزائر هنا جمع جزيرة.

والنص يشير إلى صفة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصفه مخرجه فتحليل النص يشير إلى ذلك، ويدل عليه أمور:

الأمر الأول: قيثار هو جد النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهو جد العرب، والنص ذكر خروج النبي المبشر به من مسكن قيثار.

* قيثار من أولاد إسماعيل كما في [سفر التكوين: ٢٥/١٣] (وهذه أسماء بني إسماعيل حسب مواليدهم نيابوت بكر إسماعيل وقيثار وأدبئيل ومبسام ...) وقيثار بن إسماعيل هو جد العرب العدنانية، وتسمى بالمستعربة ويطلق عليها (عدنانية) نسبة إلى عدنان أحد أحفاد قيثار بن إسماعيل، وهذا كله معروف تاريخيًا. ومعلوم أن إسماعيل

سكن مكة المكرمة. وقيدار بن إسماعيل جاء من نسله قريش الذين خرج منهم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

الأمر الثاني: سأل أحد جبال المدينة المنورة ويطلق عليه (سَلْع) ويقع غرب المسجد النبوي، وحدثت عنده غزوة الخندق (الأحزاب)، وعليه يكون المراد من قوله: (لترنم سكان سلع من رؤوس الجبال...) استقبال أهل المدينة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم عندما دخلها مهاجرًا من مكة وهذه صفة مخرجه صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة.

الأمر الثالث: قوله: (لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته) يتفق مع ما ذكره عبد الله بن عمرو بن العاص في (صحيح البخاري: ٢١٢٥) حين سأله عطاء بن يسار عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة، فقال:

(أجل والله إنه لموصوف ببعض صفته في القرآن (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) وحرزًا للأمين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح به أعينًا عميًا وأذانًا صمًا وقلوبًا غلفا)

ومعنى الصخاب هو الذي يصيح ويرفع صوته ومن ثم فقد صرح بأن صفة النبي في التوراة (ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأصوات...) وهذا يتفق مع قول الكتاب المقدس (لا يصيح ولا يرفع...).

الأمر الرابع: قوله: (قضية مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ إلى الأمان يخرج الحق لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته)، وهذا كله تحقق في النبي محمد صلى الله عليه وسلم فهو لم يكل ولم يعجز ولم ينهزم، بل نصره الله تعالى على الكافرين، وظهر الحق على يده، واكتملت دعوته، قال تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [المائدة: ٣].

الأمر الخامس: قوله في أول النص: (فيخرج الحق للأمم) لا ينطبق إلا على محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه بعث لكل الأمم أما أنبياء بني إسرائيل مثل موسى وعيسى وغيرهم عليهم جميعاً الصلاة والسلام، فكان كل واحد منهم يُبعث إلى قومه خاصة، ولذلك قال الله تعالى للنبي محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) [الفرقان: ١]،
(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) [سبأ: ٢٨]،

وفي حديث جابر عند البخاري في (صحيحه: ٤٣٨) ومسلم في (صحيحه: ٥٢١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيها رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأُحِلَّت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة).

الأمر السادس: كلمة (الأمم) في قوله: (فيخرج الحق للأمم)، (ونوراً للأمم) ثم ترجمتها خطأً ففي النسخة الإنجليزية (gentiles) ومعناها بالعربية (الأميين)، وقاموس الكتاب المقدس يقول عن كلمة (الأميين): هي كلمة تستخدمها اليهود لاحتقار الأمم الأخرى من غير إسرائيل؛ لأنهم يعتبرون كل ما سوى إسرائيل أمماً وثنية مشتتة الملل، وطبعاً النصراني من بني إسرائيل فلا ينطبق عليه النص على سيدنا عيسى لأنه من بني إسرائيل وبعث إلى بني إسرائيل والمراد بالأميين غير بني إسرائيل، وليس إلا العرب الذين بعث فيهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولذلك نجد القرآن الكريم جعل الأميين خلاف أهل الكتاب (اليهود والنصارى) فقال تعالى:

(وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا) [آل عمران: ٢٠]، والأميين هم العرب الذين بعث فيهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى:

(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [الجمعة: ٢] أي كانوا في ضلال في عقيدتهم وعبادتهم فهم الوثنيون، لذلك بعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم، وكانت دعوته لكل الأمم؛ لأنه خاتم النبيين عليهم جميعا الصلاة والسلام.

الأمر السابع: قوله: (أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك...) يتفق مع قوله تعالى للنبي محمد صلى الله عليه وسلم: (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) [المائدة: ٦٧] فلم يُقتل مع كثرة محاولات أعدائه أما سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام فيعتقد النصراني أن اليهود صلبوه وقتلوه.

الأمر الثامن: قوله: (وأجعلك عهدًا للشعب ونورا للأمم لتفتح عيون العمي...) يتفق مع قول عبد الله بن عمرو بن العاص في الحديث السابق ذكره (ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعينا عميا وأذنا صمًا وقلوبًا غلغا).

ولا يمكن حمل النص على البشارة بعيسى عليه السلام لأمر منها:

أولا: أنه لم يأت لإخراج الحق للأمم، بل لأمة إسرائيل فقط كما قال هو بنفسه: (لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة) [متى: ٢٤/١٥].

ثانياً: دعوة عيسى لم تظهر في ديار قيثار وهي بلاد العرب (مكة)، فقد كانت هذه الديار من عبدة الأصنام قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم، وقد تنصر القليل جداً منهم مثل ورقة بن نوفل، ولما قصَّ عليه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه، وحدث معه في غار حراء بَشَّرَهُ، وقال له هذا هو الناموس الذي بشر به موسى وعيسى وتمنى ورقة أن يكون حياً حين يخرج قومه من مكة لكي يدافع عنه، والحديث من رواية عائشة في (البخاري: ٣)، (مسلم: ١٦٠).

ثالثاً: لم ترتفع الأصوات بمكة ولا بالمدينة بشريعة عيسى أو موسى عليهما السلام، ولكن ارتفعت بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: قوله: (لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض) لم ينطبق على عيسى عليه السلام؛ لأن دعوته لم تكتمل، فهو الذي قال: (إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، لكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذلك روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق) [يوحنا: ١٦/١٢-١٣]، أيضاً النصارى يعتقدون أنه انكسر، بل قبض عليه اليهود وصلبوه وقتلوه شر قتلة، فلا يحق لهم أن يعتبروا النص السابق بشارة بعيسى.

والحمد لله لقد أصبح الحق أجلى من الشمس في ضحاها (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) [الإسراء: ٨١].

كما سبق يتضح أن التوراة بَشَّرَتْ كثيراً بمبعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وذكر الكثير من صفاته وصفات مخرجه، ولكن اليهود والنصارى يكابرون ويعاندون حقداً وحسداً على العرب؛ لأنه بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم ينتقل الملك من بني إسرائيل إلى العرب، وهو ما حدث فعلاً رغمًا عن أنف الجاحدين والمعاندين من بني إسرائيل.

ولقد اعترف الكثير من اليهود بأن أن التوراة بَشَّرَتْ بمحمد صلى الله عليه وسلم وأسلم الكثير منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك:-

(١) إسلام اليهودي الشاب الذي كان يحتضر،

فقد أخرج الإمام أحمد في (مسنده: ٢٣٤٩٢) فقال: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنِ الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ أَبِي صَخْرٍ الْعُقَيْلِيِّ، حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، قَالَ: جَلَبْتُ جُلُوبَةً إِلَى الْمَدِينَةِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْ بَيْعَتِي قُلْتُ: لِأَلْقِيَنَّ هَذَا الرَّجُلَ فَلَأَسْمَعَنَّ مِنْهُ، قَالَ: فَتَلَقَّيْنِي بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ، وَعَمَرَ يَمْسُونُ، فَتَبِعْتُهُمْ فِي أَفْقَائِهِمْ حَتَّى أَتَوْا عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ نَاشِرًا التَّوْرَةَ يَقْرُؤُهَا، يُعَزِّي بِهَا نَفْسَهُ عَلَى ابْنِ لَه فِي الْمَوْتِ، كَأَحْسَنِ الْفُنِّيَانِ وَأَجْمَلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْشُدْكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ، هَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِكَ دَا صِفَتِي وَمَخْرَجِي؟»، فَقَالَ بِرَأْسِهِ هَكَذَا، أَيْ: لَا،

فَقَالَ ابْنُهُ: إِي وَالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ إِنَّا لَنَجِدُ فِي كِتَابِنَا صِفَتَكَ وَمُخْرَجَكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: «أَقِيمُوا الْيَهُودَ عَنْ أَخِيكُمْ، ثُمَّ وَلِي كَفَنَهُ وَجَنَنَهُ وَالصَّلَاةَ عَلَيْهِ. وصححه الألباني في (س:ص / ٣٢٦٩):

(٢) عبد الله بن سلام حبر اليهود: فقد كان من أكبر علماء اليهود وأنشأ عليه خيراً، فلما أسلم عند النبي صلى الله عليه وسلم تكلموا فيه شراً. وقصته في [البخاري: ٣٣٢٩، ٣٩٣٨، ٤٤٨٠].

(٣) كعب الأحبار: فقد كان معاصراً للنبي صلى الله عليه وسلم ولم يسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ولما سئل عن سبب تأخر إسلامه، قال: إن أبي أخفى عني من التوراة ما كان يبشر بمحمد صلى الله عليه وسلم، وما كان فيه صفته وصفة مخرجه، فلما مات أبي، واطلعت على ما كان يخفيه عني أعلنت إسلامي، انظر كتاب ابن حجر (الإصابة في تمييز الصحابة ترجمة رقم: ٧٥٠١)، (تاريخ دمشق: ٥٠/١٦١) لابن عساكر.

(٤) ومن المعاصرين المهندس العراقي أحمد نسيم سوسة كان يهودياً وأسلم، وكذلك اليهودي المتزمت يوسف خطاب أسلم وغيرهم من علماء أمريكا والغرب راجع قصص إسلامهما في كتاب (رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا: قصة رقم / ٦٢، ٨٠).

البشارة الرابعة : نبوءة المزامير بصفات النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والمزامير جمع مزموور ويسمى عند المسلمين بالزبور وهو الذي أنزله الله على سيدنا داود قال تعالى: (وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا) (النساء : ١٦٣)

ففي [سفر المزامير: ١٧-١/٤٥] (فاض قلبي بكلام صالح متكلم أنا بإنشائي للملك لساني قلم كاتب ماهر: أنت أبرع جمالاً من بني البشر انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الأبد تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاءك وبجلالك اقتحم اركب من أجل الحق والدعة والبر فترك يمينك مخاوف نُبلِك المسنونة في قلب أعداء الملك شعوب تحتك يسقطون كرسيك يا الله إلى دهر الدهور قضيب استقامة قضيب ملكك. أحببت البر وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفائك كل ثيابك مر وعود سليخة من قصور العاج سرتك الأوتار بنات ملوك بين حظياتك جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير. اسمعي يا بنت وانظر وأميلي أذنك وانسي شعبك وبيت أبيك فيشتهي الملك حسنك؛ لأنه هو سيدك فاسجدي له وبت صور أغني الشعوب ترضى وجهك هدية...).

هذا النص يشير إلى النبوءة بنبي قادم، والنصارى يؤمنون بذلك، ولكنهم يزعمون أنه يبشر بعيسى عليه السلام، والمسلمون يرون أنه يبشر بمحمد صلى الله عليه وسلم لكن من نظر إلى النص بتجرد وتمعن لوجد أن فيه صفات لا تنطبق على سيدنا عيسى أبداً وتنطبق على سيدنا محمد عليها الصلاة والسلام ومن ذلك:

أولاً: قوله: (أبرع جمالاً من بني البشر) وهذا يعني أن له صفة الجمال الحسن. وهذه الصفة لا يعتقد النصارى بوجودها في عيسى عليه السلام؛ لأنهم يعتقدون أن جماله في روحه، أما شكله فليس فيه جمال، ففي بعض النصوص التي يعتقد النصارى أنها تبشر بعيسى (لا صورة له ولا جمال، فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه) [أشعياء: ٥٣/٢]، ونحن لا نوافقهم على هذا، فالأنبياء جميعاً عندنا في غاية الحسن، فنحن نؤمن بأن الأنبياء لهم حسن الجمال، ونؤمن بأن أجملهم هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكان أجمل الناس

مطلقاً، ففي (صحيح البخاري: ٣٥٤٩)، (صحيح مسلم: ٢٣٣٧) عن البراء بن مالك (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهًا وأحسنهم خلقًا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير).

فصفة حسن الجمال منطبقة هنا على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وليس لأحد أن يقول إن المتنبى به يوسف؛ لأنه كان حسن الجمال، وهو مشهور بذلك، فهذا مردود؛ لأن يوسف حفيد إسحاق مباشرة فهو يوسف بن يعقوب (إسرائيل) بن إسحاق، والتوراة أول شيء في الكتاب المقدس نزلت على موسى وموسى ولد بعد موت يوسف بمئات السنين.

ثانياً: قوله: (انسكبت النعمة على شفتيك) يعني كلام النبوة يخرج من شفتيك، وليس هناك كتاب مكتوب، وهذا يشير إلى أُمِّيَّة الرسول المُبَشَّر به في النص، وهذه الصفة لا تنطبق إلا على محمد صلى الله عليه وسلم، فهو النبي الوحيد الذي كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، أما عيسى فقد كان قارئاً كما في [إنجيل لوقا: ٤/١٤-١٧] (ورجع يسوع.....وقام ليقرأ فدفع إليه سفر أشعيا...)،

وقد جاءت نصوص كثيرة إلى أُمِّيَّة هذا النبي المبشر به مثل بشارة موسى به، وفيها أن الرب قال عنه: (وأجعل كلامي في فمه) [التثنية: ١٨/١٧-١٩]، ومن ذلك (أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة...) [أشعيا: ١٩/١٢]، كما بيناه سابقاً.

ثالثاً: قوله: (تقلد سيفك أيها الجبار... شعوب تحتك يسقطون) وهذا يعني أن النبي المبشر به في النص له سيف يقهر به أعدائه وهذه الصفة لا تنطبق على عيسى عليه السلام، فلم يكن صاحب سيف ولم يقهر أعدائه ولم يسقط تحته شعوب، أما محمد صلى الله عليه وسلم فكان صاحب سيف وخاض معارك كثيرة ضد أعدائه، وأظهره الله عليهم، وسقطت شعوب تحته، وهذا لا يجمله أحد.

رابعاً: قوله: (بنات ملوك بين حظياتك) أي أن بنات الملوك تحت يدك، وهذا ما حدث للنبي محمد صلى الله عليه وسلم فقد كانت تحت يده السيدة صفية بنت حيي سيد قومه من اليهود، وأسلمت وأعتقها وتزوجها، وكانت تحت يده مارية القبطية أهداها له المقوقس ملك مصر، وكانت بنت ملك الفرس يزدجر تحت حفيده الحسين بن علي، وهذا كله لم يحدث لعيسى عليه السلام حتى أنه لم يتزوج أصلاً.

خامساً: قوله: (أغنى الشعوب ترضى وجهك بهدية) وهذا ما حدث للنبي محمد صلى الله عليه وسلم فقد أرسل له النجاشي ملك الحبشة هدايا عظيمة، وكذلك المقوقس وغيرهما كثير، وكل هذا لم يحدث لعيسى عليه السلام.

سادساً: قوله: (وانسي شعبك...) يشير إلى أن بنات الملوك التي ستكون تحت يده من ملل أخرى، وهو ما حدث فعلاً، فقد كانت صفية بنت حيي يهودية وبنت سيد قومه، وكانت تحت يد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأسلمت (تركت شعبها) وأعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها، وكانت تحته مارية القبطية، وكانت نصرانية أهداها له المقوقس، وأسلمت أيضاً يعني تركت شعبها.

سابعاً: قوله: (اذكر اسمك في كل دور فدور من أجل أن تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد) (عدد/ ١٧) هذا يعني أن النبي المبشر به سيكون له ذكر وثناء حميد دائماً، وفي أماكن كثيرة، وهذا ينطبق على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وربما ينطبق على عيسى أيضاً، ولكن ينطبق أكثر على محمد صلى الله عليه وسلم، فإن الأذان فيه (وأشهد أن محمداً رسول الله) والأذان يُذكر خمس مرات في اليوم والليلة يرفع في معظم البقاع الأرضية، وبالأصوات العالية، بل وبالمكبرات الصوتية، وهذه الجملة تذكر أيضاً في إقامة الصلاة يتفق مع القرآن قال تعالى: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) [الشرح: ٤]. في حين أن النصارى يستخدمون الأجراس.

ونلاحظ أن قوله: (تحمدك الشعوب) لو كانت الدال مشددة فلا ينطبق ذلك على أحد سوى النبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن اسمه فيه معنى التحميد، وفي كتب

السيرة المحمدية أن عبد المطلب لما سمى محمداً استغربته العرب، فسألوه عن السبب فقال: لكي يحمده الناس، فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم هو أحمد ومحمد عليه وعلى جميع النبيين أفضل الصلاة والسلام.

البشارة الخامسة: نبوءة المزامير (الزبور) بالحجر الخاتم وهو محمد صلى الله عليه

وسلم

ففي العهد القديم (الزبور: ١١٨/٢٢-٢٣) (الحجر الذي رفضه البناءون قد صار رأس الزاوية من قبل الرب، كان هذا وهو عجيب في أعيننا).

معنى النص: أن أنبياء بني إسرائيل كثيرون وهم بمثابة الحجارة الكثيرة التي يبني بها بيت الرب، ولكن الحجر الذي يكون في رأس الزاوية، والذي يمسك البناء كله فهو الحجر الأعظم والأهم، وهذا يشير إلى النبي الخاتم للنبوة وهو محمد صلى الله عليه وسلم.

اعتراض واهي وجواب شافي كافي:

النصارى يرون ان هذا الحجر الأخير يشير إلى عيسى عليه السلام؛ لأنهم يرون أن عيسى آخر الرسل، ولا يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم،

ويُرد عليهم بأن عيسى عليه السلام بشر بهذا النبي الخاتم وأخبر تلاميذه بذلك لتلاميذه ففي [متى: ٢١/٤٢-٤٤]: (قال لهم يسوع: أما قرأتم قط في الكتب الحجر الذي رفضه البناءون قد صار هو رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا، ولذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل ثمارها ومن سقط عليه هذا الحجر يترفض ومن سقط هو عليه يسحقه)، فهو يخبر بني إسرائيل بانتقال ملكهم لأمة الحجر الذي رفضه البناءون، والذي سيوضع في رأس الزاوية؛ لأن أمته تعمل ثمارها، ووصف هذا الحجر بالقوة فقال: (ومن سقط على هذا الحجر

يترضض ...). وهذا كله من أوصاف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهو الذي أيده الله بالقوة الهادية، وأظهره على أعدائه.

* ولا يمكن حمل كلام المسيح على أنه يبشر بنفسه، فهذا لا يصح لعدة أمور:

الأمر الأول: أن المسيح نفسه من بني إسرائيل، والنص يشير إلى نزع الملك من بني إسرائيل عامة، ويعطي لأمة أخرى ليست من بني إسرائيل.

الأمر الثاني: قوله: (وهو عجيب في أعيننا) أي عجيب في أعين أنبياء بني إسرائيل، وهذا يعني أن النبي الخاتم المبشّر به ليس من بني إسرائيل.

الأمر الثالث: أن المسيح لم يسحق أعدائه، بل يزعم اليهود والنصارى أن المسيح صُلبَ وقتل على أيدي اليهود، ومع أننا لا نوافقهم على هذا، فلم يثبت عندنا أن المسيح قهر أعدائه أبداً، أما محمد صلى الله عليه وسلم فقد حارب كثيراً وانتصر، واستطاعت أمة الإسلام بجيشها القليل أن تكتسح الفرس والروم.

الأمر الرابع: أن النص السابق يتطابق مع حديث الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا، فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْبَجُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلْ أُضِعَّتْ هَذِهِ اللَّبَنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبَنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ).

أخرجه البخاري في (صحيحه: ٣٥٣٤) ومسلم في (صحيحه: ٢٢٨٦)

* راجع المزيد من بشارات العهد القديم بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم في مختصر كتاب إظهار الحق: ٢٢٢-٢٢٦) للدكتور الملكاوي

من بشارات العهد الجديد

البشارة الأولى في إنجيل يوحنا

جاءت نصوص كثيرة في إنجيل يوحنا تدل على تنبؤ عيسى عليه السلام وبشارته بنبي يأتي بعده وهو الذي تسميه كتب الأنجيل بـ (البارقليط) أو (المعزي) أو (روح الحق) ومن هذه النصوص ما يلي:

(١) قول المسيح في [يوحنا: ١٤/١٦-١٧]: (أنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيًا آخر ليملك معكم إلى الأبد روح الحق، الذي لا يستطيع العالم أن يقبله ولا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه؛ لأنه ماكن معكم ويكون فيكم).

(٢) قول المسيح في [يوحنا: ١٤/٢٥-٢٦]: (بهذا كلمتكم وأنا عندكم وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم).

(٣) قول المسيح في [يوحنا: ١٥/٢٦-٢٧]: (ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضًا لأنكم معي في الابتداء).

(٤) قول المسيح في [يوحنا: ١٦/٧-١١]: (لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق؛ لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم، ومتى جاء ذلك يبيد العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة، أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي، وأما على بر فلأنني ذاهب إلى أبي ولا ترونني أيضًا، وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين. إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمر آتية ذلك يمجدني؛ لأنه يأخذ مما لي ويخبركم).

(٥) قول بولس في (رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: ١٣/٩-١٠) (لأننا نعلم بعض العلم ونتنبأ بعض التنبؤ ولكن متى جاء الكامل فحينئذ يبطل ما هو بعض)

فهذه النصوص تشير إلى نبي آخر سيأتي بعد عيسى عليها الصلاة والسلام وأطلقت عليه عدة مسميات منها (المعزي) ومنها (روح الحق) ومنها (الكامل)، وفي هذه النصوص وقع عدة تحريفات أهمها اسم النبي أحمد صلى الله عليه وسلم.

فكلمة (المعزي) مُحَرَّفَة، فالكلمة في النسخة الأصلية (بارقليط)، وهذه الكلمة يونانية، وهي اسم فكان من الواجب أن توضع باللفظ العربي عند الترجمة، ثم يتم شرحها في القاموس كما تفعل معظم التراجم العربية، ولكن الكلمة هنا وضعت بالمعنى حتى يتسنى تحريفها، فتم ترجمتها إلى (المعزي)، ولكن هناك تراجم عربية وضعت الكلمة كما هي، ففي التراجم العربية القديمة سنة ١٨٢٠، ١٨٣٠، ١٨٤٤ وضعت الكلمة باللفظ العربي (البارقليط)، وأصلها باليوناني (بيركلوتس).

ومعنى (البارقليط) ليس المعزي، ولكن معناها الاسم الذي فيه حمد كثير، وهو قريب من أحمد أو محمد، ولقد اعترف بذلك أسقف بني سويف أثناسيوس في (تفسير إنجيل يوحنا)، وكارلو نيلنو دكتور في آداب اليهود اليونانية القديمة، وكذلك اعترف أدوين جوش في كتابه (نشأة الديانة المسيحية) حيث قال: (إن معنى البارقليط هو محمد).

لكنه طمس اعترافه بأكذوبة ظاهرة، حيث قال: إن المسيحيين أدخلوا هذا الاسم في إنجيل يوحنا جهلاً منهم بعد ظهور الإسلام وتأثرهم بالثقافة الإسلامية^(١). * وهنا نقول له ألا تدري أنك بهذا الكلام تعترف بأن الإنجيل اعتراه التحريف.

وقال القس السابق إبراهيم خليل أحمد في كتابه (محمد في التوراة والإنجيل والقرآن: ٥١):

{(البارقليط) تطابق كلمة (محمد) أو (محمود) في اللغة العربية}

(١) راجع (هل بشر الكتاب المقدس بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم: ١٢٧-١٢٨) د. منقذ

ويرى النصارى أن المقصود بالمعزي في النص هو روح القدس الذي نزل بعد الخمسين من رفع المسيح لكي يعزي التلاميذ في فقدهم لعيسى عليه السلام، ففي [سفر أعمال الرسل: ١/٢-٤]: (ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معاً بنفس واحد، وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملاً كل البيت حيث كانوا جالسين، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم، وامتلاً الجميع من روح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا)، ولم يذكر العهد الجديد ما الذي حدث يوم الخمسين سوى ما سبق في النص.

فالنصارى يرون أن المعزي المذكور في كلام المسيح هو روح القدس الذي نزل يوم الخمسين لكي يعزيهم في فقدهم للمسيح،

ولكن عند التحقيق والتأمل في النصوص بتجرد وتمعن نستنبط أن المعزي في نصوص البشارة يستحيل أن يكون المراد به روح القدس، بل المراد منه البشارة بنبي آخر يأتي بعد رفع المسيح عليه الصلاة والسلام، وذلك لعدة أمور منها:

الأمر الأول: أن كلمة المعزي محرفة فسبق أن بيّنا أن الترجمة الأصلية (البارقليط) ومعناها الاسم الذي فيه حمد كثير، وهذا قريب من أحمد ومحمد باعتراف علماء النصارى كما سبق بيانه، وهذا ما ذكره القرآن نصاً فقال: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) [الصف: ٦].

الأمر الثاني: أوائل النصارى فهموا أن البارقليط بشري وليس ملكاً للتعزية، ولذلك ادعى مونتوس سنة ١٨٧٧ أنه البارقليط، وفعل مثله (ماني) في القرن الرابع. والبارقليط في بشارة المسيح هو إنسان بشري يأتي لتجديد الإيمان.

الأمر الثالث: إذا كان المراد بالبشري هو إتيان روح القدس للتعزية، فهل العزاء يكون بعد خمسين يوماً؟ أم يكون من بعد حدوث المصيبة مباشرة؟ أم أن روح القدس نفسه لم يعلم بالمصيبة إلا في ذلك الوقت؟

الأمر الرابع: لا يحق للنصارى أن يعتبروا قتل المسيح مصيبة تستحق العزاء؛ لأنهم يزعمون أن قتل المسيح وصلبه خلاص للبشرية من الخطيئة وسعادة للبشرية، فيكون القتل والصلب فرحة.

الأمر الخامس: كيف ينزل لتعزية التلاميذ ولم يعزي أمّ المسيح؟ أليست أم المسيح أولى بالتعزية من التلاميذ؟

الأمر السادس: المسيح تكلم في النص عن صفات حسية لا تنطبق على الألسنة النارية، فالنص ذكر الكلام والسمع والتوبيخ فقال: (كل ما يسمع يتكلم به)، (يبكت العالم على خطية...) ولم ينقل أن الألسنة النارية تكلمت بشيء والروح مجرد إلهام قلبي، والكلام والسمع والتوبيخ صفة بشرية جسدية لا روحية.

الأمر السابع: النص ذكر التوبيخ وهذا لم يفعله روح القدس، ففي نص البشارة (متى جاء ذلك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة) وهذا ما صنعه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم مع الكفرة، فقد زجرهم على الكفر والشرك، وحثهم على التوحيد والبر بالترغيب والترهيب، أما روح القدس فلم ينقل الإنجيل أنه وخبّ أحدًا حين نزل يوم الخميس، بل إن التوبيخ ليس من صفات المعزي في المصائب؛ لأنه يأتي للتعزية وليس للتوبيخ والعتاب.

الأمر الثامن: النص ذكر أن المَبشَّر به يأتي بعد ذهاب المسيح من الدنيا حيث قال: (إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي)، وروح القدس سابق في الوجود على المسيح، فقد شهد خلق السماوات والأرض طبقًا لسفر التكوين (في البدء خلق الله السماوات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه القمر ظلمة، وروح الله يرى على وجه الماء) [التكوين: ١/١-٢]، وكان روح القدس مع بني إسرائيل على عهد موسى، ففي [أشعيا: ٦٣/١١] (ثم ذكر الأيام القديمة موسى وشعبه: أين الذين أصعدهم من البحر مع راعي غنمه؟ أين الذين جعل في وسطهم روح قدسه)، وروح القدس كان له

دور في ولادة عيسى، ففي الإنجيل (وأما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا كانت مريم مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وحدث حبلى من روح القدس) [متى: ١٨/١].

وهذا يعني أن روح القدس كان موجوداً قبل المسيح ومعه طيلة حياته، فليس هو المقصود بالمعزي الذي سيأتي بعد المسيح كما هو واضح لكل عاقل.

الأمر التاسع: قوله: (اطلب من الأب فيعطيك معزياً آخر) فقوله: (معزياً آخر) يعني من نفس جنس المسيح، فالمسيح معزي وينبئ بقدم معزي آخر، وهذا ظاهر من اللفظ كما لا يخفى.

الأمر العاشر: المسيح أوصى بالإيمان بالمعزي المبشر به، فهل التلاميذ لم يكونوا مؤمنين بروح القدس؟ فالمسيح أكد في وصاياه على الإيمان بالمعزي الذي سيأتي بعده، حيث قال: (إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي)، وقال: (قلت لكم قبل أن يكون حتى إذا كان تؤمنوا)، فكيف والنصارى جميعاً يؤمنون بروح القدس، فهل كانوا في حاجة إلى وصية المسيح للإيمان بروح القدس؟ كيف وهم يعتقدون أن روح القدس هو أحد أطراف الثالوث؟ وهذا يعني أن المراد ليس روح القدس.

الأمر الحادي عشر: قوله: (لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به) وهذا يعني أن المبشر به في النص لا يتكلم من عند نفسه، بل بالوحي الذي ينزل عليه فقط، وروح القدس عند النصارى إله، وهو أحد أطراف الثالوث، ولذلك عند التسمية يقولون بسم الأب والابن وروح القدس، وهذا يعني أن روح القدس يستطيع أن يتكلم من نفسه، ولا يحتاج إلى وحي، فيكون المراد بالمعزي المبشر به في النص هو نبي بشري وليس روح القدس، ولا رسول بعد عيسى سوى محمد عليها الصلاة والسلام.

الأمر الثاني عشر: المسيح أخبر بأنه قبل مجيء البارقليط سوف تقع أحداث هامة، فقد أخبر أنه قبل مجيء المبشر به ستقع مذابح للنصارى، حيث قال: (سيخرجونكم من المجمع، بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله) [يوحنا: ٢/١٦]،

وهذا حدث فعلاً، ولكن بعد رفع المسيح بقرون حين تغلبت الفرس على الروم، وهذا لا يجعله أحد قرأ التاريخ.

الأمر الثالث عشر: النص يدل على تأخر زمن المبشر به بكثير، حيث قال: (إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق)، وهذا يعني أن إدراكات التلاميذ لم تكن تحتمل تعاليم المسيح وبشّرهم بمجيء روح الحق الذي سيخبرهم بالحق كله وليس من المعقول أن إدراكات التلاميذ تغيرت في خلال خمسين يوماً، * بل لم يثبت أن روح القدس حين نزل يوم الخمسين علمهم شيئاً لم يقله المسيح.

الأمر الرابع عشر: قوله: (فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً) فهذا لا ينطبق على روح القدس بحال؛ لأنه أصلاً مؤمن بنبوة عيسى فبأي شيء يشهد لعيسى؟

ولكن هذه الجملة تنطبق على محمد صلى الله عليه وسلم، فهو الذي شهد لعيسى بالنبوة وبالبراءة من الكفر وادعاء الألوهية، فقد نزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم القرآن، ومنه قوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) [النساء: ١٧١]، وشهد لمريم بالبراءة، فقد قال القرآن عن اليهود: (وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا) [النساء: ١٥٦].

الأمر الخامس عشر: قوله: (ذاك يمجديني...) فلم ينقل الإنجيل أن روح القدس مجّد المسيح حين نزل على شكل ألسنة نارية يوم الخمسين من رفع المسيح، ولماذا يمجده بعد رفعه؟ ألم يكن يمجده في حياته؟

أما محمد صلى الله عليه وسلم فقد مجّد المسيح، وكذلك فعلت الأمة الإسلامية تبعاً لرسولها، ولم يمجّد المسيح أحداً كما مجّده الإسلام، فهو الذي نفى عنه الكفر وادعاء

الألوهية، ونفى عن أمه مريم بهتان اليهود كما سبق بيانه في البند السابق، وكذلك مجده حين ذكر حسن جماله، فاليهود والنصارى يعتقدون أن المسيح ليس له جمال، واستنبطوا ذلك من الكتاب المقدس فيه: (لا صورة له ولا جمال، فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه) [أشعيا: ٥٣/٢] فقالوا هذه صفة عيسى في النصوص التي تنبئ بقدوم عيسى عليه السلام.

أما محمد صلى الله عليه وسلم فذكر حسن جمال المسيح، فقال في حديث الإسراء والمعراج المتفق عليه من رواية ابن عباس: (وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَرْبُوعَ الخُلُقِ إِلَى الخُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، سَبَطَ الرَّأْسِ) أخرجه البخاري في (صحيحه: ٣٢٣٩) ومسلم في (صحيح: ١٦٥)، وفي رواية أبي هريرة (فَإِذَا رُبْعَةٌ أَحْمَرٌ، كَأَنَّهَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ) أخرجه البخاري في (صحيحه: ٣٣٩٤) ومسلم في (صحيحه: ١٦٨) يعني خرج من الختام.

والأحاديث التي تصف جمال عيسى كثيرة، فمن الذي مجد عيسى عليه السلام أكثر من رسول الإسلام وأمته؟

وكذلك مجده حين نفى عنه الصُّلْبَ والقَتْلَ على أيدي اليهود، قال تعالى: (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

الأمر السادس عشر: قوله: (ليمكث معكم إلى الأبد) وروح القدس لم يمكث معهم إلى الأبد، ولكن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم تمكث إلى الأبد.

الأمر السابع عشر: قوله: (يذكركم بكل ما قلته لكم) فهل التلاميذ في حاجة إلى التذكير لمجرد غياب المسيح عنهم خمسين يومًا؟ بل إن الإنجيل لم يذكر أن روح القدس ذكّر التلاميذ بشيء. أما محمد صلى الله عليه وسلم فقد ذكّر العالم كله بالتوحيد الذي بعث من أجله الأنبياء والمرسلون.

الأمر الثامن عشر: كيف يزعم النصارى أن المراد من النص نزول روح القدس بعد خمسين يوماً من رفع المسيح مع أن أول إنجيل كتب بعد رفع المسيح بحوالي خمس وستين سنة؟

فلماذا لم يمل روح القدس الإنجيل عليهم وهو أهم شيء عندهم؟

فكل هذه الأمور تدل على أن المراد بالمعزي أو البارقليط رسول بشري وليس ملكا وهو محمد صلى الله عليه وسلم.

شبهة واهية وردود شافية: إذا قيل إن المسيح قال: (ولكن إن ذهبت أرسله إليكم)، ومحمد رسول الله وليس رسول المسيح؟ يرد من وجوه:
أولاً: في نفس النص (أرسله لكم من الأب روح الحق الذي من عند الأب...)، وفي نص آخر (الذي سيرسله الأب).

ثانياً: إسناد الإرسال إلى المسيح مجازي ونظيره (يقول ملاك الرب: تكثيراً أكثر نسلك... [تكوين: ١٦/١٠]، والتكثير المبارك من الله وليس من الملاك.

البشارة الثانية في الإنجيل: توجد في إنجيل متى

ففي [إنجيل متى: ٢٠ / ١-١٦]: (فإن ملكوت السماوات يشبه رجلاً رب بيت خرج مع الصبح ليستأجر فعلةً لِكْرَمِهِ فاتفق مع الفعلة على دينار في اليوم، وأرسلهم إلى كرمه، ثم خرج نحو الساعة الثالثة ورأى آخرين قياماً في السوق بطالين، فقال لهم: اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فأعطيكم ما يحق لكم، فمضوا وخرج أيضاً نحو الساعة السادسة والتاسعة، وفعل ذلك، ثم نحو الساعة الحادية عشر خرج ووجد آخرين قياماً بطالين، فقال لهم: لماذا وقفتهم ههنا كل النهار بطالين؟ قالوا له: لأنه لم يستأجرنا أحد، قال: اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم، فلما كان المساء قال صاحب الكرم لوكيله: ادع الفعلة وأعطهم الأجرة مبتدئاً من الآخرين إلى الأولين، فجاء أصحاب الساعة الحادية عشر، وأخذوا ديناراً، فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثر، فأخذوا هم أيضاً ديناراً ديناراً، وفيما هم يأخذون تذكروا على رب البيت قائلين: هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة، وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر، فأجاب وقال لواحدٍ منهم: يا صاحب ما ظلمتك أما اتفقت معي على دينار؟ فخذ الذي لك واذهب، فإني أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك، أو ما يحل لي أن أفعل ما أريد بهالي؟ أم عينك شريرة؛ لأني أنا صالح هكذا يكون الآخرون أولين والأولون آخرين؛ لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون).

فهذا النص يتحدث عن ثلاث أمم رئيسية، وليس هناك أمة بعد اليهود والنصارى سوى أمة الإسلام، وهذا النص يتفق مع حديث البخاري في (صحيحه: ٢٢٦٨) عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أَجْرَاءً، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةٍ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنَ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ، فَعَصَبَتِ الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى، فَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا، وَأَقَلَّ عَطَاءً؟ قَالَ: هَلْ نَقَّصْتُمْ مِنْ حَقِّكُمْ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ)،

وفي حديث آخر من رواية ابن عمر أيضاً للبخاري في (صحيحه: ٥٥٧) (إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ كَمَا بَيَّنَّ صَلَاةَ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ) .

البشارة الثالثة: في إنجيل (برنانا)، ولكن النصارى يكذبون هذا الإنجيل ويحاربونه؛ لأنه يصرح بنبو محمد صلى الله عليه وسلم، ويكذب صلب المسيح على يد اليهود. وهذا الإنجيل ذكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم باللفظ الصريح كثيراً ومن ذلك:

(١) تحدث عن خلق آدم فقال: (فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابة تتألف كالشمس نصها لا إله إلا الله ومحمد رسول الله)، فهل هناك أصرح من ذلك؟

(٢) تحدث عن خطيئة آدم وحواء حين أكلا من الشجرة وطردهما الله من الجنة، فقال: (فاحتجب الله وطردهما الملاك ميخائيل من الفردوس، فلما التفت آدم رأى مكتوباً فوق الباب "لا إله إلا الله محمد رسول الله").

ملحوظة: قال البخاري في (صحيحه في صدر كتاب الجنائز) مُعَلَّقًا بدون سند (وَقِيلَ لَوْهَبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: أَلَيْسَ مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحُ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِّحَ لَكَ، وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ).

ووصله في (تاريخه) وذكره أبو نعيم بالسند في (صفة الجنة برقم: ١٩١).

قال ابن حجر في (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية برقم: ٢٨٩٣): (هَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ مَوْقُوفٌ)

ولفظ (لا إله إلا الله) يطلق على الشهادتين، فالمراد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وهذا معروف في شرعنا، ويطلق على الشهادتين كلمة التوحيد، ونظيره يقول الشيخ للتلميذ: اقرأ في الصلاة ب(الحمد لله رب العالمين)، والمراد سورة الفاتحة كلها.

* هناك قساوسة أسلموا واعترفوا بالحق، واعترفوا بأن الإنجيل بَشَّرَ بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ومن هؤلاء:

(١) الترجمان وهو الإمام (الميورقي) المتوفى سنة ٨٣٢هـ، وهو الإمام أبو محمد عبد الله الترجمان، وكان اسمه قبل الإسلام (انسلم تورميدا)، وكان من أكابر قساوسة النصارى، ثم أسلم وألف كتابًا سماه (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب)، وسبب إسلامه أنه وقف أثناء دراسته للإنجيل على كلمة (البارقليط)، فلما سأل عنها البابا الأكبر أستاذه، والذي كان الإمام الميورقي يخدمه قبل إسلامه، فأراد أستاذه البابا الأكبر أن يكتفم ذلك، فلما ألحَّ عليه وعاهده على كتمان كل سر يذكره له قال: معناها اسم لنبي المسلمين (أحمد)، وقال له: هذا لا يعرفه إلا كبار علماء النصارى، فأسلم الترجمان وصار عالمًا من علماء الإسلام، وألَّفَ كتابه السابق ذكره في الرد على النصارى. والهداية والتوفيق من الله وحده، راجع القصة بطولها في كتابه السابق ذكره وهو تحفة الأريب، وذكرها الشيخ وليد نور في: (المختصر القويم في دلائل نبوة الرسول الكريم: ١٠١-١٠٥).

(٢) رئيس لجان التنصير إسحق هلال مسيحة كان قسيسًا ويعمل في التنصير، وقصته مشهورة ويصعب كتابتها في هذا البحث لأنها طويلة، ونذكر هنا أهم دوافع إسلامه منها:

* أنه قرأ سورة الإخلاص في القرآن، والتي تهدم عقيدة النصارى أصلاً (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) [الإخلاص: ١-٤]،

* ومنها أن النصارى يعترفون للقسيس، لكي يغفر لهم، فلما جلس هو على كرسي الاعتراف اقشعر بدنه، وقال: من يغفر لي أنا يوم الدين، ولما سأل الأسقف من يغفر لي إذا كنت أنا أغفر للناس الذنوب؟ قال: يغفر لك (البابا شنودة)، قلت: ومن يغفر للبابا شنودة؟ فغضب منه، وقال: هذه إسلاميات تفسد الشعب النصراني، وتم تعذيبه في دير (ماري مينا) بوادي النظرون مع أنه لم يكن أسلم وقتها، ولكن سؤالاته كانت تثير الشكوك حوله.

* ومنها أنه رأى كبير الرهبان في نفس الدير يصلي الفجر كما يفعل المسلمون تمامًا، وبعد انتهاء الصلاة طلب منه كبير الرهبان أن يستر عليه فإنه منذ ٢٣ سنة وهو على هذا الحال،

وأسباب أخرى كثيرة دفعته للإسلام والهداية بيد الله وحده، وراجع القصة كلها في (رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا ترجمة رقم: ١).

(٣) أستاذ اللاهوت المصري اسمه خليل فلوبوس حصل على ماجستير في اللاهوت من جامعة برنستون الأمريكية، وكان راعياً للكنيسة الإنجيلية وأستاذًا لللاهوت، ومن كُتبه (محمد في التوراة والإنجيل والقرآن)، (المسيح إنسان لا إله)، (الإسلام في الكتب السماوية)، (الغفران بين المسيحية والإسلام).

وكانت رسالته في ماجستير اللاهوت قبل إسلامه تحت عنوان (كيف ندمر الإسلام بالمسلمين)، فأسلم واعترف بوجود بشارات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل على نحو ما ذكرنا. وراجع قصته في (رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا ترجمة رقم: ٢).

(٤) معلمة اللاهوت الأمريكية اسمها (ميري واتسون)، وبعد الإسلام خديجة، وأسلم ابنها (كريستوفر)، وسمى نفسه عمر، راجع القصة في الكتاب السابق (ترجمة رقم: ١٥).

(٥) أمين عام مجلس الكنائس العالمي لوسط وشرق إفريقيا اسمه (كولن يانج) أسلم عام ٢٠٠٢، ورفض أن يغير اسمه بعد إسلامه حتى يستخدمه في الدعوة إلى الإسلام، راجع قصته في الكتاب السابق (ترجمة رقم: ٢٦).

الدليل الثاني على صدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم: التأييد بالمعجزات

لقد أيدَّ الله رسول الإسلام محمدًا صلى الله عليه وسلم بمعجزات عظيمة وكثيرة أبهرت العقول، وأدهشت العلماء الفحول، ومنها ما نرى أثره حتى اليوم، * وهذه المعجزات تجل عن الإحصاء والإستقصاء وسوف أذكر بعضًا منها على سبيل المثال وهو غيظ من فيض، فبالمثال يتضح المقال.

المعجزة الأولى: القرآن الكريم

وهو أقوى المعجزات فهو معجزة من عدة أوجه عظيمة منها:

الوجه الأول لإعجاز القرآن: الإخبار بالغيب:

فقد أخبر بغيبات كثيرة منها الماضية ومنها المعاصرة الخفية ومنها المستقبلية.

فمن الأمور الماضية التي أخبر بها القرآن الكريم:

قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين وسبب نزولهما في القرآن الكريم أن قريشًا واليهود تحدوا النبي صلى الله عليه وسلم في ادعائه النبوة، وسألوه عن فتية كان لهم أمر عجيب، وعن رجل طَواف بلغ المشرق والمغرب، فنزل القرآن بقصتهما في سورة الكهف، وبين أن الفتية هم أصحاب الكهف، وأن الرجل الطواف هو ذو القرنين.

وكذلك قصص الأنبياء مثل قصة نوح وإبراهيم ولوط ويوسف وهود ويونس وصالح وشعيب وداود وسليمان وأيوب وموسى وعيسى....، وفي القرآن سور بأسماء بعض الأنبياء مثل سورة يونس، وسورة هود، وسورة يوسف، وسورة إبراهيم، وهناك سور بأسماء صديقين مثل سورة مريم وسورة لقمان، فكل هذه أمور سبقت مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم بقرون.

شبهة واهية وردود مفحمة شافية: بعض النصارى يقولون إن القرآن اقتبس

قصص الأنبياء من الكتاب المقدس،

ويرد بأن هذا زعم باطل، لعدة أمور:

الأمر الأول: من المتفق عليه أن ترجمة الكتاب المقدس تمت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو في الأصل نبي عربي أمي لا يقرأ العربية فكيف يقرأ اللغات الأعجمية!!!؟

ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا زيد بن ثابت أن يتعلم السريانية ويتعلم كتاب اليهود فتعلم السريانية في سبعة عشر يوماً وأجاد كتاب اليهود كله في نصف شهر^(١).

ولما ادّعت قريش أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم يتعلم من بشر نصراني رومي ردّ عليهم القرآن الكريم فقال:

(وَلَقَدْ نَعَلْمُ أَهْمُ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) (النحل: ١٠٣)

الامر الثاني: أن القرآن خالف الكتاب المقدس في نقاطٍ كثيرة متعلقة بقصص الأنبياء ومن أمثلة ذلك:

(١) كتابهم ذكر في (سفر التكوين: الاصحاح الثامن عشر كله) قصة ضيافة إبراهيم للملائكة الذين جاءوا لإهلاك قرية لوط عليه الصلاة والسلام ولتبشيره بأن زوجته سارة ستلد، فذكر أنهم كانوا اثنين ومعهم الله سبحانه وتعالى وذكر أن إبراهيم أعد لهم الطعام وأكلوا (تكوين: ١٨/٨)

أما القرآن الكريم فذكر القصة وصرح بأنهم لم يأكلوا وأنهم كانوا ملائكة ولم يذكر أن الله جاء معهم لإبراهيم، وهذا هو المقبول منطقياً لأن الملائكة لا تأكل ولا تشرب

(١) أخرجه أحمد في (مسنده: ٢١٥٨٧) وأبو داود في (سننه: ٣٦٤٥) والترمذي في (سننه: ٢٧١٥) وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة: ١٨٧).

ولا تنام ولا تتناسل..... كذلك رب العزة سبحانه وتعالى لا يأكل ولا يشرب ولا يتناكح ولا يغفل ولا ينام..... سبحانه وتعالى عما يقول الكافرون علوا كبيرا.

(٢) أن كتابهم ذكر قصة يوسف في [سفر التكوين: ٣٨ / ١ - ٢٠]، فذكر أن امرأة العزيز راودت يوسف عدة مرات وقالت له (اضطجع معي)، وفي المرة الأولى لها رفض مسكت بثوبه فتركه لها وانصرف، ولم يذكر غلق الأبواب.

أما القرآن الكريم فذكر أن المراودة كانت مرة واحدة، وأنها غلقت الأبواب فقال: (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْبْ لَكَ...) [يوسف: ٢٣]، وأن يوسف فرّ منها، فأمسكته من الخلف فقطع ثوبه من الخلف فقال: (وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ...) [يوسف: ٢٥] وهذا هو المقبول عقلاً عند التحقيق.

لأننا جميعاً متفقون على عفة يوسف وأن امرأة العزيز هي التي كانت طالبة للفاحشة فمن الطبيعي أن يهرب منها، وبما أنها امرأة وهو رجل شاب فهو أقوى منها فكيف تغلبه وتنزع منه ثوبه!!! وكما قلنا هو عفيف ورفض الفاحشة فكيف يخلع ثوبه بإرادته!!!

أيضاً القرآن ذكر أنها قالت ليوسف (هيت لك) يعني هيات نفسي لك، أما كتابهم فذكر أنها قالت باللفظ الصريح: (اضطجع معي) والفرق بين الجملتين ساشع، راجع المزيد في (شبهات المشككين: ٦٩).

(٣) في قصة عبادة بني إسرائيل للعجل ذكر كتابهم أن الذي صنع العجل هو سيدنا هارون [سفر الخروج: ٣٢ / ٢٣، ٢٤]،

أما القرآن فذكر أن الذي صنع العجل هو السامري فقال: (فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى) [طه: ٨٧، ٨٨].

الأمر الثالث: أن القرآن الكريم ذكر أموراً في قصص الأنبياء لم يذكرها الكتاب المقدس مثل:

- شاهد يوسف،

- حديث النسوة اللاتي قطعن أيديهن فلم يذكرهما كتابهم،

- لم يذكر أن يعقوب ابصت عينه من حزنه على يوسف وأنه شم ريح قميص يوسف فشفِي وفيه إعجاز علمي سنذكره بعد قليل،

- هامان وزير فرعون وقصته مع فرعون، وليس هو هامان المذكور عندهم في سفر

استير.

* **مفاجأة كبرى** إن القرآن ذكر أحداثاً تاريخية متعلقة بقصص الأنبياء لم يذكرها كتابهم، وثبت صحتها حديثاً، وسأضرب مثلاً واحداً يُحطّم هذه الشبهة تماماً وهو **نجاة جسد فرعون**،

فالكاتب المقدس ذكر أن فرعون مات غرقاً، ولم يذكر ما حدث لجسده بعد ذلك، أما القرآن فذكر أنه مات غرقاً، ثم خرج جسده ليكون عبرة لغيره، قال تعالى: (فَالْيَوْمَ نُنجِيكَ بِبدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً) [يونس: ٩٢]،

وهذا ما ثبت صحته حديثاً، وأسلم بسببه الجراح الفرنسي (موريس بوكاي) ففي نهاية الثمانينات من القرن العشرين طلبت فرنسا من مصر مومياء فرعون مصر لإجراء فحوصات أثرية عليها، فلما أخذوا المومياء أجروا عليها فحوصات أثرية عن طريق علماء الآثار والجراحة في فرنسا تحت إشراف د. مورس بوكاي، وأظهرت النتائج النهائية أن هناك بقايا للملح عالقة في جسد المومياء، وهذا دليل على أن فرعون بعدما مات غرقاً استخرجت جثته، وتم تحنيطها فوراً، فلما بحث موريس عن هذا الحدث في الكتاب المقدس لم يجده، فأخبروه أن القرآن ذكر نجاة جسد فرعون بعد موته غرقاً فأندهش، لأن القرآن نزل على أمي في وسط عرب لا يعرفون شيئاً عن مومياء فرعون، فأسلم د/ موريس وأعلن إسلامه، (رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا ترجمة رقم: ٢٧).

الأمر الرابع: أن القرآن حين ذكر قصص الأنبياء نَزَّهَهُمْ ولم يَفْتَرِ عليهم، أما كتابهم فقد افتري عليهم واتهم كثيراً من الأنبياء بشرب الخمر، وفعل الفواحش ومن ذلك:

- في [سفر التكوين: ١٩ / ٣٠ - ٣٨] أن لوطاً شرب الخمر وزنى بإبنتيه وأنجب منها،

- وفي [صموئيل الثاني: ١١ / ٢ - ١٧] أن سليمان أنجبه داود من الزنا،

- وفي [سفر التكوين: ٣١ / ٣٠] أن يعقوب سرق،

- وفي [سفر الملوك الأول: ١١ / ١ - ١٣] أن سليمان ليس نبياً وأنه كافر ومات على

الكفر....

وهذا كله إفتراء بل لا يقبله عقل أصلاً لأن الأنبياء هم القدوة فكيف يفعلون هذه

الأفعال التي تُنْقَضُ من شأنهم؟

* ومع ذلك نقول لهم كيف أخذتم بالأسفار والكتب المنسوبة إلى سليمان والتي منها نشيد الإنشاد وسفر الجامعة وبعض المزامير والأمثال.... وأنتم تزعمون أنه كافر

ومات الكفر وتزعمون إنه كلام الله؟ فهل يبعث الله الوحي لكافر؟

ومن الأمور المعاصرة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، لكنها خفيت

عليهم حقائقها، فأخبرهم بها القرآن الكريم.

* تخطيط قريش لقتل أو حبس أو طرد النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا التخطيط

كان سرّياً في دار الندوة بمكة المكرمة، ولكن الله لا يخفى عليه شيء، فأعلم نبيه محمداً

صلى الله عليه وسلم بذلك وأمره بالهجرة ونجاة من الإغتيال، وذَكَرَهُ بنعمة النجاة في المدينة المنورة فقال: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [الأنفال: ٣٠].

* تخطيط المنافقين للفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم والتفريق بين المسلمين، وذلك حين بنوا مسجد الضرار ليكون فخاً للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فعصمه الله وأخبره بتخطيطهم، فقال: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) [التوبة: ١٠٧].

* حديث الإفك وبراءة أم المؤمنين عائشة، فقد افتري عليها ابن سلول، وادعى أنها تأخرت عن الجيش في غزوة بني المصطلق للوقوع في الحرام، وانتشر هذا الكلام في المدينة، ولم يعلم أحد الحقيقة سوى الله سبحانه وتعالى، حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يعرفوا الحقيقة، حتى نزلت القرآن ببراءتها وفضح المنافقين، فأنزل الله في براءتها عشر آيات في سورة النور (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ...) [النور: ١١-٢٠]، وُضِّحَ بعدها ابن سلول عليه لعنة الله، فلم يستطع أن يقوم بمكر آخر للمسلمين وغير ذلك من الأحداث، والقصة في الصحيحين من رواية عائشة رضي الله عنها، أخرجها البخاري في (صحيحه: ٢٦٦١) ومسلم في (صحيحه: ٢٧٧٠).

ومن الأمور المستقبلية التي نبأ بها القرآن الكريم وحدثت فعلاً:

* حرب الفرس مع الروم، فلقد حاربت الفرس بلاد الروم في الفترة من ٦١٤ م إلى ٦١٥ م، وهزمتها هزيمة ساحقة، وهنا فرحت قريش وعايروا المسلمين بذلك، فقالوا لهم: إن الروم مثلكم أهل كتاب، وانهموا، والفرس انتصرت ولا كتاب لها، فحزن المسلمون، فأنزل الله وعده العظيم في كتابه العزيز (الم غَلَبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بَنَصْرِ اللَّهِ) [الروم: ١-٥]، وفي هذه الآيات عدة معجزات باهرات منها ما يلي:

(١) التنبؤ بالمستقبل مع تحديد الفترة الزمنية لوقوع الحدث، فقد نبأ القرآن بوقوع النصر مستقبلاً لدولة الروم، وحددَ الفترة فقال: (فِي بَضْعِ سِنِينَ)، والبضع في اللغة من ثلاث إلى تسع، وهو ما حدث فعلاً، فإن الروم انهزمت في الفترة (٦١٥-٦١٤م) وانتصرت عام ٦٢٤م يعني قبل مرور تسع سنوات على الهزيمة.

(٢) السرّ البلاغي في قوله: (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ) ففيه بشارة أخرى مع تحديد وقوعها في نفس الفترة، وحدثت فعلاً، وهي أن المسلمين سوف يفرحون بنصر الله يوم أن تنتصر الروم على الفرس، وفعلاً في نفس الوقت الذي حاربت فيه الروم بلاد الفرس حارب المسلمون قريشاً في غزوة بدر، وانتصر أهل الكتب السماوية عامّة على المشركين، فانتصر المسلمون على قريش، وانتصرت الروم (النصارى) على الفرس المجوس، فسبحان من وضع أسراراً خفية تحت كل حرف من حروف كلماته،

ولقد نبأ القرآن بغزوة بدر ونتيجتها قبل حدوثها بأعوام في قوله تعالى: (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) [القمر: ٤٥] وفي (مسند الفاروق عمر برقم: ١١٩) لابن كثير: عن عمر -رضي الله عنه- قال: (لما نزلت: {سيهزم الجمع ويولون الدبر} جعلت أقول: أي جمع يُهْزَم؟ فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع، وهو يقول: {سيهزم الجمع ويولون الدبر} فعرفت تأويلها يومئذ)¹.

¹ - وأخرجه الطبراني في (معجمه الأوسط: ٣٨٢٩) والطبري في (تفسيره: ٦٠٢/٢٢)

وفي (صحيح البخاري: ٤٨٧٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَهُوَ فِي قُبَّةِ نَيْوَمَ بَدْرٍ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ تَشَاءُ لَا تُعْبِدُ بَعْدَ الْيَوْمِ» فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلْحَحْتَ عَلَيَّ رَبِّكَ، وَهُوَ يَثْبُ فِي الدَّرَجِ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} [القمر: ٤٥] ومعلوم أن ابن عباس لم يحضر غزوة بدر قال ابن حجر في (فتح الباري: ٣٨٩/٧-٣٩٠): (وفي رواية أُبَيُّ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ بَنِ عَبَّاسٍ لَمَّا نَزَلَتْ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ قَالَ عُمَرُ أَيُّ جَمْعٍ... أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ وَبِنِ مَرْدَوَيْهِ... وَهَذَا بِمَأْ يُؤَيِّدُ مَا قَدَمْتَهُ أَنَّ بَنِ عَبَّاسٍ حَمَلُوا هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عُمَرَ وَسَيَاتِي فِي التَّفْسِيرِ (عند البخاري) عَنْ عَائِشَةَ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ وَأَنَا جَارِيَةٌ أَلْعَبُ بِلِ السَّاعَةِ مَوْعِدَهُمُ الْآيَةَ) انتهى بتصرف.

فهل يستطيع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم التنبؤ بحدوث معركة مستقبلية مع تحديد الفترة الزمنية لها وتحديد نتيحتها إلا إذا كان هذا بوحى من علام الغيوب؟.

(٣) الإعجاز العلمي المبهر في قوله تعالى: (فِي أَدْنَى الْأَرْضِ) حيث وصف المكان الذي انهزمت فيه الروم من الفرس في المعركة الفاصلة بينهما بأن هذا المكان أدنى الأرض عامةً، وفسرها علماء المسلمين بأنه الأدنى من حيث الجزيرة العربية يعني أقرب الأراضي الرومية إلى الجزيرة العربية في ذلك الوقت، ومع أن هذا صحيح، فقد ثبت حديثاً أن هذه الحملة فيها إعجاز علمي مبهر، حيث اكتشف العلماء أن المنطقة التي انهزمت فيها الروم وهي منطقة الأغوار - البحر الميت - في الأردن، وهي أدنى منطقة على مستوى اليابس مطلقاً، حيث يصل منسوب سطح الماء في البحر الميت إلى ٤٠٢ متراً تحت مستوى سطح البحر، وهذا أخفض مكان على مستوى اليابس بعد استخدام كل المقاييس الحديثة، وهذا من الإعجاز العلمي؛ لأن هذه الحقيقة لم تعرف إلا في القرن العشرين^(١).

(١) انظر (المختصر القويم: ١٣٢-١٣٧) وليد نور، انظر كلام الدكتور زغلول النجار في <https://www.youtube.com/watch?v=ZM3iI-mNN44>، وانظر (معجزة

القرآن: ٢١-٢٣) للشيخ محمد متولي الشعراوي.

وجه الإعجاز الثاني للقرآن: الإعجاز اللغوي والبلاغي:

فلقد أعجز القرآن الكريم العرب البلغاء الفصحاء في روعته وجماله وبلاغته وفصاحة أسلوبه وأسرار ألفاظه وتحداهم أن يأتوا بمثله أو بسورة واحدة من مثله، فعجزوا، قال تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [البقرة: ٢٣].

وعلى الرغم أن العرب كان فيهم من يستخدم الجن فلم يأتوا بسورة واحدة، وفي ذلك يقول الله عز وجل: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [الإسراء: ٨٨].

شهادات: لقد شهد للقرآن الكريم القاضي والداني، فشهد له أعدائه وأحبابه من

المتقدمين والمتأخرين

فمن المتقدمين:

(١) أفصح وأبلغ كفار قريش (الوليد بن المغيرة) فقد كان كافراً، ومات على الشرك، ومع ذلك لما سمع القرآن قال عنه: (إن له لخلوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وإن أدناه لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته)^(١).

وجدير بالذكر أن الوليد بن المغيرة هو والد خالد بن الوليد الصحابي المجاهد المغوار فاتح البلاد العريضة فسبحان من جعل من صلب الكافر مسلماً.

(٢) جبير بن مطعم، وهو من أفصح العرب وكان مشركاً، وأسلم لما سمع القرآن، فقال في (صحيح البخاري: ٤٨٥٤): سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب سورة الطور، فلما بلغ هذه الآية {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ

(١) أخرجه البيهقي في (دلائل النبوة: ٢/١٩٩) وأبو نعيم في (دلائل النبوة: ١٨٦) من رواية

عكرمة، وابن اسحاق في (سيرته: ٢/١٣١-١٣٢) من رواية عكرمة عن ابن عباس وانظر

(صحيح السيرة النبوية للألباني: ١٥٨).

خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمَسْيطِرُونَ { قال: (كاد قلبي يطير)

وفي رواية «أول ما وفر الإيمان في قلبي» (صحيح البخاري: ٤٠٢٣) والمعنى كانت هذه الآيات أول ما دخل في قلبي من الإيمان.

ومن المتأخرين^(١):

(١) د. فيليب رئيس قسم اللغات والآداب الشرقية بجامعة برنستون الأمريكية فقد قال: (إن الأسلوب القرآني مختلف عن غيره، ثم إنه لا يقبل المقارنة بأسلوب آخر، ولا يمكن أن يُقَلَّد، وهذا في أساسه هو إعجاز القرآن، فمن جميع المعجزات كان القرآن المعجزة الكبرى)^(٢).

(٢) المفكر الإنجليزي (عبد الله كويليام) وقد أسلم ، وألف كتاباً سماه (العقيدة الإسلامية) قال: (القرآن هو أبلغ كتاب في الشرق ... وهو حافل بالمعجزات السامية، مليء بالاستعارات الباهرة ... هذا القرآن كتاب حكمة ... إذ هو مع سهولته بليغ ممتع، ومع إيجازه مفيد للمرام بالتمام ...، وبالجملة فإن فصاحته وبلاغته قد أعجزت مصاقع البلغاء، وحيرت فصحاء الأولين والآخرين)^(٣).

(٣) الباحثة الإنجليزية (اللادي إيغلين كوبولد)

قالت: (إن للقرآن أسلوباً عجيباً يخالف ما كانت تنهجه العرب من نظم ونثر، فَحُسْنُ تَأْلِيفِهِ، والتتام كلماته، ووجوه إيجازه، وجَوْدَةُ مَقَاتِعِهِ وَحُسْنُ تَدْلِيلِهِ وانسجام قصصه، وبديع أمثاله كل هذا وغيره جعله في أعلى درجات البلاغة)^(٤).

(١) راجع هذه الأقوال في كتاب (قالوا عن القرآن) د. عماد الدين خليل.

(٢) الإسلام منهج الحياة ص ٦٢.

(٣) العقيدة الإسلامية ص ١١٩-١٤٠.

(٤) البحث عن الله ص ١١١-١١٢.

*** أمثلة بديعية من بلاغة القرآن الكريم:

(١) الإعجاز الرقمي والعددي وسرّه البلاغي في القرآن الكريم:

فالمراد من الإعجاز الرقمي هو رقم الآية أو رقم السورة وما ينطوي تحته من سرّ بلاغي ونضرب مثالا لذلك:

قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) [البقرة: ١٤٣]، فالوسطية في عرف اللغة العربية هي العدالة أو التوسط بين شيئين مثل التوسط بين الغلو والجفاء، والتوسط بين الإفراط والتفريط، والوسطية صفة الأمة المحمدية، وستكلم عن ذلك في الفصل القادم فالشيء المدهش أن هذه الآية جاءت في وسط السورة تمامًا، فهي الآية رقم (١٤٣)، وعدد آيات السورة (٢٨٦) آية، وهذا تأكيد على وسطية الأمة لفظًا ورسماً وترتيباً في القرآن، فما أبلغه وأبدعه في أسلوبه.

وللمزيد والإستمتاع بذلك النوع من الإعجاز انظر (موسوعة الإعجاز الرقمي في القرآن الكريم) للمهندس: عبد الدائم الكحيل فهذه الموسوعة تتضمن مئات الحقائق الرقمية الثابتة حول أسرار البناء الرقمي لآيات القرآن الكريم.

وأحياناً ينطوي تحت رقم الآية ورقم السورة إعجازاً علمياً ونضرب مثالا:

لو نظرنا إلى سورة الحديد لوجدنا أن رقم السورة ورقم الآية التي تكلمت عن الحديد فيها إعجاز علمي خفي فرقم السورة هو (٥٧) ورقم الآية هو (٢٥) ومع إضافة آية البسمة يصبح الرقم (٢٦).

والوزن الذري للحديد هو على التقريب (٥٧) ورقم سورة الحديد في القرآن هو (٥٧) أيضاً!!

أما عدد الإلكترونات في ذرة الحديد فهو (٢٦) إلكترونًا، وهذا ما يسمى بالعدد الذري ، والآية التي ذُكر فيها الحديد في سورة الحديد، رقم هذه الآية مع البسمة هو (٢٦) نفس العدد الذري للحديد!!!^١

* أما الإعجاز العددي فالمراد منه عدد تكرار الكلمة ومشتقاتها في القرآن الكريم والسرّ البلاغي في هذا العدد ونضرب مثالاً لذلك:

لقد ذكر القرآن الكريم العجب ومشتقاته سبعًا وعشرون مرّة، وذكر الغرور ومشتقاته سبعًا وعشرون مرّة، وهذا يدل على أن الغرور مساويًا لمعنى الإعجاب بالنفس أو الإعجاب بشيء غرّ به.

^١ - للمزيد راجع المصدر السابق للمهندس عبد الدائم الكحيل.

للمزيد والإستمتاع بهذا النوع من الإعجاز انظر كتاب (الإعجاز العددي للقرآن الكريم) للشيخ عبد الرزاق نوفل.

وأحياناً تجد إعجازاً علمياً منطوياً تحت المجموع العددي للفظ من ألفاظ القرآن الكريم ونضرب مثلاً لذلك:

لقد وردت كلمة (بحر) في القرآن وذلك بصيغتها المفردة في ٣٢ آية، ووردت كلمة (بَرّ) بصيغتها المفردة في (١٢) آية، وهناك آية وردت فيها كلمة (بَيِّساً) والتي تعني البر، فيكون المجموع ١٣ .

وبالتالي يمكن أن نقول:

- عدد الآيات التي ذُكر فيها البحر في القرآن هو ٣٢.

- عدد الآيات التي ذُكر فيها البرّ في القرآن هو ١٣.

- مجموع الآيات التي ذُكر فيها البحر والبر هو $٣٢ + ١٣ = ٤٥$ آية.

وإذا استعملنا النسب العددية، أي قمنا بحساب نسبة تكرار البحر في هذه الآيات، فإنه يجب علينا أن نقسم عدد مرات تكرار آيات (البحر) أي العدد ٣٢ على المجموع الكلي أي ٤٥، وستكون النسبة كما يلي:

$$٣٢ \div ٤٥ = ٧١\%$$

وستكون نسبة آيات البرّ ١٣ إلى المجموع الكلي وهو ٤٥ كما يلي:

$$١٣ \div ٤٥ = ٢٩\%$$

وبالتالي نخلص إلى نتيجة وهي أن نسبة البحر والبر في القرآن هي ٧١ %، و٢٩ % على الترتيب، وعندما نذهب إلى موقع وكالة الفضاء الأمريكية "ناسا" نلاحظ أنهم يحددون نسبة البحر على الأرض بنفس النسب الواردة في القرآن أي ٧١ % للبحر، و٢٩ % للبر^١.

(٢) دقة التعبير وسره البلاغي في القرآن الكريم : ونضرب مثالا لذلك

قوله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ...) [الإسراء: ١]، فهذه الآية فيها أسرار بلاغية نذكر بعضًا منها:

أولاً: سمى المكانين بالمساجد وهما في ذلك الوقت لم يكونا مساجد، فالمسجد هو الذي يعبد فيه الله وحده، وقد كان المسجد الحرام يُسمى بالبيت الحرام؛ وكان مليئًا بالأصنام التي تعبد من دون الله تعالى، وكذلك المسجد الأقصى كان فيه هيكل لبني إسرائيل، وكان يُسمى بيت المقدس، ولكن القرآن أطلق على هذين المكانين لفظ المسجد لأمرين:

الأمر الأول: لأنها بُنيت في الأصل مساجد يُعبد فيها رب العزة وحده.

الأمر الثاني: بشارة للأمة المحمدية بأنها سوف تفتح بلاد هذين المكانين، ويتم تحويلها إلى أصلها مساجد لعبادة الله وحده، وقد حدث هذا والله الحمد.

ثانياً: بشارة ثالثة اكتشفها الزمخشري وأشار إليها في تفسيره وهي أن القرآن أطلق على مسجد إيلياء لفظ (الأقصى) يعني الأبعد، ولم يقل (القُصَيِّ) أي البعيد، وهذا يعني أن هناك مسجد بعيد عن المسجد الحرام، وآخر أبعد منه، ولم يكن في ذلك الوقت سوى هذين المسجدين، وهذه إشارة خفية وتنبؤية بأن الأمة الإسلامية سوف تبني مسجداً في

^١ - انظر المزيد في (موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم) للمهندس عبد الدائم الكحيل على <http://kaheel7.com/pdetails.php?id=390&ft=9>

وسطها يكون هو البعيد، ومسجد إيلياء هو الأبعد (الأقصى)، وهو ما حدث فعلاً والله الحمد، فقد بُني المسجد النبوي في وسطها تقريباً، والمسافة بينه وبين المسجد الحرام ٤٥٠ كم، والمسافة بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى تزيد عن ١٠٠٠ كم، فسبحان من وضع أسراراً تحت كل حرف من حروف كلماته.

(٣) علامات الضبط والحركات الخفية لها أسرار بلاغية:

* علامات الضبط في القرآن لها سرّ بلاغي مثل التشديد والتخفيف.....

ونضرب أمثلة:

قوله تعالى: (وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) [يوسف: ٢٣]، فلم يقل (وأغلقت) وإنما أتى بالتشديد، فقال: (وَعَلَّقَتِ) ليفيد أحكام الغلق، ومدى إصرار امرأة العزيز على الفاحشة.

وقوله تعالى: (مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَأَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ) [التوبة: ٣٨]، فأتى بالشدة في قوله: (أَثَأَقَلْتُمْ) ليدل على شدة القعود والتشيط والكسل، وهذا عتاب شديد للمؤمنين.

* وكذلك الحركات الخفية لها سرّ بلاغي مثل المد والإدغام والإخفاء.....، ويسمى علم التجويد، وهو علم خاص بالقرآن المجيد كلام العزيز الحميد، ونضرب مثلاً للتوضيح:

الطامة: { فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى } [النازعات: ٣٤].

السماء: { وَالسَّمَاءَ بِنَاءً } [البقرة: ٢٢].

جان: { فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ } [الرحمن: ٣٩].

الطائفين: { أَنْ طَهَّرْنَا بَنِيَّ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ } [البقرة: ١٢٥].

حينما ننظر إلى هذه الكلمات نجد أن كل منها يدل على شيء عظيم؛ لذا جاء المد ليزيد المعنى، فالمد الطويل في (الطامة) للدلالة على عظمة يوم القيامة وحين نقارن المدّ في كلمة (الطامة) بعدم وجوده في كلمة قرآنية أخرى قريبة في المعنى وهي (القارعة) نجد أن عدم وجود المد في القارعة مطلوب

لتحقيق معناها وهو أنها (تقرع) آذان الناس وهو شيء لا يستلزم زمناً فهو لحظي ليدل على الفجاءة؛ كذلك المد الطويل في كلمة السماء يدل على عظمتها وسعتها التي لا يحصيها إلا الذي خلقها؛ وكذلك المد الطويل في كلمة الجان يدل على أنهم خلق عظيم أقوى من الإنس وعددهم أكثر...؛ وكذلك المد في كلمة الطائفين ليدل على كثرتهم....

كذلك في سورة (الكافرون) نجد أن القرآن ذكر (ما تعبدون) و(ما عبدتم) ولم يضع المدّ على كلمة (ما) للدلالة على تحقير ما يعبدون غير أنه حين ذكر (ما أعبد) وقد جاءت مرتين وضع المدّ على كلمة (ما) لتدل على عظمة ورفعة ما يعبده الرسول صلى الله عليه وسلم ...

(٤) الرسم القرآني له سِرُّه البلاغي:

فالقرآن قد يخالف عرف اللغة في رسم بعض الكلمات بإبدال حرف بآخر أو بزيادة حرف أو بنقص حرف، وذلك لإثراء الأسرار البلاغية في اللغة العربية، ونضرب أمثلة توضيحية:

* أمثلة من مخالفة رسم القرآن لعرف اللغة بإبدال حرف بآخر:

* نعمة - نعمت

* وردت (نعمة) بالتاء المربوطة ٢٥ مرة في القرآن الكريم.

* ووردت (نعمت) بالتاء المفتوحة ١١ مرة في القرآن الكريم

فالآيات الكريمة التي وردت فيها نعمة بالتاء المربوطة تتحدث إما عن نعم الله الظاهرة للعيان وهي النعم العامة للبشر جميعاً... أو تتحدث عن أقل شيء يطلق عليه (نعمة) ومن ذلك:

قوله تعالى: { يَسْتَنْبِشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ } [آل عمران: ١٧١]

قوله تعالى: { وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ } [المائدة: ٧].

قوله تعالى: { فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ } [آل عمران: ١٧٤].

فالمراد من النعمة في هذه الآيات النعم الظاهرة.

أما قوله تعالى: { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ } [النحل: ٥٣]، فالمراد أقل شيء يطلق عليه (نعمة) فهو من الله فالمخلوق لا يقدر أن ينعم عليكم بأقل نعمة... وطبيعي أن تأتي كلمة (نعمة) بالتاء المربوطة لأن المراد النعمة المحدودة .

أما حينما تأتي (نعمت) بالتاء المفتوحة فإنها تدل على النعم المفتوحة التي لا يمكن إحصاء وتدل أيضا على النعمة الخاصة التي وهبها الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين ومن ذلك:

قوله تعالى: { وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ } [آل عمران: ١٠٣] فالمراد نعم الله الخاصة بالمؤمنين وهي كثيرة وعظيمة.

قوله تعالى: { وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا } [إبراهيم: ٣٤] فالمراد نعم الله على عامة الخلق والتي لا تحصى ولا تعد.

قوله تعالى: { فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ } [الطور: ٢٩] فالمراد نعم الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم كالهداية والرسالة....

* رحمة - رحمت

قال تعالى: (فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) [الروم: ٥٠]، فالتاء مفتوحة لتدل على سعة رحمة الله وأنها تشمل الخلق عامة مسلمين وكافرين، حتى الكافر فإن الله يرحمه في الدنيا، ويرزقه، وينبت له الزرع وأكد ذلك فقال: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) [الأعراف: ١٥٦] ، فجعل التاء مفتوحة كلمة (رحمت الله) للدلالة على أن رحمة الله مفتوحة لكل الخلق .

وقال تعالى: (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) [الأعراف: ٥٦] فالتاء مفتوحة لتدل على أن الله يرحم عباده الموحدين المجتهدين في عبادته رحمة واسعة في الدنيا والآخرة.

وقال تعالى: (وَلَيْتَنَّا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً... [هود: ٩])، فالتاء هنا مربوطة، ولفظ الرحمة نكرة؛ ليدل على أن رحمة الله كبيرة ومقسمة إلى رحمت، وأعطى الإنسان رحمة واحدة من رحماته.

فسبحان من وَضَعَ في الرسم القرآني أسراراً للمعاني.

**** أمثلة من مخالفة رسم القرآن لعرف اللغة بزيادة حرف**

*** العلماء - العلموا**

وردت في القرآن الكريم بهذه الصورة العلموا لتدل على المكانة العظيمة للعلماء وأنهم لا يتساوون مع باقي الناس كما قال تعالى: { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } [الزمر: ٩].

فكلمة (العلموا) وردت في القرآن مرتين وفي كل مرة وقعت في محل (رفع) لتدل على رفعة منزلتهم:

قال تعالى: { أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ } [الشعراء: ١٩٧]

وقال تعالى: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } [فاطر: ٢٨]

*** الربا - الربوا**

وردت كلمة (الربوا) على هذا الشكل في القرآن الكريم ٧ مرات بزيادة في رسم الكلمة لتوحي بان الربا عبارة عن الزيادة عن المستحق.

ووردت كلمة (ربا) مرة واحدة في قوله تعالى: { وَمَا أَتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَزِيدُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا أَتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ } [الروم: ٣٩] فجاءت بدون زيادة في رسمها لتدل على أن أي شيء يُطلق عليه ربا فهو لا يربوا عند الله؛ ولاحظ أن كلمة (لِيَرْبُوا) تزيد حرف (الألف) في آخرها لتوحي بمعنى الربا وهي الزيادة.

**** أمثلة من مخالفة رسم القرآن لعرف اللغة بإنقاص حرف:**

*** تستطع - تسطع & استطاعوا - استطاعوا**

ففي قصة سيدنا موسى مع الخضر قال تعالى على لسان الخضر: (سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) (الكهف: ٧٨) وبعد أن بيّن التفسير قال له: (ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) (الكهف: ٨٢) فحذف التاء لتدل على أن موسى لم يكن عنده أدنى تحمل ليصبر على ما رآه من أعمال الخضر.

وفي قصة بناء السد الذي أقامه ذو القرنين ليحجز عن القوم إفساد بأجوج ومأجوج قال تعالى: { فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا } [الكهف: ٩٧] فقد استخدم القرآن الكريم كلمة (اسطاعوا) ناقصة حرف (التاء) في حالة الظهور على السد لتدل على أن الموضوع خفيف فهو أسهل من نقب السد ومع ذلك لم يستطيعوه لأن مبنى السد من الحديد والنحاس يعني أنهم عرضة للانزلاق الأمر الذي يتطلب سرعة في التسلق؛ أما في حالة نقب السد فإن الأمر يستلزم زمناً وتراحياً في الوقت يعني هو الأصعب لذلك تم استخدام كلمة (استطاعوا) العادية بدون نقص لتدل على الأصعب^١.

(٥) الإيجاز المنيع في القرآن البليغ،

فإذا كان الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم، فكيف بالقرآن المين، وهو كلام رب العالمين، فلقد تكلم القرآن بأوجز أسلوب، ومع ذلك أدى المعنى المطلوب، والبيان المرغوب،

* قوله تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ قَالَتْ فِيهِ فِي الْأَيْمِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) (القصص: ٧)

^١ - وللاستزادة راجع: (تأملات في إعجاز الرسم القرآني وإعجاز التلاوة والبيان) للمهندس:

محمد شملول؛ (الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم) عدة مباحث جمعها الباحث في القرآن والسنة وخدام الإسلام علي بن نايف الشحود.

فهذه الآية أفصحت وأوجزت فأفادت وأجادت فجمعت بين أمرين ونهيين وبشارتين؛ فالأمران هما: (أَرْضِعِيه)؛ (فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ) والنهيان هما: (وَلَا تَخَافِي)؛ (وَلَا تَحْزَنِي) والبشارتان هما: (رَادُوهُ إِلَيْكَ)؛ (وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)

* وأيتي الميراث فقد أسلم بسببها أستاذ يهودي في القانون بأمريكا ؛ لأن قانون الميراث في أمريكا يقع في ثمانية مجلدات وأيتي الميراث في سورة النساء جمعت قوانين الميراث كله في عدة سطور فأسلم^(١).

* قوله تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ

تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي النَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَرَزَعٍ أُخْرِجَ شَطَأُهُ فَأَزَرَهُ فَأَسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) (الفتح: ٢٩) فقد جمعت هذه الآية الكريمة بين جميع حروف الهجاء.

وبعد

فإنهاك الكثير من الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم كالسرّ البلاغي في تكرار الكلمة أو الآية أو الحرف... وغير ذلك، وما ذكرناه ما هو إلا غيض من فيض، وفيه عبرة لمن كان من المستبصرين المعتبرين

(١) (رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا ترجمة رقم: ٦١).

شبهات واهية وردود شافية

الشبهة الأولى: دعاة التبشير بالنصرانية قالوا كيف يقول القرآن: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [يوسف: ٢]، والقرآن فيه كلمات غير عربية مثل استبرق، تابوت، إنجيل، تورا، إبراهيم...؟

ويرد عليهم من وجوه:

أولاً: هذه الكلمات غير عربية الأصل، لكنها عربية الإستعمال فقد شاعت بين العرب وعربتها العرب، ونطقت بها، وكانت ولا زالت معروفة عند العرب، فهي كلمات دخيلة على اللغة، وهذا يحدث في كل اللغات، فهناك كلمات إنجليزية دخيلة على اللغة الفرنسية، وهذا لا يجهله خبير باللغات،

وفي كل عصر تجد كلمات دخيلة على اللغة بسبب الاختراعات الحديثة، ففي الوقت الحاضر دخلت كلمات كثيرة في اللغة العربية، وهي ليست عربية الأصل مثل التلفاز، موبايل، بنك، السوبر، وثوب البدي والإسترتش والليكرا..... وهلم جرا.

مع ملاحظة مهمة، وهي أن القرآن لا يوجد فيه جملة واحدة مركبة من كلمات غير عربية الأصل.

ثانياً: الكلمات غير العربية الأصل في القرآن كلها أسماء، وهذه لا تترجم فتنتطق كما هي، ولكن تكتب باللفظ والرسم العربي، وهذا معروف في كل لغة، فمثلاً اسم (هاني) يكتب بالرسم الإنجليزي في اللغة الإنجليزية، وينطق بنفس اللفظ وهلم جرا.

ثالثاً: العرب نطقوا بهذه الكلمات بعد تعريبها، فمثلاً إبراهيم اسم عبراني، وأصله برهام أو إبراهيم، فعربته العرب إلى إبراهيم وموسى عبراني أصله موشيه فعربته العرب إلى موسى، وعيسى أصله يسوع فعربته العرب إلى عيسى، ويوشع مُعَرَّب من يشوع، والقرآن نزل بلغة العرب، فذكر هذه الكلمات كما ذكرتها العرب.

الشبهة الثانية: قالوا القرآن فيه كلمات لا يُعرف معناها مثل فواتح السور (الم) (الر) (المصر)، فكيف يخاطب القرآن العرب بكلام لا يعرفونه؟

ويرد عليهم من وجوه:

أولاً: العرب متفاوتون في لغتهم وفصاحتهم، وكان البليغ والفصيح منهم يفتخر ببلاغته وفصاحته بين العرب بشعره وحُطْبِهِ، فنزل القرآن بلغة العرب و متحدياً لهم في بلاغتهم، ولذلك كان بعض الصحابة يفهم المراد من الآية حين تنزل ويجهله آخرون، ومن ذلك ما رواه البخاري في (صحيحه: ١٩١٧) عن سهل بن سعد قال: (أُنزِلَتْ: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ} وَلَمْ يَنْزِلْ: {مِنَ الْفَجْرِ} فَكَانَ رِجَالٌ إِذَا أَرَادُوا الصَّوْمَ، رَبَطَ أَحَدُهُمْ فِي رِجْلِهِ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ وَالْخَيْطَ الْأَسْوَدَ، وَلَمْ يَزَلْ يَأْكُلُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ رُؤْيُئِهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدُ: {مِنَ الْفَجْرِ} فَعَلِمُوا أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي: اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ).

ثانياً: فواتح السور مثل (الم)، (الر)، (المصر) ... كلها كلمات تحدى الله بها العرب، فهي كلمات مكونة من الحروف الهجائية التي يتكلمون بها، وهي حروف مختصرة من كلمات كما قال بعض العلماء، فمثلاً كلمة (الم) تنطق ألف لام ميم، فكل حرف مختصر من كلمة اختصاراً للجملة، فتحدى الله العرب أن يأتوا بالمراد من هذه الحروف المختصرة من كلمات،

وهذا أسلوب شائع اليوم، فتجد حرف (ج) اختصاراً لكلمة جنينه، وحرف (ق) اختصاراً لكلمة قرش، والحرفين (رس) يعني ريال سعودي، وحرفي (مج) يعني مجموع فالقرآن الكريم سبق عصرنا الحاضر في اختصار الكلمات في حروف.

ثالثاً: هذه الحروف لم يعترض عليها فصحاء العرب مع ان منهم من كان يعادي الإسلام لأنهم فهموا الهدف من ذكرها فمن باب أولى ألا يعترض غيرهم .

رابعاً: هذه الحروف لها وصلت إلينا دل ذلك على أن القرآن محفوظ من الضياع وإلا لضاعت منه هذه الحروف التي حيّرت العلماء في المراد منها.

* هناك شبه أخرى سببها الجهل بدقائق اللغة العربية، وإليك أمثلة منها:

١- الجهل بشروط تصريف الممنوع من الصرف فالممنوع من الصرف ينصرف في حالتين وهما: إذا أضيف وإذا جاء معرفاً بالألف واللام ومن ذلك:

قوله تعالى: (وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها) (النساء: ٨٦) فكلمة أحسن مجرورة بالفتحة لأنها ممنوعة من الصرف وهذا مشهور في اللغة في حين أنها جاءت منصرفة في آيات أخرى منها قوله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) (التين: ٤) والسبب لأنها مضافة وقال تعالى: (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ) (الكهف: ٧٩) فكلمة مساكين ممنوعة من الصرف لأنها على وزن مفاعيل ومع ذلك جاءت منصرفة في آيات أخرى منها قوله تعالى: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا) (التوبة: ٦٠) والسبب التعريف بالألف واللام.

٢- الجهل بمضمر في الكلام وأضرب مثالا قويا لذلك قوله تعالى: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) (الأنعام: ١٦٠) فمعلوم لغوياً أن العدد عشرة يخالف المعدود إذا لم يكن مركباً وهنا ليس مركباً ومع ذلك فظاهره وافق المعدود لكن في الحقيقة أن المعدود محذوف دل عليه السياق وهو لفظ الحسنة والتقدير فله عشر حسنات أمثالها

خلاصة الكلام في الرد على أمثال هذه الشبه: القرآن نزل بلغة العرب وقد كان العرب متفاوتين في دقائق الإعراب، لذلك تنوع القرآن وتفنن في لغتهم ليشمل أبلغ دقائق الإعراب فيتحداهم جميعاً في لغتهم، والقرآن أنزل بداية في وسط قريش وهم أعلم الناس بلغة العرب ثم انتشر في سائر العرب، وكان أغلبهم اعداءً للإسلام وكانوا يتحيتون الفرص للظعن فيه، ومع ذلك لم ينتقضوا القرآن في لغته أبداً وهم أهل اللغة وكافتها بل إن أبلغ قريش كان كافراً ومات على الكفر ومع ذلك شهد بفصاحة القرآن وقال إنه ليعلو ولا يُعلى عليه كما سبق بيانه، فمن باب أولى ألا يعترض غيرهم على

القرآن، فمهما تعلمنا فلن نصل في اللغة العربية إلى مستوى أهلها الأوائل فلا يحق لنا أن نعترض بجهلنا على شيء لم يعترضوا هم عليه.

مقارنة: أقول لليهود والنصارى أنتم تبحثون عن شبهة في القرآن عنادا وتتغافلون عن فضائح وقبائح وفضائح كتابكم الذي قلما يقرأه كلاً احد منكم بسبب ما فيه من مناقضات وكلام قبيح؛ وبالمثال يتضح المقال:

(١) القرآن الكريم يقول: (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) [الأعراف:

١٥٧]، فهل هذا يقارن بكتابكم الذي يأمر بأكل الغائط والبول فيقول: (وتأكل كعكاً من الشعير على الخبز الذي يخرج من الإنسان تحبزه أمام عيونهم، وقال الرب: هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم النجس) [سفر حزقيال: ١٢/٤-١٣] ويقول (اليس الى الرجال الجالسين على السور لياكلوا عذرتهم ويشربوا بولهم معكم) (الملوك الثاني: ٢٧/١٨) (اشعيا: ١٢/٣٦)^١

(٢) القرآن الكريم وصف العلاقة الزوجية بأدب جم وأوجز فأفاد وأجاد، فقال تعالى: (هُنَّ لِيَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٍ هُنَّ) [البقرة: ١٨٧]، وقال: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) [الروم: ٢١]، فكما أن الرجل يسكن في ثوبه ويحتمي به ويستتر به من البرد والأذى، فكذلك يستتر كل واحد من الزوجين بالآخر، ويتحصن به من الوقوع في الفاحشة، فترى القرآن الكريم يصف شيئاً حلالاً بأسلوب رفيع وكلام بليغ

فهل هذا يقارن بكتابكم المقدس الذي وصف العلاقة الآثمة الفاجرة وهي أفعال الزانيتين أو رسلهم وسامراء بأبشع الألفاظ، فقال: (هناك دغدغت ثديها وهناك

^١ - وبعدها يعييون على النبي محمد صلى الله عليه وسلم لأنه دلَّ بعض أصحابه المرضى على بول الإبل الصحراوية التي تتغذى على الأعشاب الصحراوية فقط مع أنهم شُفوا بعد أن شربوا منه وسمنوا بعد أن شربوا من ألبانها فأعجبوا بالإبل وطعموا فيها فسرقتها وقتلوا الحارس فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم أرسل وراءهم العسكر وقبض عليهم واقتص منهم والقصة ثابتة في الصحيحين من رواية أنس، مع أنه قد ثبت علمياً صحة ذلك وقد تداولت به وشُيبت بفضل الله تعالى، والعكس فقد ثبت علمياً أن بول الإنسان يتسبب في العديد من الأمراض.

تزرغت ترائب عذرتها) [حزقيال: ٢٣/٣]، (وعشقت معشوقهم الذين لحمهم كلحم الحمير، ومنهم كمني الخيل) [حزقيال: ٢٣/٢٠] يعني مذاكيرهم مثل مذاكير الحمير، فهل هذا كلام الله؟! وكيف عرف مؤلفُ هذا السِّفرِ وَصَفَ مني الخيل إلا إذا كان ضاجع البهائم والخيول قبحهم الله؟

تعالى عما يقولون علواً كبيراً.

(٣) القرآن الكريم ليس فيه كلام غرام يُحِثُّ على الفواحش، أما كتابكم المقدس ففيه غرام وأبشع الكلام، وتسبب في انتشار الفجور في المجتمع الغربي انظر (نشيد الإنشاد) (سفر حزقيال)

لذلك قال المؤرخ الأمريكي (ول ديورانت) في (قصة الحضارة: ٣٨٨/٢): (لسنا ندري كيف غفل أو تغافل رجال الدين عما في هذه الأغاني من عواطف شهوانية، وأجازوا وضعها في الكتاب المقدس)

ولقد أسلمت بعض النصرانيات بسبب الكلام الفاجر الموجود في الكتاب المقدس، وخاصة (نشيد الإنشاد) الذي أستحي أن أكتب منه شيئاً، وأعتذر للقارئ عما كتب سابقاً وما ذاك إلا للبيان، وأسأل الله العفو والرحمة إنه الرحيم الرحمن.

(٤) القرآن حرّم مجرد القرب من الزنا فقال: (وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) (الإسراء: ٣٢) فأبلغ في التحريم لأنه لم يقل ولا تزنوا بل حرم القرب من الزنا.

فهل هذا يقارن بكتابكم الذي يقول: (أول ما كلم الرب هوشع قائلاً: اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت زني) (هوشع: ٢/١) بل وفيه أن الله عاقب أناساً فأوقعهم في الزنا ومنهم أهوليبة الزانية فقد عاقبها بأن سلط عليها من يزني بها راجع (حزقيال: ٢٣/٢٢-٤٤)، وكذلك بنات صهيون المتكبرات عاقبهم بأن سلط عليهم من يزني بهم راجع (أشعيا: ١٧/٣) ونصوص أخرى كثيرة.

(٥) القرآن الكريم وقرّ الأنبياء وأثنى على أخلاقهم ولم يُقنّر عليهم فهم القدوة لعباد الله تعالى وتتعلم منهم الدين والأخلاق فقال تعالى: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ

وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُبُوا بِهَا الْكَافِرِينَ) (الأنعام: ٨٣-٨٩)،

فهذا يقارن بكتابتكم الذي افتري على الأنبياء ونسب إليهم أقوال وأفعالا يتنزه عنها الكثير من العوام، فنسب إلى كثير من الأنبياء فعل الفواحش ونسب إلى بعضهم عبادة الأوثان كما سبق بيانه،

بل ونسب إلى بعض الأنبياء إساءة الأدب مع الله تعالى:

* ففي (مزامير: ٤٤ / ٢٣) (استيقظ لماذا تتغافى يا رب انتبه)

وفي (مزمور ٦٥: ٧٨) (فاستيقظ الرب كنائم كجبار معيط من الخمر)

أما القرآن الكريم فيقول (الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم) (البقرة: ٢٥٥).

* وفي (حقوق: ١ / ٢) (يا رب حتى متى أدعو وأنت لا تسمع)

أما القرآن الكريم فيقول: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) (النساء: ٥٨)،

ويقول على لسان إبراهيم الخليل: (ان ربي لسميع الدعاء) (إبراهيم: ٣٩) ويقول (وان تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى) (طه: ٧).

* وفي (الملوك الثاني: ١٩ / ١٦) (افتح عينيك يا رب وانظر).

أما القرآن الكريم فيقول: (إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (البقرة: ١١٠)

ويقول: (ان الله يعلم غيب السموات والأرض والله خبير بما تعملون) (الحجرات: ١٨).

* ويقول أيوب في (أيوب: ١٦ / ١١) (دفعني الله إلى الظالم)

ويقول في (أيوب: ٢٤ / ١٢) (من الوجع اناس يئنون ونفس الجرحى تستغيث والله لا ينتبه الى الظلم)

أما القرآن فيقول: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) (النساء: ٤٠)

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (يونس: ٤٤)

(وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) (الكهف: ٤٩)

* وفي (مزمور: ١٣ / ١) (الى متى تنساني يا رب كل النسيان).

أما القرآن الكريم فقال: (لا يضل ربي ولا ينسى) (طه: ٥٢).

والأنجيل نسبت إلى عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام سوء الأدب ومن ذلك:

* في (متى ١٥ : ٢٦) قال المسيح للتي أنته تستنجد مساعده: " ليس حسناً أن يُؤخذ خبز البنين ويُطرح للكلاب. فقالت: نعم يا سيّد والكلاب أيضاً تحت المائدة تأكل من فتات البنين." وانظر أيضاً (مرقس ٧ : ٢٧)،
وقال في (متى ٧ : ٦): " لا تعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم "
وفي (متى: ٢٣ / ١٦) (فالتفت و قال لبطرس اذهب عني يا شيطان) وفي (لوقا: ٢٤ / ٢٥) قال لإثنين من تلاميذه (ايها الغيبان)
وفي (متى: ١٧ / ٢٣) قال لجموع تلاميذه (ايها الجهال والعميان)
وفي (متى: ٧ / ٣) فلما رأى كثيرين من الفريسيين و الصدوقيين ياتون الى معموديته قال لهم يا اولاد الافاعي (...)
* أما القرآن فيقول: (لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا إِنْ تُبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعْفَوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا) (النساء: ١٤٨ - ١٤٩)
(وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأنعام: ٥٤)
(وَعبَادِ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) (الفرقان: ٦٣)
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْألقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (الحجرات: ١١)
* وفي (يوحنا: ٤/٢) أن عيسى خاطب أمه بجفاء فقال: (ما لي و لك يا امراة)
وقال في (لوقا: ١٤ / ٢٦) (ان كان احد ياتي الي ولا يبغض اياه وامه وامراته واولاده واخوته واخواته حتى نفسه ايضا فلا يقدر ان يكون لي تلميذاً).
أما القرآن فقال: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُوهمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) (٢٣)
وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) (الإسراء: ٢٣ - ٢٤)
وقال على لسان عيسى عليه الصلاة والسلام: { وبرا بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيفاً } (مريم: ٣٢)^١

١ - راجع المزيد في كتاب (لندع الإنجيل يتحدث) للشيخ عبدالرحمن دمشقيه

* تحذير لأولي التفكير متعلق بترجمة معاني القرآن الكريم.

إن القرآن لا يترجم لفظاً، وإنما تُترجم معانيه، ومن ثمَّ يجب على من أراد ترجمة معاني القرآن أن يدرس التفسير واللغة العربية جيداً مع ملاحظة أن ترجمة معاني القرآن تذهب بروعة فصاحته وجمال أسلوبه، فمن أراد أن يتمتع بالقرآن فليدرس اللغة العربية، وبهذا اعترف علماء الغرب ومنهم:

* إمام المستشرقين الإنجليز د. سير هاملتون جب أستاذ اللغة العربية بجامعة لندن قال: (إن القرآن لا يمكن ترجمته بشكل أساسي كما هي الحال بالنسبة للشعر الرفيع، إذ ليس بالإمكان التعبير عن مكنون القرآن باللغة العادية... إن تأويل كلمات القرآن إلى لغةٍ أخرى لا يمكن إلا أن يشوهها ويحول الذهب النقي إلى فُخَّار^(١)).

* بلاشير أستاذ الآداب العربي بباريس قال: (إذا كان ثمة شيء تعجز الترجمة عن أدائه، فإنها هو الإعجاز البياني واللفظي)^(٢).

ولا يفوتنا أن نُحذِّر من التراجم الخاطئة:

فهناك تراجم كثيرة لمعاني القرآن الكريم فيها أخطاء فادحة؛ لأن أصحابها من المستشرقين الذين يعادون الإسلام ويصدون عنه، لذلك قاموا بتحريف معاني كثيرة للقرآن، وافتروا عليه، فلم يَكُنْ عندهم أمانة صادقة في ترجمته، ومن ذلك قولهم: إن الإسلام نزل للعرب فقط، وقولهم: لا بعث ولا نشور ولا عذاب حسي، وأنكروا الملائكة والجن، وقالوا بجواز إرسال نبي آخر بعد محمد صلى الله عليه وسلم، وهكذا تتوالى افتراءاتهم على القرآن الكريم لذلك ترى بعض الغربيين يقرأون هذه التراجم ولا يُسلمون إلا من كتب له الله الهداية، وأوصل إليه ترجمة صحيحة لمعاني القرآن.

ومن هذه التراجم الخاطئة:

(١) الاتجاهات الحديثة في الإسلام ص ٣٠-٣١.

(٢) تاريخ الآداب العربي ص ٣١.

ترجمة (رودويل) وترجمة (بالمر) وترجمة القس (وهيري).

* وهناك تراجم صحيحة صدرت من علماء مسلمين مثل:

ترجمة (بيكثال) لعالم مسلم إنجليزي من أهل السنة اسمه (محمد مارماديوك

بيكثال)،

وكذلك ترجمة د. محمد تقي الدين الهلالي، د. محمد محسن خان^١.

^١ - للاستفاضة في هذا الموضوع فليراجع كتاب (وقفه مع بعض الترجمات الإنجليزية لمعاني القرآن

الكريم) د. وجيه حمد عبد الرحمن.

الوجه الثالث من أوجه إعجاز القرآن الكريم: الإعجاز العلمي

فلقد أعجز القرآن العلماء في شتى الميادين على مدى العصور والقرون حتى أبهر العقول، وأدهش العلماء الفحول، وأقرّوا بأنه كتاب الوصول، والإعجاز العلمي في القرآن الكريم أكبر دليل على صدق القرآن، وأنه منزل من عند الله تعالى، وأنه معجزة قوية أيد الله بها الإسلام. وسوف أضرب أمثلة توضيحية مختصرة جداً من عدة علوم مختلفة:

أولاً: علم الطب والإنسان

(١) مراحل تطور الجنين:

فالقرآن الكريم هو أول من حدد المراحل التفصيلية لتكوين الجنين، فقال: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَّوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) [المؤمنون: ١٢-١٤]، فهذه المراحل التفصيلية لم تعرف إلا في القرن العشرين حين تم ابتكار أجهزة الأشعة الحديثة.

شهادة: د. كيث مور أشهر عالم في الشريح وعلم الأجنة ورئيس قسم الشريح وعلم الأجنة بجامعة تورنتو بكندا أسلم بسبب الإعجاز العلمي في القرآن، وقال: (إن تطور الجنين لم يكتشف إلا في القرن العشرين، وفي الجزء الأخير منه، وهذا ما يدل على إعجاز القرآن الكريم... إن التعبيرات القرآنية عن مراحل تكون الجنين في الإنسان لتبلغ من الدقة والشمول ما لم يبلغه العلم الحديث، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هذا القرآن كلام الله وأن محمداً رسول الله) (١)،

(١) (رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا ترجمة: ٢٨).

* معنى (علقة) أي معلقة في جدار الرحم، (مضغعة) كاللقمة التي مُضِغَتْ في الفم ومعظم مراحل تطور الجنين لا ترى بالعين المجردة، بل بالمجهر والأجهزة الحديثة، وهذا دليل قوي على صدق القرآن وأنه من عند علام الغيوب.

(٢) اختلاف الصفات الوراثية:

ففي القرن العشرين اكتشفوا أنه لا يمكن أن يتفق اثنان في جميع الصفات الوراثية، حتى التوأم المتماثل تجد بينهما بعض الصفات المختلفة، مثل الوزن والذكاء وحسن الخط والبصمة وقوة أجهزة الحس...

ولقد أشار القرآن الكريم إلى بعض الصفات التي لا يمكن أن يتفق فيها اثنان أبداً مثل البصمة والرائحة، قال تعالى: (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ) [القيامة: ٣، ٤]، وبنان الشخص هي رؤوس أصابع يده ورجليه مع ما فيها من الخطوط الدقيقة التي تختلف من شخص لآخر، فالبصمة لا تكون محل اتفاق بين اثنين أبداً، ولذلك تعتمد في الأدلة الجنائية كما هو مشهور ومعروف،

كذلك الرائحة، قال تعالى: (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) [يوسف: ٩٤]، فالرائحة تختلف من شخص لآخر، لذلك تستخدم الشرطة الكلاب في معرفة الجاني عن طريقة رائحته، وهذا كله معروف ومألوف،

ولقد أجمل القرآن هذه المعلومات بأسلوبٍ بليغ، فقال سبحانه وتعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ) [الروم: ٢٢]¹.

(٣) النوم يشبه الوفاة:

لقد اكتشف العالم البروفيسور البريطاني (آرثر أليسون) رئيس قسم الهندسة الكهربائية والإلكترونية بجامعة لندن اكتشاف نقص الوزن بعد الموت، فأرشده طالب

¹ - للمزيد انظر (مباحث في إعجاز القرآن: ٣٢٢-٣٢٤) للدكتور/ مصطفى مسلم

مسلم مصري إلى عمل تجارب ودراسات على النائم فسأله: لماذا؟ قال: لأن النائم عندنا يشبه الميت، فقام بعمل دراسات، فوجد أن النائم ينقص وزنه عن اليقظة، وأن أجهزة الحي تَضَعُ، فالعين نائمة والأذن انخفض سمعها وهكذا، فاكتشف علاقة قوية بين النوم والوفاة ونقص الوزن سببه خروج الروح، فلما علم أن القرآن أثبت ذلك أسلم ذلك العالم وأعلن إسلامه، قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ) [الأنعام: ٦٠]، وقال تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) [الزمر: ٤٢]¹.

(٤) ضرورة التقلب أثناء النوم:

فقد اكتشف العلماء مؤخراً أن النوم على شقٍّ واحد طوال ساعات طويلة يسبب مرضاً لهذا الشق، والسبب هو عدم وصول الدورة الدموية لهذا الشق بصورة جيدة، ولقد سبقهم القرآن في هذه الحقيقة العلمية فقال في قصة أصحاب الكهف: (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ) [الكهف: ١٨].

من اللطائف البديعية العلمية:

ما ذكره الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الشرقاوي أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة بجامعة الأزهر في كتابه المعطار (تأملات في قصة أصحاب الكهف: ٢٩) فقال:

(وقوله: «وتحسبهم أيقاظا وهم رقود»

الأيقاظ : جمع يقظ ويقظان والرقود جمع راقد وهو النائم ،

وفي الكلام إشارة إلى أنهم كانوا مفتوحى الأعين حال نومهم كاليقظان ، والحكمة في ذلك حفظ أبصارهم أن تتجمد في المآقي وتلتصق الأجناف بطول المدة .

١ - راجع (رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا ترجمة: ٤١)

وقوله: (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) لئلا تأكلهم الأرض، ولا تبلى ثيابهم، ولا تبطل قواهم البدنية بالركود والخمود طول المكث.

حتى لا تترسب الأملاح في جهة واحدة فتتآكل أجسادهم وتعرض للتلف والتعفن .

فائدة: وقد ذكر الأطباء: أن من الإصابات الشائعة والصعبة العلاج مشكلة حدوث ما يسمى بقرحة السرير ، عند المرضى الذين تضطربهم حالتهم للبقاء الطويل في السرير كما في كسور الحوض والعمود الفقري أو الشلل أو حالات السبات الطويل وهذه عبارة عن قرح وموت في خلايا الجلد والأنسجة بسبب نقص التروية الدموية عن بعض مناطق الجلد ، نتيجة انضغاطها بين الأجزاء الصلبة من البدن ومكان الاضطجاع وأكثر ما تحصل في المنطقة العجزية والأليتين وعند لوجي الكتفين وكعبي القدمين ، ولا وقاية من حدوث هذه القرحة سوى تقليب المريض ، وقد تكون هذه هي الحكمة من تقليب الله عز وجل لأهل الكهف لوقايتهم من تلك الإصابة وإن كانت قصة أهل الكهف كلها تدخل في نطاق المعجزة !! انتهى.

ثانياً: علوم الأرض

(١) كروية الأرض في شكل بيضاوي وفي نقص دائم من الأطراف:

وهذا لم يعرف إلا في منتصف القرن العشرين، وبعد دراسات ذات تكلفة باهظة، والآن كل الناس يعرفون ذلك بل يتم تدريسه في كتب العلوم للمرحلة الابتدائية، ولقد سبقهم القرآن في إثبات هذه الحقيقة العلمية، فقال: (يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ) [الزمر: ٥]، وهذا لا يكون أبداً إلا إذا كانت الأرض كروية، وقال تعالى: (وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) [النازعات: ٣٠]، أي جعلها مدحوة يعني بيضاوية الشكل،

* وقال سبحانه: (أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) [الأنبياء: ٤٤]، والأفعال هنا مضارعة (تأتي)، (ننقصها) يعني هي في نقص دائم من أطرافها، فالشكل البيضاوي في استمرار، وهذا ما أثبتته علماء المساحة في القرن العشرين، حين وجدوا أن نصف القطر الاستوائي يزيد على نصف القطر القطبي بمقدار ٥, ٢١ كليو متر، والحمد لله على نعمة القرآن والإسلام عامة.

(٢) دوران الأرض وعدم ثبوتها: فالقرآن أول من أثبت دوران الأرض، وأن

هناك تعدد للمشارك والمغرب بسبب هذا الدوران، فلكل دولة مشرق ومغرب؛ ومشرق الصيف يخالف مشرق الشتاء، وكذلك مغرب الصيف غير مغرب الشتاء، لذلك قال تعالى: (رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ) [الرحمن: ١٧]،

وقال سبحانه: (فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ) [المعارج: ٤٠]،

وقال تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) [النمل: ٨٨]، أي تدور تبعاً لدوران الأرض كما أن السحاب يسير بسبب دفع الرياح له.

١ - انظر (القرآن وعلوم الأرض: ٥٧- ٥٨) للمؤلف محمد سميح عافية

وكذلك الشمس تجري إلى أن تستقر في مركز مجرتنا (مجرة درب التبانة)، لذلك قال تعالى: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرًّا لَهَا) [يس: ٣٨]،

ولقد أوجز القرآن وأبلغ، فأفاد وأجاد حين فقال: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) [الأنبياء: ٣٣]،

ولاحظ أن كلمة فلك تعني الإستدارة سواء في شكل حلزوني أو كروي أو بيضاوي....

لطيفة بديعية إعجازية:

لقد لاحظ بعض المستبصرين الحذاق أن قوله (كل في فلك يسبحون) يُقرأ من اليمين كما يُقرأ من اليسار، وهذا إعجاز بياني بديع بليغ يشير إلى حركة الكواكب والنجوم حركة إرتدادية وبما أنها كروية أو بيضاوية... فإنها تدور حول محورها وبما أنها تسبح فهي تدور أيضاً حول شيء آخر، فسبحان من وضع أسراراً تحت حروف كلماته^١.

وهذا يعني أن الأرض معلقة في الهواء وتدور وتسبح في الكون حول محورها وحول الشمس، والحقائق السابقة لم تعرف إلا في منتصف القرن العشرين حين صعدوا إلى الفضاء.

ولذلك قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا) [فاطر: ٤١].

(٣) اختلاف خواص الأرض: فهناك أرض صالحة للزراعة كالطينية، وأخرى صالحة للبناء كالصخرية، وأخرى لا تصلح لشيء كالسبخة، وهناك أرض تصلح لزراعة بعض المحاصيل دون أخرى حسب الموقع الجغرافي، وهذه الحقيقة العلمية لم تعرف إلا في القرن العشرين، وأشار إليها القرآن بقوله: (وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) [الرعد: ٤]، فسبق العلم الحديث في اكتشاف اختلاف الطبيعة الأرضية،

^١ - للمزيد راجع (الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم) من إصدارات جامعة المدينة العالمية (الدرس الرابع بعنوان الإعجاز العلمي، والعددي، والتصوير في القرآن الكريم: ص ٧٦)

* ولاحظ أن كل المحاصيل تسقى بهاءٍ واحد، ومع ذلك يختلف الثمر الواحد من مكانٍ آخر، بل وتأتي ثمار الشجرة الواحدة مختلفة في الطعم والرائحة والشكل والوزن... لذلك قال القرآن: (وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِهَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَّضٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ) [الرعد: ٢١].

(٤) تحديد أدنى الأرض : فالقرآن هو أول من أثبت هذه الحقيقة العلمية البليغة، فقال: (الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ) [الروم: ١-٣]، فسمى المنطقة التي انهزمت فيها الروم بأدنى الأرض، وفي أواخر القرن العشرين اكتشفوا بالمقاييس الحديثة أن أخفض أرض على مستوى الكرة الأرضية هي الأرض التي غُلبت فيها الروم فعلاً، وهي منطقة البحر الميت الفاصلة بين الأردن وفلسطين، وقد تكلمنا عن ذلك سابقاً في الإعجاز الإخباري للقرآن الكريم.

^١ - للمزيد انظر (القرآن وعلوم الأرض: ١٥٨ - ١٥٩) للمؤلف محمد سميح عافية

ثالثاً: علم النبات^١:

(١) ضرورة اهتزاز الأرض لكي تنفلق الحبة: فلقد أثبت علماء النبات أن الأرض لا بد وأن تهتز حتى تنفلق الحبة في باطنها وتنبت، وهذه الحقيقة أثبتها القرآن قبلهم بقرون حين قال تعالى: (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) [الحج: ٥].

(٢) التزاوج بين النبات: اكتشف علماء النبات عملية التزاوج بين النبات، وأنه ضروري لإنتاج الثمرة، وهذه الحقيقة أثبتها القرآن قبلهم بقرون فقال: (وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلْنَا فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) [الرعد: ٣]، (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [الذاريات: ٤٩].

(٣) الرياح وتلقيح النبات: فلقد اكتشف العلماء أن الرياح لها دور هام في تلقيح النبات، حيث تقوم بنقل حبوب اللقاح إلى الأعضاء المؤنثة في النبات، حتى يحدث التلقيح، ويتم إنتاج الثمار، وأن الرياح هي التي تلقح السحاب حتى ينزل المطر، وقد سبقهم القرآن الكريم في إثبات هذه الحقيقة العلمية قبلهم بقرون فقال: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاحِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) [الحجر: ٢٢].

(٤) اليخضور أساس الثمار: إن علماء النبات في العصر الحديث اكتشفوا حقيقة علمية كبرى ومدهشة، وهي أن مادة اليخضور في النبات هي المصنع الذي يتكون فيه مركبات الثمار كالسكريات والزيوت والبروتينات والنشويات والمواد الكربوهيدراتية..... ويتم تصنيع هذه المواد باستخدام ضوء الشمس فجميع الثمار تخرج من مادة اليخضور، ولقد سبقهم القرآن في إثبات هذه الحقيقة المدهشة، حيث قال تعالى: (وَهُوَ

^١ - للمزيد راجع كتاب (مملكة النبات كما يعرضها القرآن الكريم ويصفها) للمؤلف حامد صادق قنبي، مقال للعلامة عبدالله بن بيه (من ضوابط الإعجاز العلمي) في أرشيف ملتقى أهل التفسير.

الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا
مُتْرَاكِبًا... [الأنعام: ٩٩]،

لاحظ قوله: (فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا....) فالمادة الخضراء يخرج منها جميع الثمار.

رابعاً: علم البحار:

(١) الحاجز بين البحر المالح والعذب: وهذه الظاهرة حَيَّرت العلماء الفحول، وأدهشت العقول، فكلنا نشاهد التقاء البحرين المالح والعذب، ومع ذلك لا يحدث اختلاط بينهما، فأخذ العلماء في البحث عن السبب، وقامت بعثة بعثة (تشاننجر) سنة ١٨٧٣ ميلادية بدراسة البحار والأنهار في أماكن متعددة، وفي النهاية أثبتت أن هناك خطوطاً وهمية تفصل بين البحار وبعضها، وأن كل بحر يختلف في خواصه وتركيبه وكثافته عن البحر الآخر.

وفي عام ١٩٤٢م تقريباً ظهر قانون (المط السطحي) ومضمونه أن أي بحر يلتقي مع آخر أو مع نهر لا يذوب معاً، والسبب هو أن تجاذب الجزئيات يختلف من سائل لآخر، وكل سائل يحتفظ بخواصه في مجاله ولا يتداخل في مكان آخر، وهذه الحقيقة العلمية أثبتها القرآن قبلهم بثلاثة عشر قرناً فقال:

(وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا) [الفرقان: ٥٣] وقال: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) [الرحمن: ١٩، ٢٠]¹.

(٢) الموج الداخلي والسطحي

إن العلماء في منتصف القرن العشرين توصلوا إلى وجود نوعين من الأمواج هما الموج السطحي وهو ما نراه على سطح أي بحر أو محيط أو نهر، والموج داخلي وهذا لا يكون إلا في المحيطات والبحار العميقة، وهذا يعني أن المحيط له نوعان من الأمواج: موج داخلي وموج سطحي وفوقهما السحاب؛ والمحيط لا يُبنى عنده مساكن أو مصانع خوفاً من عواصفه، فالذي يسبح في وسط المحيط لا يرى إلا ماء وسحاب، وقعر المحيط

¹ - راجع المزيد في مقال الشاعر عبد القادر الأسود (البحر في الأدب العربي) في أرشيف منتدى الفصح

مظلم؛ لأن الموج الداخلي مع الموج السطحي حجز ضوء الشمس والنهار عامة، ولذلك يأخذ الغواص كشافاً كهربائياً معه، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بأسلوب بديع بليغ فقال:

(أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ جَبِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) [النور: ٤٠].

ومعنى (جَبِّيٍّ) عميق

ولاحظ: أنه قال: (لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا) وكاد من أفعال المقاربة لأن العمق يختلف من مكان لآخر فكلما زاد العمق كلما انعدم الضوء.

مفاجأة كبرى: هذه الآية فيها تنبؤ بأن الإنسان سوف ينزل إلى أعماق المحيطات، وهو ما حدث في القرن العشرين حيث ظهر الغواصون وصنعت السفن الغواصة.

* هذه الآية أسلم بسببها العالم البحار الإنجليزي (بروان)،

فلقد اندهش من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وقال: من أين أتى محمد بهذه الحقيقة العلمية وهو أمّي، ولم يركب البحر، ولم ير البحر، وهذه الحقيقة لم تعرف إلا في القرن العشرين، وهذا يدل على أن الذي علّم محمداً هو علام الغيوب، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. حكاه عنه (جاري ميلر) أستاذ الرياضيات الكندي الذي أسلم هو الآخر سنة ١٩٧٨ بسبب الإعجاز العلمي في القرآن كما ستعرفه لاحقاً، والحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة^١.

^١ - راجع (رحلة إيمانية مع رجل ونساء أسلموا ترجمة: ٨)

لطفة علمية: الموج الداخلي جعله الله رحمة؛ لأنه يقلل قوة الموج السطحي، ولولاه لهدمت بلاد بسبب عواصف المحيط والواقع خير شاهد على سواحل أمريكا واليابان وأستراليا وغيرها.

(٣) استخراج اللؤلؤ والمرجان من البحر العذب

لقد كان الاعتقاد السائد لدى العلماء أن الخلي سواء اللؤلؤ أو المرجان لا يستخرج إلا من البحر المالح فقط، لكن في أواخر القرن العشرين وبعد دراسات طائفة وتكلفة باهظة استخرجوا الخلي من العذب، فاستخرجوا اللؤلؤ من المياه العذبة بإنجلترا واسكتلندا واليابان وغيرها من البلدان، واستخرجوا الكثير من الأحجار الكريمة من الرواسب النهرية في البرازيل وروسيا، واستخرجوا الياقوت من الرواسب النهرية في بورما العليا وسيلان، واستخرجوا الماس من الرواسب النهرية الجافة (البرقة).

فعلموا صدق القرآن الكريم حين أثبت هذه الحقيقة العلمية منذ قرون كثيرة، حيث قال تعالى: (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلَّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا) [فاطر: ١٢]، وقال تعالى: (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) [الرحمن: ٢٢]¹.

¹ - انظر "المنتخب في تفسير القرآن الكريم"، في (التعليق العلمي الموجود أسفل الصفحة على هذه الآية)، هذا التفسير أصدره المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر.

خامساً: علم الطبيعة الكونية:

(١) الأعمدة غير المرئية: في القرن العشرين توصل العلماء إلى وجود أعمدة غير مرئية، وهي الجاذبية، ولقد سبقهم القرآن الكريم في ذلك قال تعالى: (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) [الرعد: ٢]¹.

(٢) اتساع الفضاء (الكون): في أواخر القرن العشرين اكتشف العلماء أن الكون فسيح جداً، وأنه يتسع كما يتسع البالون البلاستيك إذا نفخ فيه الهواء، فهم يكتشفون كل فترة زمنية مجرات عديدة بمساحات شاسعة تبلغ آلاف الملايين من السنين الضوئية (السنة الضوئية تساوي ٩,٤٦ تريليون كيلو متر) والقرآن الكريم أثبتتها قبلهم بقرون بعيدة فقال: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) [الذاريات: ٤٧].

فالمجرة الواحدة تحتوي على مليارات من الكواكب، وآخر دراسة توصل إليها علماء أمريكا أن مجرتنا التي فيها كوكب الأرض، وهي مجرة درب التبانة يجري بداخلها سبعة عشر مليار كوكب مثل الأرض، ومع ذلك كل فترة يكتشفون مجرات أخرى².

(٣) درجة حرارة الشمس عالية جداً: اكتشف علماء الطبيعة في القرن العشرين أن درجة حرارة سطح الشمس تصل إلى (٦٠٠٠ درجة)، ودرجة حرارة مركزها مليون ونصف المليون درجة، ولقد سبقهم القرآن في ذلك، فقال سبحانه وتعالى: (وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا) [النبأ: ١٣]، والمراد الشمس فهي سراج، لكنه وهَّاج يتوهج كما تتوهج النار، أعادنا الله منها إنه هو العزيز الغفار³.

١ - انظر (التيسير في أحاديث التفسير: ٣٤/٥) للمؤلف محمد المكي الناصري، (تفسير المراغي: ٦/٢٩) وتفسير الشعراوي لهذه الآية

٢ - راجع المزيد في (الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: ١٠١-١١٠)، (مباحث في إعجاز القرآن: ١٧١) للدكتور/ مصطفى مسلم

٣ - للمزيد انظر (أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بدولة الإمارات عام 1425هـ-2004م) على هذا الرابط <https://www.youtube.com/watch?v=89CWHGnTqJM>

لطيفة بديعية: القرآن قال عن الشمس: (سِرَاجًا وَهَاجًا)، وقال عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم: (وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) [الأحزاب: ٤٦]، وهذا من بلاغة القرآن حيث وصف الشمس بأنها سراج وهاج، ووصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنه سراج منير، والفرق أجلى من الشمس في ضحاها، وهو أن السراج الوهاج يضيء بحرارة شديدة، والسراج المنير يضيء من غير حرارة، فكلما اقتربت من الشمس كلما ازدادت احتراقًا، وكلما اقتربت من النبي صلى الله عليه وسلم كلما ازدادت حبًا من الرحيم الرحمن.

(٤) هناك أصغر من الذرة:

في مطلع القرن العشرين اكتشف العلماء الذرة، وكان الاعتقاد السائد أن الذرة أصغر شيء في الوجود، ولكن في منتصف القرن العشرين اكتشفوا أن الذرة تنقسم، وهذا يعني أن هناك أصغر من الذرة، ولقد سبقهم القرآن في إثبات هذه الحقيقة العلمية حين قال: (وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) [يونس: ٦١]، فقلوه: (وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ) يشير إلى وجود الأصغر من الذرة^١.

(٥) الأكسجين يقل كلما صعدنا إلى الفضاء بالآلاف الأميال:

ففي منتصف القرن العشرين اكتشف علماء الطبيعة وعلماء الفضاء أن الأكسجين يقل كلما ارتفعنا إلى العلو بمسافات كبيرة، ولذلك يأخذ رواد الفضاء أنابيب الأكسجين حين يصعدون إلى القمر؛ لأن الأكسجين منعدم هناك، وهذه الحقيقة أثبتتها القرآن قبلهم بقرون بعيدة فقال: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ) [الأنعام: ١٢٥]، فقلوه: (كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ

^١ - راجع المزيد في (معجزات القرآن العلمية: ١٨٣-١٨٣) للمؤلف حامد حسين قدير

في السَّمَاءِ) يشير إلى أن الصعود إلى العلو بمسافات بعيدة فيه ضيق تنفس سبب قلة الأكسجين،

ولاحظ أن هذه الآية تنبؤ بان الإنسان سيصعد إلى الفضاء إلى مسافات بعيدة (الفضاء الخارجي) بحيث يحتاج إلى أكسجين^١، والحمد لله رب العالمين.

* وبعد فقد ذكرت أمثلة قليلة جداً من الإعجاز العلمي في القرآن وهي غيض من فيض، فلا أمثلة كثيرة جداً وتحتاج إلى موسوعة كبيرة.

ومن ذلك وصف السحاب بالجبال ووصف شدة لمعان البرق في قوله تعالى: (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ) (النور: ٤٣) وهذا يلاحظه من يجلس بجوار النوافذ في الطائرة وهي في السحاب، وقائدة الطائرة يعلم خطورة ضوء البرق على بصره.

ومن ذلك أن عنصر الحديد ينزل من الفضاء وليس هو في باطن الأرض قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) (الحديد: ٢٥)، وهذا أصبح معروفاً لدى طلاب العلم في المدارس فضلاً عن الجامعات والأساتذة.

وقد ذكرت أمثلة أخرى في موضوع عاقبة الكفر في الفصل الخامس.

ولقد توصل العلماء حتى الآن إلى أن خمس القرآن يحتوي على إعجاز علمي، وكل يوم يكتشفون المزيد بفضل الفعال لما يريد، فالقرآن لا تنقضي عجائبه. ، وهذا كله يدل على القرآن الكريم ليس كلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهو أمي عاش في صحراء قاحلة ولم يكن عنده خلفية عن كل هذه العلوم والحقائق العلمية، ولا يسع القاريء اللبيب المحايد إلا أن يعترف أن القرآن الكريم هو كلام علام الغيوب وكما قال تعالى: (قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا) (الفرقان: ٦).

^١ - راجع المزيد في المصدر السابق (١٨٢-١٨٠)

* مقارنة بما في الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى:

كما سبق يتضح أن القرآن لم يتعارض مع العلم اليقيني، بل سبق العلم الحديث بقرون كثيرة على عكس الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى، ففيه الكثير من المناقضات العلمية (انتكاسات علمية)، وإليك أمثلة منها:

(١) في (سفر التكوين الإصحاح الأول والثاني) قصة بداية الخلق وفيها مناقضات علمية كثيرة جداً ومنها:

* أنه ذكر النهار والليل وُجِدَا قبل أن يخلق الله الشمس والقمر.

وهذا باطل قطعاً فالنهار يدل على وجود الشمس اصلاً، وإن قالوا كان هناك نور وظلمة والنور هو النهار والظلمة هي الليل قلنا هذا باطل لأن السراج يوقد في الحجرة ليلاً فيوجد النور بلا نهار، فضوء النهار دليل على الشمس، أيضاً القمر يضيء وينشر ضوءاً بالليل، ومن ثم فإن الليل والنهار وُجِدَا بعد خلق الشمس والقمر.

* ومنها أن الله خلق آدم على صورة الله ذكراً وأنثى.

وهذا باطل عقلاً لأن الله تعالى ليس من جنسه الأنوثة ولا يوصف بذكورة ولا أنوثة من الأساس قال تعالى في القرآن:

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى: ١١) ^١

^١ - وأما حديث (إذا قاتل أحدكم فليجنب الوجه فإنما صورة الانسان على صورة وجه الرحمن (منكر) قاله الألباني في (السلسلة الضعيفة / ١١٧٥) ولا يوجد حديث صحيح ينص على أن الله خلق آدم على صورة الله تعالى والحديث الصحيح هو (خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً فلما خلقه) متفق عليه عن أبي هريرة والضمير في قوله (صورته) عائد إلى آدم والمعنى لم يجعله ينطور في الرحم ويدل عليه قوله (طوله ستون ذراعاً) وإلا فإن الله قال عن ذاته المقدسة (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) (البقرة: ٢٥٥) وقال: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الزمر: ٦٧)

- (٢) الأرض ثابتة على أعمدة كما في [صموئيل (١): ٢/٢]، [أيوب: ٦/٩]، وهذا باطل لأن الثابت علمياً أنها معلقة في الهواء، وتدور حول محورها وحول الشمس.
- (٣) الأرض مستطيلة ولها زوايا كما يشير إلى ذلك [سفر الجامعة: ٥/١]، [أيوب: ٤/٣٨]، والثابت علمياً أنها كروية بيضاوية.
- (٤) في [أيوب: ٩/١٠-١١] (ألم تصبني كاللبن وخثرتني كالجبين.....) يعني الجنين يُصَبُّ كاللبن ثم يتخثر كالجبين.
- والثابت علمياً أن الجنين له مراحل تطور فَصَّلَهَا القرآن كما ذكرناه سابقاً.
- (٥) في (اللاويين: ١٥/١-١٥) أن الرجل يحيض ويتنجس بهذا الحيض وَيُنَجِّسُ غيره وينجس كل ما يجلس عليه وينجس كل من يلمسه وغير ذلك من الأحكام المشددة وهذا لم يثبت علمياً بل مجرد خرافة ولا يعقله أحد .
- (٦) في (سفر التثنية: ٧/١٤)، (اللاويين: ٦/١١) أن الأرنب يجتر مثل الإبل لذلك فالأرنب يحرم أكله عندهم كالإبل فهي محرمة عندهم.
- والثابت علمياً أن الأرنب لا يجتر، وهذه مناقضة علمية ظاهرة.
- (٧) في [سفر اللاويين: ١١/٢٠-٢٢] هناك طائر بأربعة أرجل يدب وآخر بأربعة أرجل يمشي.
- وهذا لم يثبت علمياً لدى علماء الأحياء، بل هو أشبه بقصص الخيال.
- (٨) في [سفر ميخا: ١٧/٧] الحية تلحس التراب.
- والثابت علمياً أنها تأكل الزواحف والطيور والحيوانات الأخرى كالحمار ، ولا تلحس التراب.
- (٩) في [أشعيا: ٢٥/٦٥] أن الذئب والأسد يأكلان التبن

والثابت علمياً أنها من المفترسات ويأكلان اللحوم.

(١٠) في [سفر التكوين: ٢٧/٣٨-٣٠] أن امرأة حملت بتوأم من الزنا وعند الولادة أخرج أحد الجنين يده لكي يُعَلِّم الناس أنه البكر، فربطت القابلة يده بالقرمز، ثم أدخل يده فسبقه أخوه التوأم ونزل قبله.

فهل مثل هذه القصة من كلام الله تعالى؟

مع أن الثابت علمياً أن المولود ينزل برأسه.

(١١) في (التكوين: ١٦/١٣)، (تكوين: ٥/١٥) أن الرب وعد إبراهيم أن يُكثِّر نسله حتى يصبح كعدد ذرات تراب الأرض وكعدد نجوم السماء،

وهذا كله لم يتحقق بل إن عدد العالم كله لا يوازي عدد ذرات متر مربع من التراب ولا يساوي أبداً عدد النجوم في بلد واحد فهذا منقوض بالعلم القطعي اليوم،

وإذا قالوا المراد أن نسله لا يمكن أن يُخصِّيه أحدٌ قلنا العالم كله يُعَدُّ ويُحصَى!!!

(١٢) في (التكوين: ٣٧/٣٠-٤٣) أن غنم يعقوب توهمت عند رؤية عصي مقشرة فانتجت نسلًا مغايرًا للون الآباء

وهذا يخالف علم الجينات الوراثية وإلا لكان نتاج الربيع أخضر من باب أولى!!!

(١٣) في (إنجيل متى: ١/١٠-٢٣) أن المسيح أرسل الرسل الإثني عشر ليكونوا مبشرين في مدن إسرائيل وأخبرهم أن نهاية العالم ستأتي قبل أن ينتهوا هم من عملهم وأكد ذلك فقال: (إن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله الحق أقول لكم إن من القيام هاهنا قوم لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا في ملكوته) (متى ١٦: ٢٧-٢٨) واتفق معه أنجيل لوقا ومرقس، انظر (مرقس ١٣: ٢٤-٣٠) (لوقا ٢١: ٢٥-٣٢).

وهذا لم يتحقق لذلك قال جون فنتون في (تفسير إنجيل متى: ص ٢١):

" إن شيئاً من هذا لم يحدث كما توقعه متى "

فهل هذه الأناجيل كتبت بإلهام كما يزعمون أم هي من تأليف واضعيها؟

فقد مات الرسل الإثني عشر ومرّ علي موتهم قرون كثيرة ولم تأتي نهاية العالم حتى الآن.

(١٤) في (متى: ١٠/٢-٥) (واما اسماء الاثني عشر رسولا فهي هذه الاول سمعان الذي يقال له بطرس ... ويهوذا الاسخريوطي الذي أسلمه الاثنا عشر ارسلهم يسوع و اوصاهم...)

يعنى يهوذا الخائن كان ضمن رسل المسيح ومع ذلك بشرهم المسيح فقال في (متى: ١٩/ ٢٨): (فقال له يسوع الحق اقول لكم انكم انتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلس ابن الانسان على كرسي مجده تجلسون انتم ايضا على اثني عشر كرسيًا تدينون اسباط اسرائيل الاثني عشر) يعني في نهاية العالم سيكون لهم المجد مع المسيح؛ سيجلسون على اثني عشر كرسيًا بعدد الرسل الاثني عشر، ويهوذا أصبح خائناً وأطلقوا عليه (ابن الهالك) فكيف يكون له مجد؟ فاستحالت هذه النبوءة؛

مع ملاحظة أن النبوءة كانت من خيال الكتبة أصلاً لأن المسيح أخبرهم أن نهاية العالم ستحدث قبل موتهم وعندها سينزل المسيح في ملكوته؛ وماتوا منذ قرون ولم يحدث هذا كما ذكرناه في البند السابق.

(١٥) في (مرقس: ١٦/١٧-١٨) أن المسيح قال عن كل من يؤمن به: (وهذه الايات

تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمي و يتكلمون بالسنة جديدة يحملون حيات وان شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم ويضعون ايديهم على المرضى فيبراون) وهذا كذب الواقع فإن أكابر الرهبان أصيبوا بأمراض خبيثة ولم يستطيعوا معالجة أنفسهم، فقد كان بابا الفاتيكان مريض بمرض خبيث وهذا لا يجله أحد ولم يستطع معالجة نفسه، كذلك الراهب شنودة أكبر القساوسة في مصر كان مريضاً بعدة أمراض مزمنة وخبيثة وكان دائماً يسافر إلى أمريكا للعلاج ولم ينجح معه العلاج ومات بالمرض الخبيث ولم يستطع معالجة نفسه.

* تحدي ظاهر: وفي إحدى مناظرات الشيخ ديدات قام شاب مسلم للراهب وتحداه أن يشرب السم فإن النص في الإنجيل يقول أنهم إن شربوا شيئاً مميتاً لا

يضرهم فطلب منه أن يشرب السم أمام الناس لينظروا هل سيضره أم لا؟ فرفض الراهب وغضب غضباً شديداً، ثم قام ديدات وتحدى الرهبان بأن يطبقوا النص ويشفوا المرضى من أي مرض، وأن يشربوا السم، وأن يتكلموا بلغات جديدة كما ذكر نص الإنجيل أو على الأقل بكل اللغات الموجودة^١.

ولاحظ أن النص يقصد جميع المؤمنين بما جاء به عيسى فهل يستطيع كل نصراني أن يحمل الحيات ويشفي المرضى ويخرج الشياطين؟ وإن قالوا نعم قلنا فلماذا تذهبون إلى الأطباء ليعالجوكم؟

جدير بالذكر: أنصح كل مسلم يريد أن يتعلم طرق العلاج بالقرآن أن يطالع كتاب (الصارم البتار في التصدي للسحرة والأشرار) للشيخ وحيد عبد السلام بالي حفظه الله ورعاه.

* **وبعد:** فإن النواقض في الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى كثيرة جداً يجعلنا نزداد يقيناً بقوله تعالى: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) [النساء: ٨٢] ٢.

^١ - انظر الفيديو على الإنترنت https://www.youtube.com/watch?v=_eHZ_r-LMIM

(^٢) راجع المزيد في (مناظرة بين الإسلامية والنصرانية) (هل العهد الجديد كلمة الله) (هل العهد القديم كلمة الله) (لندع الإنجيل يتحدث).

شهادات واعترافات:

لقد شهد علماء الغرب بإعجاز القرآن العلمي ومنهم:

عبد السلام (١) د. موريس بوكاي أكبر جراح فرنسي، والذي أسلم بسبب الإعجاز العلمي في القرآن قال:

(إن أول ما يثير الدهشة في روح مَنْ يواجه نصوص القرآن لأول مرة هو ثراء الموضوعات المعالجة على حين نجد في التوراة أخطاء علمية ضخمة لا نكتشف في القرآن أي أخطاء... لقد قمت بدراسة القرآن الكريم دون أي فكر مسبق، وبموضوعية تامة باحثاً عن درجة اتفاق نصوص القرآن ومعطيات العلم الحديث، فأدركت أنه لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد منه وجهة نظر العلم الحديث) ١.

(٢) البروفيسور جاري ميلر عالم الرياضيات الكندي والقس المبشر النصراني السابق والذي أسلم عام ١٩٧٨ بسبب الإعجاز العلمي في القرآن، قال:

(إن فهم القرآن الكريم بطريقة علمية حقيقية ممكن للغاية؛ وذلك لأن القرآن يقدم شيئاً لا تقدمه الكتب السماوية الأخرى إن في القرآن ما يطلبه العلماء... إن القرآن دقيق بخصوص كل الأمور، وإن هذه الدقة من خصائص الوحي الإلهي) ٢.

(٣) القس السابق إبراهيم خليل أستاذ اللاهوت المصري الذي أسلم سنة ١٩٥٩ قال:

(القرآن الكريم معجزة الرسول الباقية ما بقي الزمان يسبق العلم الحديث في كل مناحيه من طب وفلك وجغرافيا وجيولوجيا وقانون واجتماع وتاريخ) ٣.

(١) (رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا ترجمة: ٢٧)، عبد الرحمن محمود

(٢) المصدر السابق (ترجمة: ٨).

(٣) (قالوا عن القرآن: ٢)، د. عماد الدين خليل

الوجه الرابع من أوجه إعجاز القرآن: الإعجاز الحفظي

فالقرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي تعهد الله بحفظه من الضياع أو التحريف كما قال في كتابه العزيز: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر: ٩]، فحفظه الله في صدور علماء الإسلام، فلم يتغير منه حرف واحد على مدى العصور والقرون، وسيظل كذلك إلى يوم الدين.

* وهناك أدلة كثيرة على حفظ القرآن الكريم نذكر ثلاثة منها:

أولاً: وصوله إلينا متواتراً بالسند المتصل الصحيح:

فالقرآن الكريم له سند متصل صحيح ومتداول بين علماء الأمة وطلاب العلم من المسلمين. فالطالب إذا حفظ القرآن وأتقنه بأحكامه على يد شيخ يعطيه الشيخ الإجازة مشفوعة بالسند المتصل من أول شيخه الذي حفظ على يده، وشيخ شيخه إلى أحد الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن رب العزة سبحانه وتعالى.

وحفظ القرآن لا يعتمد على الطباعات بل العكس، فلا يتم طبع المصحف إلا تحت إشراف لجنة من كبار القراء تسمى (لجنة تصحيح المصاحف) فيراجعون النسخة ويصححونها من حفظهم قبل طباعتها، قال تعالى: (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يُجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ) [العنكبوت: ٤٩]

* حتى أقوال الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) لها سند وعندنا علماء مختصون في دراسة السند ومعرفة أحوال الرواة لتمييز الحديث الصحيح من السقيم وهم علماء الحديث؛ فالقاعدة عندنا تقول: لولا السند لقال من شاء ما شاء.

مقارنة: أما الكتاب المقدس فلا سند له، فلا تجد سنداً متصلاً للتوراة أو الإنجيل أو الزبور أو المصحف يعني الكتاب المقدس كله ليس له سند متصل.

ولقد ناظر العلامة رحمة الله الهندي أكابر القساوسة وطلب منهم السند المتصل للإنجيل، فقالوا: فقدناه بسبب وقوع المصائب والفتن على المسيحيين لمدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة^(١).

قلت: والمسلمون كذلك وقعوا في محن وفتن كثيرة بعد مقتل سيدنا عثمان بن عفان، وسقط عشرات الآلاف من الضحايا، ومع ذلك حفظوا السند المتصل الصحيح للقرآن لاعتمادهم الأول على الذاكرة وليس على الكتابة، حيث أن أغلب العرب كانوا أميين فكانوا يعتمدون على قوة ذاكرتهم في الحفظ.

ثانياً: القرآن الكريم نزل من عند الله وكتب في عصر واحد

فقد كان محفوظاً في الصدور على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك كان مكتوباً في عهده في صحف متفرقة، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم أمياً، فكلما نزل عليه شيء من القرآن استدعى الكتبة، ومنهم زيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان يكتبون ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فور نزوله، فكان القرآن محفوظاً في الصدور ومكتوباً في الصحف.

ولما تُوفي الرسول صلى الله عليه وسلم قام الخليفة الأول وهو أبو بكر الصديق بجمع صحف القرآن في مصحف واحد بإشارة من الفاروق عمر؛ لأنه لا وحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالقرآن اكتمل، وتم جمعه في مصحف واحد، وفي عهد عثمان الخليفة الثالث وصاحب النبي صلى الله عليه وسلم وصهره تم توحيد الرسم القرآني، لأنه لما كثرت الفتوحات الإسلامية اتخذ كل واحد مصحفاً لنفسه وبلهجته الخاصة، فلما علم عثمان قام بنسخ المصحف الإمام الذي جمعه الصديق إلى عدة نسخ، وحرق كل المصاحف المخالفة لمصحف الإمام، ولا تزال هذه المصاحف المنسوخة من

(١) راجع كتاب إظهار الحق، ج ١، ص ٣٦٢.

مصحف الإمام موجودة حتى اليوم، ولذلك لا تجد مُصَحِّفِينَ مختلفين أبداً على وجه الأرض، فرضي الله عن الصحابة جميعاً.

* مقارنة:

أما كتاب اليهود وهو العهد القديم فقد كتبه أكثر من أربعين مؤلفاً على فترات متباعدة جداً، لذلك وقع النقص بين أسفاره كما بيناه سابقاً وسترى المزيد بعد قليل، وقد ضاع عدة مرات وفي كل مرة يتم فيها تجديده تحدث مناقضات لأنه غير محفوظ ولا سند له، فأول ما كتب منه كان قبل ظهور المسيح بأكثر من ألف وخمسمائة سنة وتم الإنتهاء منه قبيل ظهور المسيح بعدة سنوات.

لذلك قال الدكتور سكندر كيدس الذي هو من الفضلاء المسيحية المعتمدين في دياجنة (البيبل) الجديد: (ثبت لي بظهور الأدلة الخفية ثلاثة أمور جزمًا: الأول أن التوراة الموجودة ليست من تصنيف موسى، والثاني أنها كتبت في كنعان أو أورشليم، يعني ما كتب في عهد موسى، الذي كان بنو إسرائيل في هذا العهد في الصحارى، والثالث لا يثبت تأليفها قبل سلطنة داود ولا بعد زمان حزقيال، بل أنسب تأليفها إلى زمان سليمان عليه السلام، يعني قبل ألف سنة من ميلاد المسيح أو إلى زمان قريب منه، في الزمان الذي كان فيه هومر الشاعر، فالحاصل أن تأليفه بعد خمسمائة سنة من وفاة موسى)^١

وأما كتاب النصارى وهو العهد الجديد فكتبه أكثر من اثنى عشر مؤلفاً وعلى فترات متباعدة جداً، فكل الأناجيل كتبت بعد رفع المسيح بعدة سنوات، بل هناك اختلافات كثيرة حول تواريخ كتابة هذه الأناجيل^٢

وفي بعض الأقوال أن أول إنجيل كُتب هو إنجيل مرقس، وكُتب بعد رفع المسيح بحوالي خمس وستين سنة وبدون سند، ثم كُتب إنجيل متى، ثم إنجيل لوقا بعد مئتي بعشرين سنة، وتم الإنتهاء من كتابة آخر إنجيل معترفون به عندهم بعد رفع المسيح بعشرات

^١ - (إظهار الحق: ١١٦/١-١١٧) لرحمت الله الهندي

^٢ - راجع (مختصر كتاب إظهار الحق: ٣٠)

الأعوام، ولا تجد إنجيلاً واحداً بسند متصل، لذلك وقع النقض بين الأناجيل كما بيناه سابقاً وبعد قليل سترى المزيد قليل.

* لذلك شكك الكثير من علماء النصارى ومعهم محققون آخرون في تلك الأناجيل منهم آرينيوس الذي عاش في القرن الميلادي الثاني، وكذلك العالم فاستس رئيس فرقة ماني كيز، وكذلك المحقق برطشنيدر، واستادلين وكروتييس، وفرقة ألوجين.....^١

وهذا يعني أن كتاب اليهود والنصارى المسمى عندهم بالكتاب المقدس تم البدء في كتابته من سنة الف وخمسة مائة قبل الميلاد وتم الإنتهاء منه بعد رفع المسيح بمائة سنة يعني استغرق تأليفه أكثر من ألف وستائة سنة فهل هذا مثل هذا يقال أنه من عند الله؟

ثالثاً: القرآن ليس فيه تناقضات:

قال تعالى: (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) [فصلت: ٤٢] وهذا دليل كبير على عدم تحريف القرآن؛ لأنه لا يتعارض مع بعضه ولا يتعارض مع العلم اليقيني، بل سبق العلم الحديث بقرون عديدة. وفي كل فروع العلم كما بيناه في (الإعجاز العلمي في القرآن)، ولذلك فإن القرآن أعلن التحدي وقال: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) [النساء: ٨٢]، فلو وجدنا فيه مناقضات حقيقية بين آياته أو مع العلم اليقيني لكان محرفاً، ولكن هذا لم يحدث ولن يحدث أبداً مما يدل أنه من عند الله تعالى وأنه محفوظٌ ،

ولقد اندهش البروفيسور (جاري ميلر) من هذه الآية وقال: (لا يوجد مؤلف في العالم يمتلك الجرأة ويؤلف كتاباً ثم يقول هذا الكتاب خالي من الأخطاء ولكن القرآن على العكس تماماً يقول لك لا يوجد أخطاء بل ويعرض عليك أن تجد فيه أخطاء ولن تجد)^٢.

ملحوظة:

^١ - راجع كتاب (إظهار الحق: ١٥٥-١٥٧)

^٢ - (رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا ترجمة: ٨)

قد يتوهم القارئ وجود تعارض ظاهري بين بعض الآيات بسبب جهله بعلم اللغة أو بسبب عدم حفظه للقرآن كله، وإليك أمثلة:

١- قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) [الأنبياء: ٣٠]، قد يتوهم القارئ أنه يتعارض مع قوله تعالى: (وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ) [الحجر: ٢٧]، ولكن إذا قرأ قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) [هود: ٧] زال الوهم؛ لأن الماء سابق في الوجود على السماوات والأرض يعني ما أتى بعد ذلك خلق من الماء، ولا ننسى أن الخطاب للإنس وهم لا يرون الجن والملائكة فالتقدير وجعلنا من الماء كل شيء أنتم ترونه حي.

٢- كذلك قوله تعالى: (وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَكَانَ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الشُّدُسُ ...) [النساء: ١٢]، قد يتوهم القارئ أنه يتعارض مع قوله تعالى: (إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَكَانَ لَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ...) [النساء: ١٧٦]، ولكن عند التأمل يزول الوهم، فالآية الأولى يقصد بها الأخوة لأم كما في قراءة ابن مسعود (وله أخ أو أخت من أم)، والآية الثانية يراد بها الأشقاء أو لأب.

٣- قوله تعالى: (قُلْ أَنْتُمْ لَكُمْ تُوفِّرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِي مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرًا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) (فصلت: ٩-١٢)

قد يتوهم القارئ أن هذا يتعارض ظاهريًا مع قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ) (ق: ٣٨)

فيقوم بحساب الأيام المذكورة في سورة فصلت ويقول:

يومين + أربعة أيام + يومين = ثمانية أيام

ثم يقول كيف يكون ذلك وقد أكد القرآن في أكثر من آية على أن الله تعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام فقط كما في (الأعراف: ٥٤) (يونس: ٣) (هود: ٧) (الفرقان: ٥٩) (السجدة: ٤) (ق: ٣٨) (الحديد: ٤)

والجواب: أنه قام بالحساب بطريقة خاطئة والصحيح الآتي:

إن السماوات والأرض كانتا قطعة واحدة ثم حدث الانفصال وهو ما يُسمى في العلم الحديث بنظرية الانفجار والقرآن الكريم سبقهم إلى هذه المعلومة بحوالي أربعة عشر قرناً فقال: (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِنَّ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْعًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ) (الأنبياء: ٣٠-٣٢)

وبالتالي فإن الله تعالى خلق السماوات والأرض معاً في يومين،

وهذا يعني أن اليومين اللذين خلق الله فيهما الأرض هما ذات اليومين اللذين خلق الله فيهما السماوات، لأنها كانتا معاً قطعة واحدة،

ثم وضع الله ما بينها من مجرات ونجوم وكواكب وما تحتاجه الأرض من جبال ورواسي ونبات في يومين،

ثم وضع ما تحتاجه السماوات في يومين،

بمعنى أن الأربعة أيام المذكورة في سورة فصلت تشمل اليومين اللذين خلق الله فيهما الأرض والسماوات لأنها كانتا مخلقتا معاً.

فسورة فصلت جاءت بتفصيل لمجمل الستة أيام.

٤- قوله تعالى: (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ بَعِيرٍ عَلِيمٍ آلا سَاءَ مَا يَزُرُونَ) (النحل: ٢٥) وقوله تعالى: (وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلِيَسْأَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (العنكبوت: ١٣)

فقد يتوهم القاريء أن هذا يتعارض مع قوله تعالى: (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِهَيْهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) (فاطر: ١٨)

والجواب واضح وهو أن المضل إذا لم يدعو إلى ضلاله وظل مرتكبًا هو للضلال دون الدعوى إليه فهو مرتكب وزر الضلال فقط، أما لو دعا ضلاله فقد ارتكب وزر الضلال ووزر الإضلال فليتحمل تبعات وزره، وكما في (صحيح مسلم: ٢٦٧٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا».

٥- قوله تعالى في حق المشركين: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ) (الأنبياء: ٩٨-٩٩)

فيقول القاريء العامي كيف وقد عبّد اليهود عزيز وقالوا عنه ابن الله وعبد النصارى عيسى عليه الصلاة والسلام وقالوا عنه ابن الله فهل هو في النار؟

وهذا السؤال قاله أحد المشركين للنبي محمد صلى الله عليه وسلم

والجواب أن (ما) في الآية لغير العاقل، فلا تشمل العقلاء كعيسى والملائكة... لأنه لم يقل إنكم ومنّ تعبدون في جهنم، وكلما سأل المشركون هذا السؤال للنبي صلى الله عليه وسلم سأله جدالاً وليس نقاشاً للتعلم لأنهم يعلمون أن (ما) لغير العاقل لذلك قال تعالى: (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) (الزخرف: ٥٧-٥٨)

ومعنى (يصدون): بكسر الصاد هو الضج بالضحك يعني كانوا يضحكون بصوت عال، أما بضم الصاد بمعنى الإعراض.

وبسبب هذا الجدل أنزل الله تعالى تكلمة في سورة الأنبياء زيادة في التوضيح فقال: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ لَهُمْ فِيهَا زفيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ لَا يَخْرُجُ لَهُمُ الْفَرَغُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَفَأَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) (الأنبياء: ٩٨-١٠٣)

* ملحوظة:

قد يتوهم القاريء أن الآيات السابقة تتعارض ظاهرياً مع قوله تعالى: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَدَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) (مريم: ٧١-٧٢)

والجواب: أن الورود هو الدخول لكن قد يكون قد يدخل الشخص النار ولا يحترق لأن الله تعالى ل يريد له أن يحترق أو يتعذب كما حدث مع سيدنا إبراهيم الخليل فقد ألقاه قومه في النار ولكن الله تعالى جعلها عليه بردًا وسلامًا كما قال تعالى: (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) (الأنبياء: ٦٨-٦٩)

ولذلك أعقب الله بقوله: (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا) (مریم: ٧١-٧٢)

وفي (صحيح مسلم: ٢٤٩٦) عن جابر بن عبد الله، قال: أَحْبَبْتَنِي أُمُّ مُبَشَّرٍ، أَمَّا سَمِعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا» قَالَتْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ فَاثْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: {وَأِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} [مریم: ٧١] فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا} [مریم: ٧٢]

ومن ثم تعلم أن ورود المتقين للنار مجرد ورود لتحلة القسم فقط

وفي (صحيح البخاري: ١٢٥١)، (صحيح مسلم: ٢٦٣٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَالِدِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ، إِلَّا تَحَلَّةَ الْقَسَمِ» وعن عبد الله بن مسعود: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ ثُمَّ يَصْدُرُونَ مِنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ، فَأَوْلُهُمْ كَلِمَةُ الْبَرِّقِ، ثُمَّ كَالرَّيْحِ، ثُمَّ كَالْحُضْرِ الْفَرَسِ، ثُمَّ كَالرَّكِبِ فِي رَحْلِهِ، ثُمَّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، ثُمَّ كَمَشِيهِ) أخرجه الترمذي في (سننه: ٣٤٢٢) وصححه الألباني في (صحيح الترمذي: ٢٥٢٦).

* وأكتفي بالأمثلة السابقة ومن اراد المزيد من الأمثلة فليطالع كتاب (دفع إيهاام الاضطراب عن

آيات الكتاب) للعلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي.

مقارنة:

أما الكتاب المقدس ففيه مناقضات لا يمكن الجمع بينها، ومن ذلك:

- (١) في [سفر طوبيا: ٤/١٣] ذكر أن الرب قادر على كل شيء، ولكن في [التكوين: ٣٢/٢٤-٣٢] ذكر أن يعقوب صارع الرب وغلبه.
- (٢) في [الخروج: ٣٢/٩-١٤] ذكر أن الرب لا يندم، ولكن في [صموئيل (١): ٣٥/١٥] ذكر أن الرب ندم لأنه ملَّك شاول على بني إسرائيل.
- (٣) في (إشعيا: ٤٠/٢٨) ذكر أن الرب لا يكل ولا يعيا، لكن في (الخروج: ١٧/٣١) ذكر أن الرب صنع السماوات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع وتنفس، ولذلك كذبهم القرآن فقال: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ) (ق: ٣٨)
- (٤) في (الأمثال: ٣/١٥) أن عينا الرب مراقبتين للطائعين والعصاة، وفي (صموئيل (١): ٣/٢) أن الرب عليم، ومع ذلك في (التكوين: ٣/٨-١١) أن آدم وحواء اختبأ في الجنة من الرب بعدما أكلتا من الشجرة ولم يرهما الرب فنادى على آدم وقال: أين أنت يا آدم فقال له إني عريان لذلك اختبأت منك، فقال له الرب من الذي أعلمك أنك عريان هل أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها؟ يعني الرب لم ير آدم وحواء ولم يعلم بمكانهما ولم يعلم أنها أكلتا من الشجرة ولم يعلم أنها أصبحتا عراة، كيف وهو العليم بكل شيء والبصير بكل شيء؟
- (٥) في (الخروج: ٣٣/٢٠) أن الرب قال لموسى لا تقدر أن تراني لأن من يراني يموت، وفي (إشعيا: ٤٥/١٥) أن الرب محتجب يعني لا يراه أحد، ومع ذلك رآه يعقوب وصارعه وغلبه كما في [التكوين: ٣٢/٢٤-٣٢]، ورآه موسى وهارون وشيوخ بني إسرائيل كما في (الخروج: ٢٤/٩-١٠)

وإذا قالوا إنهم رأوه متجسد في صورة إنسان وليس في مجده وعظمته قلنا في (التثنية: ٥/٢٤) التصريح بأن موسى وهارون وشيوخ بني إسرائيل رأى الرب في مجده وعظمته، وفي (اشعيا: ٦/١-٨) أن اشعيا رآه في مجده وعظمته على الكرسي ووصفه قائلاً (جالسا على كرسي عال و مرتفع و اذباله تما لا الهكل...)

(٦) في [التثنية: ٧/٣٤] ذكر أن الذنب يرثه الأبناء إلى الجيل الرابع، ولكن في [حزقيال: ١٨/٢٠] أنكر ذلك وكذبه ونفاه.

(٧) التناقض في ضبط الأعداد ومن ذلك:

* في [تكوين: ٦/٢٠] ذكر أن عدد البهائم التي نجت مع نوح اثنين من كل نوع، ولكن في [تكوين: ٧/٢] ذكر أن عددها سبعة من كل نوع،

* في (صموئيل الثاني: ١٠ / ١٨) أن داود أهلك من الآراميين سبعمائة مركبة،

لكن في (أخبار الأول: ١٩ / ١٨) أن داود أهلك من الآراميين سبعة آلاف مركبة.

* في (عزرا: ٢ / ١٢) (بنو عزجد الف و متتان و اثنان و عشرون)، لكن في (تحميا: ٧ / ١٧) (بنو عزجد الفان و ثلاث مئة و اثنان و عشرون)

(٨) في [صموئيل الثاني ٦ عدد ٢٣] أن ميغال بنت شاول لم تنجب أبداً، لكن في [صموئيل الثاني ٢١ عدد ٨] أن ميغال بنت شاول أنجبت خمسة أبناء.

(٩) في (التثنية: ٢/٢٣) (لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر) لكن في (هوشع: ٢/١) أن الرب قال لهوشع (خذ لنفسك امرأة زانا وأولاد زنا) وفي (متى: ٣١/٢١) (الزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله) وهل يعقل أن الزاني أقرب إلى ملكوت الله من غيره؟ أليس هذا تحريضا على الزنا؟

(١٠) في (سفر الملوك الثاني: ٨/٢٦) (كان اخزيا ابن اثنتين وعشرين سنة حين ملك و ملك سنة واحدة في اورشليم) لكن في (أخبار الأيام الثاني: ٢٢/٢) (كان اخزيا ابن اثنتين و اربعين سنة حين ملك و ملك سنة واحدة في اورشليم)

(١١) في [إنجيل متى: ١/١-١٧]، [إنجيل لوقا: ٣/٢٣-٣٨] ذكر كل منهما

نسب المسيح واختلفا فيه كثيراً، وهذا تناقض ظاهر في أهم شيء.

إلتفات: كيف جعلوا في نسب المسيح أكثر من أربعين جداً والمسيح بلا أب؟

(١٢) في [انجيل مرقس: ١٧/١] ذكر أن التلاميذ سمعوا صوت الرب، ولكن في [يوحنا: ٣٧/٥] ذكر أنهم لم يسمعوا صوت الرب.

(١٣) في [انجيل متى: ٨-٥/٤] ذكر أن إبليس جرب المسيح في الهيكل أولاً، ثم على الجبل، ولكن في [انجيل لوقا: ٩-٥/٤] ذكر الجبل أولاً، ثم الهيكل.

(١٤) في (يوحنا: ٣١/٥) قال المسيح عن نفسه: (إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً) وفي إصحاح آخر في نفس الإنجيل قال: (وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق) أنظر (يوحنا: ١٤/٨).

(١٥) في [انجيل متى: ١٣/١١] ذكر أن المسيح قال عن يوحنا المعمدان أنه هو إيلياء، ولكن في [انجيل يوحنا: ١-٢٠/٢٢] ذكر أنهم سألوا يوحنا المعمدان هل أنت إيلياء؟ فقال: لست أنا.

(١٦) تناقض أقوال المسيح في بطرس ففي (انجيل متى: ١٦/١٧-٢٣) قال عنه أنه رسول المسيح وأن الرب سيعطيه مفاتيح ملكوت السموات؛ ثم قال له في وقت آخر إذهب عنى يا شيطان فكيف يعطي الرب مفاتيح الملكوت لشيطان؟

(١٧) في (مرقس: ١٦/١٩): (ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء و جلس عن يمين الله) فهل الرب يجلس على يمين نفسه.

(١٨) في (متى: ٢١/١٩) أن المسيح لعن شجرة التين بعدما قام بتطير الهيكل من الذين يبيعون ويشتررون وأن التلاميذ رأوها يبست في الحال، أما في (مرقس: ١١/١٣-٢٠) أنه لعنها قبل أن يقوم بتطير الهيكل وأن التلاميذ رأوها يبست من الغد، فهذه منقوضتان في أن واحد.

(19) في (متى: ٥/٣٩-٤٤) قال المسيح: (لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً و من اراد ان يخاصمك و ياخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاًسمعتم انه قيل تحب قريبك و تبغض عدوك واما انا فاقول لكم احبوا اعداءكم باركوا لاعنيكم احسنوا الى مبغضيكم و صلوا لاجل الذين يسيئون اليكم و يطردونكم) أيضاً في (متى: ٥/٩) قال المسيح: (طوبى لصانعي السلام لانهم ابناؤ الله يدعون) أيضاً في (رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونتكى: ٣/١٦) (رب السلام نفسه يعطيكم السلام دائماً) أيضاً في (رسالة

بولس إلى العبرانيين: ١٤/١٢) (اتبعوا السلام مع الجميع) وغيرها من النصوص التي يتشدد بها النصارى ليستدلوا بها على أن دينهم السلام وليس العنف، لكن يعارضه نصوص أخرى منها قول المسيح في (متى: ٣٤/١٠-٣٥): (لا تظنوا اني جئت لالقي سلاما على الارض ما جئت لالقي سلاما بل سيفا فاني جئت لافرق الانسان ضد ابيه والابنة ضد امها والكنة ضد حماتها) ومنها قوله في (لوقا: ٤٩/١٢) (جئت لالقي نارا على الارض) بل حث على شراء السيف مهما كلفهم الأمر فقال في (لوقا: ٣٦/٢٢) (فقال لهم لكن الان من له كيس فليأخذه ومزود كذلك ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتري سيفاً) وغيرها من النصوص التي تُحَرِّض على العنف ومنها ما في (لوقا: ٢٧/١٩) (اما اعدائي اولئك الذين لم يريدوا ان املك عليهم فاتوا بهم الى هنا واذبحوهم قدامي)

* ثم إننا نقول لهم كيف يعقل أن نترك المعتدي الظالم يفعل كيف يشاء؟ فإذا ضرب أحدًا على خده الأيمن أعطاه الأيسر ليضربه عليه فهل هذا يعقل؟ وكيف نعطي المغتصب ما يريده ونعطيه زيادة فإذا أراد الثوب نتركه له ونعطيه الرداء أيضًا؟ يعني يمشي المظلوم عُريًا من أجل إسعاد الظالم المعتدي،

* أيضًا هم لم يُحققوا السلام مع أعدائهم بل قاموا بأبشع المجازر ضد المسلمين في محاكم التفتيش وفلسطين والعراق وأفغانستان.... بل إنهم لم يُحققوا السلام فيما بينهم فقد قامت الحروب بين النصارى كالحرب العالمية الأولى والثانية والتي أوقعت الملايين من القتلى فهل حققوا السلام فيما بينهم حتى يحققوه مع أعدائهم؟

(٢٠) الإختلاف حول أسماء رسل المسيح الإثني عشر فقد اختلفت الأناجيل الثلاثة متى ولوقا ويوحنا في أسماء رسل المسيح الإثني عشر أنظر (انجيل متى: ١٠/٢-٤) (انجيل لوقا: ١٣/٦-١٤) (انجيل يوحنا: ١٤/٢٢).

* وهنا إلتفات مهم:

قال العالم اللاهوتي جورج كيرد: (وهنا لا بد أن نلفت النظر إلى أن محمدا ظهر تحت شمس التاريخ وقد بلغ صحابته مائة ألف أو يزيدون ، وقد عُرفت أسماؤهم وأخبارهم . فكيف بكتابة الأناجيل يعجزون عن التحقق من الاثني عشر تلميذا ؟)

١ - راجع كتاب (مناظرة بين الإسلام والنصرانية: ٦٧) مناظرة عقدت سنة ١٩٨٠.

وصدق فإن عندنا كتب توضح أسماء الصحابة وأخبارهم مع أن فيها أسماء متشابهة ومنها كتاب (الإصابة في تمييز الصحابة) لابن حجر العسقلاني وكتاب (أسد الغابة) لابن الأثير وكتاب (الاستيعاب) لابن عبد البر..... والحمد لله تعالى.

* وبعد فما ذكرته مجرد أمثلة وإلا فالنواقص بين أسفار الكتاب المقدس كالبحر الذي لا ساحل له، وقد اعترف علماء الكتاب المقدس أن فيه خمسين ألف مناقضة، فهل مثل هذا يطلق عليه كتاب الله؟ وبهذا نزداد يقيناً بقوله تعالى: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) [النساء: ٨٢]^(١).

(١) ومن أراد المزيد من مناقضات وتحريفات الكتاب المقدس فليطالع:
 (هل العهد القديم كلمة الله)، (هل العهد الجديد كلمة الله)، كلاهما للدكتور منقذ السقار
 (لندع الإنجيل يتحدث) للشيخ عبد الرحمن دمشقية،
 (إظهار الحق) رحمت الله الهندي.

أدلة من الكتاب المقدس على أنه محرف

ففي (سفر ارميا: ٦ / ١٠-١٣) يخاطب بني إسرائيل ويقول: (ها إن كلمة الرب صارت لهم عاراً لا يسرون بها... لأنهم من صغيرهم الى كبيرهم: كل واحد مولع بالربح: من النبي الى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب). وفي (ارميا: ٨ / ٨) (كيف تقولون إننا حكماء وكلمة الرب معنا؟ حقاً إنه الى الكذب حوّلها قلم الكتبة الكاذب).

(ارميا: ٢٣ / ٣٦) (اما وحي الرب فلا تذكره بعد... اذ قد حرّفتم كلام الاله الحي) (ارميا: ٩ / ٢-٣) (فأتركُ شعبي وأنطلق من عندهم لأنهم جميعاً زناة جماعة خائنين يمدون ألسنتهم كفسيمهم للكذب لا للحق).

وفي (لوقا: ١ / ٤-١) يقول لوقا: (اذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا... رأيت أنا أيضاً إذ تتبعْتُ كل شيء أن اكتب اليك على التوالي أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به) يعني كلامه ليس بوحى وإلا فلماذا يسأل غيره عن مدى صحته؟.

(رسالة بولس إلى غلاطية: ٥ / ٢) (ها أنا بولس أقول لكم: أنه إن اختنتم لا ينفعم المسيح شيئاً لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الايمان) فهل كلام بولس بوحى أم من عنده؟

وفي (١ كورنث: ٧ / ٢٥) (واما العذارى فليس عندي امر من الرب فيهنّ ولكنني اعطيت رأياً كمن رحمه الرب ان يكون اميناً) فهل بولس يُشترع ثم تقولون إنه وحي من الله!!!

والنصوص كثيرة وفيما ذكرته عبرة لمن يعتبر.

اعتراف: وقد اعترف الكثير من القساوسة الذين أسلموا أن الكتاب المقدس فيه تحريفات كثيرة ومتعمدة من الذين كتبوه، ومن اعترف بذلك القس السابق عبد الأحد داود والقس السابق إسحق هلال مسيحة والقس السابق إبراهيم خليل والقس الأمريكي السابق كينيث جينكينز..... وغيرهم كثير^(١).

رابعاً: القرآن وصل إلينا تواتراً من غير نقص ولا زيادة ولا تبديل:

(١) راجع كلامهم وقصص إسلامهم في كتاب (رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا).

فالقُرآن تلقاه علماء المسلمين تواتراً في كل العصور من غير نقص ولا زيادة ولا تبديل في حرف واحد ويدل عليه الآتي.

(١) أن الآيات التي فيها عتاب شديد من الله تعالى للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وصلت كلها مثل مطلع سورة الأحزاب، ومطلع سورة عبس، وآيات العتاب التي في سورة الأنعام والأنفال والتوبة والكهف وغيرها كلها وصلت، ولو كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم غير أمين لكتّم هذه الآيات التي فيها العتاب الشديد له أو لمحاهها، ولو كان أصحابه عندهم غلو في نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم لمحوا هذه الآيات، وهذه دلالة قوية على وصول القرآن إلينا من غير نقص.

(٢) كذلك الأحرف المتقطعة في فواتح السور مثل: (الم)، (المص)، (المر) ... وغيرها كلها وصلت ولم ينقص منها حرف واحد مع أن معناها خفي.

(٣) وتأمل أيها القارئ فإن القرآن فيه سورة باسم (مريم)، وليس فيه سورة باسم (خديجة) أو (فاطمة) أو (عائشة) وهن أحبُّ النساء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ولهن أحداث تاريخية مهمة في الإسلام، ومع ذلك لا تجد سورة واحدة باسم واحدة منهن، بل لم يذكر القرآن أسماءهن أصلاً مع أن عائشة وحفصة وغيرهما من الصحابيات نزل فيهن قرآن ولم يذكر أسماءهن، فلو كان يمكن الزيادة في القرآن ل زاد فيه الصحابة سورة واحدة باسم زوجة من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم أو باسم إحدى بناته أو باسم أحد أبنائه أو صحابته، ولكن هذا لم يحدث.

مقارنة:

بخلاف الكتاب المقدس الذي ضاع منه الكثير، ومن ذلك ما يلي:

(١) سفر حروب الرب المذكور في [العدد: ١٤/٢١].

(٢) سفر ياشر المذكور في [سفر يشوع: ١٣/١٠].

(٣) أسفار كل من صموئيل الرائي، أخبار ناثان النبي، أخبار جاد الرائي المذكورة في [سفر الأيام (١): ٢٩/٢٩].

(٤) سفر أخبار شمعيًا وسفر عدو الرائي المذكوران في [سفر الأيام (٢): ١٥/١٢].

(٥) إنجيل المسيح المذكور في [كورنثوس (١): ١٤/٩-١٢]، [غلاطية: ١-٦/٨].

* وهناك جمل كثيرة ضاعت من الكتاب المقدس، ووضعوا مكانها نجوم للدلالة على فقدانها فراجع [سفر حزقيال: ٢٣/٢٤]، [سفر زكريا: ١٥/٦]، [سفر الأمثال: ٢٣/٢٤]، [أرمياء: ٩/٢٣]، [نشيد الإنشاد: ٩/٧]، [صموئيل (١): ١٥/١٢-١٤]، [صموئيل (٢): ٨/٥]، [الملوك (١): ٦/٥].

وهذه مجرد أمثلة فقط لتعلم أن هناك جُمْلٌ واسفار وكتب ضاعت من الكتاب المقدس.

ومن أراد الإستزادة فليطالع:

كتاب (إظهار الحق) لرحمت الله الهندي أو مختصر هذا الكتاب للملكاوي

كتاب (هل العهد القديم كلمة الله) للسقار

(هل العهد الجديد كلمة الله) للسقار

شهادات علماء الغرب بحفظ القرآن الكريم:

- (١) المؤرخ الأمريكي (مايكل هارت) صاحب كتاب (العظماء مائة) قال: (لا يوجد كتاب في تاريخ الرسالات بقي بحروفه كاملاً دون تحوير سوى القرآن)^(١).
- (٢) المستشرق بودلي قال: (بين أيدينا كتاب فريد في أصالته وسلامته لم يشك في صحته كما أنزل وهو القرآن)^(٢).
- (٣) الباحثة الإيطالية (فيشيا فاغليري) صاحبة كتاب (دفاع عن الإسلام) قالت: (لدينا برهان آخر على مصدر القرآن الإلهي في هذه الحقيقة، وهي أن نصّه ظل صافياً غير محرف طوال القرون التي تراخت ما بين تنزيله ويوم الناس هذا)^(٣).
- (٤) المبشر النصراني السابق (بشير أحمد شاد الهندي) الذي أسلم عام ١٩٦٨ قال: (القرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي يحفظه عن ظهر قلب ألوف مؤلفة من البشر في مختلف بقاع الأرض. بينما تجد الكتب المقدسة الأخرى محفوظة بالخط المطبوع فقط، وهكذا يحق له أن يتباهى بأنه في مأمّنٍ من التحريف لم ينقص منه حرف واحد، ولم يزد فيه حرف واحد منذ أن نزل به الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم)^(٤).

(١) المختصر القويم ص ١٣٨.

(٢) المختصر القويم ص ١٣٨.

(٣) دفاع عن الإسلام ص ٥٨-٥٩، قالوا عن القرآن ص ٣٠.

(٤) وراجع كتاب (قالوا عن القرآن) تجد الكثير من أقوال علماء الغرب في القرآن الكريم.

شبهات واهية وردود شافية

الشبهة الأولى: بعض الناس من غير مسلمين يقولون أن محمداً اختلق القرآن ليكون له شهرة وزعامة كما كان يفعل الشعراء والخطباء في الجاهلية.

ويرد على هذا الافتراء بعدة وجوه:

أولاً: لو كان يريد الشهرة لنسب القرآن إلى نفسه من باب أولى كما اشتهر الشعراء والخطباء.....

ثانياً: لقد عرض عليه قومه الزعامة والهمال من أجل أن يترك دعوته وهي عبادة الله وحده فرفض الهمال والرياسة واستمر في دعوته وهذا مشهور جداً في كتب السيرة النبوية^١

ثالثاً: لما مات ابنه إبراهيم انكسف الشمس فقال بعض الناس وبعض أتباعه إنها انكسف لموت ابنه إبراهيم فقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً (إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته و لكنهما آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده فإذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم)^٢، فلم يستغل هذه الواقعة في الشهرة بل هرع ليُرسخ دعوة التوحيد.

رابعاً: كيف يكون محمداً مختلقاً للقرآن وقد تمّ إكتشاف الإعجاز العلمي في مئات الآيات من القرآن في القرن العشرين يعني بعد نزوله بأكثر من أربعة عشر قرناً وثبت إعجازه العلمي في علوم كثيرة كالطب والجيولوجيا والبحار والطبيعة والفلك.... كما

^١ - والقصة عند الحاكم والبيهقي وصححها الألباني في (صحيح السيرة: ص ١٦٠-١٦١)

^٢ - والقصة في حديث صريح رواه المغيرة بن شعبة وأخرجه البخاري في (صحيحه: ١٠٦٠) ومسلم في

(صحيحه: ٩١٥)

سبق بيانه فهل كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يعلم كل هذه العلوم أم كان يعلم الغيب؟

خامساً: أي زعيم يكون له معيشة فاخرة له قصر وحرس وخدم وحشم وتيجان توضع على الرأس..... كما كان يفعل السلاطين والملوك والأمراء في ذلك الزمان، فهل فعل النبي محمد صلى الله عليه وسلم كل ذلك؟ طبعاً كل من شَمَّ رائحة سيرته فضلاً عن القارئ لها والخبير بها يعلم أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كانت عيشته متواضعة جداً بل كان أحياناً يتقلب بسبب الجوع^١، وأحياناً كان يربط بطنه برباط ليقيم صلبه^٢، وأحياناً كان يربط على بطنه الحجر من شدة الجوع^٣، وكان يمكث بالشهرين بلا طبخ كما في حديث السيدة عائشة المتفق عليه^٤، ولما سئلت كيف كان عيشكم بلا طبخ قالت كنا نعيش على التمر والماء.

١ - رواه أنس بن مالك ضمن عدة أحاديث في صحيح مسلم كتاب (الأشربة برقم: ٣٦) باب رقم (٢٠)

٢ - رواه أنس في المصدر السابق.

٣ - كما في حديث جابر في قصة غزوة الأحزاب في (صحيح البخاري: ٤١٠١)، ورواه مسلم بدون ذكر الحجر في (صحيحه: ٢٠٣٩).

وأما عن الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حَمَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْوَصَالِ فِي الصَّوْمِ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِنَّكَ تَوَاصَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَأَيُّكُمْ مِثْلِي إِنْ أُنْبِثُ يُطْعَمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي " فالمراد المجاز أي يخلق فيه قوة الطعام والشراب في ليالي الوصال لأنه لم يعتم ولم يقل إنني يطعمني... بل خصص البيات بذلك فقط، ولا بد من الجوع أثناء الصيام ليشعر بزوح هذه العبادة، والحديث ورد في الوصال فقط، أما أيام الجوع الشديد فكانت نهاراً وهو مفطر وليس صائماً، مع العلم بأن الله تعالى كان يتركه في هذه الأحوال يتضوع جوعاً لينتأسي به أصحابه وأمته، ومع ذلك كان في كمال قوته لأنه رسول الله بدليل أنه كان جائعاً معهم في غزوة الأحزاب ومع ذلك حطم الصخرة التي اعترضتهم أثناء حفر الخندق كما في رواية جابر في الصحيحين، لكنه كان يربط بطنه بعصا أو بحجر حتى لا ينحني صلبه بسبب فراغ البطن فيبدأ الجسد في الإنتكاس وكأنه في سن الشيخوخة وانظر (فتح الباري: ٢٠٧/٤-٢٠٨).

٤ - انظر البخاري في (صحيحه: ٢٥٦٧) ومسلم في (صحيحه: ٢٩٧٢)

الشبهة الثانية: قال بعض النصارى:

أليست المصاحف كانت كانت مختلفة في عهد عثمان لذلك وَحَدَّ الرسم القرآني؟

ويرد عليهم: أنه لما اتسعت الفتوحات الإسلامية دخل الكثير من العجم في الإسلام، ولم يكن هناك نقط على الحروف العربية، واتخذ كل واحد مصحفا لنفسه وبلهجته الخاصة، مع العلم بأن هناك حروف عربية لا توجد في لغة أخرى، فمثلاً الحاء غير موجودة في الإنجليزية فهم يقولون عن (أحمد) (أهمد)، وبالتالي سيقرون قوله تعالى: (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) [الصف: ٦]، سيقولون (أهمد).

وهنا أدرك سيدنا عثمان الخطورة على كتاب الله تعالى فقام بنسخ مصحف الإمام الذي كُتِبَ في عهد الصديق من الوثائق المكتوبة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وبأيدي الصحابة وجعل منه عدة نسخ منه، وأدخل علامات الضبط كالفتحة والكسرة وأدخل النقط لتمييز الحروف، ووضع علامات إرشادية لأحكام التلاوة مثل علامة الوقف والمد وغير ذلك مما يحتاجه التدوين الدقيق للمصحف، حتى لا تختلف القراءات،

ولذلك لا تجد مصحفين مختلفين منذ عهده إلى اليوم. وهذه الميزة لا توجد في كتاب آخر ومصاحف صحابة الرسول (صلى الله عليه وسلم) موجودة عندنا حتى اليوم وشهد لها علماء الأثر.

الشبهة الثالثة: أليس اختلاف القراءات من التحريف؟

ويرد عليهم من وجوه:

أولاً: اختلاف القراءات نزل به الوحي، ففي (صحيح البخاري: ٣٢١٩)، (صحيح مسلم: ٨١٩) عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أقرأني جبريل القرآن على حرف، فلم أزل استزيده فيزيدني حتى انتهى بي إلى سبعة أحرف)،

وفي (صحيح البخاري: ٢٤١٩)، (صحيح مسلم: ٨١٨) أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرأ عمر بن الخطاب سورة الفرقان بحرف، وأقرأ هشام بن حكيم نفس السورة بحرف آخر، فاختلفت القراءة نزل به الوحي،

* والحكمة من ذلك التيسير على الأمة الإسلامية؛ لأن الإسلام عام لكل الأنام، واللهجات مختلفة، فهناك عرب حُمير ينطقون (أل) ب (أم)، وقد سمعت مشايخ من اليمن ينطقون حرف (القاف) ب (الجيم)، فيقولون: (فلان جال كذا) يعني قال.

ثانياً: اختلاف القراءات يؤدي إلى نفس المعنى أو إثراءه،

فمثلاً قوله تعالى: (وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) [يوسف: ٢٣] قرئت بأربع قراءات لا يختلف فيها المعنى فُقرئت (هَيْتَ)، (هَيْتَ)، (هَيْتَ)، (هَيْتُ)، والمعنى واحد، وهو هَيْتُ نفسي لك.

مثال آخر قوله تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) [التوبة: ١٢٨]، فيها قراءتان (أَنْفُسِكُمْ) بضم الفاء، ومعناها أنه منكم وليس غريباً عنكم، وقرئت (أَنْفُسِكُمْ) بفتح الفاء، ومعناها أزكاكم وأطهركم وأحسنكم، فنلاحظ أن اختلاف القراءة أدى إلى إثراء المعنى.

ثالثاً: اختلاف القراءة مهماً لاستنباط الأحكام الشرعية، ونضرب مثلاً لذلك قوله تعالى: (وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ ... [النساء: ١٢]، فجعل للأخ أو الأخت السدس، مع أنه في آخر السورة قال: (إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ) [النساء: ١٧٦]، فجعل للأخت النصف والأخ يرث ضِعْفَهَا،

فعلمنا المراد من الآية الأولى من خلال قراءة ابن مسعود فقد قرأها (وله أخ أو أخت من أم) يعني المراد من الإخوة في الآية الأولى هم الأخوة من الأم فقط، والأخوة في الآية الثانية هم الأخوة لأب أو الأشقاء.

الشبهة الرابعة: قالوا هناك اختلاف في عدّ السُّور والآيات بين علمائكم أليس هذا

دليل على التحريف؟

ويرد عليهم: إن الاختلاف وقع في العدد، وليس في المعدود، وهذا يعني أن الاختلاف صوري فقط، فكل طبعات المصحف على نسخ واحد ونسق واحد بلا زيادة أو نقص أو تبديل في حرف واحد، وبالمثال يتضح المقال.

* من حيث عدّ السور هناك من جعل سورتي الأنفال والتوبة سورة واحدة؛ لأنه لم يتم الفصل بينهما بالبسملة في أول سورة التوبة، وهناك من جعلها سورتين مختلفتين.

* ومن حيث عدّ الآيات فهناك من جعل البسملة في الفاتحة آية كاملة، وهناك من جعلها بضع آية فقال: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) آية واحدة، ولكن لا تجد مصحفاً ليس فيه البسملة في الفاتحة، ولا تجد مصحفين مختلفين في المضمون سواء في الآيات أو السورة، فأين التحريف الذي تزعمونه إذن؟ اللهم اجعلنا من أهل القرآن وخاصته.

* ومن أراد الاستزاد من الشبهات الواهية حول القرآن والردود عليها فليطلع على كتاب (شبهات المشككين).

المعجزة الثانية: انشقاق القمر

وهي من المعجزات التي لا يزال أثرها موجودًا حتى اليوم كما أثبتته علماء الفضاء حين صعدوا على سطح القمر.

وهي ثابتة بالقرآن والسنة الصحيحة، فقال تعالى: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) [القمر: ١]،

وفي الحديث عن أنس قال: سألت أهل مكة أن يريهم آية «فأراهم انشقاق القمر» أخرجه البخاري في (صحيحه: ٤٨٦٦) ومسلم في (صحيحه: ٢٨٠٢) وزاد (مرتين).

وفي رواية الترمذي في (سننه: ٣٢٨٦) فانشق القمر بمكة مرتين فنزلت (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ) [القمر: ١، ٢].

ولكن للأسف حين ظهرت هذه المعجزة كذب بها الكفار، وقالوا عنها إنها سحر، ثم تثبتوا وسألوا القادمين من السفر من كل وجه، فأقروا أنهم رأوا انشقاق القمر ففي بعض الروايات عن ابن مسعود (انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ فُرَيْشٌ: هَذَا سِحْرٌ ابْنِ أَبِي كِنَسَةَ، قَالَ: وَقَالُوا: انْتِظَرُوا مَا تَأْتِيكُمْ بِهِ السُّفَارُ فَإِنَّ مُحَمَّدًا لَا يَسْتَنْطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ قَالَ: فَجَاءَ السُّفَارُ فَقَالُوا ذَلِكَ) أخرجه الطيالسي في (مسنده: ٢٩٣) والشاشي في (مسنده: ٤٠٤) وأبو نعيم في (دلائل النبوة: ٢١١) والبيهقي في (دلائل النبوة: ٢ / ٢٦٦)

إثبات هذه المعجزة حديثاً وإعلان (بيتكوك) البريطاني إسلامه بسببها:

يقول داود موسى بيتكوك الإنجليزي: أهداني صديق لي مسلم ترجمة لمعاني القرآن بالإنجليزية، فلما فتحتها وقعت عيني على سورة القمر (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ)، فقلت: هل ينشق القمر؟ ثم عرضت عن باقي المصحف، وفي ذات يوم كنت أشاهد برنامجاً تليفزيونياً في بريطانيا على قناة (ال بي بي سي) وفيه مذيع بريطاني يحاور ثلاثة من العلماء الأمريكيين، والمذيع يعتب عليهم؛ لأنهم ينفقون حوالي مائة مليون دولار في رحلة الفضاء الواحدة في الوقت الذي يعاني فيه الملايين من الفقر، فأجاب العلماء الأمريكيين أن هذه الرحلات أفادت كثيراً في جميع المجالات الزراعية والصناعية... وغيرها، ثم

إننا ندرس التركيب الداخلي للقمر عن طريق تحليل قطع من الصخور المتواجدة على سطح القمر، لأننا فوجئنا بأمرٍ عجيب وهو وجود حزام من الصخور المتحولة يقطع القمر من سطحه إلى جوفه إلى سطحه الآخر، ولما أعطينا هذه المعلومات إلى الجيولوجيين تعجبوا وقرروا أنه لا يمكن أن يحدث هذا إلا أن يكون القمر انشق نصفين في يومٍ من الأيام ثم التحم، وأن هذه الصخور نتجت عن الاصطدام وقت الالتحام.

يقول داود موسى بيتكوك: فلما سمعت كلام العلماء الأمريكيان قفزت من على المقعد مندهشاً، وقلت معجزة حدثت لمحمد عليه الصلاة والسلام من قرونٍ بعيدة في قلب البادية يسخر الله لها الأمريكيان، وينفقون عشرات الملايين من الدولارات حتى يشبهوها للمسلمين إن هذا الدين حق، وأسلم وأعلن إسلامه بسبب سورة القمر بعد أن كانت سبباً في إعراضه عن الإسلام من قبل، وكوّن حزباً إسلامياً في بريطانيا^١، والحمد لله على هدايته وعلى نعمة الإسلام وكفى بها نعمة.

شبهة واهية ورود شافية كافية:

سؤال: لماذا لم يُسلم رواد الفضاء الذين شاهدوا وأثبتوا صحة معجزة محمد صلى الله عليه وسلم؟ والجواب من عدة أمور:

الأمر الأول: هناك رواد فضاء أسلموا، لأنهم شاهدوا الحقيقة، وهناك من لا يبالي أو يتعصب لدينه.

الأمر الثاني: ليس كل رواد الفضاء على علم بأن انشقاق القمر كان معجزة لنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، وما يدريك لو علموا لأسلموا كما أسلم البريطاني داود موسى بيتكوك.

١ - هذه القصة حكاها الدكتور زغلون النجار وذكرها الشيخ عبد الرحمن محمود في (رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا ترجمة رقم: ٨٥)

وجدير بالذكر أن (نيل أرمسترونغ) أسلم لكن سبب إسلامه كان عجبيا فقد سمع ترانيم على القمر ولم يعرف ما هي ولما زار القاهرة في مصر في ثمانينات القرن العشرين سمع نفس الترانيم فسأل عنها فقالوا هذا آذان المسلمين فاخبرهم أنه سمعها على القمر ثم أسلم وأعلن إسلامه؛ وعلى الفور تم فصله من وكالة ناسا وظل تحت الإقامة الجبرية في أمريكا فيصعب على أمريكا أن يكون رمزها مسلما؛ لكنه لم يكتفِ وقال: فقدت عملي لكنني وجدت ربي قال تعالى: (يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ) (النور: ٣٥)

راجع (المجلة الإسلامية بالمدينة المنورة: عدد / ٥٩).

الأمر الثالث: الكثير من علماء الغرب وغيرهم مُغَيَّبون عن الإسلام بسبب تشويه الإعلام لصورة الإسلام بأنه إرهاب وتطرف وتأخر، وسوف نتحدث عن ذلك في (أسباب ترك الإيمان).

* وأخيراً نقول الهداية بيد الله وحده قال تعالى: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا) [الأنعام: ١٢٥].

سؤال: لماذا لم يرى أهل الروم وأهل الفرس حادثة انشقاق القمر؟ الجواب كالاتي:

- ١ - القمر وقتها كان في إقليم العرب فيشاهده أهل الإقليم ومن وافق النظر إليه منهم في وقت الحادثة فليس جميع أهل الإقليم متأهبين للنظر إليه بل الذين طلبوا المعجزة فقط.
- ٢ - هذه الحادثة أشبه بحادثة المائدة التي نزلت على عيسى والحواريين الذين معه فلم يرها أحد من اليهود أو المجوس أو البراهمة بل رآها عيسى وأصحابه فقط،
- ٣ - لا ننسى أن المسافرين الذين قدموا إلى مكة أقروا بانشقاق القمر كما ثبت في بعض روايات الحديث.

لطيفة هامة إلى العامة:

معجزة انشقاق القمر أبلغ من معجزة فلق البحر بعصا موسى؛ لأن البحر في الأرض والقمر في السماء، ونلاحظ اليوم أن فلق البحر تفعله الشركات الضخمة حين تريد تمرير جسر فوق البحر، فتقوم بتجويف المنطقة المعنية في البحر لكي تضع الأثاث

لأعمدة الجسر، وهذا نشاهده على أرض الواقع. أما فلق القمر فهذا صعب جداً إن لم يكن من المستحيل؛ لأنه كوكب كامل وبعيد عنا بمئات الآلاف من الكيلو مترات، والرحلة الفضائية الواحدة قد تصل تكلفتها إلى مائة مليون دولار.

وبعد،

فإني قد ذكرت هاتين المعجزتين فقط، وهما معجزة القرآن الكريم ومعجزة انشقاق القمر؛ لأنهما ثبتتا لدى العلماء، وهناك الكثير من المعجزات الأخرى مثل:

نبح الماء من بين أصابعه في الحديدية، وكذلك نطق الشاة له بعدما ذبحت وشويت، فأخبرته أنها مسمومة، وكذلك شفاء عين قتادة العوراء بعدما سالت على خدّه، ونُطِق الحجر والشجر له، وشكوى الحيوان له، وتسييح الطعام أمامه.....

ولكنني لم أذكرها مع أنها ثابتة حتى لا يدّعي معاند أنها من فعل الجان وهي سحر، فذكرت ما لا يمكن الاعتراض عليه بهذا الكلام ألا وهو معجزة القرآن ومعجزة انشقاق القمر، والحمد لله على توفيقه.

* وقد جمع ابن كثير الدمشقي معظم هذه المعجزات في آخر سيرة النبي صلى الله علي وسلم فراجعها في كتابه البداية والنهاية.

الدليل الثالث على صدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم

إخبار النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأمر غيبية

وهذا الدليل قوي جداً، وكان الأنبياء يستدلون به على نبوتهم، وكما أخبر القرآن عن عيسى أنه قال: (وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [آل عمران: ٤٩].

وعيسى حين بشر بمحمد صلى الله عليه وسلم وصفه بأنه سيخبر بأمر غيبية، فقال: (ويخبركم بأمر آتية) [يوحنا: ١٦/١٣]،

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأمر غيبية كثيرة، ولكن هذا ليس معناه أنه يعلم الغيب، فإنه لا يعلم إلا بما يوحي إليه فقط (قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ) [الأنعام: ٥٠]، فلا يعلم الغيب إلا الله.

وسوف أسرد أمثلة توضيحية، وكما يقال بالمثال يتضح المقال.

أولاً: أمثلة من الأمور التي نبأ بها ووقعت بعد وفاته صلى الله عليه وسلم:

(١) التنبؤ بأن الذي سيتولى الخلافة بعده أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما:

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكتب الخلافة لأحد بعده، ولكنه أشار في عدة أحاديث أن الخلافة سوف تؤول إلى أبي بكر ثم عمر، وهذا من التنبؤ بالغيب، ومن ذلك ما رواه الشيخان عن جبير بن مطعم (أن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمته في شيء فأمرها بأمر، فقالت: أرأيت يا رسول الله إن لم أجذك كأنها تقول الموت، قال: إن لم تجدني فأتني أبا بكر)^١

١ - أخرجه البخاري في (صحيحه: ٧٣٦٠) ومسلم في (صحيحه: ٢٣٨٦)

وعن حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر)^(١).

وهذا تحقق فعلاً فلقد بايع الصحابة أبا بكر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وحين مرض أبو بكر مرضه الأخير استشار كبار الصحابة في تولية عمر الخلافة من بعده فوافقوا، فكتب الخلافة من بعده لعمر بن الخطاب، والذي كتب الكتاب عثمان بن عفان بأمر من الصديق رضي الله عنهم جميعاً.

(٢) التنبؤ بأن عثمان سيتولى إمارة المسلمين:

ففي الحديث عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا عُثْمَانُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُفْتِصُّكَ فَمِصًّا، فَإِنْ أَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى أَنْ تَخْلَعَهُ، فَلَا تَخْلَعَهُ لَهُمْ» أخرجه أحمد في (مسنده: ٢٤٤٦٦) والترمذي في (سننه: ٣٧٠٥) وصححه الألباني (صحيح الجامع: ٧٩٤٧).

فالمراد من القميص هنا هو الخلافة كما توضحه رواية ابن ماجه في (سننه: ١١٢): (إن ولاك الله هذا الأمر يوماً فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمصك الله فلا تخلعه).

وتحققت هذه النبوءة، فقد تولى الخلافة عثمان بعد عمر بن الخطاب، وقامت فتنة في أواخر حياته، وطلب المنافقون من عثمان أن يترك منصب الخلافة فرفض، فحاصروه حتى قتلوه رضي الله عنه.

(٣) التنبؤ بموت أبي بكر ومقتل عمر وعثمان:

(١) أخرجه أحمد في (مسنده: ٢٣٢٤٥)، والترمذي في (سننه: ٣٦٦٢)، وابن ماجه في (سننه: ٩٧)، وصححه الألباني (ص: ج: ١١٤٢).

ففي (صحيح البخاري: ٣٦٧٥) عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد أهدأ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجع بهم، فقال: (أثبت أخذ، فإن عليك نبي، وصديق، وشهيدان).

وتحققت النبوة فعلاً، فقد مات الصديق وهو أبو بكر مات بالمرض على فراشه، وقتل عمر وهو يصلي الفجر إماماً بالمسلمين، وقتل عثمان في داره بعد محاصرة المنافقين له، فعمر شهيد المحراب، وعثمان شهيد الدار كما أخبر سيد الأبرار وإمام الأخيار محمد صلى الله عليه وسلم.

(٤) التنبؤ بالفتنة الكبرى التي ستحدث بين الصحابة وأن عثمان سيقتل فيها

وحدوث موقعة الجمل:

ففي الحديث عن ابن عمر قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة، فقال: (يقتل فيها هذا مظلوماً لعثمان بن عفان) أخرجه الترمذي في (سننه: ٣٧٠٨) وحسنه الألباني (صحيح الترمذي: ٢٩٢٥)

وفي (مسند البزار: ٤٧٧٧) عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أيتكن صاحبة الجمل الأدب، تخرج كلاب حوآب، فيقتل عن يمينها، وعن يسارها قتلاً كثيراً، ثم تنجو بعد ما كادت) وأصل الحديث في (مسند أحمد: ٢٤٢٥٤) وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة: ٤٧٤)

وتحققت النبوة فخرجت الفتنة في أواخر حياة عثمان، وقتل فيها، ونشب الخلاف بين الصحابة، فخرجت السيدة عائشة إلى بلاد الشام لكي تصلح بين الجيوش، فنبحت عليها الكلاب عند بئر الحوآب، وهناك حدثت موقعة الجمل وقتل الآلاف من الصحابة حول جمل السيدة عائشة، وكادت أن تقتل، ولكن الله نجاها.

والقصة كلها في مصنف ابن أبي شيبة (من الرواية رقم: ٣٨٧٧١ إلى الرواية رقم:

(٣٨٨١٢

(٥) التنبؤ بمقتل عمّار بن ياسر بسبب الفتنة:

فلقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن عمّارًا سوف يقتل في الفتنة التي ستقع بين الصحابة وسيقتله الجيش الباغي،

ففي (صحيح البخاري: ٤٤٧) عن أبي سعيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَيُخِ عَمَّارٌ، تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيَدْعُوْنَهُ إِلَى النَّارِ، قَالَ: يَمُوتُ عَمَّارٌ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ).

وتحققت النبوءة كما قال الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم، فلقد قُتِلَ عمّار على يد جيش سيدنا معاوية في موقعة صفين وكان جيش معاوية باغيا ضد سيدنا علي ولكن بتأويل وليس عدواناً رضي الله عن الصحابة أجمعين.

(٦) التنبؤ بخروج فرقة تسمى بالخوارج بسبب الفتنة:

ففي الحديث عن ابن أبي أوفى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الخوارج كلاب النار)^(١).

وتحققت النبوءة، فلقد خرجت جماعة عن طاعة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين رجع من موقعة صفين، وذلك لشبهه واهية في نفوسهم، فتركهم سيدنا علي، واشترط عليهم ألا يسفكوا دمًا، وألا يقطعوا طريقًا على المسلمين وإلا قاتلهم، فلما قطعوا الطريق وسفكوا دم أحد الصحابة، واغتصبوا زوجته حاربههم سيدنا علي بن أبي طالب وقتلهم.

(٧) التنبؤ بمقتل علي بن أبي طالب بسبب الفتنة:

(١) أخرجه أحمد في (المسند: ١٩١٣٠) وابن ماجه في (السنن: ١٧٣) وصححه الألباني (صحيح الجامع: ٣٣٤٧).

ففي الحديث عن علي بن أبي طالب قال: سمعت الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم يقول: (إِنَّكَ سَتُضْرَبُ ضَرْبَةً هَاهُنَا ، وَضَرْبَةً هَاهُنَا - وَأَشَارَ إِلَى صُدْعَيْهِ - فَيَسِيلُ دَمُهَا حَتَّى يَخْضِبَ لِحْيَتَكَ ، وَيَكُونُ صَاحِبُهَا أَشْقَاهَا كَمَا كَانَ عَاقِرُ النَّاقَةِ أَشَقَى تُمُودَ)^(١)، وهناك أحاديث كثيرة تؤكد هذه النبوة.

* وتحققت النبوة، فقد ضربه أحد الخوارج اسمه عبد الرحمن بن مُلْجَم ضربه بسيف مسموم على قرينة فقتله.

(٨) التنبؤ بوقوع صلح عظيم على يد سبط الرسول صلى الله عليه وسلم سيدنا

الحسن بن علي بن أبي طالب

لقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الحسن سوف يصلح بين جيشين عظيمين من المسلمين.

ففي (صحيح البخاري: ٢٧٠٤) عن أبي بكر قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يُقْبَلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً، وَعَلَيْهِ أُخْرَى، وَيَقُولُ: (إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ).

وتحققت النبوة، فإن الفتنة حين وقعت بين الصحابة انقسمت الجيوش الجرارمة إلى شقين؛ شق يقاتل مع أمير المؤمنين علي، وآخر يقاتل مع معاوية بن أبي سفيان، واستمر الخلاف بين الجيشين العظيمين حتى قُتل أمير المؤمنين علي يد أحد الخوارج، ثم بايع الناس ابنه الحسن بن علي، وخشي جيش معاوية من جيش الحسن؛ لأنه كان جزاراً، ولكن الحسن تنازل عن الخلافة لصالح معاوية حقناً للدماء، وسعيًا وراء الصلح بين الجيشين العظيمين، حتى تتوحد الصفوف، وتتحد كلمة المسلمين، فتنازل الحسن عن

(١) أخرجه الطبراني (معجمه الكبير: ١٧٣) والبيهقي في (السنن الكبرى: ١٦٠٦٩)

قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد برقم: ١٤٧٨٠): (إسناده حسن) وصحح الألباني بعض طرقه في

(السلسلة الصحيحة: ١٠٨٨)

الخلافة لمعاوية، واشترط أن يكون الأمر له من بعده، فإن مات الحسن قبله يكون الأمر من بعد معاوية شورى بين المسلمين، وتم الصلح، وصدقت نبوءة المصطفى الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم.

انظر (البداية والنهاية: ٨ / ١٤ - ٢١)

(٩) التنبؤ بفتح مصر وبيت المقدس:

ففي (صحيح مسلم: ٢٢٧) عن أبي ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقَيْرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَجْمًا، أَوْ قَالَ ذِمَّةً وَصِهْرًا).

وتحققت نبوءة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد تم فتح مصر بقيادة عمرو بن العاص داهية العرب في عهد الفاروق عمر بن الخطاب عام عشرين من الهجرة النبوية، وتم نشر دعوة الإسلام فيها، وهي الآن بلد الأزهر الذي يتخرج منه آلاف العلماء من المسلمين،

وفي (صحيح البخاري: ٣١٧٦) قال النبي صلى الله عليه وسلم لعوف بن مالك (اعدد سنًا بين يدي الساعة.... ثم فتح بيت المقدس.....)

وتحققت النبوءة، وتم فتحه بقيادة أبي عبيدة بن الجراح وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

(١٠) التنبؤ بفتح جزيرة العرب وبلاد فارس وبلاد الروم:

ففي (صحيح مسلم: ٢٩٠٠) عن نافع بن عتبة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تَعَزُّونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَعَزُّونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَعَزُّونَ الدَّجَالَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ).

وفي (صحيح مسلم: ٢٩١٩) أيضًا عن جابر بن سمرّة، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: (لَتَفْتَحَنَّ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، كُنَزَّ آلِ كِسْرَى الَّذِي فِي الْأُبَيْضِ).

وصدقت نبوءة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد تم فتح جزيرة العرب في عهد الصديق، و كذلك بعض بلاد الفرس تم فتحها في عهد الصديق، والباقي من الفرس والروم ثم فتحه في عهد الفاروق عمر بن الخطاب، فقد سقطت عاصمة الفرس وهي المدائن في أيدي المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص، في عهد الفاروق عمر، أما جبهة الروم ففتح معظمها خالد بن الوليد، وتم فتح القدس عاصمة الروم بقيادة أبي عبيدة بن الجراح، وتم فتح مصر بقيادة عمرو بن العاص، والكل في عهد الفاروق عمر بن الخطاب الذي انكسر في عهده أعظم وأعتى الإمبراطوريات الفرس والروم، وتحققت نبوءة الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم.

(١١) التنبؤ بانتشار الزنا والخمر والحريير والمعازف بين المسلمين:

فالنبي صلى الله عليه وسلم حارب الفسوق حتى تلاشت بين المسلمين، لكنه أخبر بأنها ستعود، ففي حديث أبي مالك الأشعري الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الحرَّ والحريير والخمر والمعازف). أخرجه البخاري في (صحيحه: ٥٥٩٠) معلقاً^١ وأخرجه أبو دواد مسنداً في (سننه: ٤٠٣٩)

وتحققت النبوءة، فواقع المسلمين المر شاهد على ذلك، فقد انتشرت الخمر وسميهاها بغير اسمها مثل البيرا والويسكي والشامبانيا وغيرها، وانتشرت ثياب الحرير بين رجال المسلمين الأغنياء كالملوك والأمراء والرؤساء والوزراء وعامة الأغنياء إلا من رحم رب الأرض والسماء، وانتشرت المعازف وآلات الموسيقى في التلفاز وحفلات الزفاف....

^١ - الحديث المعلق هو مقطوع السند من أوله ومعلقات البخاري كلها صحيحة ولها أسانيد جمعها الحافظ ابن حجر العسقلاني بأسانيدھا في كتاب (تغليق التعليق) ذكر فيه معلقات البخاري بأسانيدھا، والحديث المسند هو الموصول بالسند.

(الحِرَّ) بكسر الحاء معناه الزنا، وقد استحله بعض المسلمين حين سمّوه بغير اسمه مثل الزواج العرفي (زواج بدون وليّ ويكون سرّاً)، وزواج المتعة (زواج مؤقت بمدة) وهذا ما جلب الدمار والذمار للمسلمين.

قصة: ذكرها الشيخ محمود المصري في كتابه (ساعة وساعة: ٣١٧ - ٣١٨) ومضمونها:

في إحدى الجامعات المختلطة أحبّ طالب زميلته فعقد عليها عرفياً (بدون علم وليها) وضاجعها كثيراً، وحملت منه، فلما ذهب ليعقد عليها رسمياً بإذن والدها انضح أن والدها هو أبوه، فقد تزوج أبوه عُرفياً، وأنجب هذه البنت والزوجة الأولى لا تعلم يعني الولد تزوج أخته من أبيه، وإنا لله وإنا إليه راجعون، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

(١٢) التنبؤ بانتشار الهال الحرام بين المسلمين:

ففي (صحيح البخاري: ٢٠٥٩) عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ أمن الحلال أم من الحرام)، وتحققت النبوءة فقد انتشر الهال الحرام كانتشار النار في الهشيم مثل الربا واختلاس الهال العام والرشاوي التي قضت على الأخضر واليابس، وكذلك الغش مثل الغش في اللبن والميزان، ومن الهال الحرام كل مال مكتسب من البيع المحرم مثل بيع الكلاب والقطط والأصنام والميتة والخمور والمخدرات والتدخين والأفلام الجنسية وآلات الموسيقى وكذلك أجرة شهادة الزور.....

(١٣) التنبؤ بانتشار الغنى في جزيرة العرب:

فقد كان العرب أفقر الناس يعيشون في الصحراء، وَيَرَعُونَ الغنم، فأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الغنى سوف ينتشر بينهم حتى يتعالوا في البنيان، ففي حديث أبي هريرة أن جبريل سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أشراط الساعة، فقال له: (يوم

ترى الحفاة العراة العالة رِعاءَ الشاء يتناولون في البنيان)، أخرجه البخاري في (صحيحه: ٤٧٧٧) ومسلم في (صحيحه: ٨)

وتحققت النبوءة، فدول الخليج اليوم من أغنى الدول بسبب البترول، وتناولوا في البنيان، بل إن أعلى برج على مستوى العالم يوجد في دبي في دولة الإمارات العربية وهي من دول الخليج التي كانت من أفقر دول العالم.

✽ ولقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم على انتشار الغنى مستقبلاً على مستوى الدولة الإسلامية فقال في (صحيح مسلم: ١٥٧) من رواية أبي هريرة: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَنْفِيضَ، حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِرِكَاتِهِ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ)

وهذا ما تحقق في عهد الخليفة عثمان بن عفان بسبب كثرة الفتوحات الإسلامية ولم يقبل أحد الزكاة على عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز كما هو مشهور في سيرته.

(١٤) النبؤ بكثرة الزلازل:

ففي (صحيح البخاري: ٧١٢١) عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقوم الساعة حتى تكثر الزلازل).

وتحققت النبوءة، والواقع خير شاهد فكم من زلزال ضرب مصر وتركيا وباكستان والهند وإندونيسيا وروسيا وحدث عن اليابان ولا حرج، فهي أكثر الدول عرضة للزلازل والبراكين والعواصف البحرية، ولم ينفعها تقدمها العلمي في مواجهة هذه الكوارث؛ لأنها من دول الكفر، وكذلك أمريكا رائدة بلاد الكفر.

(١٥) النبؤ بتقليد المسلمين للكفار:

ففي حديث أبي سعيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، ذراعاً بذراع، حتى ولو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: فَمَنْ)، أخرجه البخاري في (صحيحه: ٣٤٥٦) ومسلم في (صحيحه:

وتحققت النبوءة، فلقد اقتدى المسلمون إلا من رحم ربي بدول الغرب اقتداءً أعمى، فخرجت بنات المسلمين متبرجات سافرات مثل اليهوديات، وانتشرت بيوت الموضنة وبيوت الزينة في بلاد المسلمين، ودخلت الإنجليزية والفرنسية في اللغة العربية مثل كلمة بنطلون وتيشرت وجاكت، ولقد تأمرك الكثير من المسلمين قلباً وقالباً، وأقام المسلمون الدولة العلمانية، وتركوا القوانين الإسلامية، وشاركت المرأة الرجل في ميدان عمله، حتى في القضاء والمجالس النيابية والتشريعية.... وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثانياً: أمثلة من الأمور التي نبأ بها ولم تتحقق حتى الآن لكن ثبتت علمياً في العصر

الحديث:

فالنبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن أمور ستحدث فلم تتحقق حتى الآن، لكن ثبتت علمياً، وأذكر مثالين عظيمين من الإعجاز الإخباري في السنة النبوية:

(١) النبؤ بخروج نار عظيمة جداً من أرض الحجاز:

ففي (صحيح البخاري: ٧١١٨) عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى)، وهذا يعني أن النار التي ستخرج ستكون كبيرة جداً لدرجة أنها تضيء الركبان في مدينة بُصْرَى، وهذه المدينة في سوريا بخلاف مدينة البصرة فهي في العراق.

إثبات هذه الحقيقة في العلم الحديث:

هذه الحقيقة العلمية أثبتها علم الأرض (الجيولوجيا) في العصر الحديث، فقد ذكر د. زغلول النجار أن هذه الحقيقة لم تُدرك إلا في القرن العشرين، حيث أثبتت الدراسات التي أجريت على منطقة الحجاز أن الثورات البركانية التي كونت حرة رهط الموجودة في جنوب المدينة المنور قد بدأت منذ عشرة ملايين من السنين على الأقل، وتميزت بتتابع عدد من الثورات البركانية تخللتها فترات من الهدوء النسبي، ونحن اليوم نعيش إحدى الفترات الهادئة نسبياً، وهذا يعني أن منطقة حرة رهط مقبلة حتماً على فترة من الثورات البركانية يندفع فيها الحمم من تلك الفوهات والصدوع بملايين الأطنان، فتملاً المنطقة ناراً شديدة فتضيء من شدتها ما حولها من المدن، ولقد حدثت ثورات بركانية في هذه المنطقة منذ مئات السنين، فقد حدثت ثورة بركانية عام (٢١هـ / ٦٤٤م)، وأخرى حدثت عام (٦٥٤هـ / ١٢٥٦م)، وهذه الثورات البركانية تراءى نارها في مدينة بصرى كما أخبر العلماء المؤرخون، ولذلك فإن علماء الحديث قالوا هذه العلامة ظهرت في القرن السابع الهجري، وهنا نلاحظ أن هذه الحقيقة تحدث عدة مرات وعلى فترات زمنية

متباعدة جدًّا، وأنها لم تحدث منذ سنة ١٢٥٦م وهذا يعني أن الثورة البركانية القادمة في هذه المنطقة سوف تكون شديدة جدًّا، وقد ترى نارها الدول التي حول السعودية والله أعلم^(١).

فسبحان من سخر العلماء لإثبات كلام سيد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(٢) الإخبار بأن جزيرة العرب كانت مروجًا وأنهارًا، والتنبيؤ بعودتها كما كانت:

ففي (صحيح مسلم: ١٥٧) عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مَرْوَجًا وَأَنْهَارًا).

* قوله: (حتى تعود) إخبار عن ماضي وتنبؤ بمستقبل أيضًا، فقد أخبر أن أرض العرب كانت مروجًا يعني بساتين وأنهارًا، وأنها سوف تعود كما كانت قبل قيام الساعة.

إثبات هذه الحقيقة في العلم الحديث:

يقول د. زغلول النجار: لقد أثبتت الدراسات أن جزيرة العرب مرت خلال الثلاثين ألف سنة الماضية بسبع فترات مطيرة، تخللت ثماني فترات جافة، ونحن نعيش اليوم في الفترة الثامنة الجافة.

وفي فترات المطر كُسيّت الجزيرة العربية بالمروج الخضراء، وتدفقت الأنهار بالمياه الجارية، وتحولت المنخفضات إلى بحيرات، فقد تم اكتشاف بحيرات جافة ومجاري مائية مدفونة تحت رمال الصحراء.

١- من أراد المزيد من التوضيح حول هذا الموضوع، فراجع (المختصر القويم في أدلة نبوة الرسول الكريم: ١٩٢-١٩٥)، الشيخ وليد نور.

كلام الدكتور زغلول النجار على هذا الرابط:

<http://www.elnaggarzr.com/pg/889//D9%86%D8%A7%D8%B1%20%D9%85%D9%86%20%D8%A3%D8%B1%D8%B6%20%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AC%D8%A7%D8%B2.html>

وقد وصف بطليموس حضارة قوم عاد، ورسم الأنهار المتدفقة في الجزيرة العربية والبحيرات التي كانت تفيض إليها، ووصف المؤرخ الروماني (بليني الكبير) حضارة عاد بأنها لم يكن يداينها حضارة أخرى في زمانها. ولاحظ أن هذه الأقوال تعد شهادة لقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ) [الفجر: ٦-٨]، فالقرآن أشار إلى أن حضارة قوم عاد كانت أرقى حضارة في جميع البلاد؛ لأنها حضارة طبيعية.

والدراسات تشير إلى أننا مقدمون على فترة مطيرة جدًّا، ويدل على ذلك بداية الزحف الجليدي في نصف الكرة الشمالي باتجاه الجنوب، وكذلك الانخفاض الملحوظ في درجة الحرارة في فصل الشتاء، ومنطقة الجنوب هي أرض العرب، وهذا يعني أنها ستعود أنهارًا ومروجًا مرة أخرى كما قال المصطفى الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم^(١).

* شهادة واعتراف:

فقد أسلم البروفيسور (ألفريد كرونير) أستاذ علم طبقات الأرض ورئيس قسم علم طبقات الأرض في جامعة يوهانز في ألمانيا، وهو من أكبر الجيولوجيين في العالم أجمع، بسبب هذه الحقيقة العلمية التي أثبتتها السنة النبوية فعندما حضر مؤتمرًا جيولوجيًا في كلية علوم الأرض في جامعة الملك عبد العزيز، سأله الشيخ الزيداني: هل عندكم

(١) راجع المزيد (المختصر القويم في أدلة نبوة الرسول الكريم: ١٩٦-١٩٧).

وكلام الدكتور زغلول النجار على هذا الرابط

<http://www.elnagarzr.com/pg/483/:D8%A3:D8:B1:D8:B6:20:D8%A7:D9:84:D8:B9:D8:B1:D8:A8:20:D9:85:D8:B1:D9:88:D8:AC:D8:A7:20:D9:88:D8:A3:D9:86:D9:87:D8:A7:D8:B1:D8:A7.html>

حقائق بأن جزيرة العرب كانت بساتين وأنهاراً؟ قال: نعم، فهذه مسألة معروفة لدينا، ولو أنك حفرت في أي منطقة في صحراء العرب تجد الآثار الدالة على ذلك، ولقد تم اكتشاف (قرية الفاو) تحت رمال الربع الخالي في صحراء الجزيرة العربية، فقال له الشيخ:

وهل عندكم حقائق بأن بلاد العرب ستعود بساتين وأنهاراً؟

قال: هذه حقيقة علمية ثابتة لدى الجيولوجيين؛ لأننا درسنا تاريخ الأرض، فوجدنا أنها تمر بأحقاب متعددة منها حقبة العصور الجليدية، وعندما يزحف الجليد نحو الجنوب يغطي ما تحته، ويغير طقس الأرض، وتكون بلاد العرب من أكثر بلاد العالم أمطاراً وأنهاراً.

فقال له الشيخ: كل هذا أخبرنا به الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: (لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً)،

فتعجب البروفيسور وقال: لقد أدهشتني الحقائق العلمية في القرآن والسنة التي لم تتمكن من معرفتها إلا في الآونة الأخيرة، وبالطرق العلمية الحديثة، وهذا يدل على أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم لم يصل إلى هذا العلم إلا بوحي علوي، فأسلم البروفيسور (ألفريد كرونير)، وأعلن إسلامه^(١).

ملحوظة مهمة: لقد ذكرت أمثلة من الأمور التي نبأ بها الرسول صلى الله عليه وسلم وتحققت بعد وفاته، أو ثبتت علمياً في العصر الحديث، وهناك أمور أخرى كثيرة ذكرها وحدثت في حياته، لكنني لم أتكلم عنها حتى لا يقول المعاندون إن الذي أخبره بها الجن، فذكرت أمثلة من التي تحققت بعد وفاته، ومن التي ثبتت علمياً حتى تكون أقوى في الدلالة على ثبوت الإسلام وصدق سيد الأنام محمد عليه الصلاة والسلام.

ثالثاً: أمثلة من الإعجاز العلمي في السنة النبوية الشريفة:

(١) (رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا ترجمة رقم: ٣٠).

الإعجاز العلمي من قِبَل الإخبار بالغيب، لأن الحقائق العلمية لم تكن معروفة لدى البشر وقتئذٍ، بل كانت خفية تمامًا عنهم، وكانوا يعيشون في دياجير الجهل والظلام الدامس، والحقائق العلمية التي أخبرنا عنها الرسول صلى الله عليه وسلم لم تكتشف إلا في القرن العشرين بعد ابتكار الأجهزة الحديثة.

وقد تكلمنا عن الإعجاز العلمي في القرآن في دليل التأييد بالمعجزات، والآن سوف نضرب أمثلة من الإعجاز العلمي في السنة النبوية المطهرة بإيجازٍ شديد.

(١) سرعة البرق الهائلة:

لقد أثبت الرسول صلى الله عليه وسلم سرعة البرق وحركته الهائلة في وقتٍ كانت البشرية لا تعرف سرعة الضوء، وكانت تعتقد أن البرق لا يتحرك ولا سرعة له، فالنبي صلى الله عليه وسلم حين تكلم عن المرور على الصراط يوم القيامة قال في (صحيح مسلم: ١٩٥) من حديث أبي هريرة: (فيمرُّ أولكم كالبرق)، قال أبو هريرة: بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق؟ قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين)، فأثبت أن للبرق مرورًا ورجوعًا وسرعة هائلة.

* اكتشاف العلم الحديث لهذه الحقيقة العلمية:

اكتشف العلماء في العصر الحديث بعد أن تم ابتكار الكاميرات الحديثة، وتقسيم الثانية إلى مليون جزء اكتشفوا أن البرق له مراحل، وله ومضات يعني له حركة، وله سرعة هائلة جدًا، فالمرحلة الواحدة تحدث في عشرات ملي ثانية (الملي ثانية = ١ / ألف من الثانية)، وهذا يتطابق مائة في المائة مع قول النبي صلى الله عليه وسلم ((ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين))،

والعجيب الغريب أن علماء وكالة ناسا يستخدمون التعبير النبوي ذاته، فهم يصفون هذه الظاهرة على موقعهم على الإنترنت ويقولون: إن هذا البرق يحدث في طرفة عين. ومن ثمَّ تعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم سبق العلم الحديث بقرون بعيدة

حين أثبت هذه الحقيقة العلمية، وهو نبي عربي أمي عاش في وسط صحراء العرب القاحلة، فمن أين أتى بهذا العلم؟! (فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا) [النساء: ٧٨].

يقول أحد علماء وكالة NASA يشرح عملية البرق:

A lightning strike can heat the air in a fraction of a second. When air is heated that quickly, it expands violently and then contracts, like an explosion that happens **in the blink of an eye.**

[Steve Goodman, A Lightning Primer, www.nasa.gov]

**ومعنى هذا الكلام أن ضربة البرق تحدث في طرفة عين!
وهذا ما قاله نبينا صلى الله عليه وسلم قبل ١٤ قرنًا!!!**

واكتشفوا أن البرق له تيار كهربائي عالي جدًا يصل إلى الملايين من الفولتات (جمع فولت)، وقد مات أحد علماء السويد وهو يقوم ببعض التجارب لاكتشاف مراحل البرق، فمات بسبب شدة التيار الكهربائي للبرق، وهذا يعني أن الكهرباء موجودة منذ خلق السماوات والأرض، ولكن الإنسان اكتشفها مؤخرًا.

ولذلك قال القرآن الكريم: (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ) (البقرة: ٢٠)

واكتشفوا أن درجة حرارة البرق تبلغ ثلاثين ألف درجة مئوية يعني خمسة أضعاف درجة حرارة سطح الشمس^١.

ولذلك فإن دراسة فيزياء البرق من أصعب الدراسات الفيزيائية بسبب شدة حرارته، وشدة التيار الكهربائي به، والسرعة الهائلة لمراحله.

^١- انظر التفاصيل وبالصور الملتقطة في بحث للمهندس عبد الدائم الكحيل على الانترنت
(http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2012-12-04-18-32-28/106-)
(2010-02-27-13-32-11)

(٢) عدد مفاصل جسم الإنسان:

النبى صلى الله عليه وسلم أول من أخبر بعدد مفاصل جسم الإنسان قبل أن يكتشفها العلماء بقرون، ففي (صحيح مسلم: ١٠٠٧) عن عائشة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّهُ خَلَقَ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِينَ مَفْصِلًا، فَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ، وَحَمِدَ اللَّهَ، وَهَلَّلَ اللَّهَ، وَسَبَّحَ اللَّهَ، وَاسْتَعْفَرَ اللَّهَ، وَعَزَلَ حَجْرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ، عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِينَ السَّلَامَى، فَإِنَّهُ يَمْشِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ رَزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ﴾

وفي رواية أخرى: (في الإنسان ثلاثمائة وستون مفصلاً فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منه بصدقة)، قالوا ومن يطيق ذلك يا نبي الله قال «التخاعة في المسجد تدفئها والشئ تنجيه عن الطريق فإن لم تجد فرقعنا الضحى بجزئك» (١).

وهذا ثبت علمياً، بل وانتشر بين طلاب العلم بعد انتشار الأجهزة الحديثة، ولا يخفى على أحد درس جسم الإنسان.

تعريف المفصل علمياً: هو الالتقاء بين أي عظمتين أو عظمة وعضروف أو عضروفين في أي موضع بجسم الإنسان ما دام بينهما فاصل.

توزيع المفاصل في جسم الانسان بعد الاستقرار العلمى

الجمجمة (Skull) = 86

الحنجرة والرقبة = 6 (Throat and Neck)

الصدر = 66 (Thorax)

العمود الفقر والحوض = 76 (Spine and Pelvis)

(١) أخرجه أبو داود في (السنن: ٥٢٤٤) من حديث بريدة بن الحصيب، وصححه الألباني على

شرط مسلم (صحيح الجامع: ٤٢٣٩).

64 = اليدين والاذرع واصابع اليدين (Hands, Arms and Fingers)

62 = الارجل والقدمان واصابع القدمين (Legs, Feet and Toes)

المجموع = 360 مفصل! = 86+6+66+76+64+62.

^١ - انظر هذا الموقع: (<https://askmessenger1400.wordpress.com/2015/02/27/>)/الادلة-العلمية-

على-عدد-مفاصل-الانسان-٣٦٠)

(٣) الإسعاف داخل جسم الإنسان:

في (صحيح مسلم: ٢٥٨٦) عن التُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى).

الاكتشاف العلمي:

أثبت الطب في القرن العشرين أن أي عضو في الجسم يصاب بشيء تنبعث نبضات عصبية حسية من مكان الإصابة على هيئة استغاثة إلى مراكز الحس والتحكم اللا إرادي في الدماغ، فيرسل المخ إلى الأعضاء المتحركة في العمليات الحيوية في الجسم أمراً بإسعاف العضو المصاب، فيقوم كل عضو في الجسم بأعلى قدر من طاقته لنجدة العضو المصاب، فمثلاً القلب يسرع بالنبض حتى يتم تدوير وضخ الدم بسرعة وإيصاله للجزء المصاب، وتتسع الأوعية الدموية المحيطة بالعضو المصاب، وتنقبض في بقية الجسم؛ لكي يصل إلى العضو المصاب ما يحتاجه من أكسجين وهرمونات وأحماض أمينية ومواد مضادة لمقاومة المرض في العضو المصاب، وهذا الإسعاف يتم في جزء من الثانية، ويستمر حتى يُشفى العضو المصاب، ونلاحظ أن الإنسان إذا أصيب بجرح أحياناً ترتفع درجة حرارته بسبب انشغال أعضاء العمليات الحيوية بإسعاف العضو المصاب (صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) [النمل: ٨٨]^١.

^١ - انظر كلام المهندس عبد الدائم الكحيل على:

<http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2012-12-04-18-31-08/1086->

(2013-03-20-14-01-52)

٤- النوم على الجانب لأيمن:

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، نَامَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ) (صحيح البخاري: ٦٣١٥)

فالنوم يكون إما على البطن، أو على الظهر، أو على الشق الأيسر، أو على الشق الأيمن،
واتضح أن الأنسب والأفضل صحياً للإنسان النوم على الشق الأيمن.

- فالذين ينامون على بطونهم يشعرون بضيق في التنفس؛ لأن ثقل الظهر والهيكل العظمي يقع على الرئتين، إضافة إلى أن هذه النوم غير لائقة، ولذلك نهي عنها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فعن أبي هريرة قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً مضطجعاً على بطنه فقال: "إِنَّ هَذِهِ ضَجْعَةٌ لَا يُحِبُّهَا اللَّهُ"^١.

- أما الذين ينامون على ظهورهم فيأختم يعطلون جهازاً من أدق الأجهزة، وهو جهاز التسخين والتصفية، ففي الأنف سطوح متداخلة، فيها شرايين ذوات عضلات، إذا توسعت العضلات جاءت كمية كبيرة من الدم، فإذا سار الهواء في هذه السطوح المتداخلة على نحو حلزوني، ولامس كميات الدم الكبيرة المتدفقة على الأنف بفعل عضلات الشرايين عندئذ يسخن الهواء، ويصل إلى أول القصبة بدرجة ٣٨، ولو كان قبل دخوله الأنف بدرجة الصفر، أضيف إلى أن هذه السطوح فيها مادة لرجة، فأى غبار، وأى هباب، أى جسم، أى شيء يمكن أن يعلق بها، ولو تصورنا أن شيئاً ما استطاع أن يسير بين السطوح دون أن يلمسها، أو أن يعلق عليها، فهناك الأشعار التي خلقها الله في الأنف من أجل أن تصطاد هذه المواد الغريبة، وهذه الأشياء العالقة في الهواء، إنه أرقى جهاز تسخين، وأرقى جهاز تصفية من أجل أن يصل الهواء إلى الرغامى نقياً، دافئاً، نظيفاً، مصفىً.
إذا نام الإنسان على ظهره، وتنفس من فيه فكأنه عطّل هذه الأجهزة البالغة التعقيد، ولذا يرى المرء أنفه عند البرد الشديد أحمر قانياً، وإذا تنفس الإنسان من فيه ماذا يحدث؟ سيكون أكثر تعرضاً

١ - أخرجه الترمذي في (سننه: ٢٧٦٨) وصححه الألباني في (المشكاة: ٤٧١٨)

للزكام من غيره، وتحفُّ لثَّته، وإذا جفَّت تراجمت، وتراجع اللثة عن الأسنان مرضُ العَصْرِ، أُضِفَ إلى أنَّ الشخيرَ الذي لا يحتمل سببه هو التنفس من الفم.

- بقي النوم على الشقِّ الأيسر، فإنَّ الطعام يستغرق في الحالة الطبيعية من ساعتين إلى أربع ساعات في المعدة، فإذا نام الإنسان عن الشقِّ الأيسر استغرق هضم الطعام من خمس إلى ثماني ساعات، لأن الرئة اليمنى - وهي الكبيرة - تضغط على القلب، والكبد - وهو أكبر الأعضاء - يبقى معلقاً قلقاً، أمَّا إذا نام الإنسان على شقِّه الأيمن، والرئة اليسرى أصغر وأخف، والكبد وهو أكبر أعضاء الجسم مستقرٌّ في الجسد على جهة الأرض، فإنَّ الهضم يتمُّ بسرعة،

لذلك قال بعضهم: "النوم على الظهر نومة الأمراء، والنوم على البطن نومة الشياطين، والنوم على الشقِّ الأيسر نومة الأغنياء، فإنهم لكثرة أكلهم ينامون على الشقِّ الأيسر كي يستريحوا، أمَّا النوم على الشقِّ الأيمن فهو نوم العلماء".^١

^١ - انظر بتصرف (موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: ٦٢-٦٤) محمد راتب النابلسي

(٥) علاج الجراثيم التي يحملها الذباب

ففي (صحيح البخاري: ٣٣٢٠) عن هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابٍ أَحَدِكُمْ، فَلْيَغْمِسْهُ، ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ، فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءٌ وَالْأُخْرَى شِفَاءٌ).

لقد بدأت التجارب منذ بداية القرن العشرين في مجال المضادات الحيوية باستخدام الحشرات، ولكن من أغربها ما قامت به الدكتورة "جوان كلارك" في أستراليا، وذلك عندما خرجت بتجربة وجدت فيها أن الذباب يحوي على سطح جسمه الخارجي مضادات حيوية تعالج العديد من الأمراض، أي أن الذباب فيه شفاء!!!

لقد استغرب كل من رأى هذا البحث، ولكن التجارب استمرت، حيث قام العلماء بالعديد من الأبحاث في هذا المجال ووجدوا أن الذباب الذي يحمل الكثير من الأمراض يحمل أيضاً الكثير من المضادات الحيوية التي تشفي من هذه الأمراض، ولذلك فإن الذبابة لا تُصاب بالأمراض التي تحملها!!

وهذا أمر منطقي لأن الذبابة تحمل الكثير من البكتريا الضارة على جسدها الخارجي ولذلك ولكي تستمر في حياتها ينبغي أن تحمل أيضاً مواد مضادة للبكتريا، وهذه المواد زودها الله بها ليقبها من الفيروسات والأمراض.

المفاجأة أن العلماء وجدوا أن أفضل طريقة لتحرير هذه المواد الحيوية المضادة أن نغمس الذبابة في سائل!! لأن المواد المضادة تتركز على السطح الخارجي لجسد الذبابة وجناحها.

أخوتي في الله! إن هذه المعلومات لم تظهر إلا منذ سنوات قليلة، وعندما يتحدث عنها علماء الغرب أنفسهم فإنهم يتحدثون بصيغة الاستغراب، لأنها معلومات

جديدة بالنسبة لهم وغريبة أيضاً، ففي إحدى الدراسات جاء في بداية المقالة ما يلي:

"The surface of flies is the last place you would expect to find antibiotics"

ومعنى هذا أن سطح الذباب هو آخر ما يتصوره الإنسان أن يجد عليه مضادات حيوية.

واليوم يحاول أطباء من روسيا تطوير علاج جديد بالذباب، حيث لاحظوا أن الذباب يحوي مواد كثيرة يمكنها المساعدة على الشفاء أكثر من الأدوية التقليدية، ويقولون إن هذا العلاج الجديد سيشكل ثورة في عالم الطب.

يقول العلماء إن الذباب يحمل أنواعاً كثيرة من البكتريا والفيروسات والجراثيم الممرضة، ولكنه بنفس الوقت يحمل على سطح جسده مواد مضادة لهذه الجراثيم، وإن أفضل طريقة لاستخلاص المواد الحيوية المضادة من الذبابة تكون بغمسها في السائل، وهذه اكتشافات حديثة حيرت الباحثين ولم تكن متوقعة أبداً أن يجدوا الداء والدواء في نفس المخلوق وهو الذباب!!
ويؤكد علماء الحشرات في آخر أبحاثهم أن هناك تشابه كبير بين قلب الذبابة وقلب الإنسان! وهناك نفس الأعراض المتعلقة بأمراض القلب الناتجة عن الشيخوخة، ولذلك يسعون جاهدين للاستفادة من الذباب في صنع علاج لأمراض القلب، أي أن الذباب فيه شفاء للقلب أيضاً!!

فهذا هو البروفسور Juan Alvarez Bravo من جامعة طوكيو، يقول: إن آخر شيء يتقبله الإنسان أن يرى الذباب في المشفى! ولكننا قريباً سوف نشهد علاجاً فعالاً لكثير من الأمراض مستخرج من الذباب!

أيضاً هنالك بعض الباحثين في الولايات المتحدة الأمريكية يحاولون إيجاد طرق شفائية جديدة باستخدام الذباب ويؤكدون أن العلاج بالذباب هو أمر مقبول علمياً في المستقبل القريب.

وإن المرء ليعجب من دقة التعبير النبوي الشريف، حيث حدد لنا وجود الشفاء في جناح الذبابة، وحدد لنا أسلوب استخلاص هذا الشفاء أي كيفية الحصول على المضادات الحيوية من خلال غمس الذبابة في السائل. وهذه المعلومة لم تُكتشف إلا منذ سنوات قليلة فقط. وهذا الحديث يشهد على صدق نبينا عليه الصلاة والسلام^١

^١ - راجع كلام المهندس عبد الدائم الكحيل على
<http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2010-02-02-22-31-09/497->
(2012-09-27-17-47-56)

خاتمة

فهناك المئات من الأحاديث النبوية قد ثبت فيها الإعجاز العلمي ومن ذلك أنها أرشدت إلى العلاج بالحبة السوداء، وأنها أرشدت إلى أهمية الحجامة في العلاج وحددت أهم المواضع للتشريط، وأنها حدّدت القطعة الأساسية التي يتكون منها الإنسان وهو عَجْبُ الذَّنْبِ، وأنها أرشدت إلى ضرورة نفض الفراش قبل النوم, وكل ذلك ثبت علمياً فما ذكرناه مجرد أمثلة فقط، والحمد لله رب العالمين.

وبعد:

هذا الدليل فيه ردٌّ قوي على أعداء السُّنة، فهناك فرقة تسمى بالقرآنيين أو الفرماوية الذين ينكرون السُّنة، ولا يأخذون إلا بالقرآن فضلوا وأضلوا؛ لأن القرآن يفسر بالقرآن وبالسُّنة، وقد رأيت أيها القارئ اللبيب أن السُّنة نبأت بأمور غيبية وتحققت فعلاً على فترات متباعدة، وهناك ما ثبت علمياً وأدهش العقول وأبهر العلماء الفحول، فهذا دليل قوي على أهمية الأخذ بالسنة النبوية المطهرة، وليت شعري كيف ينكر القرآنيون السُّنة، وقد أسلم بسببها العلماء الفطاحل من الغرب؟ وهذا ليس مجالاً للرد عليهم^(١).

(١) ومن أراد الإطلاع على شبهاتهم وفضائهم والرد عليه فليراجع (كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها) عماد السيد محمد إسماعيل الشرييني، فهو كتاب قيّم، والحمد لله.

الدليل الرابع على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وإنجازاته

فمن اطلع بتجرد وتمعن على سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى ما اتصف به من كريم الأخلاق كالتواضع والصدق والأمانة والعفة والطهارة والقوة والشجاعة والعصمة والفظانة وحسن الإدارة.... ونتائج إدارته..... جزم يقيناً برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

فقد اشتهر المصطفى صلى الله عليه وسلم قبل نزول النبوة عليه بالصادق الأمين، واشتهر بحسن الخلق عامةً، وكان قبل البعثة حنيفياً لا يسجد لصنم كما يفعل الكفار، بل يعبد الله وحده.

* ولا ننسى أبداً أن من أمانته العظيمة أنه لم يكتفم آيات العتاب التي نزلت عليه مثل قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ) [الأحزاب: ١]، وقوله تعالى: (عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى) [عبس: ١، ٢]،

وعتاب الله له حين أخذ الفدية من أسرى المشركين قال تعالى: (مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْأَجْرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [الأنفال: ٦٧-٦٩]،

وغيرها من الآيات التي نزل فيها عتاب شديد لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، فكلها وصلت إلينا ولم يكتفمها الرسول صلى الله عليه وسلم وهذه من أمانته.

ومن اطلع على إنجازات الرسول صلى الله عليه وسلم في أمته لجزم بصدق رسالته، وكما يقول المسيح: في (متى: ١٥/٧-١٨) (احترزوا من الانبياء الكذبة الذين ياتونكم بثياب الحملان و لكنهم من داخل ذئاب خاطفة من ثمارهم تعرفونهم هل يجتنون من الشوك عنباً او من الحسك تيناً هكذا كل شجرة جيدة تصنع اثماراً

جيدة و اما الشجرة الرديّة فتصنع اثمارا رديّة لا تقدر شجرة جيدة ان تصنع اثمارا رديّة و لا شجرة رديّة ان تصنع اثمارا جيدة)

فإنجازات النبي صلى الله عليه وسلم هي التي تحدد مدى صدقه، وسوف يتضح ذلك من خلال المقارنة بين أحوال العرب قبل الإسلام وأحوالهم بعد الإسلام كما يلي:

أولاً: أحوال العرب قبل الإسلام:

- (١) الكفر الصريح، فقد كانوا يعبدون الأصنام، ويستغيثون بها يعني عقولهم كانت في أدنى الحضيض، وقليل منهم من دخل في النصرانية كورقة بن نوفل، وقليل منهم من تبع اليهود، وقليل منهم من كان على الحنيفية كخديجة وأبي بكر....
- (٢) التشرذم، فقد كانوا متفرقين قبائل لا يجتمعون تحت رئيس واحد، وكان لكل قبيلة زعيم، وعندهم حمية وعصبية حمقاء تسببت في نشوب المعارك الكثيرة بينهم، ووقوع الآلاف من القتل والجرحى.
- (٣) كان الرجل منهم يجمع بين العديد من الزوجات بلا حدود والطلاق ليس له حدود عندهم، ومنهم من كان يتزوج بالمحارم مثل زوجة الأب، ومنهم من يجمع بين الأختين في الزواج وكان التبني منتشرًا بينهم.
- (٤) المرأة كانت تباع وتشتري فلا كرامة لها، فكانت تعامل كالأنعام، بل كانوا يدفنونها بالحياة وهي صغيرة ويسمى (وأد البنات)، قال تعالى: (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) [التكوير: ٨، ٩].
- (٥) الجهل كان عنوانًا على العرب، فكانوا أميين لا يقرأون ولا يكتبون ولا يعرفون شيئًا عن الحضارة.
- (٦) الجور كان منتشرًا بينهم، فالقوي يأكل الضعيف مثل الغابة، وكذلك انتشر بينهم أكل الأموال بالباطل كالغش والقمار والربا....
- (٧) انتشار الفواحش بصورة مذهلة، وكانت هناك بيوت للدعارة وقليل من العرب من كان يتعفف من الزنا.
- (٨) الخمر كانت منتشرة جدًا، بل يشربونها أكثر من الماء العذب.

(٩) الفقر كان لا يُعرف إلا في بلاد العرب، فقد كانوا حفاةً عراةً لا يعرفون سوى رَعِي الأنعام، وكان منهم من يقتل أولاده من شدة الفقر، ومنهم من يأكل الميتة من شدة الفقر.

(١٠) كانوا في ذلّ وصغار في نظر الدول الأخرى كالفرس والروم، وفي بعض الأحوال يكونون تحت إمرة الفرس سياسياً، ما بعض الدول كان لها ملك منهم يحكمهم مثل اليمن وحمير....

مما سبق نعلم أن أحوال العرب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية قبل الإسلام كانت في أدنى الحضيض، بل كانوا في ظلام دامس لا يعرفون النور^١.

^١ - من أريد المزيد من التفاصيل فليراجع (الرحيق المختوم: ٩-٣٨)، وهناك كتاب ضخم في عشرين مجلد يتكلم عن تاريخ العرب قبل الإسلام ، اسمه (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) للدكتور جواد علي.

ثانياً: حالة العرب بعد مجيء الإسلام ونزول الرسالة على سيد الأنام محمد صلى الله عليه وسلم:

بعث الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم من وسط العرب الأميين لكي يخرجهم من الظلمات إلى النور كما قال تعالى: (الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) [إبراهيم: ١]، (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [الجمعة: ٢].

وبعد نزول الرسالة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تغير مسار التاريخ عند العرب، وحدثت إنجازات لا حصر لها، ومنها ما يلي:

(١) إعلان التوحيد برب العبيد: وهو أول شيء اهتم به الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث حارب الكفر والشرك ومنع السجود والتقرب والتذلل لغير الله تعالى، وتحمل في سبيل ذلك الشدائد حتى نصره الله تعالى.

(٢) إرساء دعائم الدين ومبادئه: مثل الوسطية واليسر والسماحة والعدل والمساواة ونفي التمييز بين الأجناس، فلا فرق بين غني وفقير أو وزير وخفير، والعالم كله يشاهد أثر المساواة بين أجناس المسلمين في الصلاة ومناسك الحج والعمرة، فلا فرق بين ملك ومملوك ورئيس ومرءوس وأمير ومأمور فلا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح.

(٣) علاج المشاكل الاجتماعية مثل الزنا والسرقعة وقطع الطرق، فقام بتيسير الزواج ومنع التبرج والسفور وسائر المفتنان وشرع حد الكفاف للفقراء وشرع الحدود الزاجرة عن اقتراف الجرائم.

(٤) أرسى كافة الحقوق كحق الله وحق الرسل وحق الآباء وحق الأولاد وحق الفقراء وحق المرأة وحق الحرية وحق التكريم وسن التشريعات المنظمة للأسرة مثل تحديد عدد الزوجات وعدد مرات الطلاق والرجعة، حتى لا تُظلم المرأة ويضيع حقها في الأسرة، ومنع زواج المحارم، ومنع قتل الأولاد عامةً.

(٥) أسس اتحاد الأمة فجعلها تحت رياسة واحدة ومنع التشرذم وعالج العصبية الحمقاء باللين، حتى اجتمعت كلمة الأمة على رجل واحد، وهدف واحد، فقويت على أعدائها كما قال تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) [آل عمران: ١٠٣]، وقوله تعالى: (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا) [الأنفال: ٤٦].

(٦) منع كل ماهو ضرر على البدن أو المجتمع كشرب الخمر وأكل الخنازير والميتة وفعل الفواحش.... قال تعالى في وصف النبي صلى الله عليه وسلم: (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) [الأعراف: ١٥٧].

(٧) نادى بالعلم ورفع من شأن العلماء وطلاب العلم لعلاج الجهل المتفشي في بلاد العرب، وجعل المسجد جامعة يتخرج منه العلماء، ولا ننسى أن مسجد الأزهر في مصر تحول إلى جامعة الأزهر.

(٨) نادى بالعمل والإنتاج لمحاربة الفقر، فالعلم والعمل أساس الحضارة.

(٩) منع كل وسائل الظلم والطغيان مثل الربا والغش في المعاملات والميسر والتبني (وهو انتساب الولد إلى غير أبيه وهذا ظلم).

(١٠) أعلن أنه جاء ليتمم محاسن الإخلاق فأرسى محاسنها كالتواضع والحلم والكرم والسماحة والعفو والبر والأمانة والشجاعة والوفاء بالعهود.....

وبعد فما ذكرناه هو غيض فيض وإلا فالإنجازات تُجَلُّ عن الإحصاء والإستسقاء فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم غير مسار التاريخ للأمة العربية، فحوّلها من رعاء للغنم إلى قادة للأمم، فقد ظهروا على الفرس والروم، ووصلت الدولة الإسلامية إلى

حدود الصين والهند، وشهد القاضي والداني أن سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم أخرج العرب من ظلام دامس إلى شمس النهار، ومن ذلٍّ وصغار إلى عزّة وانتصار.

سبحان الله لقد كانت الجزيرة العربية تأكل الجيفة والميتة من شدة الفقر، ثم صاروا أغنى الدول بعد مجيء الإسلام، وصدق من قال:

لما دعا الله داعينا لطاعته بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم
أخوك عيسى دعا ميتًا فقام له وأنت أحييت أجيالًا من الرمم

* ملحوظة: لقد بدأ النبي صلى الله عليه وسلم التخطيط للدولة الإسلامية بعد هجرته إلى المدينة، وهذا يعني أن الإنجازات تمت خلال عشر سنوات فقط، وهذا بديهي ومذهل للعقول ومدعش للعلماء الفحول، وكلنا نعلم أنه كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، فكيف استطاع أن يبني هذه الأمة العظيمة، وكيف أن أثره لا زال موجودًا منذ بضعة عشر قرنًا، والأثر يزداد وضوحًا يومًا بعد يوم، كيف يحدث ذلك كله إلا أن يكون فعله بوحى من علام الغيوب؟

مقارنة:

من خلال ما سبق تعلم أن شريعة الإسلام حولت العرب من الظلمات إلى النور بل حولت الفخار البالي إلى ذهب نقي، بسبب تأثير الإسلام في أخلاق أتباعه،

أما اليهود والنصارى فتجد العكس فلم تؤثر شريعتهم عليهم بل جاءت النتائج سلبية جدًّا ومن ذلك أنه انتشر بينهم الفواحش والشذوذ الجنسي والربا السرقة والخمور والإنتحار والتمييز العنصري والإلحاد.....

* شهادة واعتراف:

لقد شهد القاضي والداني بعظمة إنجازاته رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ومن هؤلاء^(١):

(١) المؤرخ الأمريكي (مايكل هارت) في كتاب (العطاء مائة):

ذكر في كتابه مائة شخصية ممن لهم تأثير في تاريخ البشرية، ووضع سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم على رأس المائة، وذكر السبب قائلاً: (إن محمداً صلى الله عليه وسلم كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكلٍ أسْمَى وأبرز في كلا المستويين الديني والديني... إن هذا الاتحاد الفريد الذي لا نظير له للتأثير الديني والديني معاً يحوله أن يعتبر أعظم شخصية ذات تأثير في تاريخ البشرية).

(٢) د. روي بارت عالم ألماني ومدرس الدراسات الشرقية بجامعة هايدلبرج بألمانيا: قال: (كان العرب يعيشون منذ قرون طويلة في بوادي وواحات شبه الجزيرة يعيشون فيها فساداً حتى أتى محمداً صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الإيمان بإله واحد خالق باري، وجمعهم في كيانٍ واحد متجانس).

(٣) د. شبرك النمساوي: قال: (إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها، إذ إنه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون إذا توصلنا إلى قمته).

(٤) مارسيل بوازار مفكر وقانوني فرنسي قال في كتابه (إنسانية الإسلام):

(لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم على الصعيد التاريخي مبشراً بدينٍ فقط، بل كان أيضاً مؤسس سياسة غيرت مجرى التاريخ، وأثرت في تطور انتشار الإسلام فيما بعد على أوسع نطاق).

(١) - راجع هذه الأقوال في كتاب (قالوا عن الإسلام)، د. عماد الدين خليل.

(٥) المؤرخ الفرنسي (غوستاف لوبون) قال في كتابه (حضارة العرب):

(إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد صلى الله عليه وسلم من أعظم من عرفهم التاريخ، وقد أخذ علماء الغرب ينصفون محمداً صلى الله عليه وسلم..... لا شيء أصوب من جمع محمد صلى الله عليه وسلم لجميع السلطات المدنية والحربية والدينية في يد واحدة أيام كانت جزيرة العرب..... وقد فتح العرب العالم كله في قرنٍ واحد بعد أن كانوا قبائل من أشباه البرابرة المتحاربين قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم).

*** أشعار قيلت في النبي المختار صلى الله وسلم عليه وعلى جميع الأخيار:

قطوف من رثاء أبي سفيان له^١:

لقد عظمت مصيبتنا وجَلَّتْ
عشية قيل قد قُبِضَ الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها
تكاد بها جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل الذي
كان يروح به ويغدو جبريل
نبيُّ كان يجلو الشكَّ عنَّا
بما يُوحى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالاً
فالرسول كان لنا دليل

قطوف من قصيدة محمد بن عبد الرحمن المقرن^٢:

الله أرسلك إلينا رحمة ما ضلّ من تبعت خطاه خطاكا
كنا حيارى في الظلام فأشرقت شمس الهداية يوم لاح سناكا
كنا وربى غارقين بغيئنا حتى ربطنا حبلنا بعراكا
لولاك لم نعبد إلهًا واحدًا حتى هدانا الله يوم هداكا
قطوف من قصيدة محمد بن عائض القرني^٣:

محمد خير من سارت به قدم وأكرم الناس ماضيها وباريها
أوفى الخليفة إيمانًا وأكملها دينًا وأرجحها في وزن باريا

^١ - (السيرة النبوية: ٤ / ٥٥٨ - ٥٥٩) لابن كثير.

^٢ - (موسوعة الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ١٢/٩) جمعها وقدم لها ورتبها الباحث في القرآن والسنة علي بن نايف الشحود

^٣ - المصدر السابق (١٠-١١/٩)

مَنْ مَثَّلَهُ فِي الْوَرَى بَرًّا وَمَرْحَمَةً؟ وَمَنْ يَشَابَهُ لَطْفًا وَتَوْجِيهًا؟
 جاءت رسالته للناس خاتمة وجاء بالنعمة المسداة يهديها
 أحياء الحنيفة الغراء متبعا نهج الخليل ولم يخطئ مراميها
 وسار في كنف الرحمن يكلؤه إلى الحسان من الأخلاق بينها
 هو البشير لمن أصغى لدعوته هو النذير لمغرور يعاديا
 كسرى تكسر إذعانا لهيبته قصور قيصر هددت من أعاليها
 وأقبلت أمم شتى مبايعة تمد للعدل والإحسان أيديها
 نالت بدعوته نعمة ومكرمة وأسعد الله بعد البؤس ناديا
 أقام بالعدل مجدا لا زوال له وأمة كنف الرحمن يحميها
 قطوف من قصيدة د. عبد الرحمن العشماوي^١:

يا خير من وطئ الثرى وتشرفت * بمسيره الكثران والأحجار
 من تبع هديك تستقى الأنوار * وإلى ضيائك تنتمي الأقدار
 رب العباد حبك أعظم نعمة * دينا يعز بعزه الأخيار
 حُفِظَتْ بِكَ الْأَخْلَاقُ بَعْدَ ضِيَاعِهَا * وتسامقت في روضها الأشجار
 أنشأت مدرسة النبوة فاستقى * من علمها ويقينها الأبرار
 هي للعلوم قديمها وحديثها * ولمنهج الدين الحنيف منار
 لله درك مرشدا ومعلما * شرفت به وبعلمه الآثار
 قد كنت قرانا يسير أمامهم * وبك اقتدوا فأضاءت الأفكار

^١ - المصدر السابق (٦١/٩-٦٠).

ما أنت إلا الشمس يملأ نورها * آفاقنا مهما أثير غبار
 أعلاك ربك هممة ومكانة * فللك السمو وللحسود بوار
 وقال عائض القرني في (مقامات القرني: ص ٢١):

صلى عليك الله يا علم الهدى * فاستبشرت بقدمك الأيام

هتفت لك الأرواح من أشواقها * وازينت بحديثك الأرقام

هو المتعبّد في غار حراء ، صاحب الشريعة الغراء ، والملة السمحاء ، والحنيفية
 البيضاء ، وصاحب الشفاعة والإسراء ، له المقام المحمود ، واللواء المعقود ، والحوض
 المورد ، هو المذكور في التوراة والإنجيل ، وصاحب الغرة والتحجيل ، والمؤيد بجبريل
 ، هو خاتم الأنبياء ، وصاحب صفوة الأولياء ، إمام الصالحين ، وقدوة المفلحين ، تنظم في
 مدحه الأشعار ، وتدبج فيه المقامات الكبار ، وتنقل في الثناء عليه السير والأخبار ، ثم
 يبقى كنزاً محفوظاً لا يوفيه حقه الكلام ، وعلماً شامخاً لا تنصفه الأقلام ، إذا تحدثنا عن
 غيره عصرنا الذكريات ، وبحثنا عن الكلمات ، وإذا تحدثنا عنه تدفق الخاطر ، بكل
 حديث عاطر ، وجاش الفؤاد ، بالحب والوداد ، ونسيت النفس همومها ، وأغفلت
 الروح غمومها ، وسبح العقل في ملكوت الحب ، وطاف القلب بكعبة القرب ، هو الرمز
 لكل فضيلة ، وهو قبة الفلك خصال جميلة ، وهو ذروة سنام المجد لكل خلال جليلة
 مرحباً بالحبيب والأريب والنجيب الذي إذا تحدثت عنه تراحمت الذكريات ، وتسابقت
 المشاهد والمقالات صلى الله على ذاك القدوة ما أحلاه ، وسلم الله ذاك الوجه ما أباه ،
 وبارك الله على ذاك الأسوة ما أكمله وأعلاه ، علّم الأمة الصدق وكانت في صحراء
 الكذب هائمة ، وأرشدنا إلى الحق وكانت في ظلمات الباطل عائمة ، وقادها إلى النور
 وكانت في دياجير الزور قائمة....

وللمزيد راجع الكتاب المذكور أعلاه

شبهات واهية وردود شافية

سؤال: بعض اليهود والنصارى والمستشرقين قالوا إن محمداً صلى الله عليه وسلم كان شهوانياً لأنه تزوج كثيراً؟

ويرد عليهم بعدة أمور:

الأمر الأول: التعدد بين الزوجات فعله كثير من الرسل السابقين، فقد كان لسليمان سبعمئة زوجة وثلاثمائة من الإماء كما في [سفر الملوك الأول: ٣/١١].

وكان لداود عليه السلام سبع نساء كما في [سفر صموئيل الثاني: ٣/١-٥].

وفي [التكوين: اصحاح/ ٢٩، ٣٠] كان ليعقوب عليه السلام زوجتان وأمتان.

وفي [التكوين: اصحاح/ ٢٥] كان لإبراهيم زوجتان سارة وقطورة وأمة هي هاجر

وهذا يعني أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم لم يبتدع تعدد الزوجات قال تعالى: (قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) [الأحقاف: ٩] وكان التعدد منتشرًا في العرب بل ومنهم من تزوج بأكثر من عشر نساء.

الأمر الثاني: أول امرأة تزوجها السيدة خديجة وهي التي طلبت منه الزواج وكانت ثيباً وأكبر منه سنًا بحوالي خمسة عشر عامًا، فوافق مع أنه شاب في سن المراهقة ولو كان شهوانياً لبحث عن بكر وتزوجها كباقي الشباب، لكنه لم يفعل، ومع ذلك لم يتزوج عليها حتى ماتت، فكيف يكون شهوانياً؟ (سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) [النور: ١٦].

الأمر الثالث: جميع نسائه كنَّ ثيباتٍ إلا عائشة وكانت صغيرة لا تُشْتَهَى؛ لأنه دخل بها وعمرها تسع سنوات بعد أن هاجر إلى المدينة، وكانت تلعب مع البنات الصغار، وكانت عائشة الزوجة الثالثة، فقد تزوج عجوزاً بعد السيدة خديجة، وهذا دليل على بطلان زعمهم.

الأمر الرابع: تعدد الزوجات كان لدواعي سياسية وإنسانية ودينية:

* **سياسية:** مثلما فعل حين تزوج جويرية بنت الحارث من بني المصطلق ، فلما وقعت الغزوة وظهر عليهم وأسرها وأسلمت تزوجها بعدما أعتقها لكي يؤلف قلوب قومها على الإسلام، وهو ما حدث بالفعل فقد دخلوا في دين الله تعالى،

وكذلك حين تزوج بأم حبيبة بنت أبي سفيان لما تركها زوجها الرسول صلى الله عليه وسلم، وحتى يكف أبوها عن إيذاء المسلمين، فقد كان شديد العداوة للمسلمين قبل أن يُسلم، ثم هداه الله إلى الإسلام،

وكذلك تزوج بعائشة وحفصة لكي يوطد العلاقة بينه وبين أبويهن أبي بكرٍ وعمر، وليكونَ تشریفًا لهما كما زوّج ابنته فاطمةً لعلي، وزوّج رقيةً لعثمان، ولما ماتت زوّجه أمّ كلثوم، وبذلك وطّد العلاقة بينه وبين وزرائه الأربعة، وقد أصبحوا خلفاء له من بعده.

* **إنسانية:** مثل زواجه من أم سلمة وسودة بنت زمعة رافعةً لهما بعدما مات زوجيهن.

* **دينية:** مثل زواجه من زينب بنت جحش لإبطال التبني.

فقد كان التبني منتشرًا عند العرب، ويترتب عليه ما يترتب على النبوة الحقيقية من إرث وتحريم زوجة الابن، وقد تبني الرسول صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة قبل نزول النبوة عليه، ولما نزلت عليه النبوة عاتبه ربه، فقال: (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ) [الأحزاب: ١]، وبعد أن طلق زيد زوجته زينب أمر الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بزواجه منها حتى يُعلن بطلان التبني أصلاً،

* **وهناك حكّم أخرى، ومنها الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم في معاملة الزوجات بالعدل،**

ومنها رواية أحاديث وأحواله في بيته وقد كانت عائشة وحفصة وأم سلمة من رواة الحديث ومنها أن تقوم زوجاته بتثقيف النساء.

سؤال هام من المستشرقين العوام:

قالوا لماذا لم يفارق ما زاد عن أربع حين نزل التحديد بأربع زوجات؟

ويرد عليهم بما يلي:

بأن الزيادة على أربع زوجات أصبحت خصوصية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك لعدة أمور منها:

الأمر الأول: أن زوجاته يُحَرَّم عليهن الزواج من أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء طلقها الرسول صلى الله عليه وسلم أو مات عنها، فكيف يطلق ما زاد عن أربع ويجرمهن من الزواج بعده، أليس هذا ظلم وعقاب بلا ذنب؟!

الأمر الثاني: أن نسائه أمهات للمؤمنين، وهذا تشریف لمن كما قال تعالى: (النَّبِيِّ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) [الأحزاب: ٦]، فإذا طلق الزيادة على الأربع حرمهن من هذا التشریف، وهذا ظلم وعقاب بلا ذنب.

الأمر الثالث: أن هذا السؤال يصح لو كان النبي صلى الله عليه وسلم تزوجهن للاستمتاع، أما إن كان تزوجهن لدواعي أمنية وسياسية وإنسانية ودينية فلا يصح أن يرد هذا السؤال أصلاً لأن الدواعي لا زالت موجودة.

سؤال: قال بعض النصارى إن عيسى عليه السلام أظهر من محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن عيسى لم يتزوج ومحمد صلى الله عليه وسلم تزوج؟

ويرد عليهم بأمور:

الأمر الأول: لولا الزواج ما أتى عيسى عليه السلام، لأن مريم أتت من زواج أبيها بأمها، وكذلك سائر الرسل السابقين كإبراهيم وإسحاق ويعقوب وغيرهم كلهم جاءوا من الزواج وتزوجوا أيضاً، فكيف تقولون الزواج نجس!!؟

الأمر الثاني: إن مريم بعدما أنجبت عيسى تزوجت بيوسف النجار وأنجبت منه أربعة أشخاص كما في (متى: ١٣/٥٥) فهل أنتم أظهر منها؟!!!.

الأمر الثالث الراهب لا يتزوج، فهل هذا معناه أنه أظهر من الرسل الذين تزوجوا مثل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وسليمان وداود وأيوب.....؟ عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

الأمر الرابع: كيف تزعمون أن الزواج نجس وأنتم تزعمون أن الله تعالى تزوج مريم وأن عيسى ابن الله، فهل الرهبان عندكم أظهر من الله تعالى؟!!! سبحان الله وتعالى عما تقولون علواً كبيراً.

سؤال: قالوا إن خديجة كانت نصرانية لذلك لم يتزوج عليها الرسول صلى الله عليه وسلم حتى ماتت تماشياً مع دينها؟

ويرد عليهم بأمور:

الأمر الأول: أنها كانت على الحنيفية ملة إبراهيم، ثم أسلمت وهذا مشهور في كتب السيرة ولا يوجد دليل واحد على أنها كانت نصرانية.

الأمر الثاني: الإسلام يبيح الزواج بأربع عفيفات حتى ولو كُنَّ نصرانيات، يعني لو كانت نصرانية فلا مانع للرسول صلى الله عليه وسلم أن يتزوج عليها، لكنها كانت مسلمة ومع ذلك لم يتزوج عليها لعدم وجود الداعي.

الأمر الثالث: لما ماتت لم يتزوج بعدها مباشرة، بل ظل عاماً كاملاً بلا زواج حزناً عليها؛ لأنها كانت تدافع عن الإسلام والمسلمين، فهل النصراني يدافعون عن الإسلام؟ أفّ لكم ولما تقولون.

الدليل الخامس على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

نصرة الله تعالى لدين الإسلام

فلا يشك أحد في أن الله نصر الإسلام ويتضح ذلك من الأمور الآتية:

الأمر الأول: العمر الطويل للدعوة الإسلامية:

فدعوة الإسلام عمرها الآن اقترَب من خمسة عشر قرناً، وستظل قائمة إلى يوم الدين، فلو كانت دعوة الإسلام مفتراة على الله تعالى، وكان محمد صلى الله عليه وسلم كاذباً في ادعائه النبوة لخذله الله، ولأخذ دعوته، ولكن دعوة الإسلام انتشرت في معظم البقاع الأرضية، وانتصرت على مناوئها على مدى العصور والقرون، أليس هذا تأييداً من الله تعالى لدعوة الإسلام؟

* قال المؤرخ والفيلسوف (كارليل) صاحب كتاب (الأبطال وديانة الأبطال):
(هل رأيت قط .. أن رجلاً كاذباً يستطيع أن يوجد ديناً عجيباً.. إنه لا يقدر أن يبني بيتاً من الطوب!)^(١).

ومعنى كلامه واضح وهو هل يستطيع كاذب أن يبني أمة، إنه لا يستطيع أن يبني بيتاً إلا إذا كان عالماً بفن البناء؟، فكيف بمن بنى بيتاً يسكنه الملايين وظل بضعة عشر قرناً، كيف يكون كاذباً؟

* ويقول المؤرخ الإنجليزي (جيبون أوكلي): (ليس انتشار الدعوة الإسلامية هو ما يستحق الانبهار، وإنما استمراريتها وثباتها على مر العصور)^٢.

(١) انظر كتابه (الأبطال: ٤٣)، وكتاب الدكتور عماد خليل (قالوا عن الإسلام: ١٢٢).

٢- انظر كتابه (تاريخ إمبراطورية الشرق: ص ٥٤)

الأمر الثاني: الزيادة المذهلة لأتباع دين الإسلام:

فما من يوم تشرق فيه الشمس إلا ويدخل في دين الإسلام أشخاص وعلماء من مختلف الأديان، وفي كل البلاد، فلا تجد دولة إلا وفيها مسلمون، ولقد وصل عدد المسلمين اليوم إلى ما يزيد على ربع العالم أجمع، والزيادة في ارتفاع دائم، وبصورة مذهلة كل هذا تأييد من الله لدين الإسلام.

* يقول غوستاف لوبون المؤرخ الفرنسي المشهور: (تأثير دين محمد صلى الله عليه وسلم في النفوس أعظم من تأثير أي دين آخر)^١.

ولقد دخل العديد من القساوسة في دين الإسلام، وكثير من علماء اليهود دخلوا دين الإسلام، وقد تحدثنا عن الكثير من هؤلاء في ثنايا الكتاب^(٢)، أليس دخول هؤلاء في دين الإسلام شهادة صادقة على صحة دين الإسلام، وأنه هو الدين الحق، وهم علماء لا يشك أحد في رجاحة عقولهم؟

ونسبة زيادة المسلمين في ارتفاع دائم، فكان المسلمون يزيدون بنسبة مئوية والآل يزيدون بالأضعاف، فكانوا يقدرون بالملايين، ثم عشرات الملايين، والآن بمئات الملايين حتى وصلوا إلى فوق المليار ونصف المليار كل هذا دليل واضح على تأييد الله لدين الإسلام، على الرغم أن أمريكا والغرب يكتفون من جهودهم ينفقون المليارات لمحاربة الإسلام، ولم ولن يفلحوا وليس لهم إلا الخسران قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) (الأنفال: ٣٦) وقال تعالى: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [الصف: ٨] وقال: (وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [الأنفال: ٣٠].

^١ - انظر كتابه (حضارة العرب: ٤١٧)، وكتاب الدكتور عماد خليل (قالوا عن الإسلام: ٢٣٦)

(٢) - ومن أراد المزيد فليراجع الكتاب المعطار (رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا).

وراجع (فصل خطط الأعداء لهدم الإسلام) لتري كيد الغرب الخبيث وفعالهم
الخسيس وحقدهم البئس.

الأمر الثالث: نصره الله للإسلام على المتنبيين اللثام:

لما بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم بالرسالة الخاتمة للشرائع ونصره على المشركين، وبدأ دين الإسلام في الانتشار خارج مكة والمدينة المنورة ادعى رجال النبوة كذبًا وافتراءً على الله تعالى، طمعًا منهم في الرياسة وجمع المال، وأخذوا يناوئون الإسلام، فنصر الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم، ونصر دينه، وهزم المتنبيين الكاذبين، وكان منهم الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب وسجاح وطليحة الأسدي فخذلهم الله تعالى، ونصر المسلمين عليهم، وقتلوا جميعًا على أيدي المسلمين إلا طليحة الأسدي فقد تاب، ورجع إلى الإسلام، واعتمر في عهد أبي بكر الصديق.

أليس نصره الله للإسلام على المتنبيين اللثام، ورجوع طليحة الأسدي إلى الإسلام دليلٌ واضحٌ أجلى من الشمس في ضحاها على ثبوت وصدق الإسلام؟

****** توقف واسأل اليهود هذا السؤال المبهت:

أنتم تزعمون أنكم شعب الله المختار، وأن جيشكم لا يغلب، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم كاذبًا، فلماذا لم ينصركم الله على المسلمين حين أخرجوكم من دياركم وطردوكم خارج الجزيرة العربية بسبب خيانتكم؟ بل إن كل الحروب التي خاضها المسلمون ضد اليهود انتصر المسلمون فيها عليهم، كما في غزوة بني قريظة، وغزوة خيبر، وبني قَيْنُقَاع، وغيرها، ولا ننسى حرب العاشر من رمضان عام ١٣٩٣ هـ الموافق للسادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ ك حين لقن المصريون اليهود درسًا في عيدهم لن ينسوه أبدًا وكذلك جروا أذيال الهزيمة من لبنان إلى تل أبيب،

وكذلك انتصر عليهم المسلمون في لبنان في العقد الأخير من القرن العشرين

الميلادي،

فإذا كنتم شعب الله المختار كما تعتقدون فلماذا لم ينصركم الله؟

فأنتم الشعب المختار بالحاء وليس بالحاء، وأنتم أندل وأرذل وأنجس وأجبن الأمم على مدى تاريخ البشرية، وهذا لا يخفى على أحد اليوم.

سؤال كالحجارة للنصارى:

إذا كنتم تزعمون أن المسيح إله ويعلم كل شيء ويقدر على كل شيء، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم كاذبًا، فلماذا لم يقتله المسيح؟ ولماذا لم ينصركم على المسلمين حين حاربكم المسلمون على أرض بلاد الروم بلادكم؟

بل انتصر المسلمون على الفرس والروم، وظهروا على معظم البقاع الأرضية بفضل رب البرية.

✽ وأخيرًا أقول لليهود والنصارى إن الكتاب المقدس نص على أن النبي الكاذب لا يؤيده الله، بل يخذله ويخمد دعوته كما في [سفر التثنية ١٨/٢٠]، وبما أن الله نصر سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم على أعدائه ونصر أتباعه ودينه على المناوئين والمتنبئين الكاذبين، فهذا خير دليل على صحة الإسلام وصدق سيد الأنام محمد صلى الله عليه وسلم، والحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة.

الأمر الرابع: نُصِرَ اللهُ جُنْدِ الإسلام:

فكل العالم يعلم أن المسلمين في بداية أمرهم كانوا ضعفاء فقراء وكانت جيوش أعدائهم أكثر عددا وعتادا بل كانوا يفوقونهم أضعافاً كثيرة؛ ولم يكن يوماً عدداً جيش المسلمين مماثلاً لجيش العدو ولا في العدد ولا في العتاد ومع ذلك كله كانوا ينتصرون على أعدائهم ويركبون أكتافهم ويكسرونهم ويفتحون بلادهم أمام دعوة الإسلام كل ذلك بسبب تأييد الله للإسلام ونُصِرَتِه لأهله؛ حتى وصلت دولة الإسلام إلى الهند والصين وقعر أوروبا في سنوات معدودة.

* والأدهش من ذلك أن قادات الجيوش الإسلامية كانوا قبل الإسلام في ظلام الجاهلية لا يعرفون شيئاً عن قيادة الجيوش بل كانوا تحت حكم الفرس، ولما جاء الإسلام ودخلوا فيه رباهم رسول الإسلام حتى صاروا قادة أفاذا نوابغ من طراز فريد. وسأسوق إليك مقتطفات من هؤلاء النوابغ:

أولاً: سيدنا أسامة بن زيد:

فقد تولى قيادة الجيش الموجه لجهة الروم وعمَّره لم يقترب من العشرين عاماً؛ وكان ضمن جيشه كبار الصحابة مثل عمر بن الخطاب؛ وعثمان بن عفان؛ علي بن أبي طالب وعمار بن ياسر؛ وأبي عبيدة بن الجراح..... بل كان أبو بكر الصديق ضمن الجيش لكن لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم انتظر الجيش حتى يُشْفَى النبي صلى الله عليه وسلم لكنه مات فانتظر الجيش حتى تستقر الأوضاع فتولى أبو بكر الصديق الخلافة ثم استأذن من القائد أسامة أن يستبقي له عمر بن الخطاب ليعينه على شئون الدولة فأذن سيدنا أسامة لعمر في البقاء ثم سار الجيش بأصغر قائد عرفه التاريخ في ذلك الوقت وهو أسامة بن زيد فدخل بالجيش بلاد الروم وتقابل الجيش الإسلامي مع أكبر جيش في ذلك الوقت وهو جيش الروم وانتصر الجيش الإسلامي عليه نصراً عظيماً مؤزرراً أما جيش الروم فلم يغني عنه عدده الكبير وعتاده الشديد وانهمز شراً الهزيمة. وعاد الجيش الإسلامي سالماً غانماً ثم توالى فتوحات الروم أمام المسلمين بفضل رب العالمين.

ثانياً: سيدنا خالد بن الوليد:

وهذا أكبر من أن يُعرّف فهو الذي أدهش الغرب بفتوحاته الإسلامية فلقد افتتح معظم دول الروم.

وهو الذي سمّاه النبي صلى الله عليه وسلم سيفَ الله المسلول وهذا معناه أنه لا يهزم لأن سيف الله لا ينكسر وقد تحققت هذه النبوءة وظل خالد يجاهد ويقاوم الأعداء وتتحطم في يد السيوف ولا يهزم وظل كذلك حتى فتح معظم دول الروم وبعد ذلك كله مات على فراشه ولم يقتل وكان يتمنى الشهادة في سبيل الله تعالى لكنه سيف الله فلو قتل لأنكسر سيف الله وهذا لن يكون أبداً؛ والأعجب من ذلك أن جسده قد إمتلأ بالطعنات ومع ذلك مات على الفراش ولم يُقتل، فقد كان يخترق صفوف العدو من أولها إلى آخرها ثم يعود ويكرر ذلك حتى يهزم العدو فكانت تصيبه الطعنات في سائر جسده ولا يبالي بها حتى يكسر جيش العدو وكان شجاعاً من طراز نادر لا يبالي بكثرة جيش العدو بل يخطط بالهجوم مباشرة ويخترق بنفسه جيش العدو فكان مقداماً هماماً؛ ولم يهزم جيش فيه خالد أبداً؛ بل كان اسمه يُوقع الرعب في قلوب الأعداء.

حتى أن عمر بن الخطاب خشي على المسلمين من قيادة خالد بن الوليد فألحَّ على أبي بكر أن يعزله فرفض فلما مات أبو بكر وتولى عمر الخلافة عزل خالدًا عن قيادة الجيش وقال إن في سيف خالد رهقاً والسبب واضح وهو فرط شجاعته

لذلك قال الغرب إنه الأسطورة التي أدهشت العالم.

ولما أسلم رجل من جيش الروم سأله واستحلفه أن يصدق في الإجابة فقال له هل أنزل الله سيفاً على النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاه لك فأنت تسألني على الأعداء ولا تنهزم؟ فقال له: لا لكني لما آمنت وأسلمت قال لي الرسول عليه الصلاة والسلام: أنت سيف من سيوف الله سلّه الله على المشركين، فسُمِّتُ سيفَ الله لذلك أنا أشد المسلمين على المشركين.

انظر هداانا الله وإياك إلى أين ذهبت عقول الأعداء من هول ما رأوه من خالد بن الوليد فقد ظنوا أن الله أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم سيفاً فأعطاه لخالد لذلك فهو يكسر جيوش الأعداء ولا ينكسر بل دائماً ينتصر.

ونحن نقول له أين نُصْرَة الصليب لكم؟ وأين نُصْرَة المسيح لكم؟ وأين نُصْرَة روح القدس لكم؟

طبعاً سيتبجحون ويقولون ديننا السلام فأقول لهم فلماذا لم يهلك الله أعداءكم؟ ولماذا لم يحميكم المسيح من المسلمين؟

ومع ذلك نقول لهم أنتم تدعون السلام ظاهراً خدعة للمسلمين حتى تتمكنوا منهم وكما يقال في المثال يتمسكن حتى يتمكن ولقد أثبت التاريخ بطلان زعمكم هذا أنسيتم ما فعلتمونه مع المسلمين في محاكم التفتيش بأسبانيا وما فعلتمونه مع أسرى المسلمين حين اعتديتم على المسلمين في المسجد الأقصى وما دمرتمونه في العراق وأفغانستان.....

حتى في حروبكم بين أنفسكم في الحرب العالمية الأولى والثانية قتلتم عشرات الملايين فأنتم لم تعرفوا السلام الحقيقي بينكم فكيف تعرفونه مع غيركم، فكفى خديعة بأتباعكم وأذعنوا للحق تفلحوا.

وإذا كان دينكم السام فلماذا حثكم المسيح على شراء السيف مهما كلفكم الأمر فقال في (لوقا: ٣٦/٢٢) (فقال لهم لكن الان من له كيس فليأخذه و مزود كذلك ومن ليس له فليبيع ثوبه و يشتتر سيفاً)

ثالثاً: سيدنا سعد بن أبي وقاص:

وهذا الذي كسر الفرس وفتح قصر كسرى الأبيض وكانت حروبه من أدهش الحروب في التاريخ بل سُطرت بحروف من النور،

فيكفي أن جيش الفرس في حرب القادسية كان أربعة أضعاف جيش المسلمين وكان جيش الفرس مُجَهَّزاً بأحدث الأسلحة ومعهم سفن وفيول، ولم يكن مع المسلمين سوى الأسلحة الخفيفة والخيل والجمال وكانت الخيل والجمال التي مع المسلمين تفر من الفيول التي مع الفرس، وهنا أشار أحد القواد المسلمين الأفاضل بأن يضعوا على الجمال براقع؛ لتخاف منهم الفيول؛ ففعلوا وولت الفيول مدبرة وركب المسلمون أكتاف أعدائهم؛ وهزموهم شر الهزيمة؛

مع أن جيش المسلمين أقل منهم في القوة والعتاد؛ وركب جيش الفرس السفن فراراً إلى عاصمة الفرس وهي المدائن؛

وبعدها تشاور سعد مع القادة والجنود في ملاحقة الفرس في عاصمتهم ليكسروهم حتى لا يفجأوا بهم من خلفهم وهم يواصلون فتح البلاد؛ فأجمعوا على ملاحقتهم واقتلاعهم من جذور عاصمتهم؛ ولكن كيف والمسلمون ليس معهم سفن ولا قوارب؟

وهنا نرى تأثير الإيمان في قلوب أتباع الإسلام فلقد عزموا على اقتحام نهر دجلة بخيولهم فتوكلوا على الله وأطلقوا ألسنتهم بذكر الله وأكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله؛ ونزلوا بخيولهم الماء بشجاعة منقطعة النظير؛ وسبحان الله لقد سجل التاريخ هذا المشهد العظيم؛ فلم تصل المياه إلى ركبة الفرس وفوقه الفارس وكانهم يمشون على الأرض؛ فلما رأهم جنود الفرس على البر الآخر اندهشوا وقالوا عنهم إنهم جنّ وليسوا بشرًا؛ فلما وصل المسلمون واصلوا القتال مباشرة بقيادة القائد المغوار سعد بن أبي وقاص؛ وما هي إلا ساعات حتى فتحوا الحصون وارتجت أجواء المدينة بتكبيرات

المسلمين المجاهدين؛ ولما علم ملك الفرس بذلك فرّ من العاصمة حافياً مودعاً لها وداعاً لا لقاء بعده،

ودخل سيدنا سعد القصر ولم تَغُرَّهُ قوته بل صلى ثماني ركعات شكراً لله رب العالمين على هذا الفتح المبين؛ وأول أمر أصدره هو إطفاء نار الفرس التي تُعَبِّدُ من دون الله تعالى ثم نظر إلى زخارف القصر وما فيه من النعيم فلم يعتربه بل قرأ قول الله تعالى: (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَانكِهَيْنَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ) (الدخان: ٢٥-٢٩)

ثم جمع الغنائم وفيها كنوز ملك الفرس وثيابه وفرسه وسيفه.... وكتب إلى أمير المؤمنين عمر بالنصر المبين وأرسلها إليه بكل أمانة واعتزاز بدين الإسلام؛ فهولاء الذين تربوا وتخرجوا من جامعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

* وبعد:

فإن القائمة طويلة جداً ففيها قائد القواد وفارس الفرسان سيدنا علي بن أبي طالب بن عم الرسول صلى الله عليه وسلم والذي كسر أكبر قواد اليهود في غزوة خيبر وفي غزوة الأحزاب كسر أشجع وأقوى رجل في المشركين وهو عمرو بن عبد ود؛

وفيها أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح الذي فتح بيت المقدس وفيها القعقاع بن عمرو الذي يعدل بألفي فارس

وفيها عمرو بن العاص داهية العرب فهو الذي غلب أدهى رجل في الروم (أرطوبن الروم)؛

فالصحابة كلهم ضربوا أروع الأمثلة في قيادة الجيوس والتفنن في الدبلوماسية والسياسة ففتحوا معظم دول الأرض ولا زال أثرهم موجود حتى اليوم مع أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى العرب وكانوا في قمة الضلال والتشرذم والجهل ولكن هذه النتائج المبهرة تدل على حسن تربية النبي صلى الله عليه وسلم وعلى حكنته السياسية مع أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب وهذا دليل قوى على أن أفعاله وأقواله بوحى من عند الله قال تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) (النجم: ٣-٤)

كذلك جاء بعدهم قادة أفذاذ مثل عتبة بن نافع فاتح بلاد إفريقية والذي لما عطش جيش صلى الله عليه وسلم وتضرع إليه فنبع الماء من تحت أقدام خيول جيشه وهو الذي أسس مدينة القيروان وسبحان الله لما نزل القيروان كانت ممتلئة بالوحوش فنادى عليهم وأقسم عليهم بالرحيل فخرجوا من جحورهم حاملين صغارهم تاركين الوادي لجند الله تعالى أليس هذا من نصره الله للإسلام وجنده؟

كذلك طارق بن زياد وهو أشهر أن يُعرّف فهو فاتح بلاد الأندلس

والقائد مسلم بن قتيبة فاتح البلاد العريضة في عهد أمير المؤمنين عمر بن عبد

العزیز

والقائد محمد الفاتح الذي فتح القسطنطينية
والقائد العظيم صلاح الدين الأيوبي قاهر الصليبيين
والقائد المغوار قطز الذي كسر التتار
والقائد المقدم بيبرس والذي واصل استرداد بلاد المسلمين من التتار بكل اهتمام،
وغيرهم كثيرون كمحمود الزنكي ونور الدين التركماني.....
فالقائمة طويلة جدا لكن المقام لا يتسع لذكر الكثير فمن أراد المزيد فليراجع:

١- أصحاب حول الرسول لمحمود المصري

٢- صلاح الأمة في علو الهمة للدكتور العفاني

٣- صور من حياة الصحابة لعبد الرحمن باشا

٤- صور من حياة التابعين لعبد الرحمن باشا

٥- تاريخ الطبري

٦- البداية والنهاية

٧- تاريخ الذهبي



الفصل الثاني

مبادئ الإسلام

مقدمة

وفي هذا الفصل نتعرف على بعض المبادئ التي جاء بها الإسلام وبني عليها عقائده وعباداته ومعاملاته وسائر أحكامه

* فالإسلام له أركان بمثابة الأعمدة بني عليها وهي مشهورة وهي خمس:

١- شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله

٢- إقام الصلاة ٣- إيتاء الزكاة ٤- صوم رمضان

٥- حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا

* أما مبادئ الإسلام فهي الأساس لكل ما جاء به الإسلام من عقائد وأحكام

وآداب

* ومبادئ الإسلام كلها حسنة وعليها الفطرة الإنسانية وهي وإن كانت كثيرة فإن

معرفتها يسيرة وليست بعسيرة مثل الوسطية والاعتدال والتيسير والعدل والتراحم ...

لكننا سنتكلم عن البعض فقط كمثال وكما يقال بالمثال يتضح المقال ولفد وضعت

فيه مقارنات كثيرة بين الإسلام والملل الأخرى من حيث المبادئ وجعلت الكلام

متوسطا بين الإطناب والإيجاز فلا تطويل ممل ولا إختصار مخل والمبادئ التي تكلمت

عنها هي:

١- الوسطية في الإسلام ٢- العدل في الإسلام

٣- السباحة في الإسلام ٤- اليسر في الإسلام

مبدأ الوسطية في الإسلام (١)

بداية نتعرف على معنى الوسطية معنى الوسطية:

الوسطية كلمة تعني عدة معانٍ، وكلها تدور حول معنيين أساسيين هما:

المعنى الأول: التوسط بين طرفين أو مجموعة أطراف حسية أو معنوية.

فالجِسِّيَّةُ مثل الوسيط الذي يتوسط بين الخصمين أو المتعاقدين، كاجلوس وسط الطلاب أي في منتصفهم، والجلوس وسط البيت أي في منتصف محيطه.

والمعنوية كالتوسط في الصفات مثل الشجاعة وسط بين الجبن والتهور، والسخاء وسط بين البخل والإسراف، ومثل التوسط في الاعتقاد بين الغلو والجفاء، والتوسط في العبادة بين الإفراط والتفريط.

المعنى الثاني: وهو عبارة عن معاني متقاربة، وهي الأعدل والأفضل والأمثل والأخير، مثل مدح الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم بقولهم: كان أوسط قومه نسباً وشرافاً يعني أعدل وأفضل وأمثل قومه نسباً ورأياً وشرافاً^(٢).

**** وكلا المعنيين جاء بهما القرآن الكريم:** فلقد جاءت مشتقات الوسطية في خمسة مواضع في القرآن الكريم، وهي لا تخرج عن كلا المعنيين.

**** فالتوسط بين طرفين أو عدة أطراف جاء في قوله تعالى: (فَوَسَّطْنَا بِهِ جَمْعًا) [العاديات: ٥]، أي أن خيل المجاهدين توسطت جموع الأعداء ففرقتهم^(٣).**

(١) أهم المراجع بعد القرآن الكريم وكتب السنة بشرورها وكتب التفاسير واللغة:

* الوسطية في ضوء القرآن الكريم، الشيخ ناصر بن سليمان العمر.

* وسطية الإسلام وسماحته ودعوته للحوار، أ. د. محمد بن أحمد الصالح.

(٢) وراجع (وسطية الإسلام وسماحته ودعوته للحوار)، أ. د. محمد بن أحمد الصالح.

(٣) تفسير الألويسي، تفسير الوسيط.

وفي قوله تعالى: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى) [البقرة: ٢٣٨]، والصلاة الوسطى هي صلاة العصر كما في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: (شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر) وسميت بالوسطى؛ لأنها تتوسط الصلوات الخمس، فقبلها صلاتان وبعدها صلاتان، وتفصل بين الصلاة النهارية والصلاة الليلية. وقيل سميت بالوسطى بمعنى الفضلى، وهذا القول ضعيف^(١).

وفي قوله تعالى: (فَكَفَّارُتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ) [المائدة: ٨٩]، أي من أقصد ما تطعمون به أهليكم، لا من الأعلى، ولا من الأسفل، وقيل إن المعنى من أحسن ما تطعمون أهليكم كما ذكره ابن كثير عن ابن عباس وسعيد بن خبير وعطاء الخرساني؛ ولكن الصحيح أن المراد بالأوسط في الآية المتوسط بين طرفي الإسراف والتقتير سواء في النوع أو المقدار، قال الألوسي: (أي من أقصده في النوع أو المقدار)، وقال الجزائري في (أيسر التفاسير): (من أغلبه لا من أعلاه، ولا هو من أدناه)، وقال الشوكاني في (فتح القدير): (المراد بالوسط في الآية بين الإسراف والتقتير، وليس المراد به الأعلى أي أطعموهم مما تعتادون إطعام أهليكم منه)^(٢).

* ومعنى الأخير والأمثل والأعدل وأفضل جاء في قوله تعالى: (قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْمَ أَقْلَ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ) [القلم: ٢٨]، أي أمثلهم وأعدلهم تفكيراً ورأياً^(٣)، وقال الألوسي في (روح المعاني): (أحسنهم وأرجحهم عقلاً وأوسطهم سنّاً).

وفي قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) [البقرة: ١٤٣]، والمعنى جعلناكم أعدل الناس وأخيرهم،

(١) تفسير ابن كثير، تفسير الوسيط لطنطاوي، تفسير ابن عاشور في تفسير هذه الآية.

(٢) وراجع (فتح القدير)، (روح المعاني للألوسي)، (تفسير الوسيط لطنطاوي)، (أيسر التفاسير

للجزائري) في تفسير هذه الآية.

(٣) تفسير الوسيط، تفسير ابن كثير.

ولذلك قال تعالى عن هذه الأمة: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) [آل عمران: ١١٠]، ويؤيد ذلك حديث البخاري عن أبي سعيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شهيداً، فذلك قول الله عز وجل: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) والوسط العدل).

* مما سبق يمكن تحرير معنى الوسطية، فهي التوسط بين طرفين أو عدة أطراف وهي الأعدل والأفضل والأخير والأمثل ويمكن الجمع بينهما فإن التوسط بين شيئين أو مجموعة أشياء هو الأفضل والأحسن والأمثل والأخير في نفس الوقت.

وعليه فإن الأمة الإسلامية جمعت بين تلك المعنيين، فهي الأفضل والأخير والأعدل والأمثل والأحسن؛ لأنها تتوسط بين الغلو والجفاء وبين الإفراط والتفريط، وتلتزم الوسطية في كل شيء لذلك فهي أعدل الأمم؛ كما ستراه لاحقاً.

**** وجدير بالذكر: أن نتعرف على بعض الكلمات التي تتنافى مع الوسطية:**

* **الغلو أو الإفراط** هو مجاوز الحد يعني الزيادة على المطلوب مثل صيام الدهر كله، ومثل تحريم الحلال الواضح، ورفع الأنبياء فوق منزلتهم كما فعلت النصراني في عيسى حيث جعلوه إلهًا فبَّحهم الله، وكذلك جعل اليهود عزيزاً ابن الله، وقالوا عن يعقوب أنه صارع الرب وغلبه قاتلهم الله أني يؤفكون.

* **الجفاء أو التفريط** وهذا عكس السابق، ومعناه الشدة والغلظة والترك والبعد يعني النقص عن المطلوب، مثل عقوق الوالدين، ومثل قطع الأرحام، ترك الصلاة،

ومثل التنقيص من حقوق الأنبياء كما فعل اليهود في موسى ويحيى وزكريا وعيسى، بل قتلوا كثيراً من الأنبياء^(١).

ملحوظة: الغلو والجفاء يكون في العقيدة، أما الإفراط والتفريط يكون في العبادة.

الإسلام دين الوسطية وهو الصراط المستقيم:

* فالإسلام جاء خاتماً للديانات السماوية، فهو عام لكل الآنام، ومن أجل ذلك جعله الله ديناً وسطاً، لا غلو فيه ولا جفاء، حتى يتسع لكل طبقات وطوائف المجتمع، وهذه الوسطية لم تكن في دين آخر سوى الإسلام.

* فاليهودية فيها الكثير من الجفاء، والسبب في ذلك حرصهم الشديد على الهادة، فهم يرون أن الهادة هي الهدف الأسمى، ولذلك تراهم يحرصون على المال والحياة، فهم أجبن الناس وأبخلهم، قال تعالى عن اليهود: (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْحَزٍ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) [البقرة: ٩٦].

وتأمل بلاغة القرآن فقد جعل لفظ الحياة نكرة ولم يقل على الحياة، ليدلنا على خسة اليهود، وحرصهم الشديد على الحياة مهما كانت ذليلة.

وبسبب جفائهم وتفريطهم في دينهم انتقصوا حقوق الأنبياء، حتى قتلوا كثيراً من الأنبياء بغير حق، بل والأعجب من ذلك أساءوا الأدب مع الله جل وعلا، فقالوا أنه فقير وبخيل ويده مغلوطة لا ينفق، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً^(٢)، قال تعالى: (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) [آل عمران: ١٨١]، (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ

(١) للاستزادة فليراجع (الوسطية في ضوء القرآن) للشيخ ناصر بن سليمان العمر.

(٢) للتوسع في صفات اليهود، راجع كتاب (بنو إسرائيل في الكتاب والسنة) لشيخ الأزهر السابق محمد سيد طنطاوي، وكتاب (اليهود إخوان الخنازير والقروذ) د. سيد العفاني.

عُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا إِنَّمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) [المائدة: ٦٤] وفرطوا في العبادة أصلاً.

* والنصرانية فيها الكثير من الغلو والإفراط، والسبب في ذلك هو اهتمامهم بالجانب الروحي فقط. فقد غلو في العقيدة، وأفرطوا في العبادة، ففي العقيدة غلو في رسولهم عيسى حتى جعلوه إلهًا وابن إله، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا. وفي العبادة ابتدعوا الرهبانية، ومع ذلك لم يؤدوا حقها كما ستره فيما بعد.

ولقد حث الإسلام أهل الكتاب على ترك الغلو في الدين، قال تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ) [النساء: ١٧١].

* أما الإسلام فهو دين الوسطية فلا غلو فيه ولا جفاء فقد وازن بين الجانب الهادي والجانب الروحي، ولم يغلو في جانب على حساب الآخر، فلا إفراط ولا تفريط في الإسلام، ولم يفصل الدين عن الحياة، بل جعل الدين منظماً لحياة الفرد والمجتمع، وجعل الدنيا قنطرة للعبور إلى الآخرة.

لذلك تسمى أمة الإسلام بالأمة الوسطية، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) [البقرة: ١٤٣]، فهي التي توسطت بين طرفي الغلو والجفاء في العقيدة، وبين طرفي الإفراط والتفريط في العبادة.

وهنا لطيفة جميلة: جاءت هذه الآية (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) [البقرة: ١٤٣]، في منتصف السورة، لأن سورة البقرة ممتان وست وثمانون آية، وهذه الآية جاءت برقم مائة وثلاثة وأربعين، وهذا إعجاز بلاغي وعددي في نفس الوقت.

والإسلام نهى أمته عن الغلو والجفاء، حتى تظل أمةً وسطية، ففي الحديث عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان

قبلكم الغلو في الدين)^١ وعن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الجفاء في النار)^٢.

مما سبق يتضح أن منهج الإسلام هو الصراط المستقيم منهج الوسط القويم، منهج العدل والاعتدال، لا عداء ولا اعتداء، ولا شطط ولا وكس، ويؤكد الآتي:

(١) حرص المسلمين على الوسطية منهج الصراط المستقيم، فيدعون كل يوم ١٧ مرة بهذا الدعاء في الصلاة (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) [الفاتحة: ٦، ٧]، وهذا الدعاء ورد في سورة الفاتحة، وهي تقرأ في الصلاة كل يوم ١٧ مرة، بعدد ركعات الفرائض بخلاف النوافل (المغضوب عليهم) هم اليهود، (الضالين) هم النصارى.

(٢) أن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه المقدسة بأنه على صراطٍ مستقيم، وصرَّح بأنه يهدي المسلمين إلى الصراط المستقيم، قال تعالى على لسان هود عليه السلام: (إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [هود: ٥٦]، وقال تعالى: (وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [الحج: ٥٤].

(٣) أن الله سبحانه وتعالى وصف النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأنه على صراطٍ مستقيم، وصرَّح بأنه يدعو إلى الصراط المستقيم، قال تعالى: (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [الزخرف: ٤٣]، (وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ) [الحج: ٦٧]، (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [الشورى: ٥٢]، (وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [المؤمنون: ٧٣].

^١ - أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه الألباني في (الصحيح الجامع: ٢٦٨٠)

^٢ - أخرجه الترمذي وصححه الألباني في (الصحيح الجامع: ٣١٩٩)

ملحوظة مهمة: المنهج الوسط هو الذي يتبعه أهل السنة ، فلا غلو عندهم ولا جفاء في العقيدة، ولا إفراط ولا تفريط في العبادة، وما عداهم من الفرق ليسوا على الوسطية، فالشيعة عندهم جفاء في صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، فهم يكفرون معظم الصحابة، وعندهم غلو شديد في أئمتهم، فهم يعتقدون الألوهية في بعض أئمتهم، لذلك أجبروا الشعب السور على السجود لصورة بشار الشيعي الملعون، والخوارج كذلك عندهم غلو في العقيدة، وإفراط في العبادة، والمرجئة عندهم تفريط في العبادة، فهم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما أنه ليس بعد الكفر ذنب، فلا تغتر بكل من لبس مسوح الإسلام فالعبرة بالعقيدة والعمل الصالح.

صور من الوسطية في الإسلام:

حتى يتضح للجميع مدى وسطية الإسلام في كل الأمور نضرب عدة أمثلة.

أولاً: وسطية الإسلام في العقيدة:

ونذكر نقطتين عظيمتين يختلف حولهما الإسلام واليهودية والنصرانية.

النقطة الأولى: الاعتقاد في الله وأنبيائه:

** عقيدة المسلمين في الله وأنبيائه:

* الإسلام جاء بتوحيد الربوبية، وهو إفراد الله بخلق الكون والتصرف فيه كيف يشاء فهو القدير على كل شيء العليم بكل شيء وهو السميع والبصير بكل شيء لا يعجزه شيء أبداً، والإسلام جاء بتوحيد الألوهية وهو إفراد الله وحده بالعبادة فالمسلم لا يؤمن بإله يستحق العبادة سوى إله واحد هو الخالق للكون والمتصرف فيه كيف يشاء، لذلك لا تجد المسلم يسجد لصنم ولا لراهب بل يسجد لله وحده الذي خلقه ويرزقه.

* أما منهج الإسلام في الأنبياء فهو المنهج الوسط فقد ألزم المسلمين بأمور:

الأمر الأول: الإيمان بجميع الأنبياء الذين ثبتت نبوتهم بالنص الصحيح.

فالإسلام ألزم أتباعه بالإيمان بكل النبيين الذين ثبتت نبوتهم بالنص الصحيح من الكتاب أو السنة الصحيحة، والذي يخالف ذلك يصير كافرًا فيجب على المسلم أن يؤمن برسالة محمد وموسى وعيسى وإبراهيم ونوح وداود وسليمان ولوط ويوسف.... وغيرهم من الرسل والأنبياء الذين نص عليهم الإسلام في القرآن أو السنة الصحيحة عليهم جميعًا الصلاة والسلام.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) [النساء: ١٣٦]، فلا بد من الإيمان بكل الرسل بلا تفریق بينهم، وقد حكى القرآن عن إقرار المسلمين بكل الرسل بلا تفریق، قال تعالى: (أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) [البقرة: ٢٨٥]، ولذلك وعدهم الله تعالى بالأجر العظيم، قال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) [النساء: ١٥٢].

الأمر الثاني: الاقتصاد في الاعتقاد، فلا غلو ولا جفاء في أي نبي.

فالإسلام نهى عن الغلو والجفاء في أي نبي، حتى رسول الإسلام، فلا غلو فيه، فلا يجوز لأحد من المسلمين أن يرفعه فوق منزلته. ولقد جاءت نصوص كثيرة تنهى عن الغلو في رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ) [الكهف: ١١٠]، والآية صريحة، فقد أمر الله نبيه أن يصرح لأصحابه ويقول أنا بشرٌ أوحى الله إليّ، فلا ترفعوني فوق منزلتي، فأنا عبد الله ورسوله.

وقد وصف القرآن النبي صلى الله عليه وسلم بالعبودية لله تعالى في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) [الكهف: ١]، فالمراد بالعبد هنا هو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وقال تعالى: (تَبَارَكَ

الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) [الفرقان: ١] فالفرقان هو القرآن فَرَّقَ الله به بين الحق والباطل، فالعبد هنا محمد صلى الله عليه وسلم، وحتى في مقام التشريف في رحلة الإسراء والمعراج وهي أعلى درجة وصل إليها رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، فلقد وصفه الله فيها بالعبودية، فقال: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) [الإسراء: ١]، كل ذلك حتى لا تضل أمة الإسلام فتغلو في سيد الأنام محمد صلى الله عليه وسلم، كما فعلت النصارى في عيسى وكما فعلت اليهود في عزير ويعقوب، فأكد القرآن أن محمدًا عبد الله ورسوله.

وفي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) أي لا تكثروا في مدحي فترفعوني فوق منزلتي كما فعلت النصارى في عيسى بن مريم، ويؤكد ذلك حديث أنس بن مالك أن رجلاً قال: يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا وابن خيرنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس عليكم بتقواكم ولا يستهويكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل)^(١).

ولقد تواضع النبي صلى الله عليه وسلم، ورفض أن يرفعه أحد من أصحابه فوق أي رسولٍ آخر، حتى لا ينتشر الغلو في الأمة الإسلامية ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله).

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (يا خير البرية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذلك إبراهيم).

(١) أخرجه أحمد في (مسنده: ١٢٣١٤)، والبيهقي في (دلائل النبوة)، وصححه الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة: ١٠٩٧).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَلَا أَقُولُ إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُؤُنْسُ بْنِ مَتَّى) وفي رواية للبخاري: (من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب).

كل ما سبق يؤكد تواضع النبي صلى الله عليه وسلم، حتى لا تضل أمته فتغلو فيه كما فعلت النصارى في عيسى، واليهود في عزيز ويعقوب مع العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم سيد البشر جميعاً، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من يَنْشَقُّ عنه القبر، وأول شافع، وأول مُشَفَّع)، وفي رواية الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر)^(١) فأخبر أنه سيد البشر لكنه نفى الافتخار بنفسه، وهذا هو عين التواضع.

فملغ العلم فه أنه شه ولكنه خير خلقه الله كلهم
شهادة واعتراف: يقول المؤرخ الأمريكي (ول ديورانت) صاحب (قصة الحضارة):
القرآن يبعث في النفوس أسهل العقائد، وأقلها غموضاً، وأبعدها عن التقييد بالمراسم والطقوس، وأكثرها تحرراً من الوثنية والكهنوتية، وكان له أكبر الفضل في رفع مستوى المسلمين الأخلاقي والثقافي، وهو الذي أقام فيهم النظام الاجتماعي والوحدة الاجتماعية، وحرصهم على اتباع القواعد الصحية، وحرر عقولهم من الخرافات والأوهام، ومن الظلم والقسوة وحسّن أحوال الأرقاء، وبعث في نفوس الأذلاء الكرامة والعزة^(٢).

***** مقارنة:** وحتى يتضح للجميع مدى وسطية الإسلام في العقيدة نذكر اعتقاد اليهود والنصارى في الله وأنبيائه:

(١) وصححه الألباني (ص: ج: ١٤٦٨).

(٢) قصة الحضارة، ج ١٣، ص ٦٨.

**** عقيدة اليهود في الله وأنبيائه:**

*** اليهود عندهم جفاء كبير في الرب ويدل عليه ما يلي:**

(١) أنهم جعلوا لله مرحاضا ونعلا كما في (المزمور رقم :٦٠ العدد: ٨) فهل يعتقد مخلوق أن الله يأكل ويقضي حاجته ويلبس نعلا ؟ حتى ولو كان الوصف المذكور على سبيل الإستعارة كما يقول بعضهم أليس هذا من أسوء الأدب مع الله.

(٢) وفي (سفرأرميا/ ٢٥ : ٣٠) الرب قال لأرميا: (قل لهم الرب من العلاء يزمجر و من مسكن قدسه يطلق صوته يزئز زئيرا على مسكنه بهتاف كالدائسين يصرخ ضد كل سكان الارض) فهل الرب يزمجر ويصرخ ويزئز كالأسد؟
(٣) وفي (سفرالتكوين/٦: ٦) (فحزن الرب انه عمل الانسان في الارض وتأسف في قلبه) فهل الرب يحزن ويتأسف على شيء صنعه؟ أليس هذا وصف له بالجهل لأنه لم يكن على علم بنتيجة ما يفعله؛ كيف وهو العليم بكل شيء.

(٤) وفي [سفر المزامير / ٧٨ : ٦٥] ((فاستيقظ الرب كنائم كجبار معيط من الخمر) والعياط هو البكاء مع الصراخ، فهل الرب ينام ويترك شئون خلقه؟ وهل يشرب الخمر ويبكي ويصرخ؟^١ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(٥) في (إشعياء: ٧ / ١٨-٢٠) (و يكون في ذلك اليوم ان الرب يصفر للذباب وللنحل وفي ذلك اليوم يحلق السيد بموسي مستاجرة..... الراس وشعر الرجلين وتنزع اللحية ايضا) فهل الرب يصفر للحيوانات كما يفعل بعض البشر؟ بل إن كثيراً من البشر يتنزهون عن ذلك، وهل الرب له شعر ولحية ويحلق كالبشر وبموس استأجره؟ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(٦) في (مزمور: ٦٠ / ٦-٨) الله قد تكلم بقدسه لي جلعاد و لي منسى و افرام خوذة راسي يهوذا صولجاني مواب مرحضتي على ادوم اطرح نعلي يا فلسطين اهتفي علي.....) هل الرب سبحانه وتعالى له خوذة على رأسه وله صولجان وله مرحاض وله نعل....؟ أليس هذا سوء أدب مع الله تعالى حتى ولو على سبيل الإستعارة؟

(٧) في (سفر التكوين/٣٢: ٢٤-٣٠) أن يعقوب صارع الرب وغلبه فهل الرب أضعف من يعقوب؟ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

*** وأما عقيدتهم في الأنبياء فهي الجفاء لكنهم غلو في بعض منهم كما يلي:**

(١) - إقامة الحجة على العالمين بنبوّة خاتم النبيين

أولاً: اتهموا كثيراً من الرسل بارتكاب الكبائر ومن ذلك :

(١) أنهم نسبوا إلى هارون أنه صنع لهم العجل، لكي يعبدوه من دون الله تعالى. كما في التوراة المحرفة [سفر الخروج: ٣٢/١-٤].

(٢) ونسبوا إلى نبي الله سليمان أنه عبد الأوثان في آخر حياته مع نسائه، وبنى لهم المعابد والأوثان كما في: [سفر الملوك الأول: ١١/١-١٣] يعني ليس نبياً ولا يوجد نص عندهم أنه تاب من كفره وهذا يعني أنه مات على الكفر ومع ذلك نقول لهم كيف أخذتم بالأسفار والكتب المنسوبة إلى سليمان مع أنه مات على الكفر على حسب زعمكم ومن هذه الكتب: نشيد الإنشاد وسفر الجامعة وبعض المزامير والأمثال فكيف يكتب كافر في الكتاب المقدس ثم تقولون إنه كلام الله؟

(٣) اتهموا نوحاً بأنه شرب الخمر وتعرى كما في (سفر التكوين: ٩/ ٢١).

(٤) اتهموا يعقوب بالسرقة كما في [سفر التكوين: ٣١/ ٣٠].

(٥) واتهموا سيدنا لوط عليه السلام بأنه شرب الخمر، وزنى بابنتيه، وأنجب منها كما في [سفر التكوين: ١٩/ ٣٠-٣٨].

(٦) واتهموا سيدنا داود بأنه زنى بزوجة أحد قواد جيشه ودبر مكيدة لقتله في الحرب وأنه أنجب سليمان من هذا الزنا أنظر [صموئيل الثاني: ١١/ ٢-١٧].

(٧) اتهموا رأوين بأنه زنى بجارية أبيه يعقوب كما في (التكوين: ٣٥/ ٢٢) ودنس فراش أبيه كما في (التكوين: ٤٩/ ٤).

(٨) في (التكوين: ٣٨/ ١٣ - ٣٠) اتهموا يهوذا (أبو اليهود) بأنه زنى بزوجة ابنه في الطريق بعدما تلثمت حتى لا يعرفها وأنجبت منه توأماً هما فارص وزارح

والأدهى والأمر أن إنجيل متى ذكر فارص بن يهوذا في نسب المسيح (متى: ٣/ ١) فهل في نسب المسيح رجال جاءوا من زنا المحارم؟

ثانيا: رموا بعض الرسل بالنقائص حتى أنهم اتهموا رسولهم موسى بأنه أبرص، فلم يسلم من جفائهم، وقد حكى القرآن ذلك، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) [الصف: ٥] وفي البخاري عن أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فأذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما استتر هذا الستر إلا من عيب بجلده إما برص أو أدرة، وإما آفة، وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا، فخلا يوماً وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه، وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبي حجر ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملاء من بني إسرائيل، فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله وبرأه الله مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه، فطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إن الحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً فذلك قوله الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً) [الأحزاب: ٦٩].

ثالثاً: قتلوا كثيراً من الأنبياء مثل زكريا وابنه يحيى لذلك قال تعالى: (لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ) [البقرة: ٧٠].

رابعاً: كفروا بعيسى وبمحمد عليهما الصلاة والسلام، وسَعَوْا إلى قتل عيسى، فنجاه الله منهم، قال تعالى: (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا) (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) [النساء: ١٥٧، ١٥٨]، وحرصوا على قتل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بمكرهم، ولكن الله نجاه منهم (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [الأنفال: ٣٠] (وَاللَّهُ مَنَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [الصف: ٨].

خامسا: غلوا في بعض الرسل، فقالوا عن عزيز أنه ابن الله كما في التوراة المحرفة، وحكاه القرآن عنهم فقال: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ) [التوبة: ٣٠]، وكذلك غلو في يعقوب، فقالوا إنه صارع الرب وغلبه^(١)، فهل الرب أضعف منه؟

** عقيدة النصارى في الرب والأنبياء:

* عقيدة النصارى في الرب هي الجفاء وإساءة الأدب معه ويدل عليه الآتي:

(١) ففي (سفر رؤيا يوحنا: ١٧/ ١٤) (هؤلاء سيحاربون الخروف و الخروف يغلبهم لانه رب الارباب و ملك الملوك) الإنسان منا إذا شتمه أحد بلفظ خروف غضب فكيف يطلقون هذا اللفظ على رب العالمين؟ وقيل ذلك بخمسة اصحاحات يقول: (ثم جاء اليّ واحد من السبعة الملائكة الذين معهم السبع الجامات المملوءة من السبع الضربات الاخيرة وتكلم معي قائلا هلم فأريك العروس امرأة الخروف) (رؤيا يوحنا: ٩/٢١) فمن هي العروس ومتى وأين قام الفرح؟^٢

(٢) وفي رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: "الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله" (كورنثوس (١) / ٢: ١٠) أليس هذا من سوء الأدب مع الله تعالى^٣

(٣) في (رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: ١/ ٢٥) (جهالة الله احكم من الناس و ضعف الله اقوى من الناس) فهل يوصف الله بالجهالة وبالضعف؟

(٤) قالوا إن الله حلّ في جسد مريم وأنجب عيسى وحلّ في عيسى ايضاً.

وهنا عدة أسئلة يجب عليهم أن يجيبوا عليها:

س/ هل الرب يتنازل عن ألوهيته ويترك عرشه ليحل في جسد مخلوق؟

س/ أنتم تعتقدون أن الله تزوج مريم فهل خطبها من أهلها أم رغماً عنها وأين ومتى حدث الفرح؟ وإن كان حلّ في جسدها وجامعها بلا عقد أليس هذا زنا؟

(١) راجع [سفر التكوين: الإصحاح الثاني والثلاثون: ٢٤-٣٠].

٢ - أسئلة تبحث عن أجوبة للشيخ خطاب المصري

٣ - إقامة الحجة على العالمين بنبوّة خاتم النبيين

س/ مريم بعدما أنجبت عيسى تزوجت بيوسف النجار وأنجبت منه كما في (متى: ٥٥/١٣) فهل طلقها الرب أم تنازل عن زوجته لأحد من الخلق؟ هل يرضى القسيس عندكم أن يتنازل عن زوجته لأحد من الشعب؟

س/ الراهب عندكم لا يتزوج ترفعا عن النساء فهل هو أظهر من الله؟ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا

* أما عقيدتهم في الأنبياء فتتلخص في أمرين:

أولاً: جفوا في كل الرسل إلا عيسى عليه السلام، وكفروا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما كفر اليهود بعيسى ومحمد عليهما الصلاة، وحكاه القرآن عنهم قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) [النساء: ١٥٠، ١٥١].

وقال تعالى: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) [الصف: ٦]، أي أن عيسى بشر بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك لما جاء بالبينات والمعجزات من عند الله تعالى كفر به اليهود والنصارى، وقالوا عن البينات: (هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ).

ثانياً: علو في سيدنا عيسى بن مريم فرفعوه فوق منزلته، حيث قالوا عنه إنه إله وابن إله، وذكرت ذلك الأناجيل الخمسة كلها [إنجيل برنابا - إنجيل يوحنا - إنجيل مرقس - إنجيل متى - إنجيل لوقا] وكذلك رسائل بولس كلها طافحة بهذه العقيدة الواهية، وهذا هو عين الغلو مع أن المسيح لم يصرح أبداً بأنه ابن الله بل جاءت الالفاظ على سبيل الإستعارة له ولبعض تلاميذه ولعامته اتباعه وراجع كتاب (إظهار الحق) لرحمة الله الهندي فقد افاد وأجاد في إبطال هذا الزعم الباطل من خلال نصوص الأناجيل الأربعة

(متى ولوقا ومرقس ويوحنا) ومن خلال رسائل بولس أيضا ولولا خشية الإطالة لنقلت البحث كله فراجعه هناك.

* وحكاة القرآن الكريم، فقال: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) [التوبة: ٣٠].

* وبعض النصارى جعل الآلهة ثلاثة، قال تعالى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [المائدة: ٧٣] والآلهة الثلاثة عندهم هي ما يسمونها بالأقانيم الثلاثة وهي الرب والإبن وروح القدس، وهنا عدة أسئلة يجب عليهم أن يجيبوا عليها:

س/ مريم أم المسيح ولولاها ما جاء المسيح فلماذا لا تكون مريم الأقموم الرابع؟
مع أنها أم إله (الابن) وزوجة إله (الأب)

س/ كيف تعتقدون أن الأقانيم الثلاثة تساوي واحد وتقولون $1+1+1=1$ ؟! هل هذه المسألة يعقلها الفلاح الأمي والبدوي...؟ طبعا ستقولون يعقلها الفليسوف فقط فهل الدين جاء للفلاسفة فقط أم لكل الناس على إختلاف ثقافتهم؟

س/ في (متى: ٤/٥-٨) الشيطان جرب المسيح فكيف يكون إلهًا ويجربه الشيطان؟

س/ في (يوحنا: ٥/٣٠) قال أنه لا يقدر أن يفعل من نفسه فهل الإله يكون عاجزاً؟

س/ في (يوحنا: ٤/٦) أن يسوع تعب من السفر وجلس ليستريح فهل الإله يتعب؟

س/ في (لوقا: ٤٣/٢٢) أن الملاك ظهر ليسوع ليقويه فهل الإله يحتاج إلى تقوية ممن هو أقل منه منزلة؟

س/ المسيح كان يصلي كما في (لوقا: ٢١/٣) (لوقا: ١٨/٩) (لوقا: ٢٩/٩) (لوقا: ١١/١)، بل كان يسجد ويصلي ففي (متى: ٣٩/٢٦) (وخر على وجهه وكان يصلي) وفي (مرقس: ٣٥/١٤) (وخر على الأرض وكان يصلي) فإذا كان إلهًا فلمن كان يسجد ويصلي؟

س/ في (رسالة بولس إلى أهل غلاطية: ٣/١٣) (المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لاجلنا لانه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة) وأنتم تعتقدون أن المسيح قُتل على خشبة فكيف يكون إلهًا ويكون ملعونًا؟

س/ إذا كان إلهًا وابن الله فلماذا لم يولد في السماء عند أبيه؟ ولماذا لم ينزل من السماء ليكون دليلًا أقوى على ألوهيته؟

س/ أنتم تعتقدون أنه عُدب وقُتل وفي (متى: ٣٠/٢٧) أن الأعداء حين قبضوا عليه بصقوا عليه فهل الإله يُعَدب ويُقتل ويُبصق عليه ولا يستطيع الدفاع عن نفسه؟

س/ في (رسالة بولس إلى العبرانيين: ٧/٥) أن المسيح تضرع إلى الله تعالى وصرخ صراخًا شديدًا حتى يخلصه مما هو فيه فإذا كان المسيح ابن الله حقًا فلماذا لم يستجب له ربه ويخلصه من هذا الآلام؟

س/ في (مرقس: ١٢/٢٩) اعترف المسيح أن الله واحد فكيف تزعمون أنهم ثلاثة؟

س/ في (لوقا: ٤/٦-٨) أن الشيطان حين جرب المسيح قال له اسجد لي وأعطيك سلطان جميع المسكونة.... فقال له المسيح (مكتوب للرب الهك تسجد و اياه وحده تعبد) فقرر أن السجود والعبادة لله وحده.
س/ المسيح صرّح أنه ابن الإنسان في مواضع كثيرة جدًا من الإنجيل ومن ذلك (متى: ١٠/٢٣) (متى: ١٦/٢٧، ٢٨) (مرقس: ٨/٣٨، ٣١) (مرقس: ٩/٣١) والأمثلة كثيرة جدًا، فكيف يقول عن نفسه أنه ابن الإنسان وأنتم تجعلونه إلهًا؟
س/ في (يوحنا: ٥/٣١) قال المسيح: (إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقًا) فكيف يكون إلهًا وشهادته لنفسه باطلاً، ثم تناقض القول فقال في (يوحنا: ٨/١٤) (وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق)

س/ في [إنجيل متى: ١/١-١٧]، [إنجيل لوقا: ٣/٢٣-٣٨] نسب المسيح وذكروا له أكثر من أربعين جدًا من الرجال فهل المسيح ابن لله وأجداده آباء لله؟

س/ المسيح في أجداده كثير ممن اتهمهم العهد القديم بالزنا ففي نسب المسيح يهوذا وفارص وداود وسليمان وبوعز بن راحاب وراوبين..... وكلهم اتهمهم العهد القديم بالزنا فكيف يكون عيسى إلهًا وفي أجداده زناه؟ أيضًا في (التثنية: ٢٣/٢) (لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر) وحسب هذا النص لا يدخل عيسى في جماعة الرب أصلاً فكيف يكون ابنًا له؟

س/ كيف تعتقدون أن عيسى إله ولا يوجد في الإنجيل لفظ صريح لا يحتمل التأويل أن عيسى قال عن نفسه أنه إله؟ فكل الجُمَل التي فيها أنه ابن الله فكلها استعارات وليست

محمولة على المقصد الحقيقي بدليل أنه أطلق على تلاميذه أنهم أبناء الله ففي (متى):

(٩/٥) (طوبى لصانعي السلام لانهم ابناء الله يدعون) وراجع كذلك (لوقا: ٣٦/٢٠) (يوحنا: ٥٢/١١) ورسائل بولس، وراجع المزيد من أدلة بطلان ألوهية المسيح في كتاب (إظهار الحق) لرحمة الله الهندي.

وفي النهاية: إن المسيح نبأ بأن الرهبان سيعبدونه مستقبلاً وهذا باطل وسيُعلمون أتباعهم كلاماً ليس من وصايا المسيح، فقال في (مرقس: ٧/٧) وكذلك في (متى: ٩/١٥) (وباطلاً يعبدونني وهم يُعلمون تعاليم هي وصايا الناس) وللأسف ترى النصراني يسجد للراهب وكأنّ الراهب هو ربه مع أن عيسى كان يسجد

على الأرض لله تعالى وحده فهل الراهب أفضل من عيسى؟ معاذ الله.

النقطة الثانية: الاعتقاد في تحمل الخطيئة:

* فالإسلام منهجه الوسط العدل فجعل الخطيئة على الخاطيء، وليس على أحد آخر، قال تعالى: (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) [فاطر: ١٨]، وهذا تصريح بأن كل وزر يحمل مرتكبه، ولن يحمل أحد وزر أحد، حتى ولو كان قريبه، وكذلك لا يأخذ حسنات غيره قال تعالى: (وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ) [النجم: ٣٩]، وقال تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) [البقرة: ٢٨٦].

وفي الصحيحين عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا فاطمة بنت محمدٍ سليمان من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً)، فالنبي صلى الله عليه وسلم يصرح بأنه لن يحمل ذنب ابنته، وهي أقرب الخلق إلى قلبه، ومع ذلك لا يغني عنها من الله شيئاً، هذا بخلاف **الشفاعة** وهي التضرع إلى الله للعفو عن المجرم، ومعناها أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لأمته بأسلوب التضرع لله تعالى، وبشرط أن يأذن الله له

ويرضى عن المشفوع، قال تعالى: (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى) [النجم: ٢٦].

* أما النصارى فيعتقدون أن المسيح تحمل الخطيئة عن البشر، ويعتقدون أنهم أبناء الله كما في [إنجيل متى الإصحاح ٢١ / ١]، [متى الإصحاح ٢٨ / ٢٠]، [متى إصحاح ٢٨ / ٢٦]، [لوقا إصحاح ١١ / ٢]. ويرد عليهم بعدة أمور:

الأمر الأول: هذا الإعتقاد مناقض لما في (سفر التثنية: ١٦ / ٢٤) (لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل انسان بخطيته يقتل) الأمر الثاني: ما الفائدة من وجود جهنم؟ مادام أن عيسى تحمل الخطيئة عن كل البشر يعني سيدخلون الجنة وطبعا بما فيهم غير نصارى.

الأمر الثالث: ما دام أنكم تعتقدون أنه تحمل الخطيئة وأنكم ستدخلون الجنة بهذا

الإعتقاد مهما فعلتم من الذنوب، فهل يرضى القسيس أن يزي أحد النصارى بزوجه أو يسرقه أو يقتله ما دام أن المسيح تحمّل الخطيئة؟

وما حكم من يفعل الكبائر كالزنا والسرقه والقتل... ولم يُعاقب في الدنيا هل سيُعذب في الآخرة أم سيدخل الجنة لأنه يعتقد أن عيسى تحمل الخطيئة؟

وإذا كان سيُعذب في الآخرة فما هو فائدة صلب المسيح من أجل تحمّل الخطيئة؟

الأمر الرابع: إذا كان المسيح تحمّل الخطيئة فلماذا تذهبون إلى الرّاهب وتعترفون له بالذنوب ليغفر لكم؟

الأمر الخامس: أنتم تعتقدون أن عيسى إله وأنه ابن إله فلماذا لم يغفر لآدم بدلاً من أن يُعذب ويُقتل نيابة عنه؟

مع أنكم تعتقدون أن الراهب يستطيع أن يغفر الذنوب فهل الراهب أجَلُّ وأطهر وأقوى من المسيح لذلك فهو يغفر والمسيح لا يستطيع أن يغفر؟.

الأمر السادس: أنتم تعتقدون أن المسيح ابن الله فلماذا لم يغفر الله لآدم وهو القادر على كل شيء؟

هل يضحى الأب بابنه فداء لمذنب من الشعب؟

فهل يُعَقَّل أن يجعل الشعب يقع في ذنبٍ أعظم وهو سفك دم ابنه من أجل فداء خطيئة أكل تفاحة؟

وهل الراهب أجَلُّ وأقوى لذلك فهو يغفر والله تعالى لا يستطيع أن يغفر؟

الأمر السابع: إن المسيح تضرع إلى الله تعالى وصرخ صراخًا شديدًا حتى يخلصه مما هو

فيه، كما في (رسالة بولس إلى العبرانيين: ٥/٧)

فهل كان المسيح لا يعلم أنه جاء مخلصًا للبشرية من الخطيئة؟ إن قلتم نعم، قلنا: كيف

يجهل الغرض الأساسي الذي بعث من أجله؟ وإن قلتم كان يعلم، قلنا: كيف يصرخ

ويطلب النجاة أليس هذا يعتبر إقرارًا منه بعدم قدرته على تحمل الغرض الذي بُعث

من أجله؟

الأمر الثامن: الإصحاح الثالث من سفر الخروج ذكر قصة أكل آدم وحواء من الشجرة

بعد إغواء الحية لحواء وذكر أن الله عاقب حواء بآلام الحمل وعاقب الحية بالزحف على

البطن وبالعدوة بينها وبين المرأة وعاقب آدم بالطرد من الجنة وحرمانه من نعيمها فكيف

يتحمل عيسى خطيئة آدم وقد وقع العقاب على آدم وحواء والحية؟ أليس العقاب مقابلا

للخطيئة؟

الأمر التاسع: إذا كان عيسى تحمل خطيئة آدم فلا بد من محو أثر الخطيئة وهو العقاب المذكور في النص السابق فلماذا تشعر المرأة بالآلام الحمل حتى اليوم؟ والحية لازالت تزحف على بطنها ولازالت العدواة بينها وبين الإنسان حتى اليوم؟

الأمر العاشر: أنتم تعتقدون أن عيسى جاء للخلاص من خطيئة آدم وهي أكلُ تفاحة وعُذِّبَ وقُتِلَ من أجل ذلك فأين الخلاص من الخطايا الكبرى التي تزعمون أن بعض الأنبياء ارتكبوها؟ فأنتم تزعمون أن سيدنا داود وسليمان وهودا.... زناة وهم في نسب المسيح فأين الخلاص من هذه الكبائر؟

الأمر الحادي عشر: كيف تعتقدون أن الله لم يغفر لآدم وأرسل ابنه ليقتل فداء عنه مع أن كتابكم نص على أن الله غفر لراحاب الزانية كما في (يشوع: ٦/٢٥، ١٧) (رسالة بولس إلى العبرانيين: ٣١/١١) فهل أكل تفاحة أعظم من الزنا؟!!!

الأمر الثاني عشر: هناك أنبياء كثيرون عُذِّبوا وقُتِلوا على أيدي اليهود فلماذا يحدث الفداء المزعوم؟

* جدير بالذكر:

أن ابن نايف الشحود عدة مناظرات في هذا الموضوع في كتابه (المفصل في شرح آية لا إكراه في الدين: ج ٢/ ٥٤) منها:
مناظرة الصحابي حاطب بن أبي بلتعة مع المقوقس (فقد سأله المقوقس عن حرب النبي مع أعدائه، فأجابه حاطب بأنه يَغْلِبُ ويُغْلَبُ، فقال المقوقس: أنبي الله يُغْلَبُ؟ فأجاب حاطب: أولدُ الله يُصَلَّبُ؟
ومثله ما رواه ابن عبد البر في الاستيعاب من حديث حاطب بن أبي بلتعة أن المقوقس جمع بطارفته فقال: إني سأكلمك بكلام أحب أن تفهمه مني، قال: قلت: هلم، قال: أخبرني عن صاحبك أليس هو نبياً؟ قلت: بلى هو رسول الله، قال: فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه، حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها؟ فقلت له: فعيسى ابن مريم، أتشهد أنه رسول الله؟ فما له حيث أخذه قومه، فأرادوا صلبه ألا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حتى رفعه الله إليه في سماء الدنيا؟ قال: أحسنت، أنت حكيم جاء من عند حكيم).

والأدهى والأمر أنهم يصنعون فطيرًا في الكنيسة ويسمونونه جسد الرب يعني جسد المسيح ويأكلونه وهذا يعني أنهم يأكلون جسد المسيح فهم أشد جرمًا وإثمًا من اليهود الذين يعتقد النصارى أنهم عذبوه وقتلوه لأن اليهود فعلوا ذلك مرة واحدة حسب زعم النصارى وهم يصنعون الفطير دائمًا يعني يقتلون المسيح ويأكلونه آلاف المرات.

شبهة واهية وأجوبة شافية: إن النصارى يقولون إن عيسى هو أفضل الخلق وإله لأنه ولد بلا أب ورفع إلى السماء وسينزل في آخر الزمان

ويرد عليهم بعدة أمور:

(١) كون ولادة عيسى بلا أب لا تعطيه أفضلية وإلا لكان آدم أفضل منه لأنه خلق بلا أب ولا أم، وقد خُلِقَتْ حواء بدون أم كما لا يخفى.

(٢) عيسى رفع حيًّا لأن أمته هي الأمة الوحيدة التي افترت على رسولها وزعمت أنه إله وأنه قال بذلك، فرفعه الله حيًّا وأبقاه ليُنزَّله في آخر الزمان حتى يبكت أمته على أخطائها ويكذب ما تدعيه ويدعُ إلى وحدانية الله تعالى، يعني سيؤكد على دعائم التوحيد الذي جاء به الإسلام، ولن يأت بشرع جديد.

(٣) نحن نؤمن أن عيسى من أعظم رسل الله تعالى ولكن ليس الأعظم مطلقًا فهو عندنا من الرسل أولي العزم لكن عندنا أن أفضلهم هو آخرهم وأكملهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم، وكما شهد بذلك الورخ الأمريكي مايكل وسبق بيانه في الفصل السابق والله الحمد.

* **واليهود** يعتقدون أنه لا ذنب عليهم لو ارتكبوا الجرائم، وأن لهم الجنة، فهم يعتقدون أنهم شعب الله المختار كما في [سفر التثنية ٧/٦] ، (التثنية: ٤/٢١)، وحكاه القرآن عنهم: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ) [المائدة: ١٨]، ويعتقدون ألا ذنب عليهم في ظلم الناس، قال

تعالى: (قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ) [آل عمران: ٧٥] ومعنى الأميين كل ما سوى اليهود.

ثانياً: الوسطية في العبادة:

من تأمل في شريعة الإسلام من حيث العبادة وجد أنها منهج وسط وعدل، فلا إفراط ولا تفريط، بل إن شريعة الإسلام أمرت بالقصد في العبادة، ونهت عن الغلو والتنطع فيها، والنصوص والمواقف التي تدلى على وسطية الإسلام كثيرة، وسوف نذكر بعضاً منها على سبيل المثال حتى يتضح المقال:

(١) حديث الثلاثة رهط الذين سألوا عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم

ففي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أُخبروا كأنهم تقالوها (رأوها قليلة) فقالوا: وأين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، قال آخر: أنا أصوم الدهر أبداً، وقال آخر: أنا أعتزل النساء، فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنتم الذين قلتُم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني).

(٢) في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا عبد الله ألم أُخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ قلت: بلي يا رسول الله، قال: فلا تفعل صم وأفطر وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً).

(٣) عن عائشة قالت: (دَحَلْتُ عَلَيَّ خُوَيْلَةَ بِنْتُ حَكِيمٍ زَوْجَةَ عِثْمَانَ بْنِ مِظْعُونٍ فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَاذَةِ هَيْئَتِهَا، فَقَالَ لِي: يَا عَائِشَةُ مَا أَبَدَّ هَيْئَةَ خُوَيْلَةَ، قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهَا امْرَأَةٌ لَهَا زَوْجٌ يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ، فَهِيَ كَمَنْ لَا

زوج لها، فتركت نفسها وأضاعتها، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن مظعون، فجاءه، فقال له: أَرَغِبْتَ عن سنتي؟ قال: لا والله يا رسول الله ولكن سنتك أطلب، قال: فإني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء فاتق الله يا عثمان، فإن لأهلك عليك حقًا، وإن لضيفك عليك حقًا، وإن لنفسك عليك حقًا، فصم وأفطر وصلّ ونم^(١) وفي رواية (يا عثمان إن الرهبانية لم تكتب علينا أما لك في أسوة؟ فوالله إني لأخشاكم لله وأحفظكم لحدوده)^(٢).

وقد أكد الإسلام على الوسطية في العبادة، ونهى عن التنطع والتشدد:

(١) حديث النهي عن التنطع، في صحيح مسلم عن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هلك المتنطعون) قالها ثلاثًا، قال النووي في شرح مسلم: أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

(٢) حديث الأمر بالقصد في العبادة، في الصحيحين عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لن يُنَجِّيَ أحدًا منكم عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته، ولكن سدّدوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا)، قال ابن حجر: (فسدّدوا) أي التزموا السداد، وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط، قال أهل اللغة: السداد هو التوسط في العمل، (القصد القصد) المراد به الأخذ بالأمر الأوسط، و(قاربوا) يعني لا تُفْرِطوا وتعمقوا في العبادة، (اغدوا) السير أول النهار، (روحوا) السير آخر النهار، (الدلجة) وقت الليل يعني نصوم النهار ولا نقيم الليل كله^(٣).

(١) أخرجه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني (إرواء الغليل: تحت حديث رقم ٢٠١٥)

(٢) أخرجه ابن حبان وأحمد والطبراني (معجمه الكبير)، وصححه الألباني على شرط الشيخين في المصدر السابق.

(٣) فتح الباري شرح حديث رقم ٣٨.

(٣) حتى الدعاء أمرنا بالتوسط فيه، قال تعالى: (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) [الأعراف: ١١٠].

كما سبق يتضح أن الإسلام حرص على الوسطية في العبادة لعدة أمور منها:

الأمر الأول: أن يأخذ كلُّ حقه، فيعطي حق الله وحق النفس والأعضاء وحق الغير كالزوجة والضيف والأولاد وغير ذلك بدون مَلَلٍ أو حَلَلٍ،

الأمر الثاني: ألا تزهق النفس وتمل، وقد يؤدي الملل إلى ترك العبادة كليةً، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص: (يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل)^(١)، يعني لا تقم الليل كله حتى لا تمل النفس، فتركه كله، ومن ثم يحدث التوازن بين الجانب الهادي والروحي.

مقارنة: أما اليهود ففرطوا في العبادة والنصارى أفرطوا في العبادة:

* **فاليهود** جفوا وفرطوا في العبادة، فلقد قصرُوا في الصلاة التي فرضها الله عليهم، لذلك فإن رسولهم موسى نصح سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم حين قابله في رحلة الإسراء بأن يطلب من ربه التخفيف في الصلوات المفروضة، لأنه جرب بني إسرائيل وعانى منهم كثيراً والقصة موجودة في الصحيحين.

كذلك لم يلتزم اليهود بتحريم يوم السبت وترك الصيد فيه، فلقد اعتدوا واحتالوا على الصيد في يوم السبت، لذلك مسح الله المخالفين منهم إلى قردة وخنزير، قال تعالى: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) [البقرة: ٦٥]، (قُلْ هَلْ أَنْبَأُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) [المائدة: ٦٠]، كل ذلك لحرصهم على إمتاع الجسد.

(١) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

* أما النصارى فغلو وأفرطوا في العبادة بسبب اهتمامهم بالجانب الروحي فقط، حتى ابتدعوا الرهبانية، وهي ترك الزواج ومتع الحياة من أجل التفرغ للعبادة، ومع ذلك لم يلتزموا بها، كما أخبر بذلك القرآن: (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا) [الحديد: ٢٧]، أي ابتدعوا الرهبانية من أجل رضوان الله، ومع ذلك لم يقوموا بحققها.

والواقع خير شاهد على أنهم لم يقوموا بحق الرهبانية، فكل بضعة أيام نسمع عن فضيحة جنسية لراهب كنيسة، وهذا يعني أنه ترك الزواج من أجل العبادة، فوقع في الزنا، والغريب أنه بعد أن تنتشر الفضيحة يعلن المجلس البابوي أن هذا الراهب كان مطرودًا من خدمة الكنيسة، وهكذا في كل مرة.

وأغرب الفضائح الجنسية في حياة الرهبان فضيحة الراهب برسوم المحرقى، فقد نشرت جريدة النبا المصرية بتاريخ ١٨/٦/٢٠٠١ برقم (٦٦٣) فضيحة جنسية كبرى للراهب برسوم كاهن كنيسة المحرق بمحافظة أسيوط بمصر، والذي اعترف بعد القبض عليه بأنه زنى بخمس آلاف امرأة قبطية إضافة إلى فعل اللواط مع صبية النصارى، وكل ذلك تم داخل الكنيسة، لذلك قالت الصحيفة إنه حوّل الكنيسة إلى وكر للدعارة، وقام بتصوير معظم العمليات الجنسية على شرائط فيديو لبيعها، ولما اكتشفت قبطية ممن واقعهن جنسياً أنه صورها اثناء ممارسة الجنس معها أبلغت عنه الشرطة، فقامت الشرطة بمداهمة منزله، ووجدت الأدلة التصويرية على جرائمه، وعلى إثر ذلك قامت جريدة النبا بنشر بعض المشاهد الجنسية التي فعلها هذا الراهب مع القبطيات في الصفحة الأولى من الجريدة، وانتشر الخبر في العالم كله، وحدثت ضجة كبيرة، وتم الحكم على الراهب بالسجن، واعتقال رئيس تحرير جريدة النبا بسبب نشر هذه المشاهد، ومات في المعتقل، وبعد انتشار الفضيحة قال زعماء النصارى: إنه كان مطرودًا.

وفضائح الرهبان ليست وليدة اليوم بل منتشرة منذ قرون فقد ذكر المؤرخ الأمريكي ول ديورانت في كتابه (قصة الحضارة: ج١٥/ص١٩٤): في ترجمة البابا يوحنا

الثاني عشر (أنه زنى بحليلة أبيه، وضاجع أرملة، وابنة أختها، وأنه حول قصر البابا إلى ماخور للدعارة). وقال في (ج ٢١/ ٨٤) (استمعوا إلى قول القديسة كترين السيانية: إنك أينما وليت وجهك- سواء نحو القساوسة أو الأساقفة أو غيرهم من رجال الدين، أو الطوائف الدينية المختلفة، أو الأحرار من الطبقات الدنيا أو العليا، سواء كانوا صغاراً في السن أو كباراً- لم تر إلا شراً ورتيلة، تزكم أنفك رائحة الخطايا الأدمية البشعة. إنهم كلهم ضيقوا العقل، شروهون، بخلاء... تخلوا عن رعاية الأرواح... اتخذوا بطونهم إلها لهم، يأكلون ويشربون في الولائم الصاخبة، حيث يتمرغون في الأقدار ويقضون حياتهم في الفسق والفجور... ويطعمون أبنائهم من مال الفقراء) والفضائح كثيرة أكثر من أن تحصى ومن أراد المزيد فليراجع المصدر السابق تحت عنوان أخلاق رجال الدين وكذلك (الموسوعة الكاثوليكية: ج ١٥).

فإذا كان هذا هو حال علمائهم فكيف يكون الحال مع أتباعهم من العوام!!!

ثالثاً: الوسطية في المعاملات:

فالإسلام حثَّ على الوسطية في كل شيء، حتى في المعاملات مع الغير سواء كان مسلماً أو كافراً، وهذا من مبدأ العدالة كما لا يخفى على العاقل البصير والناقد النحرير، ونذكر أمثلة من وسطية الإسلام في المعاملات مع الغير:

(١) الوسطية في دعوة الغير إلى الحق:

فلقد أمر الإسلام بالاعتدال في دعوة الغير إلى الحق بعيداً عن الاعتداء والعنف والتطرف، قال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [النحل: ١٢٥]، هكذا بالموعظة الحسنة وبالْحُكْمَةِ، وليس بخشونة العقل القول والعنف والتطرف والاعتداء، فكل هذا بريء منه الإسلام.

ولقد علم الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم اللين في القول حين يدع إلى الحق قال تعالى: (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ) [آل عمران: ١٥].

واللين في القول من خلق المرسلين كما علمهم رب العالمين، فإن الله لما أرسل موسى وهارون إلى فرعون أمرهم باللين في القول معه، قال تعالى: (أذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ) [طه: ٤٣، ٤٤]، وذلك حتى لا يغتاز المدعو إلى الحق، فيرفض الدعوة.

ولا بد من الدعوة إلى المعروف وترك المنكر وإلا فسد المجتمع، قال تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [آل عمران: ١٠٤].

(٢) الوسطية في التشريع واقتضاء الحقوق:

فالإسلام هو الذي أمر بالعدل والمساواة ونهى عن العداة والاعتداء، وخاصة عند الاقتضاء والتشريع والقضاء، حتى ولو كان الذي عليه الحق مخالفاً للإسلام وكثيراً ما دعا الإسلام إلى الصبر والعفو، قال تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) [البقرة: ١٩٠]، وقال تباركت أسأؤه: (فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) [البقرة: ١٩٤]، وقال سبحانه وتعالى: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَا تَكُنْ صَبْرْتُمْ هُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ) [النحل: ١٢٦]، وتأمل هذه الآيات التي حكمت، فأفصحت وأوجزت قال تعالى: (وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (٤٠) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) [الشورى: ٤٠-٤٣]، هذه معاملة الإسلام مع غير مسلم.

* أما أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فهم يأخذون الربا ممن لا يدين بدينهم، ففي التوراة المحرفة: (وإذا افتقر أخوك وقصرت يده عنك فاعضده غريباً أو مستوطناً، فيعيش معك لا تأخذ منه ربا ولا مراوحة) [سفر اللاويين: ٢٥/٣٥-٤٢] يعني إذا كان

غير إسرائيلي فخذ منه الربا وإلا لحرم الربا عامة، فهم يظلمون الناس بالربا الفادح، وأكل المال الحرام ويستعبدون المستوطنين غير الإسرائيليين عامة كما في (سفر اللاويين ٢٥/٤٤-٤٦)، لذلك قال القرآن: (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [آل عمران: ٧٥] وقال تعالى: (وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ) [المائدة: ٦٢].

* أما الإسلام فقد حرم الربا، حتى مع غير مسلم، قال تعالى: (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) [البقرة: ٢٧٥]، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ) [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩] فحرم الربا عامة فلا يجوز للمسلم أن يأخذ الربا ولو من كافر.

والإسلام أمر بتأدية الأمانة، ولم يفرق بين مسلم وكافر، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) [النساء: ٥٨] وجميع نصوص الإسلام في المعاملات لم تفرق بين المسلم وغيره.

رابعاً: وسطية الإسلام في متع الحياة وتناول المباح:

* فاليهود أفرطوا في متع الحياة، حتى أفسدوا المجتمع بسبب شرب الخمر، وانتشار الفواحش في بلادهم لحرصهم الشديد على المادة وإمتاع الجسد.

* والنصارى ضيقوا وفرطوا في الكثير بسبب اهتمامهم الشديد بالجانب الروحي، ومنهم من تمسك بالرهبانية التي ابتدعوها كما سبق بيانه.

* أما الإسلام فهو دين الوسطية الذي وازن بين حقوق الجسد والروح، وأعطى كل ذي حق حقه، فهو الذي حثَّ على تناول المباح، بلا إفراط ولا تفريط، ولا تعدي على

حقوق الآخرين بفعل الفواحش والفساد في الأرض، وكذلك بلا تناول للمضرات مثل الخمر والمسكرات وسائر المخدرات والتدخين والمفترات قال تعالى في وصف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الأعراف: ١٥٧]، وقال تعالى: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) [الأعراف: ٣٢]

فتناول الطيبات لا بأس به، ولكن بلا إسراف ولا فساد، قال تعالى: (وَابْتَغِ فِيهَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) [القصص: ٧٧]، وقال تعالى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) [الأعراف: ٣١].

حتى الإنفاق أمر الإسلام بالوسطية فيه قال تعالى: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا) [الإسراء: ٢٩]، وقال القرآن في وصف عباد الرحمن: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) [الفرقان: ٦٧].

مسك الختام: لقد اتضح لك ألقاريء الحبيب والحاذاق اللبيب أن الإسلام بريء من العنف والتطرف والتعنت، فهو دين الوسطية، وهو أعدل الشرائع وأيسرها. والعيب عند المخالفين المتطرفين وليس في منهج الإسلام فلا تضع الإسلام في قفص الاتهام؛ بسبب فعل الجاهل، ففي الطب مثلاً إذا فشلت العملية الجراحية كان العيب عند الطبيب، وليس عند منهج الطب نفسه، وسوف تزداد الرؤية وضوحاً في الموضوعات التالية.

مبدأ العدل والمساواة في الإسلام

فالعدل من أهم مبادئ الإسلام، والعدل أساس الملك، وكلنا نعلم أن ثورات الشعوب لم تقم ضد الحكام إلا بسبب غياب العدل، وانتشار الجور والمحسوبية واستئثار فئة معينة بمدخرات الشعوب وخيرات البلاد، والاضطهاد والقهر....، والسبب هو بعد الناس عن تعاليم الإسلام فالإسلام أمر بالعدل وحثَّ عليه في كل شيء ومع جميع طوائف المجتمع (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ...) [النحل: ٩٠]

فلقد أمر بالعدل بين الزوجات وبين الأولاد وفي الكيل والميزان وفي القضاء حتى بين الكافر والمسلم وبين الرعية عامة.

* فأمر بالعدل بين الزوجات: ففي الحديث (من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط)^(١).

* وأمر بالعدل بين الأولاد: ففي الصحيحين عن النعمان بن بشير قال: (أعطاني أبي عَطِيَّةً، فقالت عَمْرَةُ بنت رواحة: لا أرضى حتى تُشْهَدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، قال: أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ قال: لا، قال: اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم، قال: فرجع فردَّ عَطِيَّتَهُ، وفي رواية (فإني لا أشهد على جورٍ).

(١) أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة وصححه الألباني (ص:

والعطية كانت عبدا ففي رواية أبي داود والنسائي (أعطاه أبو غلاما (يعني عبدا)، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هذا الغلام؟ قال: غلامي أعطانيه أبي، قال: فكل أخوتك كما أعطى كما أعطاك؟ قال: لا، قال: فارده)^(١)

* وأمر بالعدل في الكيل والميزان: (وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) [الإسراء: ٣٥]، (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) [الشعراء: ١٨٣]، ولفظ الناس عام يشمل المسلم والكافر، فالكل لا بد وأن نعدل معه في الكيل والميزان قال تعالى: (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) [المطففين: ١-٦] فتوعد كل من يطفف الميزان أو الكيل، حتى ولو مع كافر مخالف لديننا.

* وأمر بالعدل في القضاء بين عامة الناس: قال تعالى: (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) [النساء: ٥٨]، ولفظ الناس هنا عام يشمل العدل بين كل الناس حتى مع المسلم والكافر.

ملحوظة: (نِعْمًا) أصلها (نِعِمَ مَا) فأدغمت الميمان فصارت (نِعْمًا)، والمعنى نعم الشيء ما يأمركم به الله من أداء الأمانة والعدل بين الناس.

ومهما كان بُغْضُنَا لِلْكَافِرِ فَلَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَجُورَ عَلَيْهِ، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [المائدة: ٨]، أي ولا يحملنكم كراهيتكم لقوم أن تظلموهم بل عليكم بالعدل، وعن أنس قال النبي عليه الصلاة والسلام: (اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرا، فإنه ليس دونها حجاب)^(٢).

(١) رواه النعمان بن بشير أيضا، وصححه الألباني (الإرواء تحت حديث ١٥٩٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده وحسنه الألباني (ص: ج: ١١٩).

* وأمر بالعدل بين عامة الرعية: ففي الصحيحين من حديث ابن عمر بن الخطاب (كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسئول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله، ومسئول عن رعيته، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها، ومسئولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راعٍ ومسئول عن رعيته)، وفي الحديث (ما من أمير عشرة إلا وهو يؤتى به يوم القيامة مغلولاً حتى يفكَّه العدل أو يوبقه الجور)^(١).

ولقد جعل الإسلام الإمام العادل في ظل الله يوم القيامة، فالكل سوف يقف في حرِّ الشمس يوم القيامة إلا أصناف ذكرهم الرسول صلى الله عليه وسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (سبعةٌ يظلمهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه إمامٌ عادل، وشابٌّ نشأ في عبادة الله، ورجلٌ معلقٌ بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجلٌ ذكر الله خالياً من قلبه ففاضت عيناه، ورجلٌ دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجلٌ تصدق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه)، وهناك صنف ثامن ففي صحيح مسلم عن أبي اليسر قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله)، فيكون العدد ثمانية.

وأشد الناس عذاباً يوم القيامة الإمام الجائر، ففي الحديث (أشد الناس عذاباً يوم القيامة إمام جائر)^(٢) وحذر الإسلام من الظلم عامة فقال تعالى: (وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا) [الفرقان: ١٩]، (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [الشورى: ٤٢].

* نماذج مشرقة من عدالة الإسلام المُشرِّفة :

أولاً: صور من عدالة أحكم الحاكمين في الإسلام مع سيد المرسلين:

(١) أخرجه البيهقي من حديث أبي هريرة وصححه الألباني (ص: ج: ٥٦٩٥).

(٢) رواه أبو سعيد وأخرجه الطبراني في الأوسط، وحسنه الألباني (ص: ج: ١٠٠١).

(١) عتاب الله للنبي صلى الله عليه وسلم حين عبس في وجه الأعمى:

فالنبي صلى الله عليه وسلم حين كان يكلم أناسًا من أشرف قريش جاءه ابن أم مكتوم، وكان رجلاً أعمى، فجعل يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: أرشدني إلى الإسلام ذكّرني يا رسول الله....، والرسول صلى الله عليه وسلم يُعْرِضُ عنه، ويُقبل على الأشرف قريش لأنهم إن أسلموا أسلم الباقون، فلما صَبَّحَ ابن أم مكتوم الفرصة على النبي صلى الله عليه وسلم عبس في وجهه؛ لأنه كان عليه أن ينتظر النبي صلى الله عليه وسلم حتى ينتهي من حديثه مع الآخرين، ولاحظ أن الأعمى لم ير العبس في وجهه لأنه أعمى ولكن الله رآه فهو السميع البصير والعليم الخبير، فأنزل الله العتاب في القرآن يُتلى إلى يوم الدين، ولم يجامل النبي صلى الله عليه وسلم، وافتتح سورة عبس بالعتاب مباشرة، وسميت السورة بالواقعة التي حدثت وهي العبس في وجه الأعمى فقال: (عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه يُزَيِّكِي (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنْ اسْتَعْجَلَ (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكِّي (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ [عبس: ١-١٤]، ولم يفتح السورة بكلمة محمد، فلم يقل محمد عبس وتولى سترًا على النبي صلى الله عليه وسلم، وتوقيرًا له في عتابه معه، وكذلك لم يقل النبي عبس وتولى؛ لأن هذا ليس من خلق الأنبياء،

والقصة أصلها في سنن الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: (أُنزِلَ عبس وتولى في ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه، ويقبل على الآخر، ويقول: أترى بما أقول بأسًا، فيقول: لا، ففي هذا أنزل) (١) وفي بعض الروايات أن الذي كان يكلمه

(١) وصحح إسناده الألباني (ص. الترمذي: ٢٦٥١).

الرسول صلى الله عليه وسلم حين جاءه الأعمى كان الوليد بن المغيرة، وقيل أمية بن خلف وهما من زعماء الكفر^(١).

وهنا لطيفة: لو كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كاذبًا لحذف هذه الآيات التي تعاتبه، ولكن السورة لم يُحذف منها شيء، والعتاب موجود فيها إلى يوم الدين مما يدل على صدق وأمانة النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) عتاب الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم التبني حتى لا يضيع حق الأب:

فقد كان التبني من عادة العرب في الجاهلية، وكان الابن من التبني يتساوى مع الابن الصليبي في كل شيء عند العرب، فيرث مثله ويحرم عليه أن يتزوج بزوجة أبيه الذي تبناه، ويحرم على الرجل أن يتزوج زوجة ابنه من التبني.....

ولقد تبني رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا زيد بن حارثة قبل نزول النبوة عليه، فقد أُسر زيد في بعض الحروب، واشتراه حكيم بن حزام، ثم أهدها إلى عمته خديجة، فكان زيد عبدًا عند خديجة حتى أهدته إلى زوجها محمد صلى الله عليه وسلم، ولما علم أهل زيد بأن ابنهم عبدٌ لمحمد صلى الله عليه وسلم عرضوا عليه المال لكي يعطيهم زيدًا، فخيره النبي صلى الله عليه وسلم بين أن يظل معه أو يذهب مع أهله بلا عوض أي يتركه يذهب مع أهله ولا يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم عوضًا عنه، فرفض زيد، وقال: أبقى معك، فقالوا له: أتفضل العبودية والرق على السيادة في قومك؟ فقال: لأن أظل عبدًا عند محمد خيرٌ لي من أن أكون سيدًا في قومي؛ لأنه ما عاملني كعبد أبدًا، وفضل البقاء مع النبي صلى الله عليه وسلم فعوضه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أن تبناه وأمسك بيده، وقال: يا معشر قريش زيد مني وأنا من زيد، فعلمت قريش أن زيدًا أصبح ابنًا لمحمد، فكان يقال له زيد بن محمد، ولما بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم نبيًا أصبح يُقال لزيد زيد بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هنا تعلم أن التبني

(١) وراجع كل ذلك في صحيح السيرة للألباني ص ٢٠٢.

وقع قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، فنزل تحريم التبني فقال تعالى: (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيهَا أَنْ تَخْتَلَفُوا فِيهَا لَكُمْ عَلَيْكُمْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) [الأحزاب: ٥].

ولاحظ وقوله تعالى: (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ) هذا هو عين العدل؛ لأن زيدياً لم يكن من صلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون ابناً له؟ وربنا سبحانه وتعالى لم يجامل النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم تبنى زيدياً مكافأة له وليس لمصلحه شخصية، ومع ذلك لم يتساهل ربنا سبحانه وتعالى، بل عاتبه وأمره أن يُنسب زيدياً إلى أبيه حارثة؛ لأنه من صلبه، وهذا كله يدل على عدل أحكم الحاكمين سبحانه وتعالى، ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم كاذباً أو يستطيع العبث بالقرآن لحذف آيات العتاب.

لطيفة: لما حَسَرَ سيدنا زيدٌ شرف انتسابه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وحزن لذلك عوضه ربه بشرف أعظم منه، فذكر اسمه في القرآن يُتلى إلى يوم الدين، ويتلى في الصلاة وفي المحراب بين يدي رب العالمين: (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) [الأحزاب: ٣٧]، مع أن اسم أبي بكر غير مذكور في القرآن ولا عمر ولا عثمان ولا علي، لا تجد اسم صحابي في القرآن سوى زيد تعويضاً له لأنه خسر انتسابه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي الصحيحين عن ابن عمر قال: (ما كنا ندعُ زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل في القرآن (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ)).

(٣) عتاب الله لسيد المرسلين في ضعفاء المسلمين:

فقد جاء الأقرع بن حابس وعيينة بن حِصْن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوه مع ضعفاء المسلمين وفقرائهم مثل بلال بن رباح وصهيب وابن مسعود وسلمان الفارسي، فقالوا له: اجعل لنا منك مجلساً تعرف به العرب فضلنا، فإننا نستحي

أن ترانا العرب مع هؤلاء الأَعْبُدِ، فوافق النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، فنزل العتاب من الله تعالى يدافع عن المسلمين الضعفاء، ويعاتب النبي صلى الله عليه وسلم والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن، ففي الحديث عن خباب رضي الله عنه قال: (جاء الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن الفزاري، فوجدا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدًا في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول النبي صلى الله عليه وسلم حَقَرُوهم فَأَتَوْه فَخَلُّوا به، وقالوا: إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسًا تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك، فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأَعْبُدِ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال: نعم، قالوا: فاكتب لنا عليك كتابًا، قال: فدعا بصحيفة ودعا عليًا ليكتب ونحن قعودٌ في ناحية فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) [الأنعام: ٥٢]، ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فقال: (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالسَّاكِرِينَ) [الأنعام: ٥٣]، ثم قال: (وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) [الأنعام: ٥٤]، قال: فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ) أي ولا تجالس الأشراف (تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمَنْ مِنْ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا) يعني عيينة والأقرع (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) [الكهف: ٢٨]، قال: يعني هلاكًا، قال: هو أمر عيينة والأقرع، ثم ضرب لهم مثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا، قال خباب: فكنا نقعد مع النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا بلغنا الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم^(١).

(١) أخرجه ابن ماجه وصححه الألباني (صحيح ابن ماجه: ٤١١٧) وأصله في صحيح مسلم

لاحظ أن الله شهد هؤلاء الضعفاء بأنهم يريدون وجه الله بعبادتهم يعني شهد لهم بإخلاصهم لله تعالى، لذلك دافع عنهم؛ لأنهم من السابقين إلى الإسلام.

كذلك لك أن تتعجب من الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن؛ لأنهما رفضا أن يجلسا مع هؤلاء الضعفاء مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معهم، فهل هما خير وأظهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ معاذ الله أن نقول ذلك، ولاحظ أن الله أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالمشرك حتى يقوم الضعفاء أولاً، ولا يقوم ويتركهم، بل يظل قاعداً حتى يقوموا هم أولاً، فسبحانه هو أحكم الحاكمين.

قوله: (مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ...) أي لا يضرك حسابهم ولا يضرهم حسابك في الآخرة، ونظيره (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) [فاطر: ١٨]، ومن ثم نعلم أن القرآن فيه آيات كثيرة تعاتب النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يحذف منها شيء مما يدل على حفظ القرآن من التحريف كما قال تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر: ٩].

* لطيفة: استأذن أبو سفيان ذات يوم على عمر بن الخطاب فلم يأذن له، مع أنه من أشرف قريش، وجاء سهيل بن عمرو فلم يأذن له عمر، وقد كان سهيل ينفذ على الملوك والأمراء وهو الذي كتب صلح الحديبية مع النبي صلى الله عليه وسلم. ومع ذلك لم يأذن له عمر، فلما جاء بلال أذن له، وجاء عمار فأذن له، وجاء سلمان فأذن له، فتذمر أبو سفيان وغضب، وقال: ما كنت أظن أن أحبس على باب عمر، ويدخل هؤلاء الأعبد، فقال سهيل: ما علينا أن نحبس على باب عمر، المهم ألا نحبس على باب الجنة؛ لأنهم سبقونا إلى الإيمان ونحن تأخرنا.

(٤) عتاب الله للنبي صلى الله عليه وسلم حين استغفر لعمه ومنعه من الاستغفار

لأمه:

لما مات أبو طالب مشرّكاً حزن عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فواساه ربه، وقال له: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)

[القصص: ٥٦]، وأبو طالب ظل يدافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم حتى مات، فاستغفر له الرسول صلى الله عليه وسلم واستغفر المؤمنون لأمواتهم المشركين، فنزل قوله تعالى: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) [التوبة: ١١٣]، فقال المؤمنون: كان سيدنا إبراهيم يستغفر لأبيه وكان أبوه مشركا، فنزل قوله تعالى: (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) [التوبة: ١١٤]، والقصة بطولها في البخاري ومسلم من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه (المسيب بن حزن).

وكذلك نهاه أن يستغفر لأمه، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (استأذنت ربي في أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، فاستأذنته أن أזור قبرها فأذن لي)، فلم يجامل رسوله صلى الله عليه وسلم في أمه ولا في عمه الذي دافع عن الإسلام، لأنه مات مشركاً.

وأستأنس بهذه القصة: روي أن امرأة دخلت على داود فقالت: أعدل ربنا أم ظالم؟ فقال: اتق الله يا أمة الله، ربنا هو أحكم الحاكمين، فقالت: أنا أرملة وأعول ثلاث بنات أغزل الصوف وأبيعه، فلما غزلته في المرة الأخيرة أخذه طائر، فماذا أفعل؟ وقبل الجواب دخل عليه عشرة رجال فأعطاه كل واحد مائة دينار، فسألهم عن السبب فقالوا: كنا في مركب فحدث بها عيب، وأشرفنا على الهلاك، فبعث الله إلينا طائراً بقطعة من الصوف، فأصلحنا العيب ونجوننا، فأردنا أن نتصدق شكراً لله، فأعطى داود الدنانير للمرأة، وقال: يا أمة الله رب يتاجر لك في البر والبحر وتجعلينه ظالماً.

ولقد قال الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي من حديث أبي ذر الغفاري: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) رواه مسلم.

ثانياً: صور من عدل سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم:

(١) أعلن قانون العدل والمساواة:

فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي أعلن قانون العدل والمساواة حين قال: (يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى) (إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) [الحجرات: ١٣] أخرجه البيهقي والمنذري في الترغيب من حديث جابر بن عبد الله وصححه الألباني (س: ص: ٢٧٠٠).

(٢) أعلن تعميم قانون العدل على أهله وأشراف قومه:

عن عائشة قالت: (أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلمه أسامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فاختطب ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) متفق عليه، هذا هو عين العدل والمساواة في إقامة الحدود.

(٣) قصة أسيد بن حضير:

وفي سنن أبي داود بسند صحيح وصححه الألباني في (المشكاة: ٤٦٨٥) أن أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ: " يُحَدِّثُ الْقَوْمَ وَكَانَ فِيهِ مَزَاحٌ بَيْنَنَا يُضْحِكُهُمْ، فَطَعَنَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَاصِرَتِهِ بِعُودٍ، فَقَالَ: أَضِيرَنِي، فَقَالَ: اصْطَبِرْ، قَالَ: إِنَّ عَلَيْكَ قَمِيصًا وَلَيْسَ عَلَيَّ قَمِيصٌ، فَرَفَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَمِيصِهِ، فَاخْتَضَنَهُ وَجَعَلَ يَقْبَلُ كَشْحَهُ، قَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ "

ومعنى أصبرني أي أقدني أي أعطني حقي قصاصا منك، ومعنى اصطبر أي استقدي أي خذ حد القصاص، فالنبي صلى الله عليه وسلم طعنه مزاحا وليس على سبيل الغضب ومع ذلك سمح له بالقصاص.

(٤) قصة سواد بن عمرو:

روى البيهقي في السنن الكبرى والطبراني في معجمه الكبير بإسناد متصل ورجاله ثقات عن سواد بن عمرو قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا مُتَخَلِّقٌ بِخَلْقٍ فَلَمَّا رَأَى قَالَ لِي: يَا سَوَادُ بْنُ عَمْرٍو خَلُقُ وَرَسٍ (نوع معين من الطيب فيه زعفران نهي عنه الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه طيب النساء) أَوْلَمْ أَنَّهُ عَنِ الْخَلْقِ؟ وَنَحْسَنِي بِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ فِي بَطْنِي فَأَوْجَعَنِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْقِصَاصُ قَالَ: الْقِصَاصُ فَكَشَفَ لِي عَنْ بَطْنِهِ فَجَعَلْتُ أُقْبَلُهُ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَدْعُهُ شَفَاعَةً لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أَي أَتْرِكُ الْقِصَاصَ مِنْكَ لِيَكُونَ شَفَاعَةً لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفِي رِوَايَةِ الطَّبْرَانِيِّ (قَالَ لَهُ سَوَادُ: إِنَّ عَلَيْكَ قَمِيصًا وَلَيْسَ عَلَيَّ قَمِيصٌ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَمِيصَهُ فَاحْتَضَنَهُ وَجَعَلَ يُقَبِّلُ كَشْحَهُ، وَيَقُولُ: إِنَّمَا أَرَدْتُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ).

(٥) قصة سواد بن غزيرة:

عَدَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَفُوفَ أَصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَفِي يَدِهِ فَدَحٌّ يَعْدِلُ بِهِ الْقَوْمَ فَمَرَّ بِسَوَادِ بْنِ غَزِيَةَ حَلِيفِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَارِ، وَهُوَ مُسْتَتَبِلٌ مِنَ الصَّفِّ فَطَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَطْنِهِ بِالْقَدْحِ، وَقَالَ: اسْتَوِ يَا سَوَادُ بْنُ غَزِيَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْجَعْتَنِي وَقَدْ بَعَثْتَكَ اللَّهُ بِالْحَقِّ فَأَقْدِنِي قَالَ: فَكَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَطْنِهِ ثُمَّ قَالَ: اسْتَقْدَ فَاغْتَنَقَهُ سَوَادٌ وَقَبَّلَ بَطْنَهُ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا يَا سَوَادُ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حَضَرَ مَا تَرَى فَلَمْ أَمْنِ الْقَتْلَ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ آخِرَ الْعَهْدِ بِكَ أَنْ يَمَسَّ جِلْدِي جِلْدَكَ، فَدَعَا لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْرٍ وَقَالَ لَهُ خَيْرًا^١.

ثالثا: صور من عدالة بعض الصحابة وأمراء المسلمين:

(أ) صور من عدالة الفاروق عمر بن الخطاب:

^١ - أخرجه الطبري (تاريخه) وأبو نعيم (معرفة الصحابة) وابن الأثير (أسد الغابة) وسنده مرسل وفيه مدلس وهو ابن اسحاق صاحب المغازي

فلقد ضرب عمر أروع المثل في العدل حتى شهد له الداني والقاصي بعدله:

(١) أبو موسى الأشعري حين قصَّ شعر الجندي:

أخرج البيهقي عن جرير أن رجلاً كان مع أبي موسى الأشعري - أي في الجيش - فغنموا مغنماً فأعطاه أبو موسى نصيبه ولم يُؤفَّه فأبى أن يأخذه إلا جميعه، فضربه أبو موسى عشرين سوطاً وحلق رأسه، فجمع شعره وذهب به إلى عمر رضي الله عنه، فأخرج شعره من جيبه، فضرب به صدر عمر قال: مالك؟ فذكر قصته، فكتب عمر إلى أبي موسى سلام عليك أما بعد، فإن فلان بن فلان أخبرني بكذا وكذا، وإني أقسم عليك إن كنت فعلت ما فعلت في ملاً من الناس إلا جلست في ملاً فاقترض منك، وإن كنت فعلت ما فعلت في خلاٍ فاقعد له في خلاٍ فليقتص منك، فلما دُفع إليه الكتاب قعد للقصاص، فقال الرجل: عفوت عنه^(١).

وفي رواية دفع الرجل شعره في صدر عمر، وقال: أهكذا يعاملنا رجالك؟ فتهلل وجه عمر، وقال: لأن يكون الناس في مثل شجاعة هذا الرجل أحبُّ إليَّ مما فتحنا من بلاد، ثم استمع إلى قصة الرجل، وكتب إلى أبي موسى بالقصاص فعفا الرجل عنه، هكذا فعل عمر ولم يغضب على الرجل، ولم يأمر بسجنه أو قتله.

(٢) القبطي مع محمد بن عمرو بن العاص:

أخرج ابن عبد الحكم عن أنس أن رجلاً من أهل مصر أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين عائد بك من الظلم، قال: ما شأنك؟ قال: سأقت ابن عمرو بن العاص فسبقتة، فجعل يضربني بالسوط، ويقول: أتسبق ابن الأكرمين، فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم، ويأتي بابنه معه، فقدم فقال عمر: أين المصري؟ - وفي رواية أين القبطي - خذ السوط واضرب فجعل يضرب بالسوط، وعمر يقول: اضرب ابن الأكرمين، فلما انتهى، قال له: اضرب على صلعة أبيه عمرو، فإنه لم يتجرأ على ذلك

(١) حياة الصحابة، ج ٢، ص ٢٣١.

إلا في سلطان أبيه، فقال عمرو: والله ما علمت، ولم يأتني، فقال القبطي: إنما ابنه الذي ضربني وقد استقدتُ منه، فتوجه عمر وقال لعمرو كلمته المشهورة: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا)، فقال عمرو: والله ما علمت ولم يأتني يا أمير المؤمنين، وفي رواية صرحت أن ابن عمرو هو محمد.

(٣) زيت القنديل:

دخل عليه سيدنا عليٌّ دار الخلافة في الليل، فقال له عمر: هل جئت في أمرٍ من أمور المسلمين أم في أمرٍ يخصنا نحن؟ فقال له: ولماذا هذا السؤال؟ قال له: لئن جئت في أمرٍ من أمور المسلمين تركت القنديل مضاءً وإن جئت في أمرٍ يخصنا نحن أطفئت القنديل، حتى لا نستهلك أموال المسلمين في أمورنا الخاصة، حتى قطرة الزيت كانت تشغله من باب العدل وترى اليوم زعماء الدول يسرفون بالمليارات من أموال الشعوب ومن الشعب من يموت جوعاً.

(٤) عمرو بن العاص وبيت القبطية في مصر:

لما افتتح عمرو بن العاص مصر، وأسس مدينة الفسطاط وبنى بها مسجده المشهور، فاحتاج أن يوسع مسجده، فكان بجوار المسجد بيت لامرأة قبطية، فأراد عمرو أن يشتريه منها لكي يضمه في المسجد، فرفضت فاشترته منها عنوة وأعطاه المال وهدمه وضمه للمسجد، فسافرت القبطية إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وأعلمته بالواقعة، فكتب لعمرو وقال له: يا عاص يا ابن العاص اهدم المسجد وأعد البيت للقبطية، فلما وصل الكتاب إلى عمرو بكى وهمَّ أن يهدم المسجد؛ لكي يبني بيته كما كان، فتعجبت القبطية من هذا العدل وقالت له: أدينكم يأمركم بذلك؟ قال لها: نعم فأسلمت وتنازلت عن بيته حتى لا يهدم المسجد.

* نماذج من خضوع عمر بن الخطاب للقضاء لحرصه على العدل:

(١) خصومته مع أبي بن كعب:

أخرج ابن عساكر وسعيد بن منصور والبيهقي عن الشعبي قال: كان بين عمر وبين أبي بن كعب رضي الله عنهما خصومة، فقال عمر: اجعل بيني وبينك رجلاً، فجعل بينهما زيد بن ثابت، فأتياه فقال عمر: أتيناك لتحكم بيننا، فلما دخلا عليه في بيته وسَّع له زيد عن صدر فراشه، فقال: ههنا يا أمير المؤمنين، فقال عمر: هذا أول جُور جُرَّت في حكمك، ولكن أجلس مع خصمي، فجلسا بين يديه، فادَّعى أبي بن كعب وأنكر عمر، فقال زيد لأبي: أعفِ أمير المؤمنين من اليمين - لأن اليمين على من أنكر - وما كنت لأسألها لأحدٍ غيره، فحلف عمر - أي أقسم اليمين الذي عليه؛ لأنه أنكر - ثم أقسم لا يدرك زيد القضاء حتى يكون عمر ورجل من المسلمين عنده سواء، وفي رواية كان النزاع في قطع نخل.

(٢) خصومته مع العباس:

أخرج عبد الرزاق عن زيد بن أسلم قال: كان للعباس بن عبد المطلب دار إلى جنب مسجد المدينة، فقال له عمر: بعنيها، لأن عمر أراد أن يزيدا في المسجد فأبى العباس أن يبيعها إياه، فقال عمر: فهبها لي، فأبى فقال: فوسَّعها أنت في المسجد، فأبى فقال عمر: لا بد لك من إحداهن، فأبى عليه فقال: خذ بيني وبينك رجلاً، فأخذ أبي بن كعب فاختصما إليه، فقال أبي بن كعب لعمر بعدما سمع القضية: ما أرى أن تخرجه من دار حتى تُرضيه، فقال له عمر: رأيت قضاءك هذا في كتاب الله وجدته أم سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبي: بل سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: وما ذاك، فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس جعل كلما بنى حائطاً أصبح منههدماً، فأوحى الله إليه ألا تبني في حق رجل حتى ترضيه، فتركه عمر، فوسَّعها العباس بعد ذلك في المسجد.

وفي رواية سعيد بن المسيب عند عبد الرزاق أيضاً (قال أبي: أوحى الله إلى سليمان بن داود أن يبني بيت المقدس، وكانت أرضاً لرجل فاشتري منه الأرض، فلما أعطاه الثمن قال: الذي أعطيتني خير أم الذي أخذت مني؟ قال: بل الذي أخذت منك، قال:

فإني لا أجزى، ثم اشتراها منه بشيءٍ أكثر من ذلك، فصنع الرجل مثل ذلك مرتين أو ثلاثاً، فاشترط عليه سليمان إني أشتريها منك على حكمك، فلا تسألني أيهما خير، فاشترها بحكمه، فطلب اثني عشر ألف قنطاراً ذهباً، فتعاضم ذلك سليمان أن يعطيه، فأوحى الله إليه إن كنت تعطيه من شيءٍ هو لك فأنت أعلم، وإن كنت تعطيه من رزقنا فأعطه حتى يرضى ففعل، لذلك أرى أن عباساً أحق بداره حتى يرضى، قال العباس: فإذا قضيت لي فإني أجعلها صدقة للمسلمين).

(٣) حين اشترى الحصان وعطّب منه:

اشترى عمر حصاناً من رجل، وبعدما أخذه ومشى به قليلاً عطّب منه - انكسر - فساور نفسه أن يرده ظناً منه أن الرجل غشّه في البيع، فقال الرجل: أخذته سليماً يا أمير المؤمنين، فقال له: اجعل بيني وبينك رجلاً، فقال: شريح، فوافق عمر، واحتكما إلى شريح، فقال له شريح: خذ ما ابتعت أو رد كما استلمت، فقال له: هكذا القضاء قال: نعم، قال: وليتك قضاء الكوفة، لم يعاقبه وجعله قاضياً.

فهذا هو عمر بن الخطاب الذي ضرب أروع المثل في نشر العدل بين العباد وفي جميع البلاد، حتى أذهل العقول، وأدهش الفحول، ومن نتائج عدله: أن كان يمشي بلا حراسة وينام بلا خدم أو حاشية أو حراسة أو حجاب لا يخشى أحداً سوى الله، وهذا ما أدهش الهرمزان أحد قواد جيوش الفرس، حين تم القبض عليه، وذهبوا به إلى المدينة نظر إلى عمر بن الخطاب، وهو نائم في المسجد وحده، فقال: أين عمر؟ فقالوا: ها هو ذا، فقال: أين حُرّاسه؟ فقالوا: ليس له حراس، فقال: أين حُجّابه؟ فقالوا: ليس له حجاب ولا ديوان ولا خدم. فقال كلمته المشهورة: حكمت فعدلت فتمت قرير العين يا عمر، ثم قال: ينبغي أن يكون نبياً، فقالوا: ليس بنبي، ولكنه يعمل عمل الأنبياء.

فكانت نتيجة العدل أن نام الأمير وعامة الناس في أمنٍ وأمان لانعدام الظلم مع أي إنسان، أما اليوم فالرؤساء معهم الألوّف من الحراس بسبب الظلم.

كذلك من نتائج عدل عمر انعدام الخيانة والسرقة، فغنائم فارس حين جاءت كاملة إلى عمر بن الخطاب في المدينة المنورة نظر إليها بتعجب، حيث رأى سوارى كسرى وفرسه وتاجه وغير ذلك من الغنائم النفيسة، فقال: كل هذه الغنائم تأتي فلا ينقصها شيء؟ ما هذه الأمانة؟ تعجب من أمانة الجنود الذين جمعوا الغنائم، وأمانة الذين أرسلوها، فكشف له سيدنا علي السَّرَّ، فقال له: حكمت فعدلت فعفّت رعيّتك، ولو ركعت لركعت رعيّتك خلفك يا أمير المؤمنين.^(١)

(ب) سيدنا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين:

فقد رأى درعه مع قبطي، فقال له: درعي فأنكر القبطي فقال: تحتكم إلى من؟ فقال: القبطي إلى القاضي شريح، فامثل سيدنا علي للقضاء، وحكم بينهما القاضي شريح، فقال للقبطي: ماذا تقول؟ قال: درعي وهي معي، فقال لسيدنا علي: يا أمير المؤمنين أين البيّنة على أنها درعك؟ فقال: يشهد لي ابني الحسن، فقال: أنا لا أجزى شهادة الابن لأبيه، ثم حكم بالدرع للقبطي، فتعجب القبطي، وقال: أمير المؤمنين يقاضيني عند قاضيه، وقاضيه يحكم لي، ولا يحكم لأمر المؤمنين، هذه هي أحكام النبيين، ثم نطق الشهادتين، وقال: هي درعك وقعت منك عند خروجك لمعركة صفّين، فقال علي: ما دمت أنك أسلمت فهي لك.

(ج) أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز حفيد عمر بن الخطاب:

وهذا الرجل الطيب التقي النقي الورع فعل مثل ما فعل جده عمر بن الخطاب، فقد ملأ الأرض عدلاً لذلك فاض المال في عهده، حتى انعدم الفقر، فزوّج الشباب من بيت المال وأعتق العبيد من بيت المال، وسدد ديون المسلمين من بيت المال وظل المال

(١) للاستزادة من نهاج عدالة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه راجع سيرته في كتاب

(أمير المؤمنين عمر بن الخطاب) للصلاحي، ويراجع (حياة الصحابة) للكندهلوي.

يفيض عن الخزائن فقال انثروا القمح على رؤس الجبال حتى لا يقال جاع طائر في بلاد المسلمين رضي الله عنه وعن كل موحد عادل.

وأسوق إليك مثلاً شاعراً من عدالة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز:

* القائد قتيبة مع أهل سمرقند: وهي من كبرى مدن (أوزبكستان):

فالقائد قتيبة هو قائد الجيوش الإسلامية في عهد عمر بن عبد العزيز توالى انتصاراته في فتح البلاد، ومن ذلك أنه دخل سمرقند عنوةً وفتحها ونصره الله عليهم، فأسكن المسلمين فيها، فذهب جماعة من أهل سمرقند إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، وقالوا له: إن القائد قتيبة دخل البلاد عنوة، ولم يُخَيَّر أهلها بين الإسلام أو دفع الجزية أو إعلان الحرب كما هي عادة القواد المسلمين، فماذا فعل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز؟ شكّل لجنة قضائية لتسافر إلى سمرقند، وتستمع إلى الشهود، ثم تحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما وصلت اللجنة واستعمت إلى الشهود حكمت لأهل سمرقند ضد المسلمين، فحكمت بإخراج المسلمين من سمرقند، وإعادة أهل سمرقند إلى ديارهم كما كانوا قبل غارة المسلمين عليهم، وقالوا للقائد: لا يجوز لك أن تدخلها عنوة إلا بعد أن تُخَيَّر أهلها بين الإسلام أو دفع الجزية، فإن أبوا فأعلن الحرب عليهم، وأدخلها عنوة بالسيف حماية لكل من يريد الإسلام، فلما سمع أهل سمرقند الحكم تعجبوا، وقالوا: هل ستخرجون المسلمين بعد أن انتصروا علينا؟ قالوا: نعم، هذا هو العدل الذي أمر به الإسلام، فتشاور أهل سمرقند فيما بينهم وقالوا هؤلاء المسلمون أعدل من زعمائنا الذين اضطهدونا ثم دخل معظمهم في الإسلام بسبب عدالته وتركوا المسلمين في ديارهم، وقالوا لهم أنتم أعدل وأحب إلينا من زعمائنا السابقين.

(د) مثال من أروع عدالة قضاء المسلمين (العز بن عبد السلام):

فهذا العالم الملقب بسلطان العلماء كان قاضياً في مصر، دخل على سلطان مصر، وقال له: من أين أتيت بالأمرء المماليك؟ قال: اشتريتهم من خزينة الدولة، فقال العز بن

عبد السلام: يعني اشتريتهم من مال المسلمين ثم وليتهم أمراء على المسلمين فهم ملك للمسلمين، فقال السلطان: ماذا تقصد؟ قال: إنه يجب بيعهم وصرف ثمنهم في مصالح المسلمين، فغضب السلطان ورفض، فتنحى العز بن عبد السلام عن منصب القضاء، وأعلن هجرته من مصر، فخرج معه معظم الشعب، فخاف السلطان على ملكه، فوافق وجمع الأمراء، ونادى عليهم العز بن عبد السلام لبيعهم كالعبيد تماما، فاشتراهم السلطان وقبض العز بن عبد السلام ثمنهم من السلطان، ثم أعتقهم السلطان وولاهم أمراء على المسلمين كما كانوا.

وهذا من أروع أمثلة العدل لذلك قال العز بن عبد السلام: (السلطين حكام على الناس والعلماء حكام على السلطين).

شهادة واعتراف:

لقد اعترف علماء الغرب بعدالة الإسلام والمسلمين ومن اعترف بذلك:

(١) اعترف المؤرخ الفرنسي (غوستاف لوبون) فقال في كتابه: (حضارة العرب

:٥٧٩): (ما عرف التاريخ فاتحا عدل ولا أرحم من المسلمين)

(٢) توماس أرنولد قال في كتابه (الدعوة إلى الإسلام/ ص ٧٣):
 "ولما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن، وعسكر أبو عبيدة في بلدة فحل، كتب الأهالي النصراني في تلك البلاد إلى العرب الفاتحين يقولون: يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، وأنتم أوفى لنا وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا".
 وقال: "وغلقت أهل حمص أبواب مدينتهم، دون جيش هرقل، وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الإغريق والروم وتعسفهم".
 وقال أيضا: "لقد عامل المسلمون المسيحيين العرب بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة، واستمر هذا التسامح في القرون المتعاقبة، ونستطيع بحق أن نحكم أن القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام إنما اعتنقته عن اختيار وإرادة حرة، وإن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح"

مبدأ السماحة في الإسلام

فالإسلام لم ينتشر بالسيف كما يدّعي الغرب في الإعلام، وإنما انتشر بالدعوة وبأخلاق المسلمين كما اعترف بذلك المؤرخ الفرنسي (غوستاف لوبون) في كتابه (حضارة العرب)، وإلا كيف انتشر الإسلام في الصين والهند ماليزيا وتايوان ولم يكن المسلمون فيها إلا عابري سبيل للتجارة فقط؟ فالقرآن لم يذكر كلمة السيف أبداً بخلاف الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى فإنه ذكر السيف مئات المرات.

* بداية وحتى لا تختلط الأمور ببعضها نتعرف على إجابة السؤال التالي:

ما هو معنى السماحة؟ وما هو ضابطها؟ وما هي أهميتها؟

* **السماحة:** معناها السهولة واليسر ففي حديث ابن عباس قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: (أي الأديان أحبُّ إلى الله؟ قال: الحنيفية السمحة)^١ أي السهلة.

وفي صحيح البخاري عن جابر قال النبي صلى الله عليه وسلم: (رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى) (سمحاً أي سهلاً،
(وإذا اقتضى) إذا قضى ما عليه أو طلب قضاء ما له أو رفع أمره إلى القضاء.

* **ضابط السماحة:** السماحة مضبوطة بالنصوص الشرعية، فلا يجوز أن نتسامح في العقيدة ولا في شيء من أصول الدين كالصلاة والزكاة والصيام... ولا في الحدود والزواج، ولكن نتسامح فيما أباحت وأذنت فيه النصوص الشرعية.

* **أهميتها:** السماحة خلق عظيم ومهم في حياتنا، لأن طباع البشر مختلفة، قال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ

^١ - أخرجه البخاري معلقاً في صحيحه ووصله في (الأدب المفرد)، وأخرجه أحمد في مسنده والطبراني

في (معجمه الكبير) وحسنه الألباني في (صحيح الجامع/ ١٦٠).

وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) [هود: ١١٨، ١١٩]، أي خلقهم فرقا متعددة، ولشدة حاجة الناس إلى السماحة واليسر أنزل الله الدين الإسلامي مُيسِّرًا (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) [الحج: ٧٨]، (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ) [البقرة: ١٨٥]، (يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا) [النساء: ٢٨].

ولقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالتيسير، ونهى عن التعسير، ففي الصحيحين عن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا)، وحذر من التفريط في السماحة، فقال: (هلك المتنطعون قالها ثلاثاً)^(١)، والمتنطعون هم المتشددون في غير مواضع الشدة.

السماحة مع غير المسلمين مبنية على عدة حقائق:

(١) أن الإنسان مُكْرَمٌ عامة، قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) [الإسراء: ٧٠] وبنو آدم منهم المسلم وغير مسلم، والله ينزل الرزق لجميع الخلق.

(٢) أن اختلاف الدين يقع بمشيئة الله وإرادته: فالعبد يُسَلِّمُ لله بإرادة الله ومشيتته، والكفر يقع أيضًا بمشيئة الله وإرادته وباختيار من العبد في نفس الوقت؛ لأن إرادة العبد ومشيتته لا تقع إلا بعد مشيئة الله وإرادته، قال تعالى: (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [التكوير: ٢٩].

ولذلك قال تعالى: (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمَرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ) [الكهف: ٢٩]، فالعبد مخير في إيمانه وكفره وطاعته ومعصيته، وفي نفس الوقت إرادته ومشيتته تقع بعد إرادة الله ومشيتته، ولذلك قال تعالى مخاطبا النبي صلى الله عليه وسلم: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) [يونس: ٩٩]، وقال أيضًا: (كَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) [البقرة: ٢٥٩].

(١) أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود.

[٢٧٢]، (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [القصص: ٥٦].

(٣) لسنا مكلفين بمحاسبة العباد على كفرهم: فلا يجوز أن نحاسب كافرًا على كفره، لعموم الآية (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ) [الكهف: ٢٩]، ولكن الحاكم يعاقب المرتد فقط الذي أسلم ثم كفر، فهذا يستتاب، فإن رجع وإلا قتل كفرًا، أما من كان كافرًا ولم يدخل الإسلام، فليس لنا أن نحاسبه على كفره، قال تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) [النساء: ٨٠]، أي لم نبعثك محاسبًا وراقيًا عليهم، وقال للمؤمنين: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [المائدة: ١٠٥].

(٤) وجوب العدل مع جميع الناس حتى الكفار: فلا يجوز لنا أن نجور على كافر، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [المائدة: ٨]، (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) [النساء: ٥٨]، وفي الحديث (اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرًا، فإنه ليس دونها حجاب)^(١).

(٥) الإسلام أباح التسامح مع غير المحاربين لنا: فما دام أن غير المسلم لا يجارب الإسلام ولا المسلمين، فهذا نتسامح معه، ففي البخاري عن أسماء قالت: (أتني أمي راجبة - أتت بهدايا رغبة منها في صلتها - في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم: أصلها؟ قال: نعم، قال ابن عيينة ونزل قوله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ}

(١) رواه أنس وأخرجه أحمد وحسنه الألباني في (ص: ج: ١١٩).

فأمّها مشركة وهي فتيلة بنت عبد العزى، ومع ذلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بصلتها.

وقال تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبِهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (لقمان: ١٤-١٥) فأمر بمصاحبة الوالدين المشركين ولم يأمر بعداوتها.

ووصف الله المؤمنين الأبرار فقال: (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) [الإنسان: ٨]، ولم يكن الأسير حينئذٍ إلا من المشركين.

الرد على الاعتراضات:

فقد يعترض طالب علم على التسامح مع غير المسلمين مستدلاً بالآيات التي تحرم المودة بين المسلمين والكافرين وتأمراً بإعلان الحرب عليهم، ومن ذلك:

قوله تعالى: (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) [آل عمران: ٢٨]، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا) [النساء: ١٤٤]، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [البائدة: ٥١].

وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَىٰ الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [التوبة: ٢٣]، (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) [المجادلة: ٢١]، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ

وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) [المتحنة: ١]،
 (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ
 مَعَ الْمُتَّقِينَ) [التوبة: ١٢٣]، (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ
 مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ
 عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) [التوبة: ٢٩]، وغيرها من الآيات وهي كثيرة جدًا.

والجواب من عدة وجوه:

أولاً: الجمع بين الآيات كما يلي:

* هناك آيات أمرت بمقاطعة الكفار لكن المراد بها الكفار الذين يجارون
 المسلمين فهؤلاء يجب مقاطعتهم ومقاتلتهم حتى يكفوا عن المسلمين كما قال الله تعالى:
 (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ...) أي عاد الله
 ورسوله ونصب لهم العدا، وكما قال: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا
 إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) [البقرة: ١٩٠].

مع ملاحظة أن المودة تعني الوصال بحب، وأي شخص لا يحب الخالف لدينه،
 لكن هذا لا يمنع الوصال والمصاحبة بالمعروف والسماحة، ألا ترى أننا أحياناً نسامح
 المجرم أو المخطئ في حقنا مع أننا نبغضه في قلوبنا.

* وهناك آيات أباحت صلة آخرين من الكفار والمراد بها أهل الذمة والكفار
 الذين لا يقاتلون المسلمين فلا حرج في مواصلتهم ومودتهم كما في آية المتحنة (لَا
 يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ...) ودل عليه حديث أسماء السابق.

* وأما عن الآيات التي أمرت بقتال الكفار وأهل الكتاب حتى يعطوا الجزية أو
 يسلموا وهو جهاد الكفار، فهذا حق من أجل حماية بيضة المسلمين، وحتى إذا أراد
 الكافر الدخول في الإسلام لا يجد من يمنعه، ويكون الدين لله، ولذلك قال: (وَقَاتِلُوهُمْ
 حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) [البقرة:

[١٩٣]، فجهاد الكفار المطلوب منه حماية سيادة المسلمين، وترك الحرية للكافر إذا أراد أن يسلم، ولم يثبت تاريخياً أن الإسلام أكره أحداً على الإسلام، بل كان يُخَيَّر الكافر بين الإسلام أو دفع الجزية لكي يحميه المسلمون.

* ونهت بعض الآيات عن موالة الكافرين، والمعنى مناصرتهم ضد المسلمين، وهذا يكون مع الكفار المحاربين أما المودة فهي مجرد صلة غير المحاربين فقط.

ثانياً : حديث أسماء يدل على هذا الجمع، حيث أمرها النبي صلى الله عليه وسلم بمواصلة أمها، وأن تقبل هديتها، مع أنها أمها كانت مشركة كما أوضحت رواية أحمد في المسند، وأوضحت هذه الرواية نزول القرآن بإباحة ذلك (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ...) والحديث والآية فاصلان في الموضوع.

ثالثاً : إباحة الزواج من الكتابية: الإسلام أباح للمسلم أن يتزوج الكتابية الحرة العفيفة، ومعلوم أن الزواج مبني على السكون والمودة والرحمة كما قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [الروم: ٢١]، فالمسلم سوف يتودد إلى زوجته الكتابية، وهذا بالفطرة، ولم يأت نص يأمر بمعادة الزوجة الكتابية، وإلا لما أباح الزواج منها، بل لعله يزور أهلها؛ وهذا معروف في كل زمانٍ ومكان أن الرجل يزور أهل زوجته ويزورونه.

رابعاً : فعل النبي صلى الله عليه وسلم: فمن تتبع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم يجد أمثلة تجل عن الإحصاء والاستقصاء، وكلها تدل على عفوه وسماحته مع غير المسلمين، حتى مع المحاربين، وكذلك تدل على مودته لبعض المخالفين لدين المسلمين كما حدث حين بعث مالا إلى أهل مكة حين قحطوا وهم مشركون بل وعفا عنهم حين فتح مكة، وعاد غلاماً يهودياً مريضاً، وعفا عن ثمامة بن أثال وكان مشركاً، ثم أسلم بعد أن عفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم..... وغيرها من الأمثلة؛ وسوف نذكر بعضاً منها ليعلم الجميع أن دين الإسلام لم ولن ينتشر بالسيف كما يروج الخراصون، بل انتشر بالخلق الحسن كما شهد بذلك الأعداء.

كما سبق: يتضح لك أنه لا حرج في تسامح المسلمين ومودتهم لغيرهم من أهل الكتاب والكفار إذا لم يكونوا محاربين للمسلمين.

أمثلة عملية من سيرة خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم:

في البداية نقول إن السماحة من الأخلاق الحميدة والخصال السامية، ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في سماحته مع غير المسلمين، حتى قال عنه رب العالمين: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم: ٤]، (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [الأنبياء: ١٠٧]، وفي صحيح مسلم عن جابر (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً سهلاً).

والأمثلة التي سوف نذكرها تدل على ذلك:

(١) عفو عن أهل مكة بعد الفتح:

على الرغم أنهم كانوا أشد الناس عداوة للمسلمين عامةً ولرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة، فهم الذين أذاقوا المسلمين الويلات وأشد العذاب، حتى اضطروهم إلى الهجرة، وترك أموالهم وديارهم، وهم الذين تحزبوا لاستئصال شأفة المسلمين، ولكن الله يقول: (وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [الصف: ٨].

ولما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة، ووقفوا جميعاً بين يديه ينتظرون قراره فيهم، قال لهم: (يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم فقال لهم: (لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) [يوسف: ٩٢]، اذهبوا فقد عفوت عنكم، (ألقصة في السنن الكبرى للنسائي)

* ونلاحظ أنه عفا عنهم لأنه بعث رحمة وليس لسفك الدماء وقد تم الغرض وهو حماية سيادة المسلمين، وأصبح الناس في حرية لدخول الإسلام.

(٢) عفو عن أهل الطائف:

فالنبي صلى الله عليه وسلم ذهب إلى الطائف وعرض نفسه على القبائل، فلم يسلم منهم أحد وسبوه وآذوه، وسلطوا عليه سفهائهم فخذفوه بالحجارة، حتى سالت الدماء الشريفة منه، ومع ذلك لما عرض عليه ملك الجبال أن يطبق عليهم الجبلين رفض، وقال: أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً، حقاً صدق من سماك الرؤوف الرحيم يا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

* وأصل القصة في الصحيحين من حديث عائشة حيث قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: (هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من أحد؟) قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يُجِبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلمتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت، فناداني ملك الجبال فسلم عليّ، ثم قال: يا محمد، فقال: إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً).

(٣) دعائه لدوس وكانت مشركة، ثم أسلمت ببركة دعائه:

ففي الصحيحين عن أبي هريرة أن الصحابة طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو على دوسٍ فدعا لدوسٍ، وقال: (اللهم اهد دوسًا وائت بهم).

(٤) عفوه عن أم أبي هريرة ودعائه لها فأسلمت:

* ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كنت أدعو أُمِّي إلى الإسلام، وهي مشركة فدعوتها ذات يوم فأسمعني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله كنت أدعو أُمِّي إلى الإسلام، فتأبى عليّ، فدعوتها اليوم، فأسمعني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم اهد أم أبي هريرة فخرجت

مستبشراً بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما جئت فصرتُ إلى الباب، فإذا هو مجاف، فسَمِعْتُ أُمِّي حَشَفَ قَدَمِي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعتُ حَضْخَضَةَ الْمَاءِ، قال: فاغتسلت ولبست دِرْعَهَا وَعَجَلْتُ عَنْ خَارِهَا، ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال: فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة فحمد الله وأثنى عليه وقال خيراً، قال: قلت: يا رسول الله ادع الله أن يُجيبني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويُجيبهم إلينا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم حب عبيدك هذا - يعني أبا هريرة - وأمه إلى عبادك المؤمنين وحبب إليهم المؤمنين، قال أبو هريرة: فما حُلِقَ مؤمنٌ يسمع بي ولا يراني إلا أحبني).

ومعنى (فصرتُ إلى الباب، فإذا هو مجاف) أي مغلق، (حَشَفَ قَدَمِي) صوتها في الأرض، (حَضْخَضَةَ الْمَاءِ) صوت تحريك الماء، والنبي صلى الله عليه وسلم سامح أم أبي هريرة فيما قالت ودعا لها، فهداها الله إلى الإسلام.

(٥) عفوهُ عن المشرك الذي أراد قتله:

* عن جابر بن عبد الله قال: قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم مُحَارِبَ بْنَ حَصَفَةَ، فجاء رجل منهم يقال له عَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ، حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال: من يمنعك مني؟ قال: الله، فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من يمنعك مني؟ فقال الرجل: كن كخير آخذ، قال: أتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قال: لا، ولكنني أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله، فأتى قومه، فقال: جئكم من عند خير

الناس)^(١)، وفي بعض الروايات أن الرجل وقومه أسلموا لها رأوه من عفو الرسول صلى الله عليه وسلم.

ملحوظة: النبي صلى الله عليه وسلم كان قد علّق سيفه على شجرة ونائم القيلولة تحتها فجاء هذا الرجل المشرك وأخذ واستل السيف من الشجرة فأفاق النبي صلى الله عليه وسلم وحدث الحوار بينهما.

(٦) عفو عن ثمامة بن أثال ملك اليمامة:

وكان مشرّكاً، ومن أشد الناس عداوة للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه بل همّ أن يقتل النبي صلى الله عليه وسلم كما قتل كثير من الصحابة وآذاهم، ولكن عمّه ثناه عن عزمه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك لما قبض عليه الصحابة أحسن إليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأطلق سراحه، فأسلم الرجل.

* ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال: (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ماذا عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي يا محمد خير إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال فسل تُعط منه ما شئت، فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان بعد الغد، فقال: ما عندك يا ثمامة؟ قال: ما قلت لك إن تنعم.... فتركه الرسول صلى الله عليه وسلم حتى كان من الغد، فقال: ماذا عندك يا ثمامة؟.... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أطلقوا ثمامة فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إليّ، والله ما كان من

(١) هذه رواية أحمد في مسنده وأصله متفق عليه.

بلد أبغض إليّ من بلدك، فأصبح بلدك أحبّ البلاد كلها إليّ، وإن خيّلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت، فقال: لا، ولكني أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم

* لاحظ أنه رُبط في المسجد حتى يستمع إلى القراءة بصوت النبي صلى الله عليه وسلم، ويرى معاملة الإسلام بين المسلمين.

(٧) تسامحه مع عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين:

وكان هذا المنافق قد آذى النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً، فهو الذي قال: (لَيْسَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ) [المنافقون: ٨]، يريد أنه هو العزيز ورسول الله صلى الله عليه وسلم الذليل، وقد ردّ الله عليه، فقال: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [المنافقون: ٨].

وهو الذي اختلق حديث الإفك وافتراه على السيدة عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم حتى برأها الله من فوق سبع سماوات، وأنزل فيها عشر آيات في سورة النور تتلى إلى يوم الدين (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ.....) [النور: ١١-٢٠].

وكان يتحين الفرص لإيقاع الضرر بالمؤمنين لذلك انسحب بقومه في غزوة الأحزاب حتى تضعف قوة المؤمنين، فردّ الله كيده في نحره ونصر المؤمنين، ومع كل ذلك فقد سامحه الرسول صلى الله عليه وسلم، وكفنه في قميصه وصلى عليه.

* والقصة في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب قال: (لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول جاء ابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أعطني قميصك أكفنه فيه وصلّ عليه واستغفر له، فأعطاه قميصه، وقال: إذا فرغت

منه فأذنا، فلما فرغ أذنه، فجاء به ليصلي عليه ف جذب به عمر فقال: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين فقال: (اسْتَغْفِرُكُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُكُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ)؟ - وفي رواية الصحيحين أيضًا قال له عمر: أتصلي عليه وقد قال يوم كذا كذا وكذا، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أخّر عني يا عمر، فلما أكثرت عليه قال: إني خيّرت فاخترت لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها - فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلينا معه، فلم يمكث إلا قليلاً حتى نزل قوله تعالى: (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) فترك الصلاة عليهم، وفي رواية الترمذي والنسائي وصححه الألباني (ثم صلى عليه ومشى معه، فقام على قبره حتى فرغ منه، فعجب لي وجرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم، فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) إلى آخر الآية، قال: فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله)^(١).

(٨) كان يعود غير المسلمين:

ففي البخاري عن أنس: (كان هناك غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمَرَضَ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أَسْلِمَ، فنظر الغلام إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم، فأَسْلَمَ فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار) وعند أحمد في مسنده (فلما مات قال: صلوا على صاحبكم)^(٢).

(٩) كان يقبل الهدايا من غير المسلمين:

(١) وصححه الألباني في (ص. ابن ماجه: ١٢٣٦).

(٢) وصححها الألباني في (أحكام الجنائز) ص ١١.

* فقد قبل الشاة التي أهدتها له امرأة يهودية، وأكل منها ثم اتضح أنها مسمومة، ففي الصحيحين عن أنس: (أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة، فأكل منها فجاء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألها عن ذلك فقالت: أردت لأقتلك، قال: ما كان الله لِيُسلطك على ذلك، قالوا: ألا نقتلها؟ قال: لا، قال: فما زلتُ أعرفُها في هَوَات رسول الله صلى الله عليه وسلم)، ومعنى (هَوَاتٍ) جمع لهاةٍ وهي سقف الفم، وقيل ما يبدو من الفم عند التبسُّم.

* وكذلك قبل الهدايا من المقوقس واستخدمها مع أن المقوقس كان نصرانيا وهذا تأكيد من النبي عليه الصلاة والسلام على جواز مودة غير المسلمين .

(١٠) بعث مالا إلى أهل مكة حين قحطوا:

لما حدث قحط في أهل مكة أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مالا إلى أبي سفيان ليوزعه على الفقراء هناك مع أنهم مشركون وهم الذين آذوه واضطروه هو وأصحابه إلى الهجرة ، وهذا يدل على أسمی درجات الساحة^(١)،

(١١) تصدق على أهل بيت من اليهود:

روى أبو عبيدة في (الأموال) عن سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (تصدق بصدقة على أهل بيت من اليهود فهي تجري عليهم)^(٢).

أمثلة واقعية من سيرة الصحابة وقواد الجيوش الإسلامية:

(١) عمر بن الخطاب قتله من أهل الذمة ومع ذلك أوصى بهم خيرا:

(١) والقصة في السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني.

(٢) الأموال ص ٦١٣.

فقد كان أبولؤلؤة مجوسيا من أهل الذمة فطعن عمر وهو يؤم الناس في صلاة الفجر ومع ذلك أوصى عمر بهم خيراً قائلاً: (أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً أن يؤفوا بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وألا يكلفهم فوق طاقتهم)^(١).

(٢) عبد الله بن عمرو بن العاص يُهدي لحماً لجاره اليهودي:

عن مجاهد أن عبد الله بن عمرو ذبحت له شاة في أهله، فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودي أهديتم لجارنا اليهودي؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)^(٢).

(٣) صلاح الدين عامل الأسرى الصليبيين أحسن معاملة:

فال حرب الصليبية حين اشتعلت بين أوروبا ودول الإسلام في بيت المقدس أسر الصليبيون سبعين ألف مسلم في الحرب الأولى وذبحوهم كلهم كالنجاج حتى إن دماءهم كانت تجري أنهاراً في المسجد الأقصى، ولم يرحموا صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ومع ذلك لما خاض صلاح الدين الحرب الصليبية الثانية واكتسبها، وأسر الآلاف منهم عاملهم أحسن معاملة، ولم يقتل واحداً منهم بل وأطلق سراحهم ولما خرجوا من بيت المقدس خرجوا في حراسة قواد الجيش الإسلامي، ف ضرب أروع الأمثلة في التسامح حتى أثنى عليه أعداء الإسلام.

* أمثلة عامة من سباحة الإسلام مع المخالفين له:

(١) أمر الاسلام ببر الوالدين المشركين وطاعتها في غير معصية:

فلو كان الوالدان مشركين ويأمران ولدتهما بالكفر فلا يطعها ولا يهجرهما، بل يبرهما ويصلهما ويصاحبهما بالمعروف، لكن لا يُطعُها في معصية الله كما قال القرآن: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي

(١) أخرجه يحيى بن آدم في (الخروج).

(٢) أخرجه الترمذي وصححه الألباني (ص: الترغيب / ٢٥٧٤).

وَلَوْلَا دِينُكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبِهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ [لقمان: ١٤، ١٥]، وهذا يدل على عدالة الإسلام وسماحته، فلم يرض أن يهجر الولد والداه المشركين، لأنها سبب وجوده وقد قاما برعايته صغيرًا.

(٢) تسامحه مع أهل الذمة حين أقرهم على عقائدهم:

فمن سماحة الإسلام أن أقر أهل الذمة على عقائدهم سواء كانوا يهودًا أو نصارى أو مجوسًا أو مشركين، فمثلاً من كان يعتقد إباحة الخمر فلا تضيق عليه، ومن كان يعتقد منهم إباحة لحم الخنزير فلا تضيق عليه، وهكذا بشرط أمن الفتنة على المسلمين، فلا يشربوا الخمر جهرةً أمام المسلمين، ولا يتاجروا فيها مع المسلمين، مع التزام القوانين المدنية والجنائية الصادرة في الدولة الإسلامية، فلا يتعاملوا مثلاً بالربا، ولا يقوموا بعمل الفواحش، وإلا تُوقع عليهم العقوبة على حسب نوع الإجرام، وهنا تلاحظ أن الإسلام بلغ أسمى درجات السماحة مع المخالفين؛ فإننا لو منعنا المخالف من شرب الخمر فلا حرج عليه؛ لأنه يجد البديل عنها من سائر العصائر، وهي غير ضرورية في نفس الوقت، وهكذا ومع ذلك توسع الإسلام في السماحة معهم حين أقرهم على ما يعتقدون إباحتهم في دينهم وعقيدتهم إلا ما كان فيه ضرر على الغير أو فتنة للمسلمين، أو كان محرماً في جميع الشرائع مثل الزنا، فيقام عليهم الحد إن فعلوه وخاصة الزنا حتى ولو برضا المرأة الزانية؛ لأنه يتسبب في انتشار الرذائل والأمراض في المجتمع ولأنه ينتهك حقوق أهلها فهو يلحق بهم العار ويتك حق المولود لأن فيه اختلاط الأنساب، وقد بسطنا القول في هذه المسألة في فصل الحقوق تحت موضوع حقوق أهل الذمة والمستأمنين.

(٣) صلاة وفد نجران في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم

وكان وفد نجران نصارى، ومع ذلك لما دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وحن موعد صلاتهم بعد العصر، قاموا ليصلوا في المسجد، فأراد الصحابة منعهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعوهم، فاستقبلوا المشرق وصلوا صلاتهم.

واستدل به ابن القيم في (زاد المعاد) على جواز دخول أهل الكتاب مساجد المسلمين، وأنهم يصلون فيها إذا كان ذلك عارضاً، لكن لا يعتادون ذلك.

يعني إذا كانت هناك ضيافة مثلاً، أو جلسة صلح أو مفاوضات فلا حرج في صلاتهم في المسجد، ولكن لا يجوز ذلك في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أو المسجد الحرام؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم حرم المدينة كما حرم إبراهيم مكة، والمشركون لا يجوز لهم دخول مكة ولا المدينة (إِنَّهَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) [التوبة: ٢٨].

(٤) وضع الجزية عن العاجزين من أهل الذمة:

كالنساء والصبيان والشيوخ والمرضى العاجزين عن حمل السلاح، ووضع الجزية عن الرهبان والفقراء من الشُّبان، بل وأعمال الفقراء من المخالفين تحت ولاية المسلمين، وهذا يدل على سمو تسامح الإسلام وعدالته مع مخالفيه.

* شهادة المنصفين من المؤرخين والمستشرقين:

(١) يقول (ديوارنت): (لقد كان أهل الذمة المسيحيون واليهود والصابئون يتمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيراً في البلاد المسيحية في هذه الأيام، فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم)^(١).

(٢) قال المستشرق الأمريكي (واشنطن إيرفينج): (كانت تصرفات محمد في أعقاب فتح مكة تدل على أنه نبي مرسل، فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه مع أنه أصبح في مركز قوى، ولكنه تَوَجَّ انتصاره ونجاحه بالرحمة والعفو) وقال: (برغم

(١) أنظر كتابه قصة الحضارة (ج ١٣، ص ١٣١)

انتصارات الرسول العسكرية لم تُثر هذه الانتصارات كبرياؤه وغروره، فقد كان يجارب من أجل الإسلام لا من أجل مصلحة شخصية^(١).

(٣) يقول المستشرق البريطاني (ارتولد تونبي): (إن محمداً أمر أتباعه بالتسامح الديني تجاه اليهود والنصارى الذين خضعوا سياسياً للحكم الإسلامي)^(٢).

(٤) تقول المستشرقة الألمانية (زغريد هونكة)^(٣): (لا إكراه في الدين هذا ما أمر به القرآن، وبناء على ذلك فإن العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام)، وتعترف وتقول: (فالمسيحيون واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها قد سمح لهم الإسلام وبدون عائق يمنعهم من ممارسة شعائر دينهم، وترك لهم المسلمون بيوت عبادتهم دون أن يمسوها بأذى أوليس هذا منتهى التسامح؟) وتقول: (بطريك بيت المقدس يكتب في القرن التاسع الميلادي لأخيه بطريك القسطنطينية عن المسلمين العرب: إنهم يمتازون بالعدل ولا يظلمونا البتة وهم لا يستخدمون معنا أي عنف).

(٥) يقول المؤرخ الفرنسي (غوستاف لوبون): (ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب) ويقول أيضاً (الإسلام لم ينتشر بالسيف، بل انتشر بالدعوة وحدها وبأخلاق المسلمين وبلغ القرآن من الانتشار في الهند التي لم يكن العرب فيها إلا عابري سبيل ما زاد عدد المسلمين أضعاف ما كان عليه، ولم يكن الإسلام أقل انتشاراً في الصين التي لم يفتح العرب أي جزء منها قط) أنظر كتابه (حضارة العرب: ص ٥٧٩).

وكما ذكرت من قبل أن القرآن لم يذكر كلمة السيف أبداً في حين أن كتاب اليهود والنصارى ذكر السيف مئات المرات.

(١) أنظر كتابه حياة محمد (ص ٢٣٣، ٢٠٢).

(٢) أنظر كتابه مختصر دراسة التاريخ (ج ٣: ص ٧٣)

(٣) أنظر كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب: ص ٣٦٤).

مقارنات:

(١) الحروب الصليبية في بيت المقدس:

ذبحت سبعين ألف مسلم بلا رحمة ولا شفقة على ضعيف أو صغير في حين أن صلاح الدين لما انتصر عليهم أحسن معاملة أسراهم ، ولم يقتل احداً منهم.

(٢) محاكم التفتيش في الأندلس:

كانت تأمر بتنصير المسلمين الأسبان كرهاً، ومن لم يتنصر يُحرق أو تقطع رأسه، حتى النساء والولدان والشيخوخة أنظر كتاب (العلاقات السياسية الدولية) فمن الذي ينتشر بالسيف إذن؟.

(٣) في أسبانيا عقد المسلمون معاهدة التسليم والأمان مع ملك أسبانيا المسيحي، فنكل بهم، وقتل ثلاثة ملايين منهم.

(٤) الواقع خير شاهد على عدالة الإسلام ورحمته بمخالفيه، وعلى قسوتهم له، فكلنا رأينا ما فعله اليهود في فلسطين ولبنان وسوريا ومصر من قبل، وما فعله الأمريكان والإنجليز في أفغانستان والعراق وما فعله الصرب مع المسلمين في البوسنة وما فعله البوذيون مع المسلمين في بورما والهند والصين من اضطهاد فادح للمسلمين وما فعله الروس من مذابح للمسلمين في الشيشان..... (فَاعْتَرِبُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ) [الحشر: ٢]، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) [ق: ٣٧].

* ملحوظة مهمة: لقد استفدت كثيرا في هذا الموضوع من عدة كتب للشيخ يوسف القرضاوي ذكرت بعضها في المراجع آخر الكتاب.

شبهة واهية وأجوبة شافية

يتمسك أعداء الإسلام ببعض نصوص القرآن والسنة التي فيها ذكر القتال بأن الإسلام يأمر بالقتال من أجل نشر الدين ومن ذلك:

* قوله تعالى: (فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَصَرْبِ الرِّقَابِ.....) (محمد: ٤)

ويرد عليهم:

بأن المراد من الملاقاة الحرب والمعنى إذا قامت الحرب بينكم وبين الكافرين فقاتلوهم بشدة بل وأجاز المنّ على الأسير الكافر بإطلاق سراحه أو بأخذ الفدية منه بدليل بقية الآية ففيها: (حَتَّى إِذَا أَنْخَنُتُمْهُمْ فَنُشِدُوا الْوَيْثَاقَ فَأَمَّا مَنْ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ) فلماذا لم يحتّ على قتل الكافر بعد القدرة عليه وقد أصبح أسيراً في يد المسلمين؟! أليس هذا من سماحة الإسلام مع مخالفيه؟.

ولعموم قوله تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (البقرة: ١٩٠)

* الحديث المتفق عليه: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا...)

ويرد عليهم:

أن المراد من الحديث المقاتلة وليس القتل وإلا فإن البلاد التي تم فتحها لا زال فيها غير مسلمين ولم يقتلهم أحد ولم يجبرهم أحد على الدخول في الإسلام، قال تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) (البقرة: ٢٥٦).

مبدأ اليسر في الإسلام

فالتيسير من مقاصد الشريعة الإسلامية، لأن الإسلام جاء لكل الناس، وليس لطائفة بعينها كما كان يحدث مع الرسل السابقين، فقد كان يبعث كل رسول إلى قومه خاصة، وبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ) [سبأ: ٢٨] بل بعث إلى جميع العالمين إنس وجن...، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [الأنبياء: ١٠٧].

وما دام أن الشريعة الإسلامية جاءت عامة لكل الخلق فلا بد أن تُبنى على التيسير لتتلاءم مع كل طبقات المجتمع على اختلاف صفاته فهي للرجل والمرأة، والقوي والضعيف، والغني والفقير، والعبد والحر، والرئيس والمرؤوس.....

* فالتيسير أساس الإسلام قال تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) [البقرة: ١٨٥]، (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) [الحج: ٧٨]، (يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا) [النساء: ٢٨]، (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) [البقرة: ٢٨٦]، (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) [الطلاق: ٧]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنكم أمة أريد بكم اليسر)^(١) وعن مجن بن الأدرع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن رجلاً يطيل الصلاة في المسجد، فأناه فأخذ بمنكبيه، ثم قال له: (إن الله رضي لهذه الأمة اليسر، وكره لهم العسر (قالها ثلاث مرات) وإن هذا أخذ بالعسر وترك اليسر)^(٢) وفي المثال المشهور: (إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع).

(١) أخرجه أحمد في (مسنده) من رواية مجن بن الأدرع وصححه إسناده الألباني في (س: ص / تحت حديث رقم: ١٦٣٥).

(٢) أخرجه الواحدي في (الوسيط) وصححه الألباني (س: ص / ١٦٣٥)، وكذلك أخرجه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني (ص: ج / ١٧٦٩).

ولقد أمر الإسلام بالتيشير ونهى عن التعسير، ففي الصحيحين عن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا)، وعن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق)^(١).

صور ذهبية من اليسر في الشريعة الإسلامية:

أولاً: في الطهارة:

(١) طهارة الثوب إذا أصابه نجاسة: في الشرائع السابقة كان الثوب إذا أصيب بنجاسة فلا بد من قطع موضع النجاسة ولا يحكم بطهارتها بالماء؛ أما في الإسلام يُطهر الثوب بالماء مهما أصيب بالنجاسة، ولا يُقطع، قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا) [الفرقان: ٤٨] (وَيَبَايَكَ فَطَهَّرَ) [المدثر: ٤] ولم يقل فاقطع.

(٢) المسح على الخُفَّين: فالإسلام فيه رخص كثيرة، ومنها المسح على الخفين أو الجوربين إذا تم وضعهما على القدمين بعد طهارة كاملة من الحدث الأكبر والأصغر، ويمسح المقيم يوماً وليلة، والمسافر يمسح ثلاثة أيام بليالهن.

(٣) التيمم إذا تعذر استعمال الماء:

فلو تعذر استعمال الماء سواء لفقده أو لمرض وغيره يُرخص للعبد أن يتيمم قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [المائدة: ٦].

كذلك في البرد الشديد إن عجز المسلم عن تسخين الماء، أو خشى الضرر من استعمال الماء تيمم وصلى ففي حديث عمرو بن العاص قال: (احتلمت في ليلة باردة في

(١) أخرجه أحمد في (مسنده) وحسنه الألباني (ص: ج / ٢٢٤٦).

غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيمنت، ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال - وهو خشية الهلاك بسبب شدة البرد - وقلت: إني سمعت الله يقول: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) [النساء: ٢٩]، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئاً^(١).

ثانياً: في الصلاة:

* الإسلام ييسر الصلاة على المسافر والمريض، فَرَخَّصَ للمريض أن يصلي حسب استطاعته ففي صحيح البخاري عن عمران بن حصين قال: (كان بي بواسير، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال: صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب).

* والمريض يجمع بلا قصر بين صلاتي (الظهر والعصر) وبين (المغرب والعشاء) ويقاس عليه الطيب في حجرة العمليات الجراحية وضابط المرور إذا خشي وقوع الحوادث إن ذهب إلى الصلاة وغيرهم من أصحاب الأعذار والتفصيل في كتب الفقه مثل (تمام المنة) للعزازي، (الشرح الممتع) لابن عثيمين.

* والمسافر يُقصر الصلاة ويجمعها تيسيراً عليه، قال تعالى: (وَإِذَا صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا) [النساء: ١٠١]، مع أن الناس أصبحوا آمنين في السفر بفضل الله عليهم، استمرت الرخصة صدقة من الله تعالى، ففي صحيح مسلم من حديث يعلى بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب: (وَإِذَا صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) فقد آمن الناس، فقال: عجباً مما عجبته منه، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (صدقة تصدق الله بها

(١) أخرجه أبو داود وصححه الألباني في (إرواء الغليل / ١٥٤).

عليكم فاقبلوا صدقته)، وهذا يذكرنا بحديث ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه)^(١) وفي رواية (كما يكره أن تؤتى معصيته)^(٢)

* ومن تيسير الإسلام أنه أسقط الصلاة عن المرأة وقت الحيض، ولم يأمرها بإعادتها بعد الطهر دفعاً للمشقة، وأمرها بقضاء الصوم؛ لأن رمضان تسع وعشرون أو ثلاثون يوماً في العام، أما الصلاة فهي خمس فرائض في اليوم فيشق عليها الإعادة لذلك لم يأمرها بإعادتها رافةً منه بحالتها التي لم تكن باختيارها.

ثالثاً: في الصيام:

* رخص الإسلام للمريض والمسافر أن يفطرا في رمضان ويقضيا في عدة من أيامٍ أُخر، ورخص للشيخ الكبير والمرضع والحامل أن يفطروا ويطعموا عن كل يوم مسكين ولا قضاء عليهم، قال تعالى: (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ) [البقرة: ١٨٤]، أي يطيقونه بمشقة، وقال: (وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) [البقرة: ١٨٥].

* ونهى عن صيام كل العام، ففي الصحيحين عن عبدالله بن عمرو قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا صام من صام الأبد) وفي رواية (لا صام من صام الدهر)^(٣)، كل ذلك لتمسك الإسلام بالتيسير.

رابعاً: في الحج:

* رخص للشيخ الكبير والمريض الذي لا يرجى له الشفاء أن يوكل من يحج عنها، ويعتمر نيابة عنها، بشرط أن يكون الوكيل حج عن نفسه أولاً، ففي الصحيحين

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده وصححه الألباني في (ص: ج: ١٨٨٥).

(٢) أخرجه أحمد من رواية ابن عمر أيضاً وصححه الألباني في (ص: ج: ١٨٨٦).

(٣) رواه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو.

عن عباس قال: جاءت امرأة من خثعم تستفتيه، قالت: (يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه؟ قال: نعم)، ذكرته مختصراً.

* ويسر في ترتيب المناسك، ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه، فجاءه رجل، فقال: لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح، فقال: اذبح ولا حرج، فجاءه آخر فقال: لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي، فقال: ارم ولا حرج، فما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فقدم ولا أخر إلا قال: (افعل ولا حرج).

خامسا: في الزواج:

* أباح الإسلام للرجل أن يتزوج بأربع حرائر مع ما يملكه من الإماء، بشرط أن يستطيع العدل بينهن قال تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنَىٰ وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا) [النساء: ٣].

* وجدير بالذكر أن تعدد الزوجات كان مباحاً قبل الإسلام وبلا حدود كما ذكرناه سابقاً راجع كتاب اليهود والنصارى: [سفر الملوك الأول: ٣/١١] [سفر صموئيل الثاني: ١/٣-٥] [التكوين: اصحاح ٢٩، ٣٠] [التكوين: اصحاح ٢٥] فجاء الإسلام وجعل له حدوداً.

سادسا: أباح تناول الحرام عند الضرورة:

* فمن كان في صحراء أو في سفر وجاع، ولم يجد ما يسد جوعه، وخشي أن يهلك فله أن يأكل ما حرّمه الله عليه حتى الميته صوتاً له من الهلاك، قال تعالى: (وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ) [الأنعام: ١١٩]، وقال تعالى: (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُم

الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَالْحَمَّ الْخَنْزِيرَ وَمَا أَهَلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [البقرة: ١٧٣].

* كذلك لو عطش ولم يجد ما يسد عطشه سوى الخمر وخشي الهلاك تناول الخمر بقدر ما يعينه على الحياة؛ لأن القاعدة تقول: (الضرورات تبيح المحظورات) (الضرورة تقدر بقدرها).

سابعاً: رفع الحرج عن الناسي والمُخْطِئِ والمستكْرَه:

ففي الحديث: (إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)^(١)

ثامناً: في الثواب والغفاب الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بواحدة فقط:

وهذا في أمة النبي صلى الله عليه وسلم خاصة قال تعالى: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) [الأنعام: ١٦٠]، وتضاعف الحسنة إلى سبعمائة ضعف وأكثر حسب مشيئة الله تعالى، كما قال القرآن: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [البقرة: ٢٦١].

تاسعاً: وفي الكفارات:

* نوع الإسلام الكفارات حسب الاستطاعة تيسيراً على العباد، فمثلاً في الظهار ومعناه أن يجرم الرجل زوجته على نفسه، ثم يندم ويريد الرجوع إليها، فيجب عليه أن يكفر عن قوله بأن يعتق رقبة، فإن لم يجد فيصوم شهرين متتابعين، فإن لم يستطع أطعم ستين مسكيناً، قال تعالى: (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [المجادلة: ٣، ٤].

(١) رواه أبو ذر الغفاري وأخرجه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني (ص: ج/ ١٧٣١)

* وكذلك في الجماع في نهار رمضان: وتأمل هذا الحديث لتعلم مدى تيسير الإسلام، ففي الصحيحين عن أبي هريرة (أن رجلاً قال: يا رسول الله وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا، قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، قال: هل تجد ما تطعم به ستين مسكيناً؟ قال: لا، فسكت فبينما نحن على ذلك أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرق تمر، فقال: أين السائل؟ خذ هذا وتصدق به، فقال الرجل: على أفقر مني يا رسول الله، فوالله ما بين لابتيها - يريد الخرتين - أفقر من أهل بيتي فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه ثم قال: أطعمه أهلك).

فالرجل لم يملك الرقبة، ولم يستطيع الصيام ولا الإطعام، ولما أعطوه الطعام طعم فيه لشدة فقره فأباح له الإسلام أن يطعمه أهله، فالحمد لله على يسر الإسلام.

سؤال واهي وجواب شافي كافي:

قال بعض النصارى: لماذا تغتسلون من الجنابة مع أن المنى يخرج من العضو التناسلي فقط، فهلا غسلتم العضو الذي خرج منه المنى؟ وضربوا مثلاً سخيفاً وقالوا: لو كان معنا كيسٌ مملوء بالبرتقال، ووقعت برتقالة منه في الطين، أليس الواجب غسل البرتقالة التي وقعت فقط أم غسل الكيس كله؟

الجواب من عدة جوانب:

أولاً: في موضوع كيس البرتقال سوف نغسل البرتقالة فقط التي وقعت، ولكن هذا قياس مع الفارق؛ لأن البرتقالة منفصلة عن الكيس، أما العضو الذي يخرج منه المنى فهو متصل بالجسد، فالبرتقالة إذا وقعت في الطين وأصيب بعضها بالطين، هل نغسل الموضع المصاب فقط؟ أم سنغسل البرتقالة كلها أماناً من الضرر؟ الجواب بالطبع سوف نغسل البرتقالة كلها.

ثانيًا: الأمر بالغسل من الجنابة أو الاحتلام أمرٌ تعبدى، ولا نسأل عن حكمة كل شيءٍ في الشرع، فالغسل هنا ليس لأن المنى نجس، وإلا لغسلنا العُضْوَ فقط كما يحدث عند البول والبراز، ولكن الغسل هنا لحكمٍ عديدة لا يَعْقِلُهَا الْعَرَبُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عِنْدَ نَزْوِلِ الْقُرْآنِ، ونضرب مثالاً بالمريض حين يذهب إلى الطبيب ويصف له العلاج فهو لا يقل للطبيب اقنعني بأن هذا الدواء فيه شفاء، بل يأخذ الدواء ويتناوله دون أي استفسار، والدواء قد يكون مُرٌّ وله أضرار جانبية، ومع ذلك يسمع كلام الطبيب بلا جدال؛ لأن المريض لن يستوعب ما يقوله الطبيب إذا شرح له كيف يعالج الدواء المرض، فإذا كان هذا حاله مع البشر فكيف يعترض على كلام رب البشر.

ثالثًا: العلماء اكتشفوا أن المنى يتكون منه من الدم ، والدم يسري في كل جسم الإنسان، ولذلك حين يخرج المنى يحدث الفتور لكل جسم الإنسان، ولا يعود النشاط إليه إلا بعد وصول الماء إلى سائر جسد الإنسان، قال تعالى: (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) [لقمان: ١١]، (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) [المؤمنون: ١٤] (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) [الذاريات: ٢١].

رابعًا: الغسل من الجنابة والاحتلام موجود في كتابكم المقدس بل وفيه أحكام مشددة على الرجل والمرأة ففي (سفر اللاويين: ١٥/١٦-١٨) (وإذا حدث من رجل اضطجاع زرع يرحض كل جسده بماء ويكون نجسًا إلى المساء وكلّ ثوب وكلّ جلد يكون عليه اضطجاع زرع {يعني جماع} يُغسل بماء ويكون نجسًا إلى المساء فمتى غربت الشمس يكون طاهرًا والمرأة التي يضطجع معها اضطجاع زرع {يعني جماع} يستحمان بماء: ويكونان نجسَيْنِ إلى المساء).

خامسًا: الجنابة مثل الحيض فهو ينزل من فرج المرأة فقط ومع ذلك تغتسل بعد طهرها وهذا موجود في الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى بل شدد جدا في موضوع الحيض كما في (سفر اللاويين: ١٥/١٩-٣٠).

ملاحظات:

١- قلنا إن المنى ليس بنجسٍ، فلا يجب غسل الثوب الذي أصيب بالمنى، ولكن يكفي فركُ المنى فقط، وهذا ما عليه جمهور العلماء، وأثبتته الأحاديث والآثار، فالغسل ليس لخروج المنى، بل يجب الغسل من الجنابة ولو لم ينزل المنى، لعودة النشاط للجسم ولتفتيح مسامات الجسد التي تضيق بعد الجماع أو الاحتلام وقد يكون هناك حكمة أخرى يستفيد الجسم منها، ونحن لا نعلمها، فالله تعالى يشرع لنا الخير دائماً (وَيُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُجَزِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) [الأعراف: ١٥٧].

٢- الودي نجس ولا يُوجب الغسل، والمذي ينزل بسبب الشهوة لكنه لا يقطعها وهو نجس ولا يوجب الغسل أيضاً، فالمذي والودي يُوجبان الوضوء فقط.

٣- الجنابة تحدث بمجرد دخول العضو فرج المرأة، حتى ولو لم ينزل المنى، لأن الجسم يحدث له نفس الشعور الذي يحدث عند نزول المنى والحكم يدور مع علته، ففي صحيح مسلم من رواية عائشة مرفوعاً: (إذا مس الختان الختان وجب الغسل)

صور من تيسير النبي صلى الله عليه وسلم رحمةً بالأمة:

(١) توسطه صلى الله عليه وسلم في العبادة تيسيراً على أمته:

ففي الصحيحين عن أنس: (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم فقد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال: أنتم الذين قلتُم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني).

(٢) حديث أفتان أنت يا معاذ:

ففي الصحيحين عن جابر بن عبد الله: (أن معاذ بن جبل رضي الله عنه كان يُصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يأتي قومه فيصلي بهم الصلاة، فقرأ بهم البقرة، قال: فتجوّز رجلٌ فصلّى صلاةً خفيفةً، فبلغ ذلك معاذًا، فقال: إنه منافق، فبلغ ذلك الرجل، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: يا رسول الله إنا قومٌ نعمل بأيدينا ونسقي بنواضحنا وإن معاذًا صلى بنا البارحة، فقرأ البقرة فتجوّزت فرعم أي منافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثٌ مرات: يا معاذ أفتان أنت اقرأ (والشمس وضحاها) و(سبح اسم ربك الأعلى) ونحوها) هذا لفظ البخاري.

(تجوّز) أي خفّف، ولكن الرجل قطع صلاته مع معاذ، ففي رواية (فقام رجل فانصرف) وعند مسلم (فانحرف رجل فسلم فصلّى وحده) فهو لم يقطع القدوة فقط، بل قطع الصلاة، ثم صلى وحده وخفّف، (بنواضحنا) جمع ناضح وهي الإبل، وفي لفظ للبخاري (فلولا صليت بسبح اسم ربك الأعلى والشمس وضحاها والليل إذا يغشى، فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة).

وأذكركم بحديث أبي هريرة المتفق عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا أمّ أحدكم الناس فليخفف، فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض وذا الحاجة، وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء)، وهذا كله تيسيرا منه على أمته، وفي المثال المشهور: (إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع).

صور من ترفق النبي صلى الله عليه وسلم بالمسلمين وبالناس عامة:

(١) رفقته بالأعرابي الذي بال في المسجد:

ففي الصحيحين عن أبي هريرة: (إن أعرابياً بال في المسجد فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله عليه وسلم: دعوه وأهريقوا على بوله ذنوباً من ماءٍ أو سجلاً من ماء، فإنها بعثتم ميسرين ولم تُبعثوا معسرين)، وفي رواية مسلم (ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشيءٍ من هذا البول ولا القدر، إنما هي لذكر الله تعالى والصلاة وقراءة القرآن).

قوله (دعوه): أي تركوه حتى ينتهي من البول، وفي رواية في الصحيحين أيضًا (لا تُزْرِمُوهُ) ومعناها لا تقطعوا عليه بوله، (وأهريقوا) صبوا، (السَّجَل) الدلو الواسع المملوء ماءً، (الدَّنُوب) الدلو العادي المملوء ماءً.

مسألة فقهية: الحديث يدل على أن النجاسة يتعين إزالتها بالماء، ولا يكفي الريح أو الشمس وإلا لما طلب النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بصبِّ الدُّلُو.

* وهذا هو خُلُقُ النبي صلى الله عليه وسلم الذي علَّمه له ربه فقال له: (وَلَوْ كُنْتُ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) [آل عمران: ١٥٩]، ولذلك قال له بعد ما طبق هذه الأخلاق (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم: ٤].

(٢) تَرْفُقه في الرد على اليهود:

ففي الصحيحين عن عائشة: استأذن رهط من اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليك يا محمد، والسام معناه الموت فحرّفوا لفظ السلام، حتى يقع دعاءً بالموت على النبي صلى الله عليه وسلم ومع ذلك لم يقابلهم بالمثل، بل قال: وعليكم، فلما مرّ آخرون وقالوا: السام عليك يا محمد كما قال الأولون سمعتهم زوجته عائشة فغضبت فقالت: السام واللعنة عليكم أنتم، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تكوني فاحشة وعليك بالرفق، فإن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله) فقالت له: أولم تسمع ما قالوا؟ فقال: لقد رددت عليهم فقلت: وعليكم

مقارنة: في (مرقس ٧: ٢٤)، (انظر أيضًا متى ١٥: ٢٦) قال المسيح للمرأة

التي أتته تستنجد مساعده: " ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويُطرح للكلاب. فقالت: نعم يا سيّد والكلاب أيضًا تحت المائدة تأكل من فتات البنين." وقال في (متى ٧: ٦): (لا تعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا دررکم قدام الخنازير)

فشتم اليهود اما النبي صلى الله عليه وسلم لم يسب اليهود بل عاتب عائشة حين دعت عليهم مع انهم بادروه بالعداوة ونحن نُبرِّي عيسى من هذا الكلام الفحش.

مقارنة بين الإسلام واليهودية والنصرانية في تيسير الأحكام:

(١) تحريم يوم السبت على اليهود ويوم الأحد على النصارى أما الإسلام فلا تحريم فيه إلا وقت صلاة الجمعة فقط وليس اليوم كله، ولمن تجب عليه فقط أما المرأة والمسافر والمريض فلا حرج عليهم في ممارسة العمل؛ وهي تجب فقط على الذكر البالغ العاقل المقيم الصحيح، وبعد الصلاة يمارسون العمل قال تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) [الجمعة: ١٠]

(٢) تعيين القصاص عند اليهود والنصارى في القتل العمد والخطأ وعدم جواز الدية ففي [سفر العدد: ٣٥/٣١] (ولا تأخذوا فدية عن نفس القاتل المذنب للموت بل إنه يقتل) أما في الإسلام فالقصاص في القتل العمد فقط، ومع ذلك يجوز أخذ الدية في كلاهما القتل العمد والخطأ، قال تعالى: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة: ١٧٩]، أي لكم في القصاص حياة، وذلك عن طريق دفع الدية إذا رضي بها أولياء المقتول.

(٣) لا تجوز الصلاة عند اليهود والنصارى إلا في الكنائس والمعابد، أما في الإسلام فنصلي في المساجد وال منازل، وفي كل مكانٍ طاهر، ففي الصحيحين عن جابر قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأيا رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل).

(٤) لم يُرَخَّص اللهُ لهم في التيمم، ورَخَّصَ للمسلمين في التيمم عند فقد الماء أو تعذر استعماله لمرضٍ وغيره، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا) [النساء: ٤٣]، وفي الحديث السابق: (وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا)، وذكرنا من قبل أن الماء لا يُطَهَّرُ الثوبَ النجسَ عندهم بل يجب قطع موضع النجاسة أما في الإسلام فيُطَهَّرُ بالماء.

(٥) الحائض عندهم نجسة وكل ما تجلس عليه فهو نجس، وكل من مس فراشها فهو نجس..... ففي [سفر اللاويين: ١٥/١٩-٣٠] (كل من مس حائضًا يكون نجسًا إلى المساء، وكل ما تضطجع عليه في طمئتها يكون نجسًا، وكل من مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بهاء ويكون نجسًا إلى المساء.....) كلام كثير كله تشدد وفيه يامر الحائض بأن تُكفّر عن حيضها بعد طهرها بذبح ييامتين عند الكاهن فهل يعقل أن تكفّر عن شيء لا إرادي؟ . أما في الإسلام فدم الحيض نجس، وليست المرأة كلها نجسة، فهي لا تصلي ولا تصوم، ولكن يجلس معها زوجها ويؤاكلها ويأشربها فيها دون الفرج لكن لا يجامعها، ففي صحيح مسلم (اصنعوا كل شيء إلا النكاح) فهذا الحديث تفسير لقوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَاغْتَزَلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ) [البقرة: ٢٢٢]، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يشرب من موضع في زوجته عائشة وهي حائض وينام بجوارها على الفراش، وهذا كله من يسر الإسلام.

(٦) في كتابهم المقدس: (من ضرب أباه أو أمه يقتل قتلاً) (من شتم أباه وأمّه يقتل قتلاً) [سفر الخروج: إصحاح ٢١/١٥، ١٧] الإصحاح كله احكام مشددة، أما في الإسلام يعزر بحبس أو ضرب ونحوه ولا يقتل إلا إذا قتل فالنفس بالنفس.

(٧) وفي [سفر التثنية: إصحاح ٢٢/١٠-١١] (لا تحرث على ثور وحمار معًا، ولا تلبس ثوبًا مخيطًا صوفًا وكتانًا معًا)، أما في الإسلام الحرير حرام على الرجال فقط، ونحرث بما نريد من الحيوانات

(٨) وفي [سفر الخروج: الإصحاح ٢١/٢٨، ٢٩] (إذا نطح ثور رجلاً أو امرأة فمات يرجم الثور ولا يؤكل لحمه، وأما صاحب الثور فيكون بريئًا، ولكن إن كان ثورًا نطاحًا من قبل وأشهد على صاحبه ولم يضبطه، فقتل رجلاً أو امرأة فالثور يرجم وصاحبه أيضًا يقتل). ونحن نقول لهم الثور لا يعقل فكيف يعاقب؟ أما في الإسلام فلا

يعاقب من لا عقل له ففي الحديث (رُفِعَ القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق)^(١)

(٩) في (سفر العدد : الاصحاح ٢٨ و٢٩) فرض الله على بني إسرائيل في أعيادهم خرفان وثيران ودقيقا.... أما في الإسلام فالأضحية سنة وعلى القادر فقط وزكاة الفطر واجبة على المستطيع فقط وصاعا من الطعام يعني حوالي اثنين ونصف كيلو فقط كما قال تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (البقرة: ٢٨٦)

(١٠) يحرم عليهم شحوم البقر والغنم ففي (سفر اللاويين: ٧/٢٣) (كل شحم ثور او كبش او ماعز لا تاكلوا) وكما قاله القران الكريم (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) (الأنعام: ١٤٦) وهذا مباح في الإسلام كما هو معروف.

والجمل حرام عندهم ففي (سفر اللاويين: ١١/٤) (الا هذه فلا تاكلوها مما يجتر و مما يشق الظلف الجمل لانه يجتر لكنه لا يشق ظلفا فهو نجس لكم) ولذلك قال عنهم القران الكريم (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (آل عمران: ٩٣-٩٥)

* أما في الإسلام فقد أباح الأنعام عامة وهي الإبل (الجمال) والبقر والغنم قال تعالى (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٩) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ وَيُرِيكُم آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ) (غافر: ٧٩-٨١) وفصل معنى الأنعام في قوله تعالى: (وَمِنَ الْأَنْعَامِ حُمُولَةٌ

(١) أخرجه أبو داود من حديث عليٍّ وصححه الألباني (ص: ج: ٣٥١٢).

وَفَرَشًا كُلُوا بِمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الصَّانِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْرِ اثْنَيْنِ قُلِ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامٌ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلِ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامٌ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (الأنعام: ١٤٢-١٤٤)

(١١) في التوبة من الذنوب والكبائر: ففي اليهودية إذا ارتكب أحدهم ذنبا كبيرا وأراد أن يتوب لا بد من أن يقتل نفسه، وكما حكى القرآن الكريم ذلك على لسان سيدنا موسى عليه السلام، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [البقرة: ٥٤] فأمرهم بقتل أنفسهم لتصح توبتهم، والقصة ثابتة في كتابهم راجع (سفر التكوين: ٣٢/١٩-٢٨) وفي (سفر استير: ٢٦/٢٧) (أما من ارتد عن البر الى الخطيئة فالرب يستنقيه للسيف)، وعند النصارى لا بد من الاعتراف للراهب فيغفر له الراهب وكان الرهب هو ربه الذي خلقه وكان الراهب بيديه الجنة والنار، أما في الإسلام فإن الله يقبل التوبة من عبده إذا تاب وأقنع عن الذنب وندم على ما فعله وعزم على ألا يعود إليه مرة أخرى، قال تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) [النساء: ١١٠]، (وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [الأنعام: ٥٤] (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [الزمر: ٥٣]، فلم يأمرهم بقتل أنفسهم وأمرهم بالاستغفار والعمل الصالح، وهذا يسر ما بعده يسر كما هو واضح.

* وأكتفي بذلك فالأمثلة كثيرة وفيما ذكرناه عبرة لمن يعتبر^١.

* مما سبق يتضح أن الإسلام أيسر الديانات في جميع أحكامه، فالإسلام جاء لرفع الحرج والإصر كما قال تعالى عن النبي صلى الله عليه وسلم: (وَيُجِلُّ هُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُجَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) [الأعراف: ١٥٧]، وقال تعالى ممتنا على الأمة الإسلامية: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (البقرة: ٢٨٦) وقال تعالى: (وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (الحج: ٧٨)

وقال تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) (البقرة: ١٨٥)

وقال تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا) (النساء: ٢٨)

والحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة.

^١ - نقلت بعض الأمثلة السابقة بدون شرح أو أدلة من (الوسطية في ضوء القرآن الكريم) للشيخ ناصر

بن سليمان العمر جزاه الله خيرا ثم وفقني ربي إلى جمع الأدلة والفضل من الله وحده.

الفصل الثالث

الحقوق في الإسلام



مقدمة

للأسف الشديد نرى ونسمع الكثير من الناس فضلا عن جمعيات ومنظمات حقوق الإنسان يتشدقون بالمواثيق والديساتير الدولية لحقوق الإنسان وحقوق المرأة، كالميثاق الصادر سنة ١٩٤٨ من الامم المتحدة والمسمى بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وكذلك المواثيق والديساتير والإتفاقيات التي تعقد في المؤتمرات وكأن الدين لم ينظم ذلك والسبب هو العلمانية التي فصلت الدين عن الدولة.

ولو بحثوا لوجدوا أن الإسلام لم يترك شيئا للحياة إلا وجعل له تشريعا منظما وكما قال الله تعالى لنبية محمد (صلى الله عليه وسلم) ((وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ)) [النحل: ٨٩] (مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) (الأنعام: ٣٨)

وفي هذا الفصل نتعرف على الموضوعات التالية:

- ١- حقوق الإنسان في الإسلام
 - ٢- شبهات واهية وردود شافية حول حقوق الإنسان في الإسلام
 - ٣- فروق جوهرية بين حقوق الإنسان في الإسلام والمواثيق الدولية ونقض تلك المواثيق
 - ٤- حقوق المرأة في الإسلام
 - ٥- شبهة واهية وردود شافية حول حقوق المرأة في الإسلام
 - ٦- إلقاء الضوء على مؤتمر بكين سنة ١٩٩٥ والخاص بالحركة النسوية.
 - ٧- حقوق غير المسلمين في الإسلام
 - ٨- حقوق الحيوان في الإسلام
- ونسأل الله تعالى التوفيق والسداد لما يحبه ويرضاه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

حقوق الإنسان في الإسلام

بداية وقبل أن نلج في صلب الموضوع نوضح أموراً هامة يجب أن يعرفها العامة وهي:

الأمر الأول: أن أول من أعطى الإنسان حقه وتكلم ونص على حقوقه هو خالق الإنسان وهو الأعلّم منا بما يصلح للإنسان ، قال تعالى: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [المالك: ١٤]. وتكلم عن حقوق الإنسان ونص عليها في القرآن الكريم الذي بين كل شيء قال تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ) [النحل: ٨٩]، وبالمثال يتضح المقال: صانع السيارة يعلم جيداً ما تحتاج إليه السيارة لكي تسير وتقوم بعملها، فله المثل الأعلى فهو الذي خلق الإنسان ويعلم ما يصلح الإنسان مما يُفسده، فسبحان من خلق الإنسان وسواه وأطعمه وسقاه وأمراضه وشفاه وألهمه فجوره وتقواه، وإذا أماته أحياه.

الأمر الثاني: أول من انتهك حقوق الإنسان هو الشيطان حيث حسد آدم أول إنسان على ما به من نعمةٍ وكرامةٍ فأوقعه في المعصية، حتى تسبب في خروجه من الجنة، أعاذنا الله وإياكم من الشيطان برحمته إنه هو أرحم الراحمين.

الأمر الثالث: أكثر الخلق انتهاكاً لحقوق الإنسان هم الكفرة عامة سواء كانوا من الإنس أو الجن، فهم الذين استخدموا الفقراء عبيداً، وجعلوا الناس دروعاً بشرية في الحروب، ويدمرون القرى في الحروب تدميراً شاملاً بما فيها من مدنيين وضعفاء كالأطفال والنساء، كما حدث ذلك في الحرب العالمية الأولى والثانية، وما زال يحدث في فلسطين وأفغانستان والعراق وباكستان.....

الأمر الرابع: إن كل من ينتهك حقوق الإنسان فهو فسق ظالم لغيره ولنفسه لأنه أوقعها فيما يوجب العقاب.

وإليك الكلام عن حقوق الإنسان في الإسلام:

الإسلام تكلم عن حقوق الإنسان بطريقتين: إجمالية وتفصيلية

* من حيث الإجمال، قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) [الإسراء: ٧٠]، فكلُّ ما فيه تكريم للإنسان حقُّ له.

* ومن حيث التفصيل فقد تكلم ونص على حقوق الإنسان باستفاضة فأفاد وأجاد، بل وذكر حقوقاً لم تتعرض لها المواثيق الدولية، وسوف نتكلم عن بعضٍ منها، فالغيض يدل على الفيض، فالحقوق كثيرة، وقد نُجِّلُ عن الإحصاء والاستقصاء، ولا يحصيها إلا رب الأرض والسماء، لكن بالأمثلة يتضح الأمر بجلاء:

أولاً: حق الحياة:

جعل الإسلام حق الحياة لكل إنسان وشدد عليه.

* ففي القرآن: (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا) [الإسراء: ٣٣]، وقال: (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [الأنعام: ١٥١] والنص عام يشمل نفس الشخص ونفس غيره مسلماً كان أو كافراً.

* وقال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع: (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا)^(١).

* حتى الانتحار محرّم في شرعنا، قال تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) [النساء: ٢٩]، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبداً، ومن تحسّى سُمًّا فقتل نفسه فسُمُّه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبداً)، بل أباح له بعض المحرمات عند الضرورة حفاظاً على النفس (فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) [البقرة: ١٧٣].

ثانياً: حق الكرامة والتقدير والإحترام:

الإسلام كرم الإنسان فقال: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) [الإسراء: ٧٠].

* وكلنا نعرف أن الله كرم الإنسان حين أمر الملائكة بالسجود لأول إنسان تحيةً وتكريماً له وهو آدم عليه الصلاة والسلام، ولقد ظل سجود التحية منتشرًا في الأزمان السابقة على الإسلام، حتى حرّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونهى عن السجود

(١) متفق عليه ورواه ابن عباس وأبو بكر وأبو حميد الساعدي.

لغير الله تعالى، وقصة سجود الملائكة لآدم في القرآن وفي الكتب السابقة قال تعالى: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) [ص: ٧١-٧٤]، وأنت تلاحظ أن إبليس صار من الكافرين وطرده ربه من الجنة؛ لأنه تكبر على أمر السجود تحية لآدم.

* وكرم الله الإنسان حين أحسن خلقته قال جل وعلا: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) [التين: ٤]

* ومن تكريم الإسلام للإنسان نهى عن السخرية من الغير وعن اغتيابه قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ) [الحجرات: ١١]، (وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا) [الحجرات: ١٢]

* وأمرنا الإسلام أن نتخاطب باحترام فقال: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) [البقرة: ٨٣]، فعلمنا الاحترام في الكلام مع كل الناس،

* حتى في مناظرة غير المسلمين تكون بالطرق الحسنة قال تعالى: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) [العنكبوت: ٤٦]، أي ناظروهم بالكلام الحسن إلا الذين قابلوكم بما لا يليق بكم، فقابلوهم بالمثل.

* وفي الحديث (وخالق الناس بخلقٍ حسن)^(١) فعمم ولم يخص أحدا فكل إنسان له الحق في معاملة حسنة تليق بكرامته.

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (الحجرات: ١١)

(١) أخرجه الترمذي من رواية أبي ذر وحسنه الألباني (المشكاة: ٥٠٨٣).

وقال تعالى: (لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيحًا عَلِيمًا إِنْ تَبَدُّوا حَيْرًا أَوْ نَحَفُوهُ أَوْ تَعَفَّوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا) (النساء: ١٤٨-١٤٩)

* وفي صحيح مسلم عن هشام بن حكيم أنه مرَّ بالشام، (وفي رواية على حمص) على أناس من الأنباط (الأقباط) وقد أقيموا في الشمس، وُصِبَّ على رؤوسهم الزيت، فقال: ما هذا؟ قيل: يعذبون في الخراج - لم يدفعوا الخراج - فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا يعني حتى ولو كانوا غير مسلمين فلا نعتهم).

* ولا ننسى أن الإسلام كرم الإنسان ميتًا، فإن المسلم إذا مات غسلناه وكفنناه وطببناه وصلبناه عليه وشيعناه ودفناه، أما في بلاد الكفر فتراهم يحرقون الميت في الهند أو يلقونه في المزابل كما حدث في العراق وأفغانستان حين جاءوا بألة اللودر فرفع الأموات من جيش الأمريكان، ثم رماها في سيارة النقل تمهيدًا لدفنهم في الأرض بلا تكريم، بل إهانة وكسر لعظام الميت وهذا حرام في الإسلام، ففي الحديث (إن كسر عظم المؤمن ميتًا مثل كسره عظمه حيًّا)^(١).

* أما في الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى فالإنسان عندهم عديم الفهم والرجل

مثل حجش ففي (سفر أيوب: ١١/١٢):

(أما الرجل ففارغ عديم الفهم و كجحش الفراء يولد الانسان)

ونسب الإنجيل إلى المسيح أنه شتم:

ففي (متى ٧: ٦): " لا تعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير

لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم "

وفي (متى: ٢٣ / ١٦) (فالتفت و قال لبطرس اذهب عني يا شيطان)

وفي (لوقا: ٢٤ / ٢٥) قال لإثنين من تلاميذه (ايها الغيبان)

وفي (متى: ٢٣ / ١٧) قال لجموع تلاميذه (ايها الجهال والعميان)

وفي (متى: ٣ / ٧) فلما رأى كثيرين من الفريسيين و الصدوقيين ياتون الى

معموديته قال لهم يا اولاد الافاعي (...)

(١) أبو داود وابن ماجه من رواية عائشة وصححه الألباني في أحكام الجنائز.

* أما القرآن فيقول: (وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأنعام: ٥٤)

(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) (الفرقان: ٦٣)

وفي (يوحنا: ٤/٢) أن عيسى خاطب أمه بجفاء فقال: (ما لي و لك يا امرأة) وفي (لوقا: ١٤ / ٢٦) (ان كان احد ياتي الي ولا يبغض اباه وامه وامراته واولاده و اخوته حتى نفسه ايضا فلا يقدر ان يكون لي تلميذا).

أما القرآن فقال عنه: { وبرزاً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً } (مريم: ٣٢) ١

ثالثاً: حق المساواة بين الأجناس وفي الكرامة والتقدير وليس كل الحقوق:

فالإسلام هو أول من ساوى بين الوزير والخفير والغني والفقير والأحرار والعبيد والذكر والأنثى والصغير والكبير، فالكل يقف سواسية في الصلاة ونص على المساواة في نصوص كثيرة ومن ذلك قوله تعالى: (يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات: ١٣]، فخاطب الناس عامة ولم يخصص المسلمين.

وفي الحديث: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم من آدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم وليس لعربي فضل على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى) (٢)، فهذا الحديث دستور عظيم في المساواة بين أصناف المجتمع فلا تمييز إلا بالتقوى والعمل الصالح فلا نساوي بين الصالحين والمفسدين قال تعالى: (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) [القلم: ٣٥، ٣٦].

١ - راجع المزيد في كتاب (لندع الإنجيل يتحدث) للشيخ عبدالرحمن دمشقيه

(٢) أخرجه أحمد البيهقي في شعب الإيوان من رواية جابر بن عبد الله وصححه الألباني في (س):

✽ كذلك الإسلام أقام الحدود على الشريف والوضيع، ولم يميز بينهم، فقد قطع النبي صلى الله عليه وسلم يد امرأة من أشرف قريش لأنها سرقت، ففي الصحيحين عن عائشة قالت: (أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة حبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتشفع في حدٍّ من حدود الله، ثم قام فاخطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدَّ وإيماً الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) الله أكبر هذا هو دستور العدل والمساواة حتى في إقامة الحدود.

✽ أما في كافة الحقوق فحسب ما بيَّنه الشَّرع فلا نُسوي المرأة بالرجل في الميراث قال تعالى: (لِلذَّكَرِ مِثْلُ مِثْلِ الْأُنثِيَيْنِ) [النساء: ١١] لأن الإسلام ألزم الرجل أن ينفق على المرأة فميراثه يعود عليها بالنفع أما ميراثها فخاص بها، ولا نسوي الزوج وزوجته في الحقوق قال تعالى: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْنَهُنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [البقرة: ٢٢٨]، لأن نفقة المرأة واجبة على الزوج، أما الغرب فهم يُسوون بين الرجل والمرأة لأنهم يجبرونها على العمل ويشاركها زوجها في مالها، ويريدون أن تتزوج المرأة بأكثر من رجل وتكون العصمة بيدها كالرجل، وهذا كله ضرب من الهذيان ونحن نقول لهم إن الله أعلم منا ومنكم بحقوق الإنسان، وأعلم بمن يستحق المزيد ممن يستحق المساواة فهم.

قصة: أوقفت خويلة بنت مالك بن ثعلبة والتي نزل فيها قوله تعالى: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) [المجادلة: ١]، هذه المرأة أوقفت عمر، وأخذت تعظه، وتقول له: كنت قبل الإسلام عويمر فأصبحت في الإسلام عمر، ثم أصبحت خليفة وأميراً للمؤمنين، فاتق الله... وأخذت تعظه وهو يسمع لها فقال له رجل: أسمع لامرأة يا أمير المؤمنين؟ فقال له:

كيف لا أسمع لها، وقد سمع الله لها من فوق سبع سماوات، والله لو ظلت تحدثني سنين ما تركتها إلا للصلاة.

رابعاً: حق العدالة بين أصناف المجتمع في كل شيء كالقضاء والبيع..... :

* ففي البيع والشراء قال تعالى: (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) [الإسراء: ٣٥]، وهذا عام للمسلم والكافر، فإذا بعث لمسلم أو لكافر فكل له و وزن له بالعدل، ولا تطفئ الميزان، قال تعالى: (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) [المطففين: ١-٦]، حيث عمم اللفظ فقال: (إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ).

* وفي القضاء قال تعالى: (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) [النساء: ٥٨]، فأمر بالعدل بين الناس عامة مسلمين وكفاراً وأكد فقال: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) [النحل: ٩٠].

حتى ولو كان القاضي يكره أحد الخصمين، فلا يجوز له أن يجور عليه في الحكم، قال جل جلاله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [المائدة: ٨]، أي لا تحملنكم بغضكم لقوم على أن تجوروا عليه، بل عليكم أيها المؤمنون بالعدل في كل وقتٍ وحين، وهنا خاطب المؤمنين خاصة وكأنه يقول لهم: لا تفعلوا كالأخرين الذين يجورون على من يكرهونه.

* وقد تكلمنا عن مبدأ العدل في الإسلام وذكرنا مواقف لقضاة صحابة النبي (صلى عليه وسلم) حكموا فيها لصالح غير المسلم راجع (فصل مبادئ الإسلام).

خامساً: حق الدفاع عن النفس وقت القضاء حتى ولو كان المتهم كافراً:

فالإسلام قرّر ونص وأكد على حق الدفاع عن النفس أثناء القضاء، وألزم القاضي أن يستمع للخصمين معاً، ليدافع المتهم عن نفسه، وهذا للمسلم والكافر.

* ففي الحديث عند أبي داود والترمذي وصححه الألباني (س: ص: ١٣٠٠) عن سيدنا علي قال: (بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قاضياً فقلت: يا رسول الله تُرسلني وأنا حديث السنن، ولا علم لي بالقضاء، فقال: إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك، فإذا جلس بين يديك خصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء. قال: فما زلت قاضياً أو ما شككت في قضاء بعد) كل ذلك ببركة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم له.

* وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم يتقاضاه - أي يأخذ دينه منه - فأغلظ فهمً به أصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً، ثم قال: أعطوه سنّاً مثل سنّته، فقالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نجد إلا أمثل من سنّته، فقال: أعطوه فإن من خيركم أحسنكم قضاءً.

* وفي القرآن الكريم: أن الله عاتب نبيّه داود؛ لأنه سمع من خصم واحد، ثم حكم قبل أن يسمع من الآخر، قال تعالى: (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخُسْفَانِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ) [سورة ص: ٢١-٢٤]، ثم قال له ربه: (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) [ص: ٢٦].

فالقرآن ذكر هذه القصة ليعلم النبي عليه الصلاة والسلام ويعلم أمته ألا تحكم في قضية حتى تستمع لكل الخصوم حتى تتاح لهم الفرصة في الدفاع عن أنفسهم.

سادسا: حق الحرية:

وهذا ما ينادي به الكثير من البشر، والإسلام أول من أوصى بهذا الحق،

* فالإنسان يولد حُرًّا ويستعبده الحكام، وكذلك الناس يستعبد بعضهم بعضًا، وكان عمر بن الخطاب يقول دائمًا جملة المشهورة: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتم أمهاتهم أحرارًا)،

* ولقد حث الإسلام على عتق العبيد أو مكاتبة العبد على مال يؤديه ويعتق، قال تعالى: (وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ بِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) [النور: ٣٣].

* والإسلام حثَّ على عتق العبيد ولم يجبر الأسياد على العتق؛ لأنه ملك، لكنه جعل الكفارة غالبًا تحتوي على عتق الرقبة، بل وجعل عتق الرقبة أول شيء في الكفارة، فإذا عجز عنها المكفرُ انتقل إلى الأيسر، حرصًا على تحرير العبيد،

- ففي كفارة القتل الخطأ قال تعالى: (وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقِيَّةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقِيَّةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقِيَّةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) [النساء: ٩٢]، فأمر بعتق الرقبة أولاً، فإن لم يجد انتقل إلى الصيام.

- وكذلك في كفارة الظهار - وهو تحريم الزوج لزوجته على نفسه ثم يرجع - قال تعالى: (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقِيَّةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَّسَا ذَلِكَ تَوْعُطُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَّسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِطْعَامٌ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ

وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [المجادلة: ٣، ٤] فقدم عتق الرقبة، ثم الصيام، ثم الإطعام حسب الاستطاعة.

- وكذلك في كفارة اليمين قال تعالى: (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [المائدة: ٨٩]، وهنا خيّر بين الإطعام أو الكسوة أو العتق، إن لم يجد فالصوم.

- وكذلك في كفارة جماع الصائم لزوجته في نهار رمضان، ففي الصحيحين عن أبي هريرة (أن رجلاً قال: يا رسول الله وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تجد رقبةً تعتقها؟ قال: لا، قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، قال: هل تجد إطعام ستين مسكيناً؟ قال: لا، فسكت فبينما نحن على ذلك أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرقٍ تمر والعرقُ المكتلُ، قال: أين السائل؟ فقال: أنا، فقال: خذها فتصدق به، فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله، فوالله ما بين لابتئها - يُريد الحُرَّتَيْنِ - أهل بيت أفقر من أهل بيتي، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه ثم قال: أطعمه أهلك)

- حتى مجرد المزاح بالعتق يصير العبد حراً، ففي الحديث (ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: النكاح والطلاق والرجعة)^(١)، ولذلك لا تسمع عن مجتمع إسلامي أصله العبيد أما في أمريكا فتجد مجتمع الزوج وأصله من الرقيق.

* معلومة هامة إلى العامة:

القتل والتدمير والاسترقاق (الاستعباد) للشعوب موجود في شريعة اليهود والنصارى بأبشع صورة

(١) أخرجه أبو داود والترمذي من رواية أبي هريرة وحسنه الألباني (ص: ج: ٣٠٢٧).

ففي [سفر التثنية: ٢٠/١٠-١٦]: (حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح فان اجابتك الى الصلح و فتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير و يستعبد لك وان لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف واما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتاكل غنيمة اعدائك التي اعطاك الرب الهك) ، فما يقوم به اليهود في فلسطين من مجازر وتدمير شامل

للمدن والقرى أمر به كتابهم المزيّف فهم الإرهاب الحقيقي،

وفي(صموئيل الثاني: ٢/٨) يحكي ما فعله داود (وضرب المؤابيين وقاسمهم بالحبل أضجعهم على الأرض فقاس بحبلين للقتل وبحبل للاستحياء وصار الأراميون عبيداً لداود يقدمون هدايا)

وفي (العدد: ٣١/٧-١١) (فتجندوا على مديان كما امر الرب وقتلوا كل ذكر وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم..... وبلغام بن بعور قتلوه بالسيف وسبي بنو اسرائيل نساء مديان واطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل املاكهم واحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار واخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم).

ولم يُحَث كتابهم على العتق أبدا بل رَغَبَهُمْ في إستعباد الشعوب بالطرق البشعة بخلاف الإسلام فلم يرغب في الإسترقاق أبدا بل حثَّ ورغب في العتق حتى حرر كل العبيد والحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة.

لذلك قال **جيمس فريزر** في كتابه عن (الخرافة): (لقد شهد كثيرون بأن العقيدة التي يتستر وراءها اليهود هي شريعة الغاب التي تقوم على تدمير المدن والقرى، وحرق المسكن وقتل الأطفال والشيوخ)^١

سابعا: حق حرية الاعتقاد فلا يجبر أحدٌ على عقيدة معينة:

* فالإسلام لم يُكْرَه أحدًا على الدخول فيه قال تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) [البقرة: ٢٥٦]، (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا) [النساء: ٨٠]، (لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّرٍ) [الغاشية: ٢٢].

١ - انظر مجلة البيان (عدد: ٣٦/ ص ٣١)

* لم يستخدم العنف في نشر دعوته، فقد قال: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [النحل: ١٢٥]، (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) [يونس: ٩٩]، أي إذا كان ربك لم يُكره الناس على الإيمان فهل تريد أنت أن تُكرههم على الإيمان يا محمد، وأمره أن يقول للكافرين (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) [الكافرون: ٦].

* الإسلام يدعو إلى الحرية عامة، لكنه لم يدعُ إلى الحرية المطلقة والتي يندرج تحتها انحلال الأخلاق كالقواحش وشرب الخمر والمخدرات وغير ذلك مما انتشر في بلاد الغرب تحت مسمى الحرية.

* فليس للرجل والمرأة اختيار طرق الحرام كطريق القواحش تحت مسمى الحرية، فهذا لا يجوز في الإسلام، لأنه يضر بالغير، وانتهاك لحقوق خالق الإنسان سبحانه وتعالى وأضراره بالغير لا يخفى على أحد مثل اختلاط الأنساب، وانتشار الأمراض، ووقوع الحوادث وغير ذلك.

* والديساتير الوضعية في بلاد الغرب وأمريكا والصين وروسيا... تدعو إلى الحرية المطلقة في كل جوانب الحياة، ولذلك عمّت في بلادهم القواحش، ومن ثم الأمراض الخبيثة كالإيدز والكوليرا وغيرها من الأمراض التي لم تكن في القرون السابقة، وهذه نبوءة من نبوءات المصطفى والنبى المجتبى الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، حيث قال: (لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم)^(١).

وللأسف فإن الغرب يدعو إلى القواحش، ويروجون لها في أفلامهم، ووسائل إعلامهم، ويحاربون الزواج، ويسمونهم بالإغتصاب، ويدعون إلى اللواط بين الرجال،

(١) - أخرجه البيهقي والحاكم من حديث ابن عمر، وصححه الألباني (ص: ج: ٧٩٧٨).

والسحاق بين النساء، وغير ذلك من طرق الفواحش، تحت مسمى الحرية المطلقة، ودساتير حقوق الإنسان عندهم تنص على إباحة ذلك، فهذه الدساتير عبارة عن ركامٍ عظيم من الغي والضلال فهي ظلمات بعضها فوق بعض، وكلها تدعو إلى الانحلال الأخلاقي تحت مسمى الحرية المطلقة.

* مما سبق يتضح لكل ذي لب أن الهدف من الحرية المطلقة في المواثيق الدولية هدم عقائد وأخلاق المسلمين بل هدم الفطرة عن طريق نشر الإباحية.

والدليل على ذلك أنهم لم يطبقوا حق الحرية مع المسلمين في بلادهم، ففي الصين يضطهدون المسلمين لأنهم قلةٌ مستضعفة، فأين الحرية التي ينادون بها؟ وفي فرنسا حاربوا النقاب، بل وشرّعوا قوانين تُجرّم النقاب في الميادين العامة، فأين الحرية والديمقراطية التي يتزعمونها ويدعون إليها؟ مع أن النقاب موجود في كتابهم المقدس عندهم أنظر (سفر التكوين: ٢٤/٦٣-٦٥) (إشعياء: ٤٧/٢) (سفر دانيال: ١٣/٣١-٣٢)

(٣٢) (نشيد الإنشاد: ١/٤) (رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: ١١/٥-١٥)

ولذلك أحيانا تلبسه الراهبات ولم يمنعه عن الراهبات فلماذا يتم تضييق الخناق على المسلمين تحديداً!!!

وحت بولس على لباس الحشمة للمرأة في (رسالته الأولى إلى تيموثاوس: ٢/٩) فقال: (ان النساء يزين ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع و تعقل لا بصفائر او ذهب او لالئ) وشدد على ذلك في الصلاة ففي (رسالته الأولى لأهل كورنثوس: ١١/٥-٦) قال: (وأما كلّ امرأة تصلّي أو تتنّبأ ورأسها غير مغطّى فنتشين رأسها لأنها والمحلوقة شيء واحد بعينه. إذ المرأة إن كانت لا تتغطّى: فليقص شعرها) وكانت السيدة مريم محتشمة في ثيابها ولم تكشف رأسها وهذا لا يجهله أحد فمن الأشبه بالسيدة مريم اليوم المرأة المسلمة أم النصرانية؟

ثامنا: حق حرية التعبير:

هذا الحق قرره الإسلام في نصوص كثيرة

* فقد أمر الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم فقال له: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) [آل عمران: ١٥٩]، وقام بها المسلمون ووصف الله المؤمنين الصالحين بأنهم يتشاورون فيما بينهم، فقال تعالى: (وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ) [الشورى: ٣٨].

* إن إبداء الرأي يندرج تحت الحريات العامة كما هو ظاهر، ولا يخفى على عاقل، وهو أيضًا من باب التعاون، قال تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [المائدة: ٢].

* وإبداء الرأي قد يكون من باب النصيحة والتي أوصى بها الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي الحديث (إن الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)^(١)

* والإسلام هو الذي دعا إلى استغلال وظيفة العقل في التفكير في الخلق، واستخراج الحكم وأدلة الوجدانية (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) [الغاشية: ١٧-٢٠]، (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) [ق: ٦، ٧]، (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) [الذاريات: ٢٠، ٢١].

تاسعا: حق الضمان الاجتماعي:

ويسمى عندنا بالتأمين التعاوني أو بمعاش التضامن الاجتماعي.

فالإسلام أول من قام به عن طريق تشريعاته الحكيمة النبيلة، فقام بعدة أمور لتأسيس الضمان الاجتماعي، ومن ذلك:

الأمر الأول: أوجب التكافل العام بين أفراد المجتمع:

(١) رواه مسلم، من رواية تميم الداري.

وذلك من خلال عدة تشريعات منها:

(١) فَرَضَ زَكَاةَ الْمَالِ، وهذه تؤخذ من أغنياء المسلمين بنسبة ٥, ٢٪ إذا امتلكوا مقداراً معيناً من المال ومَرَّ عليه عام كامل، ثم تصرف لثمان أصناف حدددهم القرآن فقال: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [التوبة: ٦٠].
وزكاة المال حق وليست هبة قال تعالى: (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) [المعارج: ٢٤-٢٥].

(٢) فَرَضَ زَكَاةَ الْفِطْرِ، وهذه تصرف للفقراء والمساكين من المسلمين فقط حتى يفرحوا في العيد كالأغنياء ففي الصحيحين عن ابن عمر قال: (فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة) وقال ابن عباس: (فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرةً للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين)^(١).

مع ملاحظة أن زكاة الفطر ليس لها نصاب كزكاة المال، بل هي واجبة على كل مستطيع لها (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) [التغابن: ١٦] وقال تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) [البقرة: ٢٨٦]، وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم)، وهذا هو التكافل في أسمى معانيه، والضمان الذي لا نجده في نظام سوى الإسلام.

(٣) الكفارات: فلا تجد كفارة في الإسلام إلا وفي بنودها إطعام للمساكين سواء كفارة اليمين أو الجماع في رمضان أو الظهار.....

(١) أخرجه أبو داود وحسنه الألباني (إرواء الغليل: ٨٤٣).

(٤) الصدقات العامة: وهذه يأخذ منها المسلم وغير المسلم بشرط ألا يكون من المحاربين المعادين للمسلمين، فكل صدقة على فقير أو مسكين فيها أجر، حتى ولو كانت على غير المسلم بشرط ألا يكون محارباً للمسلمين.

* قال تعالى في وصف المحسنين: (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) [الذاريات: ١٩]، ولم يقل (حق معلوم)، فالمراد بهذا الحق في هذه الآية هو الصدقات العامة غير الزكاة المفروضة كما رواه الألويسي عن ابن عباس ومجاهد.

* وقال تعالى: (وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ) [الحديد: ٧]

* حتى الصدقة على البهائم فيها أجر ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم: (بينما رجل يمشي بطريق إذ اشتد عليه العطش فوجد بئراً، فنزل فيها فشرب وخرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ منى فنزل البئر فملا حُفَّهُ، ثم أمسكه بفيه، حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له، فغفر له، فقالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم لأجر، فقال: في كل ذات كبد رطبة أجر) فالحيوان له ضمان اجتماعي في نظام الإسلام لذلك قال عمر بن الخطاب: (لو أن بغلة تعثرت في العراق لخشيت أن يسألني الله عنها).

(٥) أسلوب الترغيب والترهيب: فقد رغب الإسلام في التكافل الاجتماعي، ورَهَّبَ من الإخلال بحق الفقراء، وذلك في نصوص كثيرة ومن ذلك:

* قوله تعالى: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) [الأنعام: ١٦٠]

* وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ) [البقرة: ٢٥٤]

* وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ) [البقرة: ٢٦٧]، أي أنفقوا من الطيبات ولا تتعمدوا الإنفاق من الخبيث الذي لا ترضونه لأنفسكم

* وقال تعالى: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) [سبأ: ٣٩]

* وقال تعالى: (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) [البقرة: ٢٧٢].

* وفي الحديث عن عمر بن الخطاب (سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيِ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: إِدْخَالُكَ السَّرُورِ عَلَى مُؤْمِنٍ أَشْبَعَتْ جُوعَتَهُ أَوْ كَسَوْتَ عُرْيَهُ أَوْ قَضَيْتَ لَهُ حَاجَةً) (١).

* وعن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضي بين الناس) (٢) وفي رواية (إن الصدقة لتطفئ عن أهلها حر القبور، وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته) (٣)

* وتأمل إلى هذا الحديث العظيم عن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما آمن بي من مات شبعاناً وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به) (٤)

* عن مجاهد أن عبد الله بن عمرو ذبحت له شاة فقال: هل أهديتم لجارنا اليهودي هل أهديتم لجارنا اليهودي؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) (٥) وهذا تطبيق عملي. والأحاديث في ذلك كثيرة، فراجع صحيح الترغيب للألباني.

* ولقد أدى هذا الأسلوب إلى نتائج مبهرة مدهشة تدل على عظمة الإسلام في تربية أتباعه فلقد آخى النبي (صلى الله عليه وسلم) بين أصحابه الأنصار وأصحابه المهاجرين

(١) أخرجه الطبراني في (معجمه الأوسط)، وحسنه الألباني، (صحيح الترغيب / ٢٠٩٠).

(٢) أحمد وابن خزيمة وابن حبان وصححه الألباني (ص: الترغيب: ٨٧٢).

(٣) أخرجه الطبراني (معجمه الكبير) من رواية عقبة أيضا وحسنه الألباني (ص: الترغيب: ٨٧٣).

(٤) أخرجه البزار والطبراني في معجمه الكبير، وصححه الألباني (ص: ج: ٥٥٠٥).

(٥) أخرجه الترمذي وصححه الألباني (ص: الترغيب: ٢٥٧٤).

فتقاسموا معهم المسكن والهال والمتاع حتى أن أحد الأنصار وهو سعد بن الربيع قال لأخيه المهاجري عبد الرحمن بن عوف أنا أكثر الأنصار مالا فانظر شطر مالي فخذه (وفي رواية: هلم إلى حديقتي أشاطركها) وتختي امرأتان وأنت أخي في الله لا امرأة لك فانظر أيهما أعجب إليك فسمها لي حتى أطلقها لك فإذا انقضت عدتها فتزوجها فقال عبد الرحمن: لا والله بارك الله لك في أهلك ومالك دلوني على السوق فدلوه على السوق فذهب فاشترى وباع وربح ثم تابع الغدو ثم لبث ما شاء الله أن يلبث حتى تزوج من ماله الذي ربحه من تجارته والقصة في صحيح البخاري، فالأنصار ضربوا أول الأمثلة في التكافل مع إخوانهم المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم فراراً بدينهم لكن المهاجرين لم يرضوا بالتواكل وترك العمل بل توكلوا على ربهم واجتهدوا في العمل فرزقهم الله رزقاً حسناً قال تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (المائدة: ٢)

* وهذا الأسلوب كان له الأثر البالغ في تربية المسلمين فقد جاء ابو بكر بكل ماله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لتجهيز جيش العسرة وحين سأله ماذا أبقيت لأهلك؟ قال أبقيت لهم الله ورسوله وقام ابو الدرداء بالتصدق بحديقة كاملة مليئة بالنخل اعطاها للرسول صلى الله عليه وسلم ينفق منها على الفقراء، وكان عثمان بن عفان يتصدق بالقافلة كاملة وبها عليها في سبيل الله تعالى، وكذلك كان يفعل عبد الرحمن بن عوف، بل كان من الصحابة من هو أغني الناس مالياً ومات ولم يترك شيئاً منه لأنه تصدق بهاله على الفقراء وعلى الجهاد في سبيل الله تعالى، فهؤلاء تَرَبَّوا على يد سيد البشرية وخير البرية محمد صلى الله عليه وسلم^١.

الأمر الثاني: أوجب تكافل الدولة للمحتاجين:

^١ - راجع المزيد في كتاب (الإيمان والحياة) للقرضاوي

وذلك من خلال بيت المال وهو خزانة الدولة ومصادره كثيرة في الإسلام كزكاة المال والفطر والصدقات العامة والمنح الخارجية والغنائم التي تأتي من الحروب والخراج والجزية الواجبتين على أهل الكتاب، وكذلك الضرائب التي يقرضها الحاكم عند عجز الميزانية لتكافل المحتاجين.

فيجب على الحكام أن يتكفلوا بالمحتاجين من بيت المال، كما قال تعالى: (وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ) (الحديد: ٧)

* وفي الصحيحين عن عبدالله بن عمر قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته).

* وتأمل هذا الحديث العظيم في الصحيحين عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن مات وعليه دين، ولم يترك وفاءً فعلي قضاؤه، ومن ترك مالا فلورثته).

*** حتى الذمّي له ضمان اجتماعي في دولة الإسلام،**

والذمي هو غير المسلم وهو الذي يدفع الجزية مقابل حمايته داخلياً وخارجياً، بدون أن يشترك في الجيش، فله ضمان يشمل الطعام والكسوة وغيره، وهذا ما فعله عمر بن الخطاب.

* فقد روى أبو يوسف القاضي في (الخراج) أن عمر بن الخطاب رأى شيخاً يهودياً يسأل الناس، فسأله عن ذلك، فعرف أن الشيخوخة والحاجة ألجأتاه إلى ذلك، فأخذه وذهب به إلى خازن بيت المال، وأمره أن يفرض له ولأمثاله من بيت المال ما يكفيهم ويصلح شأنهم، ثم قال: ما أنصفناه إذ أخذنا منه الجزية شاباً، ثم نخذله عند الهرم.

* وروى أبو يوسف القاضي في (الخراج) أيضاً أن خالد بن الوليد كتب لأهل الحيرة وكانوا نصارى بالعراق (وجعلت لهم أيما شيخ صَعْف عن العمل أو أصابته آفة

من الآفات أو كان غنياً فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيّل من بيت مال المسلمين هو وعياله).

* للمزيد راجع كتاب (غير المسلمين في المجتمع الإسلامي) للقرضاوي.

وهنا نلاحظ أن المسلمين يتكفلون المحتاجين غير المسلمين بدون أن يضطروهم إلى ترك دينهم، ولم يجبروا أحداً على الدخول في الإسلام، ولم يقوموا بمضايقتهم واستغلال ظروفهم حتى يدخلوا في الإسلام، بل كانوا يتكفلونهم من باب سماحة الإسلام مع أعدائه، وهذا على عكس ما تفعله أمريكا ودول الغرب، وخاصة جمعيات التبشير التنصيرية والجمعيات الماسونية اليهودية، فهم يقدمون الإعانات والمنح مقابل أمور أخرى، والتي منها أن يكون للجمعيات التبشيرية وغيرها مطلق الحرية في التمكين من بلاد الفقراء؛ حتى يفتنوه عن دينهم ويُغروهم بالمال استغلالاً لفقرتهم، فيتركوا الإسلام لشدة حاجتهم لهذه الجمعيات، ومنها استغلال ثروات هذه البلاد أو نشر الفساد فيها مما ويلهي المسلمين عن دينهم، والواقع خير شاهد في مصر الصومال ونيجيريا والسودان وأثيوبيا..... لذلك قام حاكم السودان بطرد بعض منظمات الإغاثة حين اكتشف أنها تدعو إلى التنصير وترك الإسلام.

وبالمقارنة: تجد بلاد الغرب يهملون في حقوق المسنين بل كانوا منذ عهد قريب يقتلون الحيوان المسن والإنسان المسن بحجة أنها لا يساعدان في الإنتاج.

الأمر الثالث: أوجب العدالة في توزيع المواد:

فلقد أمر الإسلام بالعدل في توزيع الموارد حتى لا تُسيطر فئة معينة من الناس على ثروات البلاد، قال تعالى: (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ) [الحشر:

لذلك الفقر منعدماً في الدول التي تطبق الإسلام، كالسعودية وماليزيا (إحدى النُمور الآسيوية)..... عصور الخلفاء الراشدين كانت أفضل العصور بسبب العدل الذي أمر به الإسلام، وقد تكلمنا في الفصل الثاني عن مبدأ العدل في الإسلام.

أما اليوم فمعظم الدول لا تعمل بالعدل لذلك انتشر الفقر، واتسعت الفجوة بين الفئات، واستأثرت قلة من الناس بثروات البلاد، حتى أصبح ما يقرب من أربعة أخماس العالم تحت خط الفقر، حتى في أمريكا يوجد فيها ما يزيد على الربع من السكان تحت خط الفقر، مع أن أمريكا صاحبة أكبر اقتصاد في العالم، ولكن صاحبة أكبر جور في العالم أيضاً.

* مما سبق يتجلى لك أيها الحبيب الحاذق اللبيب أن هناك فرقاً شاسعاً بين التضامن الاجتماعي في الإسلام والتضامن الاجتماعي في بقية النظم، ويكفي أن التضامن الاجتماعي في النظم الأخرى يكون للمشاركين فيه فقط بدفع رسوم شهرياً أو سنوياً مثل التأمين الاجتماعي والصحي وغيره، أما في الإسلام فلا يدفع الفقير اشتراكات، بل إذا وقع الفقر عليه وجب له الضمان الاجتماعي الشامل لكل ما هو ضروري للحياة كطعام وشراب وكسوة وعلاج، بل قد يصل الضمان إلى ما هو أعلى من الضروريات (الحاجيات) فقد يرتقي إلى التحسينات متى تيسر ذلك في بيت المال، كما قال تعالى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) [التغابن: ١٦].

ولقد تكلم الكثير من الباحثين عن عدة فروق جوهرية بين نظام الإسلام والنظم الغربية وغيرها من حيث حقوق الإنسان^(١).

عاشرا: حقوق العدو في الحرب:

(١) وراجع كتاب (الإسلام بين كيتير وماركس وحقوق الإنسان في الإسلام) للدكتورة نعيمة شومان.

إن الإسلام وضع دستوراً عظيماً في الحرب عجزت عنه المواثيق الدولية فقد اشتمل على حقوق لم تشتمل عليها هذه المواثيق، كحق الضعفاء من الأعداء في الحروب، وكذلك حق الأسير والوفاء بالعهود للأعداء وعدم الإفساد في الأرض مطلقاً، حتى في أرض العدو، وهذا كله عجزت عنه المواثيق الدولية، ومنها اتفاقية جنيف، والتي اعتمدها الدول في شهر أغسطس لعام ١٩٤٩ بشأن الأسرى، ولم ولن تصل إلى دستور الإسلام في حقوق الأسرى أبداً.

* وأسوق إليك بعضاً من هذا الدستور العظيم:

(١) حق الضعفاء من الأعداء كالأطفال والنساء:

فالإسلام لا يأمر إلا بقتل الأعداء المحاربين فقط، ولا يأمر بقتل المدنيين ولا الضعفاء إلا إذا اشتركوا في الحرب، ففي صحيح مسلم عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله - أي يقول له أوصيك بتقوى الله - ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: (اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً)، وعند أبي داود (ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً ولا صغيراً ولا امرأة)^(١)، ومعنى (ولا تغلوا) أي لا تسرقوا من الغنيمة، (ولا تغدروا) أي لا تنقضوا العهد، (ولا تمثلوا) أي لا تقطعوا أطراف الميت.

* وكذلك العباد لا يقتلون حتى ولو كانوا أقوياء إلا إذا أعانوا المحاربين على المسلمين، ففي مسند أحمد بسند حسن عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيوشه قال: (اخرجوا بسم الله فقاتلون في سبيل الله من كفر بالله لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع)

(١) ولكن ضعفه الألباني (ص: ج: ١٣٤٦).

* وروى مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد أن أبا بكر بعث جيوشاً إلى الشام، فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان (أمير الجيش)، ثم قال: (ستجد قومًا زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فذرهم وما زعموا إنهم حبسوا أنفسهم له، وستجد قومًا فحصوا عن أوساط رءوسهم من الشعر - فرقوا شعر رؤوسهم - فاضرب ما فحصوا عنه بالسيف، وإني موصيك بعشر، لا تقتلن امرأة ولا صبيًا ولا كبيرًا هرمًا، ولا تقطعن شجرًا مثمرًا، وتخربن عامرًا، ولا تعقرن شاة ولا بُعيرًا إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلاً، ولا تفرقنه ولا تَغْلُل ولا تجبن).

* وهذا ما انفرد به الإسلام، ولم تستطع أن تفعله الدول الكفرية، فهم يقتلون المدنيين ومنهم الأطفال والنساء وعامة الضعفاء، ويدمرون القرى تدميرًا شاملاً.

* وحتى يتضح لك الفرق بين الإسلام والدساتير الوضعية، ومدى الالتزام بذلك سأضرب لك مثالاً حقيقياً ذكره الدكتور راغب السرجاني في كتابه (ماذا قدم المسلمون للعالم): الحرب العالمية الأولى فقد اشترك فيها حوالي عشرين مليون مقاتل من الطرفين دول المحور ودول الحلفاء عام ١٩٣٩، وانتهت الحرب عام ١٩٤٥، وقُتل حوالي خمس وسبعين مليون شخص كيف ذلك؟ حيث تم قتل الملايين من المدنيين عن طريق تدمير قرى بالصواريخ والقنابل الذرية مثل القنبلتين الذريتين اللتين ألقتهما أمريكا على اليابان عام ١٩٤٥ وهذا يعني أن نسبة المقتولين إلى عدد الجيوش حوالي ٣٥١٪. قام بحسابها الدكتور راغب سرجون، ثم قام الدكتور راغب بحساب عدد المقتولين بين المسلمين والأعداء في حروب النبي صلى الله عليه وسلم فوجدهم ١٢٨٤٠، وحسب نسبة المقتولين إلى عدد المشتركين من الخصمين (مسلمين وكفار) في كل حروب النبي صلى الله عليه وسلم وهي حوالي ٢٧ غزوة وسرية فوجدها ١,٥٪.

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم حرص كلَّ الحرص حين عزم على فتح مكة ألا يريق دمًا، لذلك دعا الله وقال: (اللهم خذ العيون عن قريش حتى نبغتها في ديارها) كل ذلك حتى يفادي قتل أي مخلوق بجيشه الجرار العملاق في ذلك الوقت، فهو المبعوث

رحمةً للعالمين حتى مع أعدائه الذين حاربوه كثيرًا، وأرادوا اغتياله واضطروه إلى ترك دياره ومنعوه من ممارسة شعائر العمرة، ومع ذلك أوصى بعدم إراقة الدماء، وتم فتح مكة بلا قتال، ثم عفا عن أعدائه.

* أما الدول الغربية لما أكثرت من انتهاك حقوق الإنسان في حروبها أقامت دستورًا لحقوق الإنسان تحت عنوان الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لسنة ١٩٤٨ وهو دستور منقوص ومنقوض كما ستعرف ذلك لاحقًا إن شاء الله تعالى.

ومع ذلك لم يلتزموا به، فتراهم ينتهكون حقوق الإنسان دائمًا في دول المسلمين كما حدث في مصر وقت العدوان الصهيوني الذي كان يُلقب المتفجرات بين المدنيين، كما فعل ذلك في مدرسة للأطفال وهي مدرسة بحر البقر بمحافظة الشرقية، وكذلك ترى وتسمع ما يحدث منهم من انتهاكات في فلسطين، وكذلك ترى وتسمع ما يفعله الغرب في العراق، وفي سجن جوانتانامو وسجن أبي غريب، وفي أفغانستان وجميع البلاد التي احتلها البلاد الغربية يقع فيها الاغتصاب وقتل الأطفال وتعذيب للضعفاء وتدمير شامل للقري، فأين حقوق الإنسان التي يتزعمونها؟ وكما قال تعالى: (وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً) [المائدة: ١٣]، فهل هناك أفسى من اغتصاب النساء والأطفال وقتلهم وتعذيبهم وتشريد الضعفاء؟ فالمسلم ليس إنسانًا عندهم فلا حقوق له، بل إنهم كرموا الحيوان، وأهانوا الإنسان.

(٢) حقوق الأسير:

فالإسلام أول من نص على حقوق الأسرى، وسبق بذلك دول الغرب بقرون كثيرة، فالدول الغربية عقدت (اتفاقية جنيف) في ١٢ أغسطس سنة ١٩٤٩ بشأن حقوق الأسرى، ومع ذلك لم ولن تصل إلى مستوى حقوق الأسرى في الإسلام، وفي الواقع لم يلتزموا بأي اتفاقية، فقد كانوا يعدّون الأسرى في سجن أبي غريب في العراق، وكذلك سجن جوانتانامو الدولي وسجون إسرائيل

* ومن حقوق الأسير في الإسلام إطعامه والإحسان إليه، فقد أثنى ربنا جل جلاله على المسلمين الذين يحسنون إلى الأسرى، فقال: (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا) [الإنسان: ٨-١٢].

والنبي صلى الله عليه وسلم كان يوصي بالأسرى خيرا والإحسان إليهم ولم يمثل بأحد منهم على الرغم أنهم أعدائه فهو المبعوث رحمة لكل العالم قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: ١٠٧)

* وأجاز الإسلام أن نمنَّ على الأسير بإطلاق سراحه بعوض أو من غير، قال تعالى: (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَنتَحْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) [محمد: ٤] أي إذا لقيتم الكفار في الحرب فشدوا عليهم حتى تهزموهم، ثم شدوا وطاق الأسرى ولكم الخيار في إطلاق سراحهم بلا عوض أو خذوا الفدية منهم حسب مصلحة المسلمين.

* ويجوز للإمام أن يقتل منهم مَنْ يخاف شرهم على أمن المسلمين كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم حين قتل بعض الأسرى في غزوة بدر فقتل منهم عقبه بن أبي معيط والنضر بن الحارث، وكانا من أسارى بدر.

* ويجوز أن يحكم القائد عليهم بالرق حسب المصلحة العامة، وهذا كان معروفا لدى العرب قبل الإسلام وهو موجود في شريعة اليهود والنصارى بل أمر كتابهم بإستعباد الشعوب انظر (سفر التثنية: ٢٠ / ١٠-١٦) أما الإسلام فأباح فقط المتعارف عليه من قبل ولم يأمر بالإستعباد بل رَغِبَ في العتق حتى حرر العبيد كلهم كما سبق بيانه في حق الحرية.

وقد كان صلاح الدين الأيوبي يعامل الأسرى بالإحسان ويداويهم، ويطلق سراحهم كما هو مشهور عنه وأوضحناه في (مبدأ السباحة في الإسلام).

(٣) الوفاء بالعهود والمواثيق عامة حتى ولو مع الأعداء:

ألزم الإسلام أتباعه بالوفاء بالعهود والمواثيق التي تُبرم بينهم وأعدائهم، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) [المائدة: ١]، وقال: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) [الإسراء: ٣٤]، وقال: (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) [التوبة: ٤] وفي الحديث (من آمن رجلاً على دمه فقتله، فأنا بريء من القاتل وإن كان المقتول كافراً)^(١) وفي البخاري عن عبد الله بن عمرو قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من قتل معاهداً لم يرحم رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً).

وهذا الحق يندرج تحت حق الجوار للمستجير حتى ولو كان كافراً أو محارباً، قال تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ) [التوبة: ٦].

(٤) عدم الإفساد في الأرض مطلقاً حتى في أرض العدو لا يجوز:

فلقد نهى الإسلام عن الإفساد في الأرض مطلقاً، قال تعالى: (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ حَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) [الأعراف: ٥٦]، فكل ما يُعد فساداً في الأرض فلا يجوز حتى ولو كان في أرض العدو مثل قطع الشجر وهدم البيوت وتدمير الشركات وغير ذلك مما لا فائدة في إفساده، أما التدمير الذي لا بد منه في قتال العدو فلا حرج فيه، كذلك كل ما يعيق الحرب ضد العدو يجوز إفساده، حتى ينهزم العدو، ثم يتوقف الفساد.

* أما التدمير الذي لا فائدة فيه سوى إلقاء الرعب في قلب العدو، فلا يجوز.

(١) رواه عمر بن الحوق، وأخرجه البخاري في (تاريخه) والنسائي (سننه)، وصححه الألباني

(ص: ج: ٦١٠٣).

* وتأمل هذا الحديث العظيم روى البيهقي في (السنن الكبرى) وابن عساكر في (تاريخ دمشق) عن خالد بن يزيد قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم مشيعاً لأهل مؤتة، حتى بلغ ثنية الوداع، فوقف ووقفوا حوله، فقال: (اغزوا بسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام، وستجدون فيها رجالاً في الصوامع معتزلين للناس، فلا تعرّضوا لهم وستجدون آخرين للشيطان في رؤوسهم مفاحص فافلقوها بالسيوف لا تقتلن امرأة ولا صغيراً ضرعاً ولا كبيراً فانيأ، ولا تُغرِقن نخلاً، ولا تقطعن شجراً، ولا تهدموا بناء) (١).

* وفي سنن البيهقي عن عليّ قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيشاً من المسلمين إلى المشركين قال: (انطلقوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلّوا ولا تغدروا ولا تمثّلوا ولا تقتلوا وليداً طفلاً ولا امرأة ولا شيخاً كبيراً ولا تُغورن عينا ولا تُعقرن شجرة إلا شجرة يمنعكم قتالاً أو يحجز بينكم وبين المشركين، ولا تمثّلوا بأدمي ولا بهيمة ولا تغدروا ولا تغلّوا) (٢).

وهنا أجاز قطع الشجر الذي يعيق الحرب مع العدو، حتى لا تلحق الهزيمة بالمسلمين أما لمجرد العبث فقط فلا يجوز.

* فهل رأيت أيها القارئ اللبيب دستوراً للحرب مثل الدستور الذي نص عليه الإسلام؟ فالغرب لم ولن يصلوا إلى مقاصد الإسلام إلا بالإسلام.

(٥) إن دعا إلى الصلح والسلام أثناء الحرب قبلناه:

ففي أثناء الحرب وشدتها لو استسلم العدو ودعا إلى الصلح وعقد سلام قلنا ذلك ووجب علينا إيقاف الحرب حقناً للدماء، بشرط أن يعطينا كافة حقوقنا، وألا يكون مجرد

(١) سند ابن عساكر مرسل وسند البيهقي فيه متهم بالوضع وهو (محمد بن عمر الواقدي) لكن يتقوى بما بعده وبشواهد أخرى وانظر قول البيهقي في الحديث الآتي والله أعلم.

(٢) قال البيهقي: (في هذا الاسناد ارسال وضعف وهو بشواهد مع ما فيه من الآثار يقوى والله اعلم).

مكر وخديعة حتى يتجهزوا للحرب مرة أخرى، كما فعل اليهود مع المسلمين أثناء حرب المسلمين ضدّهم عام ١٩٤٨ ميلادية لما اغتصبوا فلسطين فعدّوا الهدنة مرتين على أن يتم الصلح، ولكن للأسف كان مجرد خديعة حتى تجهّزوا للحرب وبدأوا هم نقض العهود ولم يعطوا الحقوق.....

والإسلام ققر حق العدو في عمل الصلح والسلام وأوجب علينا قبول ذلك فقال
أنا آيات القتال: (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)
(الأنفال: ٦١).

مقارنة:

ليتضح لك مدى عظمة الإسلام ورفقه بالإنسانية حتى أثناء حروب الأعداء تأمل فيما يلي نصوص من كتاب اليهود والنصارى والتي تأمرهم بالإثخان في قتل جميع الناس على أرض العدو بلا رحمة أو شفقة بل يحثهم على إفناء الأعداء وهي نصوص كثيرة جداً منها على سبيل المثال ما يلي:

✽ ففي (سفر التثنية: ٧ / ١ - ٥). (متى اتى بك الرب الهك الى الارض التي انت

داخل اليها لتمتلكها و طرد شعوبا كثيرة من امامك الحثيين و الجرجاشيين و الاموريين والكنعانيين سبع شعوب اكثر واعظم منك ودفعهم الرب الهك امامك وضربتهم فانك تحرمهم لا تقطع لهم عهدا ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم بنتك ولكن هكذا تفعلون بهم تهدمون مذابحهم وتكسرون انصابهم وتقطعون سواريتهم وتحرقون تماثيلهم بالنار....)

✽ في (التثنية: ٧ / ١٦ - ١٨): (وتاكل كل الشعوب الذين الرب الهك يدفع اليك لا

تشفق عيناك عليهم.....اذكر ما فعله الرب الهك بفرعون وجميع المصريين)

فأمره بالإفناء بلا شفقة وضرب له مثالا بما فعله الرب مع أعدائه حين أفناهم

✽ وفي [سفر التثنية: ٢٠ / ١٠-١٦]: (حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها

الى الصلح فان اجابتك الى الصلح و فتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير و يستعبد لك وان لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف واما النساء

والاطفال والبهائم و كل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتتمها لنفسك وتاكل غنيمة اعدائك التي اعطاك الرب الهك)

* في (يشوع: ١٦ / ٦): (قال يشوع لبني إسرائيل اهتفوا لأنّ الربّ أعطاكم المدينة فتكون المدينة وكلّ ما فيها محرّمًا للربّ... كلّ الذهب والفضّة وأنية النحاس والحديد تكون قدسًا وتدخل في خزانة الربّ... وحرّموا كلّ ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ: حتى البقر والغنم والحمير بحدّ السيف)

* في (يشوع: ١٠ / ٣٦ - ٤٠): (ثمّ سعد يشوع و جميع اسرائيل معه من عجلون الى حبرون و حاربوها واخذوها و ضربوها بحد السيف مع ملكها وكل مدنها وكل نفس بها لم يبق شاردا ثمّ رجع يشوع وكل اسرائيل معه الى دبير وحاربها واخذها مع ملكها وكل مدنها وضربوها بحد السيف وحرّموا كل نفس بها لم يبق شاردا كما فعل بحبرون كذلك فعل بدبير وملكها)

* في (حزقياء: ٩ / ٥-٧): (اعبروا في المدينة وراهه (يعني وراء يهوذا) واضربوا لا تشفق أعينكم ولا تعفوا: الشيوخ والشباب والعذراء والطفل والنساء: اقتلوا للهلاك نجسوا البيت واملأوا الدور قتلى)

*** بل وذكر روايات خيالية تحريضًا على الإثخان في القتل ففي (صموئيل الثاني: ٨ / ٢٣): (وابيشاي أخو يواب هزّ رمحه على ثلاثمائة فقتلهم) فهل يوجد في الدنيا رمح يحمله فارس ويضعه على ثلاثمائة فارس فيقتلهم !!! وفي (قضاة: ١٥ / ١٥-١٦): (ووجد (أي شمشون) لحي حمارا طريًا فمدّ يده وأخذه وضرب به ألف رجل فقال شمشون: بلحي حمار كومة كومتين. بلحي حمار قتلت ألف رجل...) فهل هذا يعقل!!!

شبهات واهية وردود شافية حول حقوق الإنسان في الإسلام

إن أعداء الإسلام لم يهدأ لهم بال بسبب سرعة انتشار الإسلام والتزام المسلمين به، فأثاروا عدة شبهات من تأمل فيها يتمعن وجدها إما صدرت عن جهل بحقيقة الإسلام أو نابعة من حقدهم على الإسلام لأنه عالج المشاكل وهم عجزوا عن حل مشكلة واحدة كمشكلة نشر الفواحش ومشكلة الخمر والسرقه....

مجمال شبهات الغرب والمستشرقين وأعداء الإسلام:

فمجمال شبهاتهم تدور حول الحدود التي شرعها الإسلام عقوبة لمن ينتهك الحقوق فهم يقولون: إن الإسلام انتهك حقوق الإنسان حين شرع الحدود كقطع يد السارق، وجلد الزاني غير المحصن، ورجم الزاني المحصن، وجلد المخمور (السكران) أليس هذا يعد انتهاكاً لحقوق الإنسان؟.

الجواب عن هذه الشبهات الواهية بالردود الشافية الكافية:

إن الإسلام قبل أن يُشرع الحدود والعقوبات قام بحل المشاكل أولاً، ثم شرع العقوبات والحدود زجرًا للفاعل، ولكي يرتدع الملايين، بل يرتدع الباقون أجمعون، ولذلك لم نسمع كثيرًا عن إيقاع الحدود في عصر الخلفاء الراشدين بسبب انتفاء المشاكل، والتي كانت تُسبب إقامة الحدود على الواقع فيها.

وإليك أمثلة من حل الإسلام لتلك المشاكل حتى نتعلم منها:

أولاً: مشكلة القصاص:

لا غبار عليها على مستوى العالم؛ لأن القصاص سواء في النفس أو الأطراف كان موجوداً قبل مبعث الإسلام أنظر كتاب اليهود والنصارى [سفر الخروج إصحاح (٢١) عدد ١٢-٢٥]، فجاء الإسلام وقرره فقال:

(النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفُ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنُ بِالْأُذُنِ وَالسِّنُّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ) [المائدة: ٤٥]،

والإعدام موجود الآن على مستوى العالم، ولكن صورة الإعدام تختلف، فالإسلام يعدم الجاني بضرب العنق بالسيف، وفي دول الغرب يكون الإعدام بضرب الرصاص بالبنادق، وهذا في الحكم العسكري، وفي محاكم أخرى يكون الإعدام شنقاً مع ما فيه من تعذيب للجاني،

وعموماً القاعدة تقول: القتل أنفى للقتل؛ لأن فيه الزجر، فالقصاص ليس شبهة عند الغرب ضد الإسلام؛ بل هناك قضايا كثيرة لم يحكم الإسلام فيها بالإعدام وهم حكموا به.

وكذلك القصاص في الأطراف فيه ردع ووعيد لمن تُسوّل له نفسه بأن يُمثل بجسد أحد فمن قطع يد شخص قطعت يد الجاني، ومن أصاب عين أحد يؤخذ منه القصاص بالمثل من باب العدل، والإسلام حلَّ المشكلة الداعية لذلك حين منع المظالم، وقام بنشر الوعي لنزع العصبية القبلية، حتى قضي على المشكلة تماماً، لذلك لم يقع القصاص في عهد الخلفاء الراشدين إلا نادراً جداً لعدم وجود المظالم.

ثانياً: مشكلة السرقة:

فقد عالج الإسلام مشكلة الفقر أولاً ثم شرع العقوبة الزاجرة للمفترى الذي يريد الإغتناء على حساب الغير فعالج المشكلة من خلال عدة جوانب منها ما يلي:

(١) جانب سد الكفاف:

حيث جعل حقاً للفقراء والمساكين في مال الأغنياء عن طريق فرض زكاة المال، وكذلك زكاة الفطر من رمضان، قال تعالى: (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) [المعارج: ٢٤-٢٥]، وجعل الصدقات لثماني أصناف (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ...) [التوبة: ٦٠]، وجعل لهم حقاً في بيت المال، وكذلك في الفيء والغنيمة (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [الحشر: ٧]، وحثَّ على الصدقات العامة كحق للفقراء فقال تعالى في وصف المحسنين: (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) (الذاريات: ١٦-١٩) ولم يقل حق معلوم فهو حق غير محدود لأنه ليس من الزكاة المفروضة بل صدقة عامة وكذلك جعل لهم حقاً في الجزية والخراج والضرائب الأخرى التي يقرضها الحاكم عند عجز بيت المال عن سد حاجة الفقراء والمحتاجين كما بيناه سابقاً.

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل: (إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب).

وهنا تلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل للفقراء حقاً في مال الأغنياء، ومن ثم فإن الفقير لا يفكر في السرقة لضمأن حقه في الكفاف، ولذلك قلما كان يؤتى بسارق في العصور الأولى للإسلام، أما اليوم فكثرت السرقة بسبب انقلاب الموازين حيث تؤخذ الأموال من الفقراء، فترد على الأغنياء عن طريق بيت الضرائب، فيدفع الفقير والمسكين الضريبة، والغني صاحب المليارات في البنوك لا ضريبة عليه بنص الدساتير الوضعية الملعونة؛ بحجة أنه لا ينتج.

(٢) جانب العمل:

فالإسلام حث على العمل حتى لا يظل الإنسان عائلة يتكفف الناس أو متواكلاً على الصدقات، قال تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [الجمعة: ١٠]، أي فإذا قضيت صلاة الجمعة، فاطلبوا رزق الله بأي حرفة في الأرض، واذكروا الله كثيراً لكي تفلحوا.

وفي صحيح البخاري عن المقدم بن معد كرب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أكل أحدكم طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده) سبحانه الله كان داود نبياً ورسولاً، وحاكماً بين الناس، ومنشغلاً بأمورهم، ومع ذلك كان يعمل حداً فيصنع الدروع ليأكل من عمل يده.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه).

(٣) جانب التحايل على إسقاط بعض الأعذار مثل بخل العائل:

فقد يكون عائل الأسرة غنياً أو متوسط الحال، لكنه للأسف بخيل، فحتى لا تضطر المرأة إلى السرقة بسبب بخله، أباح الإسلام أن تأخذ الزوجة من مال زوجها ما يكفيها وأولادها لكن على قدر الحاجة فقط، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت هند زوجة أبي سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله

إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت من ماله وهو لا يعلم، فقال: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف.

وإذا كان الزوج بخيلاً، ولم تستطيع المرأة أن تأخذ من ماله ما يكفيها وبنيتها بالمعروف، فقد أجاز ابن عثيمين إن تأخذ من مال الزكاة ما يكفيها وولدها؛ لأنها محتاجة، وهذا يحدث كثيراً عندما يتزوج الرجل اثنتين أو ثلاثة، فقد يبخل على واحدة، بسبب وشاية الزوجة الأخرى بينه وبينها لشدة غيرتها منها.

(٤) جانب الترغيب والترهيب:

وبهذا الأسلوب بنى الله نفوس المسلمين على حب الطاعة وكره المعصية، ولذلك قال: (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) [الحجرات: ٧].

ولقد جاء الترغيب في الطاعة بالوعد بالثواب، والترهيب من المعصية بالوعد بالعقاب، في نصوص كثيرة ومنها:

* وقال تعالى: (إِنْ تَجْتَبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا) [النساء: ٣١]

* وقال تعالى: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ) [النساء: ١٣، ١٤]

* وقال تعالى: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) [النساء: ٦٩]

* وقال تعالى: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) [الأحزاب: ٧١].

* وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):
(الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إن
اجتنبت الكبائر) والكبائر هي الذنوب الكبيرة كالقتل والزنا والسرقه.

(٥) العدل في توزيع الموارد (جعل الناس يتعففون عن السرقة):

وهذه خصوصية من خصوصيات الإسلام التي تُجَلُّ عن الاستقصاء والإحصاء،
فقد أمر بالعدل في كل شيء، حتى في توزيع موارد الدولة، حتى لا يحقد أحد على أحد،
ولا يحسد أحد أحداً، ولا يطمع أحد في مال أحد، والكل يتعفف عن السرقة والحرام
عامّةً، فقد يسرق الرجل بسبب غياب العدالة في توزيع الدخول، لذلك لما أرسل احد
الولاية رسالة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يخبره أن رجلاً سرق فقال له عمر اقطع
يده وإن سرق ثانية فسوف أقطع يدك أنت، يعني إن سرق ثانية تكون المشكلة عند الوالي
فهو غير صالح للولاية.

ولما افتتح المسلمون بلاد الفرس، وأرسل قائد الجيش سعد بن أبي وقاص الغنائم
إلى أمير المؤمنين في المدينة المنورة، ومعها سوارى كسرى وسيفه وعبأته ونعليه
وبغلته.....، وجاءت الغنائم كاملة لم ينقصها شيء، تعجب عمر بن الخطاب وبكى
وقال: ما هذه الأمانة الغنائم تأتي كاملة لم ينقصها شيء، فقال له علي حكمت فعدلت
فغفت رعيته، ولو ركعت لركعت خلفك رعيته يا أمير المؤمنين.

فإذا عُرِفَ السبب بطل العجب، والسبب في تعفف الرعية عن الحرام، هو العدل
في كل شيء، ولذلك كان ينال الخليفة بلا حراسة، ولا خدم ولا حاشية له، وكان له وزيرٌ
واحدٌ يعينه على شئون الدولة الإسلامية وهو عليُّ بن أبي طالب مع أنه أمير المؤمنين يعني
رئيس لكل دول الإسلام لكنه وَرِثَ ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد كان
للنبي صلى الله عليه وسلم وزير واحد وهو أبو بكر ، وكذلك كان لأبي بكر وزير واحد
وهو عمر بن الخطاب، وهكذا كان وزير واحد يكفي، أما اليوم فعشرات الوزراء في دولة
واحدة وقد تكون صغيرة جدا ، ومع ذلك تجد الفساد منتشرا في كل جوانب الحياة

اقتصاديًا واجتماعيًا وسياسيًا وعلميًا.... وللمزيد راجع كتاب (مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام) للقرضاوي.

(٦) أخيرًا توقيع العقاب على المفترى:

فبعد الحلول السابقة لن يطمع أحد في السرقة إلا إذا أراد الإغتناء على حساب الغير، فيستحق بعد ذلك الحد، (العقاب) وهو في ميدان عام ليرتدع الباقون فتقطع اليد لأنها آلة السرقة.

ملحوظة هامة للعامة: قطع يد السارق في كتاب اليهود والنصارى، بل عندهم من سرق إنسانًا وباعه يقتل راجع [سفر الخروج: ٢١ / ١٦].

والسرقة منتشرة في بلاد الغرب، لذلك قاموا بوضع كاميرات المراقبة داخل وخارج الأماكن العامة والخاصة خوفًا من السرقة، ولم يستطيعوا معالجة هذه المشكلة، لأن الفساد عندهم كالمحيط حتى المسئولون فيهم لصوص وفسادون!

ثالثًا: مشكلة الزنا:

لقد جاء الإسلام والمجتمع مليئًا بالفواحش والظلم، ومع ذلك حلَّ الإسلام هذه المشكلة قبل تشريع الحدود في فترة وجيزة، فقام بعدة أمور منها ما يلي:

الأمر الأول: تيسير الزواج:

فالإسلام حث على تيسير الزواج لإشباع الغريزة الجنسية بطريق الحلال، وتأمل هذا الحديث العظيم، ففي الصحيحين عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة، فقالت: إني وهبت نفسي لك، فقامت طويلاً (وفي رواية قال النبي صلى الله عليه وسلم: ما لي حاجة في النساء)، فقال رجل: يا رسول الله فزوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة، فقال: هل عندك من شيء تُصدِّقُها؟ فقال: ما عندي إلا إزارى هذا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إزارك إن أعطيتها إياه جلست ولا إزار لك فالتمس شيئًا، قال: ما أجد، قال: التمس ولو خاتمًا من حديد، فالتمس فلم يجد شيئًا،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل معك من القرآن شيء؟ قال: نعم سورة كذا وسورة كذا، (وفي رواية معي سورة البقرة والتي تليها)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: زوجتكها بما معك من القرآن.

ملحوظة: عند أبي داود من طريق عِسل (فقم فعلمها عشرين آية وهي امرأتك) قال الألباني: (زيادة منكراً) لأن الراوي عِسلًا ضعيف، وهذه الزيادة مخالفة لما في الصحيحين (بما معك من القرآن) فعمم ولم يحدد عدد الآيات.

وكان عمر يقول: (لا تغالوا في صداق النساء)^(١).

الأمر الثاني: ثم قام بتوسيع دائرة المباح، ومن ذلك ما يلي:

(١) أباح زواج الكتابيات العفيفات:

حتى لا تقع الفاحشة بين مسلم وكتابية (يهودية أو نصرانية)؛ لأنهم يخالطون المسلمين غالباً، فأباح الإسلام زواج الكتابية بشرط العفة والحرية، أي لا تكون زانية وأن تكون حرة لكي يباح للمسلم أن يتزوجها قال تعالى: (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ) [المائدة: ٥]، ومعنى المحصنات أي العفيفات، حتى ولو كانت مطلقة أو أرملة يجوز للمسلم أن يتزوجها ما دام أنها عفيفة وكذلك يجب أن تكون حرة أيضاً، أما الزواج من الإماء فلا بد وأن تكون مؤمنة وسنوضحه بعد قليل.

أما المسلمة فلا تتزوج كتابياً، بل تتزوج المسلم فقط،

سؤال وجواب: يقول النصارى أنتم عندكم جور وعنصرية لأنكم تتزوجون من بناتنا ولا تبيحون لنا أن نتزوج من بناتكم؟

ويرد عليهم: لأننا آمننا بعبسى وأنتم لم تؤمنوا بمحمد فلا يجوز لكم أن تتزوجوا من بناتنا، أيضاً غير المسلم ليس أميناً عليها وعلى دينها، ولا على دين أولادها

(١) أخرجه أبو داود والنسائي وصححه الألباني (ص: د: ١٨٣٤).

منه، فقد يجبرهم على دينه هو، وترك ديانة الإسلام، وكما في الحديث (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبوه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)^(١)،

(٢) أباح الإسلام للمسلم أن يتزوج بأربع نساء بشرط العدالة بينهن:

حتى لا يقع في الحرام مع امرأة أخرى يجيها، بشرط أن يستطيع العدل بينهن وإلا فواحدة، قال تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعْوُلُوا) [النساء: ٣]

سؤال: لماذا لم يباح خمسًا أو ستًا أو سبعة؟

الجواب: لأن المرأة لا تستطيع أن تتحمل البعد عن زوجها فوق ثلاث ليالي، والإسلام يراعي مصلحة الزوجة كما يراعي مصلحة الزوج.

وتعدد الزوجات له فوائد كثيرة ذكرناها بعد موضوعين في شبهات واهية وردود شافية حول حقوق المرأة في الإسلام.

(٣) أباح الزواج من الإماء المسلمات:

فإذا لم يقدر الرجل على مهر الحرة ولم يقدر شراء أمة يتسرى بها، وخشي الوقوع في الحرام، فله أن يتزوج أمة من العبيد، بشرط أن تكون مسلمة وعفيفة، وإن صبر على العزوبة لحين القدرة على زواج الحرة، فهذا خير له قال تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [النساء: ٢٥]، فاشترط أن تكون الأمة مؤمنة وعفيفة ليست باغية،

(١) متفق عليه من رواية أبو هريرة.

وفي نفس الوقت أن يخشى الوقوع في الحرام، والإسلام ضيق الزواج من الإمام؛ لأن الولد يتبع أمه في الحرية والرّق، ويتبع أباه في الديانة، فضيق الشرع هذا الباب حتى لا يكثر العبيد.

وإذا كان مستطعاً لزواج الحرة الكتابية العفيفة والأمة المؤمنة، فالأفضل أن يتزوج الأمة المؤمنة لأنه قال: (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكَحِ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) فنص على اختيار الأمة المؤمنة عند العجز عن الحرة المؤمنة ولم يرشده إلى اختيار الحرة الكتابية مباشرة، ولقوله تعالى: (وَلَا أُمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَا أَعْجَبَتْكُمْ) [البقرة: ٢٢١]، حتى يأمن على دين أولاده منها؛ لأنها مؤمنة أيضاً مثله والله أعلم.

لكن يتزوج الحرة الكتابية العفيفة إن خاف الوقوع معها في الحرام لشدة جمالها.

(٤) أباح ملك اليمين عامةً:

حتى ولو كانت الأمة التي يملكها كافرة، فيجوز له أن يواقعها؛ لأنها ملك له كما يملك البهيمة، فيباح له أن يواقعها ويتنفع بها بلا زواج، قال تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَقْرَبِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) [المؤمنون: ٥-٦]، (وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ) [النساء: ٢٤].

ملحوظة مهمة: إباحة ملك اليمين كان موجودا في شريعة اليهود والنصارى وعرفته العرب قبل الإسلام فلما جاء الإسلام أقره ولقد مرّ بنا أن سيدنا إبراهيم كان له أمة يتسرى بها وهي هاجر وأنجب منها إسماعيل راجع (التكوين: ٢٥) وكان ليعقوب أمتان يتسرى بها كما في (التكوين: ٢٩، ٣٠) وكان لسليمان ثلاثمائة من الإماء كما في (سفر الملوك الأول: ٣/١١)

والنصارى يعتقدون أن الله تسرى بمريم ولا يحق لهم أن يقولوا تزوجها لأنها تزوجت بيوسف النجار بعد أن أنجبت عيسى فإذا قالوا إنها أمة الله نقول كذلك الرجل

حين يملك أمة يتسرى بها، فإن الله أعطاه إياها كما أعطى له السيارة والبهيمة.... ونقول لهم كيف يعطي الرب أمة الوحيدة لأحد خلقه يتزوجها؟

(٥) أباح الطلاق للرجل والخلع للمرأة:

* فإذا كره الرجل زوجته، واستحالت المعيشة بينهما، فيباح للرجل أن يطلق زوجته ويتزوج غيرها، وتتزوج المرأة غيره بعد انتهاء العدة قال تعالى: (وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا) [النساء: ١٣٠].

* وكذلك المرأة إن كرهت الرجل زوجها، وخافت أن تنظر إلى الحرام، وأحست بالمشقة الشديدة معه، فيجوز لها أن تطلب الخلع (الفراق على عوض)، وتتنازل عن الصداق (المهر) ويفارقها قال تعالى: (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) [البقرة: ٢٢٩]، وفي صحيح البخاري عن ابن عباس أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله ثابت بن قيس ما أعتب عليه في حُلُقٍ ولا دين، ولكنني أكره الكفر في الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقبل الحديقة وطلقها تطليقة.

قولها: (أكره الكفر في الإسلام) أي أخشى كفران العشير بسبب بغضي له، أو أخشى أن تقع مني أخلاق الكفار النشوز وغيره بسبب شدة كراهيتي له.

* ولا يجوز للزوج طلب الزيادة فوق ما دفعه، ففي رواية ابن ماجه (فأمره صلى الله عليه وسلم أن يأخذ منها حديقته ولا يزداد)^(١)، وعند البيهقي (أتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم وزيادة، فقال: أما الزيادة فلا)^(٢).

(١) - وصححه الألباني (ص: ابن ماجه: ١٦٧٣).

(٢) - قال الألباني يُعضد بالأحاديث السابقة (إرواء الغليل ج ٧ ص ١٠٤).

* والفواحش تكثر عند النصارى واليهود؛ لأنهم حرّموا الطلاق وتعدد الزوجات، حرّموا الحلال فوقعوا في الحرام مع أنهم يؤمنون بأن هناك أنبياء عددوا الزوجات كنوح وإبراهيم وسليمان.....، فهل هم أعلم من الأنبياء؟!

الأمر الثالث: حارب جميع الفتن التي تؤدي إلى الفواحش:

مثل التبرج والسفور والخلوة والنظر إلى المرأة لغير ضرورة ومصافحة النساء الأجنبات، وخروج المرأة للعمل بدون ضرورة

* قال تعالى: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) [الأحزاب: ٣٣] وذلك حتى لا يقع الإختلاط فتحدث الفتنة.

* وقال تعالى: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ [النور: ٣٠، ٣١]؛ لأن النظر إلى المرأة المتبرجة فيه فتنة كبيرة للرجل والنظر بريد الزنا.

* وفي الحديث (لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم)^(١)، (لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثلثهما الشيطان)^(٢)،

* وفي الحديث (لأن يطعن في رأس أحدكم بمخبط من حديد خير له من أن يمسه امرأة لا تحل له)^(٣). فبالمصافحة والكلام تلتقي المشاعر ومن ثم وقوع الفتنة.

وكذلك حرّم الإسلام كل ما يؤدي إلى الفتنة كالغناء الذي يصف الخمر والنساء، وكذلك الذي تخالف كلماته شريعة الإسلام مثل أن يخالف العقيدة كمن يقول: (ليه يا رب الظلم ليه) فإله لا يظلم أحدًا قال تعالى: (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) [فصلت: ٤٦]،

(١) متفق عليه من رواية ابن عباس.

(٢) الترمذي من رواية ابن عمر وصححه الألباني (ص: ج: ٤٣١١).

(٣) أخرجه الطبراني من حديث معقل بن يسار، وصححه الألباني (ص: ج: ٥٠٤٥).

وكالذي يقول: (قدر أحق) فكل هذا لا يجوز، فالغناء به محرّم، كذلك الشّعْر الذي يصف النساء ويُشوّق الناس إلى الفواحش، فهو محرّم.

* ونشيد الإنشاد في الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى كله كلام غرام يستحي ذو الخلق الحسن أن ينطق به فهو وحده طامة من طامات الكتاب المقدس

فالتبرج والسفور والخلوة بالمرأة.... أدعى إلى وقوع الفاحشة، وهذا ما نراه في عصرنا الحالي، بل تظهر العورات المغلظة على الشواطئ، فما ظنك برجل يرى عورة المرأة الخفيفة والمغلظة، وخاصة إذا كانت شابة وكان الرجل شاباً؟.

الامر الرابع: أحياناً كان الإسلام يلجأ إلى الإقناع:

وأضرب لك مثلاً، ففي الحديث عن أبي أمامة قال: (إن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: ادن فدنا منه قريباً، قال: فجلس، فقال: أتجبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتجبه لإبتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتجبه لأختك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتجبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعمّاتهم، قال: أفتجبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء)^(١) هكذا أقنع النبي صلى الله عليه وسلم الشاب بأن هذا إجرام واعتداء على حق الغير ولا يرضاه أحد، فضلاً عن أن هذا محرّم وكبيرة يغضب الله تعالى.

الامر الخامس: أرشد المراهقين الفقراء إلى كيفية إضعاف الشهوة:

(١) أخرج أحمد في مسنده وصححه الألباني (س: ص / ٣٧٠).

وذلك بالصوم (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أحسن للفرج وأغض للبصر، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء) متفق عليه من رواية ابن مسعود، يعنى فالصوم علاج لشهوته.

الأمر السادس: الترغيب والترهيب:

وبهذه الطريقة جعل الإسلام نفوس المسلمين تميل إلى تطبيق الشرع بحب،

* فرغَّب في الزواج وتيسيره، ورغَّب في جماع الزوجة، فقال: (وفي بُضْع أحدكم صدقة؟ قالوا: يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر) رواه مسلم من رواية أبي ذر.

* ورهَّب من إتيان الحرام، فقال: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) متفق عليه من رواية أبي هريرة، والمراد: أن الإيمان يذهب عنه أثناء ممارسة الزنا.

ورغَّب في ثواب ترك الحرام فقال في وصف المؤمنين الذين سيرثون الجنة (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ.....) (المؤمنون: ١-١١)

الأمر السابع: أخيراً العقاب على المفترى:

بعد كل ما سبق ألا يستحق الزاني العقوبة بعد أن حلَّ الإسلام له المشكلة، بل يستحق أشد عقوبة، لأن الزنا يُسبب الأمراض الخبيثة كما لا يخفى على أحد ويتعلق بالعرض، وإذا هتِك العرض قامت المعارك وراح بسببه ضحايا، وأصيب بسببه المئات والآلاف، ولذلك عالج الإسلام المشكلة، ثم قضى عليها بالحدود، وإذا طبَّق الحد على واحد لارتدع الآخرون، ولن يتجرؤوا على اقتراف الزنا.

مع ملاحظة الآتي:

- ١- الإسلام اشترط لإقامة الحد أن يُقرّ الزاني بالجريمة، أو يكون هناك أربعة شهود
- ٢- في حالة وجود أربعة شهود عدول شاهدوا واقعة الزنا فهذا معناه أن الزنا وقع جهرًا وهذا فيه فساد لأخلاق المجتمع ككل فيجب الزجر الشديد لحماية المجتمع. م
- ٣- في حالة الإقرار فهذا معناه أن الزاني يريد أن يُطهر نفسه خوفاً من العقاب من ربه في الآخرة لذلك هو الذي أتى بنفسه ولم يكرهه أحد
- ٤- إذا زنى الرجل ولم يكن هناك شهود ولم يُقرّ بالزنا فليس لأحد أن يقيم عليه الحد وبالتالي من الممكن أن يتوب بينه وبين ربه في السرّ، إلا إذا اشتكت المجني عليها فيجب التحقيق لإثبات التهمة فإن ثبتت وجب العقاب تطهيرا لشرفها ولتُشفَى صدور أهلها، وفي نفس الوقت زجرا لغيره من أن يتجرأ على ذلك.
- ٥- طوال عقود الإسلام لم يَقم حد على زاني شهد عليه أربعة شهود بل بالإقرار يعني الزاني هو الذي يُقرّ ليُطهر نفسه، معى أنه كان من الممكن أن يتوب بينه وبين الله، حتى أن المرأة التي جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم واعترفت بالزنا أعرّض عنها عدة مرات لعلها تتراجع لكنها أصرت على إقامة الحد فأمرها أن تنتظر لتلد أولاً، فوضعت ثم أتت مُصرّة على إقامة الحد فأمرها ان تنتظر لتُفطم الرضيع ففطمته ثم أتت ليقام عليها الحد فاقامه فرجمها لذلك قال عنها إنها تابت توبة لو قسمت بين سبعين من اهل المدينة لو سعتهم وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله، والقصة في صحيح مسلم من رواية عمران بن حصين.
- ٦- الإسلام لم يبتدع حكم رجم الزاني المحصن، فالرجم كان موجودًا قبل مجيء الإسلام، فهو ثابت في شريعة اليهود والنصارى، ففي (سفر التثنية: ٢٢/٢٣-٢٤) (إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل في المدينة واضطجع معها فاخرجوها كليهما الى باب تلك المدينة وارجموها بالحجارة حتى يموتا) لاحظ أن الفتاة غير محصنة ومع ذلك أمر بـرجمها

وفي (سفر اللاويين في الإصحاح العشرين) نصّ أيضًا على أن الزاني والزانية يرحموا ولم يُفَرَّق بين البكر والثيب، وكذلك السحرة ومن يتبعهم يرحموا حتى الذي يضطجع مع البهيمة يُقتل وتُقتل البهيمة سواء رجلاً أو امرأة، وفيه أن من سب أباه أو أمه يُقتل، وفيه أن من جمع بين الزوجة وأمها يحرقون بالنار جميعاً، وفي (اللاويين : ٢١ / ٩) أن ابنة الكاهن إذا زنت تحرق بلا تفرقة بين بكر وثيب، فالرجم ثابت في كتابهم وعلى الزاني مطلقاً، فلم يفرق بين محصن وغير محصن، أما الإسلام فَخَفَّفَ فجعل الرجم على المحصن والجلد على غير المحصن، ولم يأمر بالحرق أبداً.

ملحوظة مهمة: نلاحظ أن القصاص موجود في كتاب اليهود والنصارى وكذلك تعدد الزوجات وقطع السارق ورجم الزاني.... ومع ذلك تجد العلمانيين يأخذون ذلك الإسلام وحده ولا يذكرون كتاب اليهود والنصارى بشيء ومن ثمّ تعلم أن الحرب على الإسلام تنبعث من اليهود والنصارى

٧- والزنا منتشر في بلاد الغرب، لانعدام الرادع والزاجر عنه، حيث قلما يتم القبض على المغتصب، وإذا تم القبض عليه قد لا يحاسب أصلاً، وإن حاسبه فقد يمكث في السجن يوماً واحداً إن مكث فيه أصلاً، لذلك تحدث مئات الآلاف من حالات الاغتصاب في أمريكا ومئات الآلاف من حالات الإجهاض، بل يحدث حوالي حالتين أو ثلاث حالات اغتصاب كل دقيقة في أمريكا، ولما عجزت أمريكا عن حل المشكلة أمر أوباما رئيس أمريكا بتوزيع حبوب منع الحمل على فتيات المدارس، وأقولها لهم: لن تستطيعوا حل المشكلة إلا عن طريق تطبيق الحدود كما فعل الإسلام، لكنهم للأسف بدلاً من أن يسعوا إلى الحل يسعون لتكون بلاد الإسلام مسرحاً للفواحش كما يحدث عندهم.

٨- أن القردة ترجم الزاني منهم، فهل القردة أعقل وأغبر من العلمانيين والملحدين؟؟؟
والأسد يكون له أثر في زوجة ويتنقم من لبؤته إذا خانته من أسد غيره ويعرف ذلك عن طريق الرائحة، فهل الأسد أغبر منهم؟؟؟

رابعًا: مشكلة الخمر:

لقد جاء الإسلام والمجتمع الدولي منتشر فيه الخمر، لذلك لم يجرمها الإسلام من أول وهلة، بل حرمها تدريجيًا، وقبل أن يشرع حد شرب الخمر قام بحل المشكلة بعدة أمور منها:

(١) بيّن أن هناك ما يغني عن الحرام وهو كثير مثل الفواكه، وأهمها التمر والعنب والتين والرمان وغيرها من الفواكه، ولكن بدون تخمير.

فعلى العاقل أن يستغني بالحلال عن الحرام، خاصة وأن الخمر فيها ضرر كبير على الجسم، وكما قال تعالى: (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) [الأعراف: ١٥٧] ولا تُطهر الكلي كما يدعي الناس، بل هي ضرر على الكلي.

(٢) حرّم كل شيء يؤدي إلى شربها مثل الغناء والشعر اللذين يشتملان على كلمات وتُسوّق الناس إلى الخمر، وكذلك حرّم عصرها أو سقيها أو نقلها أو حملها أو بيعها أو شرائها، وكلّ شيء يؤدي إلى الاقتراب منها أو شربها بل حرّم الجلوس على المائدة فيها خمر.

(٣) الترغيب والترهيب، حيث ذكر الوعيد الشديد لشارب الخمر مثل حديث (مدمن الخمر كعابد وثن)^(١)، وفي الحديث أيضًا (ثلاثة قد حرّم الله عليهم الجنة مدمن الخمر والعاق والديوث الذي يقر الخبث في أهله)^(١).

(١) رواه أبو هريرة، وأخرجه البخاري في تاريخه، وصححه الألباني (ص: ج: ٥٨٦١).

(٤) أخيراً العقاب على المفترى العنيد، وهو جلد السكران بعد إفاقته، ويجلد أمام العامة في ميدان عام ليرتدع الباقون،

لكن إذا كان معذورا وتحققنا من عذره فلا عقاب عليه مثل أن يشرب شيئاً لا يعلم أنه مُسكرٍ، فذهب عقله به، أو شربه مُكرهًا مثل أن يعطش في صحراء ولم يجد إلا الخمر، أو يشربها تحت تهديد السلاح.

ولعلك تقول ولماذا حرمت الخمر؟

الخمر حُرِّمت؛ لأنها تؤدي إلى أضرار كبيرة، فهي تُذهب العقل، فيقع السكران في انتهاك حقوق الآخرين وهو لا يدري، بل ويُوقع نفسه في الهلاك وهو لا يدري، مثل أن يقود السيارة وهو سكران فتحدث الكارثة، فقد يصيب إنساناً أو يُدهسه بالسيارة وهو لا يدري....، أو يصطدم بشيء فيموت.....، لذلك حرم الإسلام كل شيء يذهب العقل كالخمور والمخدرات أيضاً، كذلك حرم كل ما يؤدي إلى التفتير فهو محرّم كالتدخين.

* ونظراً لأن الخمر كانت شائعة بين العرب والناس جميعاً، فجاء التحريم تدريجياً على النحو الآتي:

أولاً: منع المسلمين من قربان الصلاة وهم سكارى، فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) [النساء: ٤٣]، فعلم المسلمون أن الخمر ليست مستحبة؛ لأنها تبعد الإنسان عن ربه، ثم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عنها فنزل الجواب الآتي.

ثانياً: نزل قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا) [البقرة: ٢١٩]، والمراد بمنافع الخمر والميسر البيع والشراء والمال المكتسب منهما، فالخمر ليس فيها نفع في البدن،

(١) رواه ابن عمر، وأخرجه أحمد في مسنده، وصححه الألباني (ص: ج: ٣٠٥٢).

ثالثاً: ولما دعا عمر بن الخطاب ربه أن ينزل الجواب الكافي والشافي في حكم الخمر نزل التحريم فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [المائدة: ٩٠]، فأمر بإجتناّب الخمر والميسر والأنصاب، وهذا يفيد التحريم نهائياً.

رابعاً: ثم شرع حدّ الخمر وهو أربعون جلدة أو ثمانين ويُجلد كل مرة حتى الرابعة فإذا لم يتبّ وشرب المرة الرابعة فإنه يقتل حتى لا تُنتهك حقوق الآخرين بسبب ذهاب العقل بشرب الخمر. وفصلنا القول فيها في الفصل الخامس تحت موضوع مقاصد (أهداف) الإسلام،

* وجدير بالذكر أن بعض العرب حرّم الخمر على نفسه قبل الإسلام مثل أبي بكر الصديق، فقد رأى قريباً له مخموراً وهو يُقرّب الحيفة من فيه، فإذا وجد ريحها أبعدها عن نفسه وألقاها، فحرّمها الصديق على نفسه رضي الله عنه، وكان عمر يسميها أمّ الخبائث وكان يشك فيها قبل تحريمها وكان يجب أن ينزل تحريمها

وجدير بالذكر: أن الخمر محرمة في كتاب اليهود والنصارى كما في (الأمثال: ١/٢٠)

(الأمثال: ٤/٣١) (رسالة بولس إلى تيموتاوس: ٣/٣) وقال في (رسالة بولس إلى أهل

أفسس: ١٨/٥): (و لا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح) وفي

(إنجيل برنابا) (فستلد العذراء ابنا ، وستدعونه يسوع ، وتمنع عنه الخمر والمسكر وكل لحم نجس) فالخمر محرمة في العهد القديم والجديد لكن اليهود والنصارى لا يلتزمون بذلك والمسلمون هم الذين يلتزمون بذلك فهم أشدّ إتباعاً للرسول من غيرهم.

* وبعد: فهناك شبه أخرى تكلمت عليها في الشبهات الواهية حول حقوق المرأة في

الإسلام؛ وفي (خطة الغزو الإعلامي) من (فصل خطط الأعداء لهدم الإسلام)

موازنة بين حقوق الإنسان في دين الإسلام والمواثيق الدولية الوضعية

ونتحدث هنا عن عدة فروق جوهرية بين حقوق الإنسان في الإسلام وفي المواثيق الدولية، وبيان حقيقة تلك المواثيق ونقضها ليكون القارئ على بينة من حقائق الأمور

الفروق الجوهرية بين حقوق الإنسان في الإسلام وفي المواثيق الدولية:

والفروق كثيرة لكننا سوف نذكر بعضاً منها، والإسلام لا يُقارن بشيءٍ.

أولاً: من حيث الشمولية والنقص:

* الإسلام اشتمل على حقوق لم تشتمل عليها المواثيق الدولية مثل حقوق الفقراء والمساكين، وكذلك بعض بنود الاحترام والتوقير كالغيبة والنميمة والسخرية.... مما ينافي توقير الإنسان، فهذه الحقوق لم تشتمل عليها المواثيق الدولية ومن ثم نزداد يقينا بقوله تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ) [النحل: ٨٩] كذلك نص الإسلام على حقوق للإنسان بعد موته وهذا لم تفعله المواثيق الدولية فالمسلم عندنا له كرامته بعد موته فيجب علينا غسله وتطيبه وتكفينه وتشيعه والصلاة عليه ودفنه كما هو معروف ومشهور عن المسلمين.

* ومن ثم يتأكد لدينا أن الدساتير الوضعية ينقصها الكثير؛ لأنها وضعت باجتهاد البشر أما دستور الإسلام فقد وضعه رب البشر وهو الأعلم بمصالح العباد قال تعالى: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [المالك: ١٤] وقال تعالى: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) (مريم: ٦٤).

ثانياً: من حيث العدالة:

* الإسلام: دستور شامل وعادل في تشريع الحقوق بين جميع طوائف المجتمع كالأغنياء والفقراء والرجل والمرأة والكبير والصغير والأحرار والعبيد والصحيح والسقيم والمسلم وغير المسلم عامة.

* أما المواثيق الدولية: فلو تأملت فيها لوجدت أنها فرقت بين طوائف المجتمع عامةً، وأصبح المراد بكلمة الإنسان في بنودها هو اليهودي أو النصراني فقط، أما المسلم

فهو محارب دائماً عندهم، والواقع خير شاهد في البلاد الإسلامية التي احتلتها بلاد الغرب واليهود مثل فلسطين وأفغانستان والعراق ولبنان..... فهم كما قال عنهم القرآن: (كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ) [التوبة: ٨].

مع أن الإسلام عدل مع أعدائه ومخالفه وأخذ لهم الحق من أتباعه كما فعل سيدنا عمر بن الخطاب حين اقتنص للقبطي من ابن أمير مصر، وهو محمد بن عمرو بن العاص، والتاريخ الإسلامي مليء بمثل هذه الوقائع^(١).

ثالثاً: من حيث المصدر والتشريع:

* ففي الإسلام يكون التشريع الإسلامي هو مصدر الحقوق، فلكي تعرف الحقوق فلا بد من الرجوع إلى القرآن والسنة الصحيحة وآثار الصحابة ولا اجتهاد فيها عندنا؛ لأنها توقيفية، فلم يجعل الإسلام الحقوق مسرحاً بين بعض طوائف المجتمع القوية كالأغنياء والرجال الأقوياء والملوك وغيرهم، بل شرع الحقوق بتوازن وعدالة حتى تسير الدولة بإتزان ولا يقع النزاع.

* أما البلاد الغربية فما يحدث فيها هو العكس فإن الحقوق مصدرٌ للتشريع عندهم، والمعنى أن ما تعارفوا عليه وجعلوه حقاً للإنسان فلا بد من تشريع القوانين لحمايته، فالتشريع ينبع من اجتهادهم، وهم بشر يقع منهم والخطأ والسهو،

والخراب وقع في هذه الدول بسبب تشريعهم، فإنهم رأوا أن الحرية الجنسية حق، والفواحش لا حرج فيها، والخمور لا حرج فيها، والكفر والردة عن الإسلام حرية، فانتشرت فيهم الأمراض الخبيثة كالطاعون ومرض الإيدز والكوليرا... التي لم تعرف في القرون الأولى، وهذا كله نبأ به النبي محمد صلى الله عليه وسلم، حيث قال: (ما ظهرت

(١) - وراجع: (مبدأ العدل في الإسلام) في الفصل الثاني.

الفاحشة في قومٍ قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا)^(١).

رابعاً: من حيث الغرض أو الهدف:

* فالإسلام يريد مصلحة العالم كله، يريد السلام للمجتمع الدولي عامةً، لذلك شرَّع حقوقاً لكل طوائف المجتمع للمسلم والكافر والكتابي والرجل والمرأة والغني والفقير والأحرار والعبيد، للحاكم والمحكوم.....

* أما دول الغرب وموائيقها فهي تريد مصلحتها الخاصة فقط، وهو ما ينص عليه البند الثالث من المادة التاسعة والعشرين من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر من منظمة الأمم المتحدة والمتفق عليه عالمياً يوم العاشر من ديسمبر عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين ميلادية.

حيث يقول هذا البند: (لا يجوز ممارسة حقوق الإنسان المعلن عنها في هذا الإعلان بما ينافي مصلحة الأمم المتحدة)، وطبعاً مقر منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن وفي أمريكا للضغط عليها من أجل مصلحة دول الكفر فقط كأمریکا وفرنسا وإيطاليا وبريطانيا وألمانيا وروسيا والصين....، ولعلك تلاحظ هذا جيداً في الوقت الحالي فقد احتلت دول الكفر بعض البلاد الإسلامية بزعم حماية حقوق الإنسان كما فعلت في أفغانستان، وأخيراً في العراق وليبيا وسوريا..... فهم يستخدمون سلاح حقوق الإنسان في وجه الدول الإسلامية حتى يكون هناك حجة لاستعمارها أو أكل كنوزها كالبتروول والمواد الخام..... من غير استعمار سياسي، وإلا سيتم إفقارها عن طريق حصار اقتصادها، أي أنها وُضعت الدساتير لمصالحهم الشخصية ولهدم الإسلام من جهةٍ أخرى، فهو حقٌ أريد به باطل.

خامساً: من حيث الضمان من انتهاك الحقوق:

(١) رواه ابن عمر وأخرجه البيهقي وابن ماجه وصححه الألباني (ص: ٧٩٧٨).

✽ الإسلام فيه ضمان من انتهاك الحقوق فقد شرع الحدود والعقوبات ضماناً وحماية للحقوق من الانتهاك كقطع يد السارق المعتدي على حق التملك للغير، وجلد الزاني غير المحصن ورجم المحصن المعتدي على حق عرض الغير، والقصاص من المعتدي على الغير سواء في النفس أو في الجروح كما قال تعالى: (النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفُ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنُ بِالْأُذُنِ وَالسِّنُّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ) [المائدة: ٤٥]، وهذه الحدود ضمن الإسلام حقوق غير المسلمين من باب العدل والمساواة، والإسلام هو الدين الوحيد الذي راعى الملل الأخرى والعالم كله يعلم بأن عمر بن الخطاب أعطى للنصارى أماناً على أنفسهم وكنائسهم وأموالهم حين فتح بيت المقدس.

✽ أما المواثيق الدولية، فليس فيها ضمان من انتهاك الحقوق سوى التهديد الذي لم يقع إلا على بعض الأشخاص الضعفاء فقط، من باب إذا سرق الضعيف أو الوجيه فاقطعوه، وإذا سرق القوي أو الشريف فتركوه، بل خففوا العقوبات على المعتصين، فقد تصل إلى يوم واحد حبس، وهذا إن تم القبض عليه أصلاً.

وغالباً يتم التضيق على الدول الإسلامية فقط بزعم انتهاك حقوق الإنسان، فيتم محاصرتها اقتصادياً وسياسياً كما حدث مع السودان والعراق والصومال وماليزيا.....، وهذه تسمى حيلة للحروب الباردة لإفقار الدول حتى تدعن هذه الدول لأمريكا وحلفائها، بل وأحياناً يتم محاكمة رؤساء الدول الإسلامية، كما حدث مع صدام حسين رئيس العراق رحمه الله.

وهناك محكمة جنائية دولية بهولندا لكنها للأسف لا تُحاسب رؤساء الغرب على جرائمهم مثل بوش الرئيس الأسبق لرئاسة الظلم والطغيان (أمريكا)، والذي اجتاح دولة أفغانستان وأباد شعبها وأفقرها، وجعلها مسرحاً للقتال بين طوائفها، ومسرحاً للدول الأعضاء (الغرب) وكذلك فعل مع العراق، وكان الغرض الأساسي من احتلال هذه الدولتين هو السيطرة على خيراتها من البترول وغيره

كذلك لم تحاسب هذه المحكمة زعماء الصهيونية كشارون وتنتياهو وبيريز.....، على جرائمهم الشنيعة في فلسطين والقدس خاصة، بل لم يُقدّم أحد من رؤساء الكفر لهذه المحكمة ولم نسمع سوى الإدانات الدولية الباردة والوعود الكاذبة، وأين منظمات حقوق الإنسان؟ وأين الخائن العام للأمم المتحدة؟ وأين مجلس الرمم المتحدة؟ ولو قُتل كلبٌ أمريكي في أي مكان لاجتمع مجلس الرمم المتحدة فورًا لبحث كيفية الرد على هذا الإنتهاك بقتل المئات من أجله، ففي منتصف الثمانينات من القرن العشرين قُتل أمريكي في ليبيا في ظروف غامضة، فشنت أمريكا ضربة جوية على أرض ليبيا، وقتلت العديد من المدنيين أمام رجل واحد أمريكي قتل، ومن ثمّ فإن المراد من كلمة الإنسان في المواثيق الدولية هو اليهودي أو النصراني فقط، أما المسلم فلا قيمة له عندهم.

ثم تتبجح المحكمة الدولية وتصدر قرارًا باعتقال رئيس السودان؛ لأنه انتهك حقوق الإنسان

أما في الإسلام فكل مقصر يجاسب، حتى الأمراء، فقد كان عمر بن الخطاب يجاسب الأمراء كافةً.

سادسا: من حيث النقض:

* فالإسلام ليس فيه نقض بشهادة جميع العلماء قاطبةً، فكل تعاليم الإسلام صدرت بوحي من الله تعالى فكل شبهة وردت في حق الإسلام فهي في حقيقتها واهية، لذلك ما من يوم إلا ويدخل أناس في الإسلام ويشهدون بصحة الإسلام.

* أما المواثيق الدولية فهي مليئة بالنقض؛ لأنها صدرت باجتهد البشر وطباع البشر مختلفة، وكما قال القرآن: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) [النساء: ٨٢].

* أمثلة من النقض الذي حدث في تلك المواثيق:

(١) الزواج: في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر من منظمة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٨ اعترفوا بالزواج، وفي مؤتمر بكين الذي عقد سنة ١٩٩٥ بشأن حقوق المرأة سخروا فيه من الزواج، ووصفوه بالاغتصاب الجنسي، ودعوا إلى الحرية الجنسية ونشر الفواحش برضا الطرفين تحت مسمى الحرية المطلقة، ويتم مراجعة تطبيق هذا المؤتمر كل خمس سنوات.

(٢) زواج المثليين: سخروا من الزواج في مؤتمر بكين، ومع ذلك دعوا في إلى زواج بين المثليين كزواج الرجل بالرجل، وزواج المرأة بالمرأة،

(٣) رفع سن الزواج وإباحة الفواحش بين الصغار: وهذا هو عين النقض.

ففي مؤتمر بكين دعوا إلى رفع سن زواج المرأة وسخروا من الزواج عامةً، ومع ذلك دعوا إلى الحرية الجنسية بين الأطفال، وتدریس الجنس لهم في المدارس، فكيف يجرمون الزواج المبكر ويسمونه اغتصاب^(١)، ثم يبيحون الفواحش بين الصغار؟ أليس هذا لعب بعقول الناس؟ قال تعالى عن فرعون: (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) [الزخرف: ٥٤].

سابعاً: المواثيق الدولية لحقوق الإنسان تسعى لهدم الإسلام:

ومن ذلك ما يلي:

(١) (البادة: ١) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان تدعو إلى المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة، وهذا مخالف لهدي الإسلام قال تعالى: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَىٰهِنَّ دَرَجَةٌ) [البقرة: ٢٢٨]،

ففي الإسلام يتفاضل الرجل على المرأة في بعض حالات الميراث لأنه هو المكلف بالإنفاق على المرأة، فهو ينفق من نصيبه عليها، ويبقى نصيبها خاص بها، كذلك القوامة

(١) وقد تكلمت عن بعض بنود مؤتمر بكين ١٩٩٥ في موضوع حقوق المرأة في الإسلام.

للزواج لأنه يقع عليه العبء الأكبر عند الزواج، لذلك قال القرآن: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) [النساء: ٣٤].

أما المواثيق الدولية تريد أن تجعل المرأة مناوئة للرجل في كل شيء، وتأخذ مثله في الميراث، ويكون الطلاق بيدها وتتزوج أربعة رجال في آن واحد كما يتزوج هو أربع نساء، وهذا ضرب من الهذيان والغرض منه تقنين الفواحش.

(٢) (المادة: ١٦) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، تنص على إباحة الزواج مع اختلاف الدين بين الرجل والمرأة ومؤتمر بكين دعا إلى زواج المثليين.

وبمعنى آخر يجوز للكافر أن يتزوج المسلمة، وكذلك يتزوج الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة، وهذا كله محاربة لدين الإسلام وسعيًا لهدم الشرائع السماوية كلها عن طريق نشر الفواحش فكما أن الإسلام يُحرّم زواج المثليين فهو محرّم أيضا عند اليهود والنصارى بل عقوبته عندهم القتل كما في (سفر اللاويين: ٢٠ / ١٣) فزواج المثليين محرّم في كل الشرائع لكن الغرب يسعى لهدمها.

(٣) (المادة: ١٨) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، مضمونها إباحة الكفر والردة، فمن أسلم ثم ارتد عن دينه فلا حرج عليه، وله مطلق الحرية في الردة أو الكفر والهدف منه ظاهر وواضح وهو السعي وراء هدم الإسلام.

(٤) مواد الحرية في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وجميع المواثيق الدولية تنص على الحرية الجنسية المطلقة المنافية للفطرة ولجميع الشرائع السماوية، فهي تتيح الجنس بين الأطفال وبين الأولاد والمحارم عامة ويجوز للبنات الصغيرة أن تمارس الجنسية مع أحد زملائها، ولا حق للأباء في منعها من ذلك، قال الله تعالى: (يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ) [الفتح: ١٥]، (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [الصف: ٨].

معلومة هامة إلى العامة: إن زواج المحارم في الإسلام محرّم بل من أكبر الكبائر قال تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَالَاتُ الَّذِينَ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا) (النساء: ٢٣) ومحرم أيضا عند اليهود والنصارى بل وعقوبته عندهم القتل راجع كتابهم المقدس (سفر اللايين : الإصحاح العشرين).

* وبعد أيها القارئ لو اطلّعت على مواد مؤتمر بكين، والتي تزيد على مائتي مادة لأصابتك انبهار عصبي وذهول لما تحويه هذه المواد على أفكار هدامة تتعارض مع العقول البشرية والفطرة الإنسانية، فضلاً عن معارضتها لكل الشرائع السماوية، فهي تريد الإباحية المطلقة والكفر البواح، والله وحده المستعان.

* وبسبب هذه المواثيق الدولية تقع الفواحش المزهلة بل يومياً، وإليك أمثلة:

(١) في أمريكا يحدث ما يزيد عن عشرين ألف حالة زنا بين المحارم سنوياً.

(٢) في أمريكا تحدث حوالي عشرة مليون حالة إجهاض سنوياً.

(٣) معدل الإجهاض في أمريكا حوالي ٣٠٪ من حالات الحمل سنوياً.

(٤) في أمريكا يتم تسجيل حالة اغتصاب كل دقيقة مع أن المسجل عبارة عن

٤٠٪ من مجموع حالات الاغتصاب على مستوى أمريكا يعني يقع حوالي ٣ حالات اغتصاب كل دقيقة.

(٥) الشذوذ الجنسي في أمريكا يزيد عن اثني عشر مليون فرد.

ثامنا: من حيث الترغيب والترهيب

* فالإسلام الوحيد الذي استخدم هذا الأسلوب ليجعل المسلم يميل إلى تطبيق الحقوق ويتعد عن انتهاكها خوفاً من الله، وطمعاً في رحمته وهذا إيمان بالغيب قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) [المالك: ١٢].

ومن نصوص الترغيب والترهيب قوله تعالى: (إِنْ تَحْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا) [النساء: ٣١]، وقوله تعالى: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ) [النساء: ١٣]، [١٤]..... وغيرها من النصوص التي ذكرناها من قبل.

وإليك مثال عملي: حين قمت ثورات الربيع العربي في بعض بلاد الإسلام كتونس ومصر وليبيا وسوريا واليمن....، حدث إنقلات أمني بسبب انسحاب رجال الشرطة من أمام المتظاهرين وانتشرت البلطجية الأشرار فقام الشباب المسلم بنفسه على حراسة المصالح العامة، وشكلوا لجاناً شعبية لتنظيم الحراسات وتنظيم الطرق وضرب الشباب المسلم أروع الأمثلة في الأمانة مما أدهش دعاة حقوق الإنسان، كل ذلك بسبب تربية الإسلام لنفوس شباب المسلمين على حب احترام حقوق الإنسان، (فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) [القمر: ١٥]، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ) [الزمر: ٢١]، بل وحرسوا الكنائس وشهد لهم بذلك زعيم النصارى في مصر الراهب شنودة بل قال لوزير الداخلية اسحب الجنود الحراس من على الكنائس لأن المسلمين هم الذين حرسوا الكنائس وقت الإنقلات الأمني فمن الذي كان يفجرها من قبل؟ إشارة منه إلى تفجير كنيسة القديسين بالإسكندرية والتي اتضح بعد التحقيقات أن ورائها أجهزة أخرى وليس المسلمون.

و لذلك لا تجد السرقة منتشرة في السعودية بسبب تطبيق حد السرقة.

* أما في المواثيق الدولية، فلا يوجد ترغيب أو ترهيب، لذلك لا تطمع كل الدول في تطبيق هذه المواثيق، بل تقع المخالفات الجسيمة من الساسة ومن أفراد الشعب، والسبب إنعدام العقوبات الزاجرة.

وإليك مثال عملي: في أمريكا إذا خبت الأنوار يتم تسجيل الملايين من حالات السرقة والاعتصاب في بضع دقائق فقط، يعني إذا حدث خلل في نظام مراقبة الأشخاص وقعت الملايين من المخالفات البشعة؛ لإنعدام تربية النفوس على حب الحقوق أصلاً، وحب احترام الآخرين، بل قال بعضهم: لو انطفأت الكهرباء دقائق لسرقت أمريكا كلها في هذه الدقائق

(٩) من حيث النتيجة:

* فلقد كانت النتيجة مبهرة ومدهشة في ظل نظام الإسلام بسبب إرساء حقوق الإنسان بطريقة لم ولن يصل إليها الدساتير الوضعية، ومن تلك النتائج المبهرة انتشار الرفاهية بين الشعوب كما يتضح ذلك جلياً في بلاد الخليج مع أنها لم تطبق كُلاً ما أوصى به الإسلام، وكذلك وصول الدول الإسلامية إلى حضارة عالية كما حدث في ماليزيا وباكستان النووية وأندونيسيا وغيرها من الدول، وهذا مما يُدحض القول بأن الإسلام فيه تخلف، فهذا القول مردودٌ على صاحبه بشهادة التاريخ والواقع، مع العلم أن حضارة الغرب أسسها المسلمون بدايةً حين فتحوا بلاد الأندلس، ونقلوا كتبهم وترجموها لهذه البلاد، ولقد شهد علماء الغرب بذلك.

* أما في بلاد الغرب وهم دعاة حقوق الإنسان تجرد الفقر منتشراً من كل جانب وخاصةً أمريكا صاحبة أقوى اقتصاد في العالم، فربح الشعب الأمريكي تحت خط الفقر، وفيهم من حصل على أعلى الشهادات الدراسية، والسبب أنهم يعيشون في غيٍّ وضلال وجورٍ وفسقٍ وفجورٍ، ولم يعتني حكاهم بشيءٍ من ذلك، بل ومنهم من يموت جوعاً وسقماً وتشرداً، ولا يعيره الحاكم أدنى اهتمام.

سؤال واهي وجواب شافي كافي:

لماذا لم يضع المسلمون دستوراً لحقوق الإنسان كما فعل الغرب؟

والجواب يتضح بها سبق بيانه ونجمه كما يلي:

(١) حقوق الإنسان في الإسلام محفوظة بالكتاب والسنة الصحيحة، فلا تحتاج إلى وجود دستور لحقوق الإنسان.

أما في بلاد الغرب فليس عندهم دستور يجمع الحقوق، لذلك اجتهدوا ووضعوا دستوراً لحقوق الإنسان، ومع ذلك جاءت دساتيرهم منقوصة ومنقوضة، كما بيناه سابقاً ولن يصلوا إلى حقوق الإنسان الإسلام إلا بالدخول في الإسلام.

(٢) هم وضعوا هذه الدساتير؛ لأنهم انتهكوا الحقوق في الحروب العالمية، ففي الحروب التي خاضها الغرب فيما بينهم فقد خالفوا كل القوانين والفترة الإنسانية، ودمروا القرى بها فيها من مدنيين تدميراً شاملاً، مما أوقع ضحايا بعشرات الملايين، لذلك عقدوا مؤتمرات لتوثيق حقوق الإنسان والاتفاق عليها، حتى لا تنتهك مرة أخرى، ومع ذلك تراهم ينتهكونها في كل حرب حتى الآن، وكأن تلك المواثيق عبارة عن حبر على ورق فقط، فلا توجد ترجمة إلى فعل.

أما المسلمون فلم ينتهكوا هذه الحقوق في أي حرب خاضوها مع العدو، لأن الإسلام كما ذكرنا من قبل حرّم قتل المدنيين والضعفاء والعُباد، وأمر بقتل المحاربين الأعداء، وكل من أعان على حرب المسلمين فقط.

(٣) المصلحة الخاصة ومحاربة الإسلام:

وكما ذكرنا من قبل أنهم وضعوا تلك المواثيق لتحقيق مصالحهم الشخصية فهم إذا أرادوا استعمار بلد إسلامي ادعوا أن هذا البلد انتهك حقوق الإنسان أو فيه أسلحة دمار شامل، مما يهدد الإنسان، ثم يتم إعلان الحرب على هذا البلد بزعم حماية حقوق الإنسان، أو بزعم حماية المنطقة من أسلحة الدمار الشامل، حتى يتمكنوا من استغلال موارد تلك البلد، ثم يتركونه خراباً مُدمراً لا يساوي شيئاً كما فعلوا في العراق وأفغانستان.... أو محاصرته اقتصادياً عن طريق فرض العقوبات الدولية، حتى يتم إفقاره كما فعلوا مع العراق والصومال والسودان.

كذلك وضعوا بنودًا في تلك المواثيق تحمل في طياتها هدمًا للإسلام بل لكل الشرائع السماوية وهدمًا للفطرة الإنسانية بالمرّة، كما بيناه سابقًا.

حقوق المرأة في الإسلام

قبل البدء في صلب الموضوع نعقد عدة مقارنات بين مكانة المرأة في المجتمع الإسلامي ومكانتها في المجتمعات الأخرى حتى تتضح لك عظمة الإسلام في تكريمه للمرأة على النحو التالي:

أولاً: كيف كانت المرأة في المجتمع الجاهلي قبل الإسلام؟ وكيف عاملها الإسلام؟

المرأة في المجتمع الجاهلي قبل الإسلام:

(١) كانت تعامل كالبهيمة أو أقل، فكانت تُباع وتُشترى، لا قيمة لها ولا وزن لها ولا حقوق لها.

(٢) وأحياناً كانت تدفن وهي حيّة، فقد كان الرجل يمتلأ غيظاً إذا رزقه الله بأنثى فينفر منها ويدفنها وهي حيّة بلا رحمة، كل ذلك خوفاً من حدوث العار له على يدي البنت، وقد سجل القرآن ذلك فقال (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ تَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) [النحل: ٥٨، ٥٩]، وأحياناً كانت البنت تظل بعد الولادة أعواماً، ثم يقتلها أبوها، حيث يقول لأمها زَيْنِهَا حتى تذهب معي في زيارة بعض الأقرباء، وفي الطريق يختلي بها ويقتلها في الجبال، أو يرميها في بئر فتغرق بلا ذنب، وكان هذا الفعل يُسمى وأد البنات قال تعالى: (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) [التكوير: ٨، ٩]، فسوف تُسأل الطفلة يوم القيامة لماذا قُتلت؟ فتقول: قُتلت بلا ذنب يا رب .

(٣) لا صداق لها عند الزواج، فالذي يأخذ صداقها هو وليها ولا يعطها شيئاً

(٤) تُورث ولا تَرث، فإذا مات زوجها أو أبوها أو أخوها أو ابنها، فالميراث للرجال الكبار فقط، ولا شيء لها، بل كانت تُورث أي تعتبر من ضمن التركة، فيرث الأخ جسد أخته بعد موت أبيه، والزوجة يرثها أخو الزوج أو أحد أقربائه فيأخذها إما يستمتع بها كالأمة وإما أن يبيعها.

هكذا كانت تعامل المرأة كالبهيمة تُورث وتباع وتُشترى، ولا حقوق لها ولا وزن لها إلى أن جاء الإسلام، فأعطاه حقوقاً لم تحلم بها أبداً، ومن ذلك ما يلي:

* أحيائها ومنع وأد البنات بل حثَّ على الإحسان إلى البنات والأخوات ففي صحيح مسلم عن أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه) وعن أبي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يكون لأحد ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات فيحسن إليهن، إلا دخل الجنة" أخرجه البخاري في الأدب المفرد وحسنه الألباني في (صحيح الأدب المفرد: ٥٩).

وعن جابر بن عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من كن له ثلاث بنات يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن وجبت له الجنة البتة قيل يا رسول الله فإن كانت اثنتين؟ قال: وإن كانت اثنتين قال: فرأى بعض القوم أن لو قالوا له: واحدة؟ لقال: واحدة) أخرجه أحمد وصححه الألباني في (السلسلة الصحيحة: ٢٦٧٩)

وفي رواية لأنس (من عال ابنتين أو ثلاث بنات أو أختين أو ثلاث أخوات حتى يمتن أو يموت عنهن كنت أنا وهو كهاتين وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى) أخرجه أحمد وصححه الألباني في (السلسلة الصحيحة: ٢٩٦) وعند الطبراني في معجمه الأوسط بلفظ (حتى يبين) وصححها الألباني في المصدر السابق ومعنى (يبين) يتزوجن قاله ابن الأثير في (النهاية في غريب الحديث والأثر: المجلد الأول في مادة/ بين) والاحاديث في ذلك كثيرة جداً فالإسلام أحيائها بعد أن كانت تدفن وهي على قيد الحياة وحث على إعالتها والإحسان إليها إلى أن تتزوج أو إلى أن تموت.

* جعل لها رأياً في الزواج كما سنذكره بعد قليل.

* جعل الصداق حقاً لها فقال: (وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً...) [النساء: ٤]

* جعلها ترث سواء كانت أمّاً أو بنتاً أو أختاً أو زوجة فقال تعالى: (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ...) [النساء: ١١] هذا في ميراث الأولاد، وقال: (وَلِأَبْوَابِهِمْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا

السُّدُسُ...) [النساء: ١١] وهذا في ميراث الأب والأم، وقال تعالى: (وَلَهْنَ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَوَلَدٌ...) [النساء: ١٢] وهذا في ميراث الزوجة، (وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ...) [النساء: ١٢] وهذا في ميراث الأخوة لأم فقط، وقال تعالى: (إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهِيَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَوَلَدٌ...) وهذا في ميراث الأخوة الأشقاء أو لأب، وترث أيضا الجدة وبنات الإبن كما هو مفصل في أحكام الموارث وهكذا ورث النساء ولم يجرهن من الميراث.

ثانيا: كيف كانت المرأة عند اليهود قبل الإسلام؟ وكيف عاملها الإسلام؟

* المرأة عندهم شرٌّ ففي (زكر: ٥ / ٧-٨) (وكانت امرأة جالسة في وسط الإيفة فقال الملاك هذه هي الشرُّ وطرح ثقل الرصاص على فمها).

* وفي (الايوبين: ١٢/٥-٥) (إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة أيام. وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين) وهذا هو التمييز العنصري فالمولود الذكر عندهم ينجس أمه سبعة أيام فقط أما البنت فتنجس أها أسبوعين !!!

* في (التثنية: ٢٥ / ١١-١٢) (إذا تخاصم رجلان بعضهما بعضاً رجل و أخوه و تقدمت امرأة احدهما لكي تخلص رجلها من يد ضاربه و مدت يديها و امسكت بعورته فاقطع يديها و لا تشفق عينك)

* كان اليهود لا يؤاكلون المرأة إذا حاضت ويعتزلونها نهائياً، ومنهم من كان يطردها من البيت، فتذهب عند أهلها حتى إذا طهرت من الحيض عادت إلى البيت، معتقدين أنها إذا حاضت صارت نجسة جسداً وروحاً وتنجس كل من يلمسها بل وتنجس كل ما تجلس عليه وتنجس كل من يلمسها وغيره من الأحكام المشددة وهذا ما نص عليه كتابهم المقدس في (سفر اللاويين: ١٥/١٩-٢٤) بل عندهم تُكْفَرُ الحائض عن حيضها بعد طهرها فتعطي يامتين للكاهن فيذبح واحدة ويحرق الأخرى تكفيراً عنها كما في: (سفر اللاويين: ١٥ / ٣٠) فكيف تُكفر عن حاجة تخرج منها دون إرادتها؟!!!

﴿ فجاء الإسلام وغيّر هذه المفاهيم ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (استوصوا بالنساء خيرا) ولم يقل إنها شر، وتطهر المرأة من الولادة حين ينقطع دم النفاس ولم يفرق بين المولود الذكر والأنثى، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل ويشرب مع السيدة عائشة رضي الله عنها وهي حائض، بل كان يشرب من موضع فيها، ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها (كنت أشرب وأنا حائض فأنا وله النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فاه على موضع فيّ فيشرب)، وكان يباشرها وهي حائض مجرد مباشرة فقط دون جماع؛ لأن الجماع مع الحائض حرام شرعاً، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت أغتسل أنا والنبي صلى الله عليه وسلم من إناء واحد، وكلانا جنب، وكان يأمرني فأترر - يعني تلبس الإزار الذي يغطي ما بين السرة إلى الركبة - فيباشرني وأنا حائض، وكان يخرج رأسه إليّ وهو معتكف فأغسله، وأنا حائض) كل هذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله مع السيدة عائشة أم المؤمنين وهي حائض، ولم يأنف منها، وانظر إلى هذا الحديث الذي خالف كل تزمّات اليهود عليهم لعنة الله، ففي سنن أبي داود والنسائي وصححه الألباني (ص: د: ٢٦٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نبيت في الشُّعار الواحد وأنا حائض طامث، فإن أصابه مني شيء غسل مكانه ولم يعُدّه، وإن أصاب صوبه منه شيء غسل مكانه ولم يعُدّه وصلى فيه).

ومعنى (الشُّعار) هو ما يلي الجسد من الثوب أي كان النبي صلى الله عليه وسلم ينام مع السيدة عائشة في الثوب الواحد دون أن تلبس إزاراً بل تنام معه في نفس الثوب، فإن أصاب النبي صلى الله عليه وسلم شيء من الدم غسل موضع الدم الذي أُصيب في جسده فقط ولم يتجاوز ذلك الموضع، وإن أصاب ثوبه شيء من الدم غسل موضع الدم من الثوب ولم يتجاوز ذلك الموضع، هكذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم لكي يعلمنا أن الحائض ليست نجسة، إنما النجس هو دم الحيض، وهذا هو التيسير في أسمى معانيه وتخفيف على المبتلى.

* وأما عن قوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ) [البقرة: ٢٢٢]، فهذه الآية ليس المراد منها الاعتزال التام في كل شيء، بل المراد الاعتزال في الجماع فقط، أما المباشرة والمؤاكلة وغيره فمباح، ويبين ذلك حديث مسلم عن أنس بن مالك قال: (إن اليهود كانت إذا حاضت منهن المرأة أخرجوها من البيت ولم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها في البيت (لم يخالطوها) فستل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله تعالى ذكره (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ) إلى آخر الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: جامعوهن في البيوت (يعني خالطوهن) واصنعوا كل شيء غير النكاح (المراد من النكاح هنا والجماع) فقالت اليهود: ما يريد هذا الرجل ألا يدع شيئاً من أمرنا إلا خالفنا فيه)، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكئ على حجري وأنا حائض، ثم يقرأ القرآن) لأن الحيض ليس في سائر جسدها بل في مكان صغير جدا بعيدا عنه.

ثالثا: المرأة ومكانتها عند النصارى، وكيف عاملها الإسلام؟

* ففي (مجمع اللاهوتيين) النصراني كانوا يبحثون هل المرأة جسد فقط أم جسد وروح؟ ثم قرروا أن المرأة جسد بلا روح إلا مريم بنت عمران، فإنها جسد وروح، أي لا قيمة للمرأة عندهم، لأنها بدون روح سوى مريم عليها السلام، فإن لها روحاً في جسدها،

* والإنجيل أهان المرأة في نصوص كثيرة منها ما يلي:

- وفي (مرقس: ٧/ ٢٧) أن المسيح قال للمرأة التي طلبت مساعدته: (دعي البنين أولا يشبعون لأنه ليس حسنا ان يؤخذ خبز البنين و يطرح للكلاب)
- في (رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: ١١ / ٧-٩) (الرجل لا ينبغي أن يُغطّي رأسه لكونه صورة الله ومجده وأما المرأة فهي مجد الرجل لأن الرجل لم يُخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل).
- في (رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: ١٤ / ٣٤-٣٥) (لتصمت نسأؤكم في الكنائس لأنه ليس مأدونا لهنّ أن يتكلّمن. بل يخضعن كما يقول

الثاموس أيضاً. ولكن إن كنَّ يردن أن يتعلمن شيئاً فليسألن رجالهنَّ في البيت. لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم في كنيسة).
- في (رسالة بولس الأولى إلى أهل: ١٢ / ٢) (و لكن لست آذن للمرأة ان تعلم ولا تتسلط على الرجل بل تكون في سكوت) يعني لا تعمل مدرسة ولا تتولى منصباً على الرجل.

* وفي عهد هنري الثامن أصدر البرلمان الإنجليزي قراراً يمنع المرأة من قراءة (العهد الجديد) وهو الإنجيل، وقالوا: لأنها نجسة.

*** أما الإسلام فقد كرمها وأرشدنا إلى أن الجميع من نفسٍ واحدة، فقال: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وخلق منها زوجها وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً) [النساء: ١]، فهي جسد وروح كالرجل تماماً؛ لأن الكل خلق من نفسٍ واحدة، ولذلك قال: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) [الإسراء: ٧٠]، والمرأة في الإسلام تقرأ القرآن الكريم وتذهب إلى المساجد وتتكلم لتتعلم من العلماء كالرجل تماماً.

* مسألة مهمة إلى عامة الأمة: يجوز في الإسلام على الراجح من أقوال العلماء أن يقرأ كلاً من الحائض والنفساء والجنب القرآن، وأن يمسوا المصحف ولا حرج ولكن يكره فقط، فقد كان ابن عباس لا يرى بأساً في أن يقرأ الجنب والحائض القرآن كما ذكره البخاري معلقاً في صحيحه، وكذلك كان يرى كثير من السلف جواز قراءة الجنب والحائض للقرآن وجواز مسِّها له وهو ما رجحه الألباني راجع (تمام المنة ص ١١٦) وهو قول البخاري والطبري وابن المنذر ذكره عنهم ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري في شرح حديث: ٣٠٥٩)

وأما عن قوله تعالى: (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) [الواقعة: ٧٩]، فالمقصود بالمطهرين الملائكة؛ لأنه قال: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الواقعة: ٧٧-٨٠]، والكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ، وهذا لا يمسُّه إلا الملائكة، أيضاً المؤمن لا ينجس ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال النبي صلى الله

عليه وسلم: (سبحان الله إن المؤمن لا ينجس)، وقال تعالى: (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ....)[التوبة: ٢٨] وبالمفهوم المخالف إذا كان المشركون نجسًا فالموحدون طاهرون.

وأما عن حديث عمرو بن حزم أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل اليمن كتابا وفيه (لا يمس القرآن إلا طاهر) رواه الأثرم والدارقطني متصلا واحتج به أحمد وهو عند مالك في الموطأ مرسلا، وصححه الألباني: (إرواء الغليل: ١٢٢) لكن الألباني قال في تمام المنة {أن المراد بالطاهر في هذا الحديث هو المؤمن سواء أكان محدثا حدثا أكبر أو أصغر أو حائضا أو على بدنه نجاسة لقوله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن لا ينجس" وهو متفق على صحته والمراد عدم تمكين المشرك من مسه فهو كحديث: "نهى عن السفر بالقرآن إلى أرض العدو" متفق عليه {تمام المنة: ١٠٧} فكلمة الطاهر لفظ مشترك يطلق على الطاهر من الحدث الأكبر والطاهر من الحدث الأصغر ويطلق على المؤمن وعلى من ليس على بدنه نجاسة ولا بد لحمل اللفظ على معنى معين من قرينة. وقال الألباني أيضا {والبراءة الأصلية مع الذين قالوا بجواز مس القرآن من المسلم الجنب وليس في الباب نقل صحيح يجيز الخروج عنها} (تمام المنة: 116)

قلت: وقال الشوكاني {قال البيهقي: وصح عن عمر أنه كان يكره أن يقرأ القرآن وهو جنب وساقه عنه في الخلافات بإسناد صحيح} (نيل الأوطار: ج ١/ص ٢٨٥) ومال الشوكاني إلى هذا القول في (المصدر السابق ص ٢٨٤)

وأما حديث علي: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من الخلاء فيقرئنا القرآن ويأكل معنا اللحم ولم يكن يحجبه أو يحجزه عن القرآن شيء ليس الجنابة) رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه نحوه حديث ضعيف راجع (الإرواء: ٤٨٥).

وكذلك حديث (لا يقرأ الجنب ولا الحائض شيئا من القرآن)^(١)، وحديث (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئنا القرآن على كل حال ما لم يكن جنباً)^(٢) فهذه أحاديث أسانيد غير صحيحة ولا نأخذ إلا بالسند الصحيح

(١) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر، وقال الألباني (منكر)، (الإرواء: ١٩٢)، (المشكاة: ٤٦١)، (ص: ج: ٦٣٦٤).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث عليّ وضعفه الألباني (المشكاة: ٤٦٠)، وفي ضعيف ابن ماجه بلفظ: (كان لا يحجبه أو يحجزه عن القرآن شيء إلا الجنابة).

وبغني عن كل الأحاديث الضعيفة في هذا الموضوع حديث السيدة عائشة في صحيح مسلم (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه).

ولكن يُكره فقط ففي الحديث عن المهاجر بن قنفذ أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول ، فسلم عليه ، فلم يرد عليه حتى توضأ ، ثم اعتذر إليه فقال: " إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهر أو قال : على طهارة " رواه أبو داود وصححه الألباني (سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٨٣٤) ثم قال: {لما كان " السلام " اسماً من أسماء الله تعالى كره النبي صلى الله عليه وسلم أن يذكره إلا على طهارة ، فدل ذلك على أن تلاوة القرآن بغير طهارة مكروه من باب أولى ، فلا ينبغي إطلاق القول بجواز قراءته للمحدث كما يفعل بعض إخواننا من أهل الحديث} يعني جائز لكن مع الكراهة.

وكذلك يكره فقط مس المصحف لغير كامل الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر فعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص أنه قال : (كنت أمسك المصحف على سعد بن أبي وقاص فأحتككت فقال سعد : لعلك مسست ذكرك ؟ قال : فقلت : نعم فقال : قم فتوضأ ففقت فتوضأت ثم رجعت) رواه مالك (١ / ٤٢ رقم ٥٩) وعنه البيهقي . قال الألباني سنده صحيح (الإرواء: تحت حديث رقم ١٢٢) فمس الذكر ينقض الوضوء كما هو مشهور بين الأمة.

ولللخروج من خلاف العلماء تمسك الحائض الجنب المصحف داخل شيء طاهر ولا يتم الملامسة باليد مباشرة بل بحائل كقطعة قماش أو ورق. واليوم قد لا نحتاج إلى هذا الخلاف لأن الحائض أو الجنب لهما أن يقرأ القرآن من الأجهزة كتليفون المحمول والتابلت..... ولا حرج فهو ليس مصحفاً.

رابعاً: المرأة في المجتمعات الغربية:

* في سنة ٥٨٦م عقد الفرنسيون مؤتمراً للبحث في شأن المرأة هل لها روح أم لا؟ وإذا كان لها روح، هل هي روح إنسان أم حيوان؟ وبعد البحث قرروا أن المرأة إنسان، لكنها خلقت لخدمة الرجل فقط.

* وفي سنة (١٨٠٥م) صدر القانون الإنجليزي بإباحة وبيع الرجل زوجته وحددوا الثمن وهو ست سنتات.

- ولذلك لما اختصم رجل وزوجته في حضانة الولد حكم النبي صلى الله عليه وسلم بحضانته لأمه ففي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن امرأة قالت: يا رسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاء وثديي له سقاء، وحجري له حواء، وإن أباه طلقني، وأراد أن ينتزعه مني، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنت أحق به ما لم تَنكِحِي)^(١).

- بل إن الإسلام جعل أقرب طريق إلى الجنة طريق بر الوالدين وخاصة الأم ففي الحديث عن معاوية بن جَاهِمَةَ قال: جاء جَاهِمَةُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: (يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك قال: هل لك من أم؟ قال: نعم، قال: فالزمها فإن الجنة عند رجلها)^(٢).

* وكَرَّمَهَا كزوجة ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (استوصوا بالنساء خيراً فإنهن خُلِقن من ضلعٍ وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً)، والمراد بالكسر هنا انفكاك الأسرة بالطلاق، لذلك أوصى باللين والرفق بالزوجة، فأوصانا خيراً بالنساء حتى لا تتفكك الأسرة، وفي الصحيحين عن أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ارفق يا أنجشة ويحك بالقوارير) يعني النساء، وأنجشة غلام النبي صلى الله عليه وسلم.

* وكَرَّمَهَا كبنت وأخت وحثَّ على الاعتناء بها، ففي صحيح مسلم من عن أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه)، والجارية لفظ عام يشمل البنت والأخت، ويؤيده لفظ ابن حبان (من

(١) حسنه الألباني (ص: أبي داود/ ١٩٦٨).

(٢) - أخرج ابن ماجه والنسائي وعند الطبراني (ألك والدان قلت: نعم، قال: الزمها فإن الجنة تحت أرجلها)، وصححه الألباني رحمه الله (ص: الترغيب: ٢٤٨٥).

* ملحوظة: حديث (الجنة تحت أقدام الأمهات) لا أصل له قاله الألباني (س: ض: ٥٩٣).

عال ابنتين أو ثلاثاً أو أختين أو ثلاثاً حتى يبين - يعني يتزوجن - أو يموت عنهن كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وأشار بإصبعيه السبابة والتي تليها) وسبق الكلام على هذا الحديث قبل قليل.

* لا فرق بين تكريم الرجل والمرأة لعموم قوله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ) [الإسراء: ٧٠]،

وإذا كانت المرأة تعمل من الصالحات أكثر من الرجل فلها ثواب أعظم من الرجل (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) [فصلت: ٤٦].

* عباد الله المرأة في الإسلام لها حقوق كثيرة سنذكر أمثلة منها:

أولاً: حقوقها في أمور الزواج: لها عدة حقوق نذكر منها ما يلي:

(١) لا يتم تزويجها إلا بموافقتها: ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا تُنكح الأيم حتى تُستأمر، ولا تنكح البكر حتى تُستأذن، قالوا: يا رسول الله وكيف إذنها؟ قال: أن تسكت) يعني تسكت خجلاً لأنها لو غير موافقة ستصرح بالرفض، فلا يجوز لرجل أن يزوج ابنته لأحد لا ترضاه سواء كانت بكرًا أو ثيبًا، فإنها لا تُجبر على الزواج، وإذا أجبرها فلها الخيار بين الفسخ أو استمرار الزواج، ففي الحديث عن ابن عباس قال: (أن جارية بكرًا أتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له أن أباه زوجها وهي كارهة فخيرها النبي صلى الله عليه وسلم)^(١)، أي خيرها بين إمضاء النكاح أو فسخه، وفي صحيح البخاري عن الخنساء بنت خدام (أن أباه زوجها أبوها وهي ثيب فكرهت ذلك فرد رسول الله { صلى الله عليه وسلم { نكاحه) وهذا كله تأكيد على حرية النساء في الإسلام.

(٢) الصداق حق لها: فلا يجوز لولي أمرها أن يأخذ صداقها كما كان يحدث في

الجاهلية، فالصداق (المهر) حق لها، قال تعالى: (وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ

(١) أخرجه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني في (ص: أبي داود/ ١٨٢٧).

لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا) [النساء: ٤]، أي أعطوهم الصداق، فإن تنازلن عن شيءٍ منه لأزواجهن دون إجبار منهن فلا حرج في ذلك، ويأكل الزوج ما تنازلت عنه الزوجة بطيب النفس.

(٣) الخُلْعُ: فكما أن الرجل يحق له أن يُنهي العلاقة الزوجية بالطلاق حينما يكره خُلُقَ الزوجة، فكذلك من عدالة الإسلام أن شرَّع الخُلْعَ للمرأة، فإذا كرهت خُلُقَ زوجها، وأرادت أن تُنهي الحياة الزوجية، فلها أن تطلب الخُلْعَ وهو الطلاق بعوض، ولا يجوز أن يطلب الزوج أكثر مما أعطى، وبمعنى آخر تتنازل الزوجة عن صداقها كله، ويطلقها الزوج طليقة واحدة، ولا يملك مراجعتها إلا بعقدٍ جديد وبصداقٍ جديد، وذلك بعد رضاها، ففي القرآن (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [البقرة: ٢٢٩]، وفي صحيح البخاري عن ابن عباس أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكنني أكره الكفر في الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أترددين عليه حديقته؟ قالت: نعم، قال رسول الله: اقبل الحديقة طلقها تطليقة، ومعنى (أكره الكفر في الإسلام) أخشى كفران العشير بسبب بغضي له، وأخشى الوقوع في أخلاق الكفار بسبب كراهيتي له مثل النشور وغير ذلك.

ولا يحق للزوج أن يطالب بزيادة عما دفعه من مهرٍ لكي يفارقها بالخُلْعَ فالنبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الزيادة، ففي رواية ابن ماجه (فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذ منها حديقته ولا يزداد)^(١)، وعند البيهقي (أترددين عليه حديقته؟ قالت: نعم وزيادة، فقال: أما الزيادة فلا)^(٢).

(١) صحيح كما في (ص: ابن ماجه/ ١٦٧٣).

(٢) صححه الألباني بمجموع الروايات في (إرواء الغليل ج ٧ ص ١٠٤).

(٤) الزوج مُكَلَّفٌ بِإِطْعَامِهَا وَكِسْوَتِهَا وَمَعَاشِرَتِهَا بِالْمَعْرُوفِ: قال تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) [النساء: ١٩]، وعن معاوية بن حَيْدَةَ قال: قلت: يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه، قال: أَنْ تُطْعَمَ إِذَا طَعِمْتَ وَتَكْسُوَ إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلَا تَضْرِبَ الْوَجْهَ وَلَا تُقَبِّحَ وَلَا تَهْجُرَ إِلَّا فِي الْبَيْتِ^(١).

ثانياً: المرأة والميراث:

الإسلام جعل لها حقاً في الميراث كما ذكرناه منذ قليل فالمرأة ترث سواء كانت أما أو بنتاً أو بنت ابن أو أختاً شقيقة أو لأب أو لأم أو جدة أو زوجة، ويكون نصيبها حسب درجة قرابتها للميت وحسب حالها مع الذكور، وقد ترث أقل من الرجل أو تتساوى معه أو تزيد عليه في الميراث.

وهناك شبهة يتكلم عليها العلمانيون ومضمونها أن الإسلام ظلمها حين ورثها نصف الرجل؛ وسنجيب عنها بعد صفحات ضمن الرد على شبهات حول حقوق المرأة في الإسلام.

ثالثاً: المرأة والشورى:

* قال تعالى: (وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) [الشورى: ٣٨]، فأثنى على المؤمنين الصادقين بأنهم يستشيرون بعضهم في أمورهم، وهذا يشمل الرجل والمرأة.

* ولقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) [آل عمران: ١٥٩]، ولم يحدد له المستشار رجلاً أو امرأة، ولقد استشار النبي صلى الله عليه وسلم زوجته أم سلمة ففي صحيح البخاري حديث المسور بن مخرمة، وهو حديث طويل في قصة صلح الحديبية، وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا، قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يبق منهم أحد دخل على أم سلمة،

(١) أخرجه أبو داود وابن حبان وصححه الألباني في: (ص: د/ ١٩٢٩).

فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك اخرج، ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَكَ وتدعو حالِقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك نحر بُدْنَه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يلحق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمًّا) فالصحابه كانوا يرون في شروط الصلح إجحافاً وظلماً وتقيصاً بالمسلمين لذلك كانوا يريدون الحرب ولا يريدون الصلح، فانظر إلى حكمة المرأة الرشيدة كيف عاجلت تقاعسهم عن تنفيذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم،

وأما حديث (شاوروهن وخالفوهن) فلا أصل له ومُفترى علي النبي (عليه الصلاة والسلام)^(١).

رابعاً: المرأة والحقوق السياسية:

فقد أعطها الإسلام عدة حقوق سياسية ومنها:

(١) أن تُجِيرَ على المسلمين كما فعلت أم هانئ بنت عم النبي صلى الله عليه وسلم، ففي الصحيحين أن أم هانئ قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: (إن ابن أُمي علي (أخوها علي بن أبي طالب) زعم أنه قاتل رجلاً أجزته فلان بن هُبَيْرَة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد أجزنا من أجزت يا أم هانئ).

(٢) يجوز لها الجهاد مع المسلمين، فقد خرج نساء كثيرات مجاهدات في سبيل الله عز وجل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخلفاء من بعده، فقد كن يخرجن مع الجيش لتمريض الجرحى، ولسقي العطاش، وكن يحملن السلاح في الحرب أحياناً كما فعلت نُسَيْبَةُ بنت كعب التي كانت من ضمن العشرة الذين دافعوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد حينما انصرف المسلمون عنه، وأقبل عليه المشركون وأُصِيبَتْ بجرحٍ كبير .

(١) قاله الألباني في (س: ض: ٤٣٠).

* لكن لا تتولى المرأة الرئاسة ففي الحديث (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة)^(١)، وبالقياس لا تتولى المناصب القيادية في الدولة أيضا ، ولعموم قوله تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) [النساء: ٣٤]

فالرجال يتولون الرئاسة والمناصب القيادية ويستشيرونها كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم.

خامسا: المرأة والإفتاء:

* فقد أجاز لها الإسلام أن تتولى الإفتاء، فقد كانت أمهات المؤمنين يُعتنن لصحابة النبي صلى الله عليه وسلم، كالسيدة عائشة وأم سلمة وجويرية.....

* لكن لا تتولى القضاء لأنها عطوفة وقد تُحْكَم عاطفتها عند الفصل بين الحكّمين، كذلك تعترها أمور تتناقى مع هذا المنصب كالحيض والحمل والولادة والمرأة لا تكون طبيعية في فترة الحيض والحمل وبعد الولادة، أما الإفتاء فيجوز لأنه مجرد رأي دون إلزام.

سادسا: المرأة والثواب:

فالثواب للرجل والمرأة معًا، ولا تفضيل بينهم إلا بالعمل الصالح

* قال تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ) [آل عمران: ١٩٥]، (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) [النساء: ١٢٤].

* وفي سنن الترمذي وصححه الألباني في (ص. الترمذي: ٢٥٦٥) عن أم عُمارة الأنصارية (نُسَيْبَةُ بنت كعب) أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يُذكرن بشيء، فنزلت الآية (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ

(١) أخرجه البخاري من رواية أبي بكرة.

وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ
وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ
وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً
وَأَجْرًا عَظِيمًا [الأحزاب: ٣٥].

شبهات واهية وردود شافية كافية حول حقوق المرأة في الإسلام

الشبهة الأولى: شبهة زواج الرجل بأربعة نساء:

قالوا إن الإسلام ظلم المرأة حين أباح للرجل أن يتزوج بأربع نساء، مع أن الله خلق لآدم زوجة واحدة وهي حواء. **ويجاب عنها بأمرين:**

الأمر الأول: أن الإسلام لم يجبر أحداً على تعدد الزوجات بل إنه لم يجبر أحداً على الزواج أصلاً، وأما آدم فكان في الجنة في نعيم ولم ينقصه سوى الأنس بشخص من جنسه فخلق الله له حواء، ولم يطلب آدم المزيد فهل طلب ولم يعطه الله؟ أيضاً دواعي تعدد الزوجات لم تكن موجودة عنده لأنه كان في الجنة أصلاً بل نلاحظ أنه لم ينجب في الجنة أيضاً، بل وُجدت الدواعي بعدما نزل إلى الأرض وكثر النسل، والقرآن لم يبتدع إباحة التعدد بل كان موجوداً في الأمم السابقة وفعله كثير من الرسل راجع: [سفر الملوك الأول: ٣/١١] [سفر صموئيل الثاني: ١/٣-٥] [التكوين: اصحاح/٢٩، ٣٠] [التكوين: اصحاح/٢٥]

الأمر الثاني: إن الإسلام أباح ذلك للرجل لأسبابٍ وحِكَمٍ عديدة منها:

أولاً: عدد النساء كثيرٌ جداً:

والواقع خير شاهد على ذلك، فعدد النساء يتفوق على عدد الرجال بأكثر من خمسة أضعاف، فالرجل يقابله خمسُ نساء، ويتزايد عدد النساء في فترة الحروب حيث تُقتل الرجال وتبقى النساء، وحين تشتد الحروب يُقتل الملايين من الرجال كما حدث في الحرب العالمية الأولى والثانية، فقد قُتل عشرات الملايين من الرجال، وأصيب عشرات الملايين من الرجال أيضاً بإصابات تؤدي إلى العجز، وهنا أصبح في المجتمع مئات الملايين من النساء في محطة العوانس ينتظرن قطارَ الزواج، وهذه خطورة كبيرة على المجتمع ولذلك إنتشرت الفواحش وانتشرت الأمراض الخبيثة في المجتمع، والإنسان لا يرضى بالعنوسة لأخته أو لإبنته، لذلك شرع الإسلام للرجل أن يتزوج بأربع نساء، فما

هو الأفضل للمرأة أن تستمتع بالزواج مع رجلٍ متزوجٍ أم تظل عانساً، ومُعْرَضَةً للذئاب البشرية؟ خاصة وقد كثرت الفتن في جميع بلدان العالم، إلا من رحم ربي سبحانه وتعالى، فتعدد الزوجات جاء رحمةً للمرأة، ولرفع الحرج عنها وعن الرجل في آنٍ واحد قال تعالى: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) [الحج: ٧٨].

* وهنا يرد سؤال: لماذا لم يباح للرجل أكثر من أربعة مع أن عدد النساء يزيد على عدد الرجاء بأكثر من خمسة أضعاف؟

الجواب لأن الزيادة على أربع زوجات يضر المرأة، فهي لا تصبر على فراق الرجل أكثر من ثلاث ليالٍ أو أربعة أيام، وهذا كله من عدل الإسلام، فكما أنه راعى حقوق الرجل راعى أيضاً حقوق المرأة بإتزانٍ

ثانياً: أعمار المرأة كثيرة:

فكلنا نعلم أن المرأة يحدث لها أعمار كثيرة تمنع من الجماع مثل الحيض الذي أحياناً يستمر إلى خمسة عشر يوماً، والنفاس الذي يحدث بعد الولادة، ويستمر غالباً إلى أربعين يوماً، حتى وإن طهرت قبل الأربعين يَنْصَحُ الطبيب والعلماء بمنع الجماع قبل انصرام أربعين يوماً.

وهناك أعمار تجعل استعداد المرأة للعملية الجنسية ضعيفاً جداً مثل الحمل، والذي يستمر إلى تسعة أشهر غالباً، وكثيراً ما يمنع الطبيب الزوج من جماع زوجته أثناء فترة الحمل خوفاً على الجنين وصحته، وكذلك في فترة الوضع والنقاهة بعد الحمل، وفترة الرضاع، ويستمر ذلك شهراً وأحياناً يتجاوز العام كله وتكون المرأة فيها مرهقة وغير مستعدة جيداً للجماع، وهذا كله يجعل الرجل في حرج شديد، فيما أن ينظر إلى زميلاته في العمل المتزينات، أو اللاتي يسرن في الطرقات وهذا حرام، وإما أن يتزوج ويعدد الزوجات لعلاج هذه الظروف ورفع الحرج عنه، فشرع الله تعدد الزوجات لرفع الحرج عن الرجل ورحمةً للمرأة، ففيه تعاون بين الزوجات، فغير الحامل تعاون الحامل

والمرضعة، والصحيحة تعاون المريضة... قال تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) [البقرة: ١٨٥].

فإذا لم يتزوج الرجل بإثنتين أو ثلاث، وظل مع زوجة واحدة، أصبح مقيداً بها، واشتد عليه العنت إذا حاضت حاض معها، وإذا نفست نفس معها، وإذا مرضت مرض معها، وإذا وكدت وكد معها، ولقد رأينا وسمعنا كثيراً عن وقوع الفواحش بين بعض طوائف المجتمع بسبب القيد بزوجة واحدة، فسبحان الله أحل الله لهم الحلال، فلما هربوا من الحلال، وقعوا في الحرام.

ثالثاً: قوة الجماع عند الرجل غالباً أو أحياناً تكون أقوى من المرأة:

فغالباً أو أحياناً يكون الرجل لديه قوة على الجماع أكبر من المرأة، ويحتاج إلى إشباع غريزته الجنسية، وهذا يحدث كثيراً عند العرب، وخاصة البدو منهم لا يكفيه واحدة، وإذا ألزمنه بواحدة ومنعاه من تعدد الزوجات وقع في الحرج، ونظر إلى الحرام واشتاق إليه، لذلك أباح الإسلام له أن يشبع رغبته، ولكن بطرق الحلال، والتي يرضاها الناس عامةً وهو تعدد الزوجات وهذا ما كان يفعله العرب قبل الإسلام بل كانوا يعددون الزوجات فوق العشر فلما جاء الإسلام حرم عليهم تعدد الزوجات فوق الأربع حتى لا تقع المرأة في العنت إذا طال انتظار نوبتها.

رابعاً: لحل مشاكل الأسرة:

فتعدد في الزوجات ينفع في حل مشاكل الأسرة غالباً، بدلاً من استخدام الطلاق الذي يتسبب في تصدع الأسرة، وتشريد الأولاد وغير ذلك من الأضرار، وإليك بعض الأمثلة فبالمثال يتضح المقال:

(١) أحياناً يحدث للزوجة مرض مزمن والعياذ بالله، وبعض الأمراض لا يصلح معها الجماع، وهنا يقع الرجل في الحرج، ولو منعاه من تعدد الزوجات لاضطر إلى الطلاق؛ لكي يتزوج غيرها، ولو طلق الرجل حُرِّمَت المرأة من الوجود في عصمة رجل

تحتمي به، لأنه لن يرضى بها أحد، ومن ثمَّ يكون التعدد أصلح للأسرة من التصدع والإنهيار، وخاصة إذا كان بينهما أولادٌ، حتى لا يضيعوا بعد فراق الرجل لزوجته، ومهما كانت الأم مريضة، فهي خير لهم من زوجة الأب، وهذا لا يخفى على أحد، وهذه الحالة تحدث كثيرًا في المجتمع، وخاصةً في ظل انتشار الأمراض الخبيثة كمرض السكر والكبد وأمراض الكلى والسرطان والعياذ بالله، والزوجة الجديدة قد تساعد القديمة المريضة وهكذا.

(٢) قد يكتشف الرجل بعد زواجه بأشهر أن زوجته عقيم، والإنسان جُبِلَ على حب المال والولد كما قال تعالى: (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) [الكهف: ٤٦] والناس يعايدون الرجل الذي لم يُنجب وفي المثال العربي: (الذي أنجب لم يمت) فلو منعنا الرجل من التعدد لاضطر إلى تطليق زوجته العقيم، ليتزوج بأخرى صالحة للحمل.

* **قصة حقيقية** ذهبت الزوجة وخطبت لزوجها امرأةً أخرى؛ لأنها لم تُنجب وسبحان الله بعدما تزوج الزوجة الثانية، والتي خطبتها له زوجته الأولى أنجبت الزوجة الأولى والثانية في نفس العام؛ لأن الأولى رضيت بقضاء الله وحُكمه، وهو أحكم الحاكمين فشفاهها الله وجعلها تُنجب مع الثانية في نفس العام قال تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) [فصلت: ٥٣].

* وأيضًا لا ننسى أن مثل هذا حدث مع سيدنا إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم، فقد كانت زوجته سارة عقيمًا، وبعدها تجاوز الثمانين من عمره قالت له زوجته سارة: ادخل على أمّتي هذه، عسى أن يرزقك الله منها الولد، فدخل عليها ورزقه الله منها إسماعيل الجد الأكبر لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، وبعد ذلك بشرت الملائكة سارة بالإنجاب، وولدت إسحاق وهو جد أنبياء بني إسرائيل.

(٣) قد تكون الزوجة بها بعض العيوب مثل العصبية الشديدة والنرفزة وهذا لا يطيقه الرجل، ولو منعناه من التعدد لاضطر إلى طلاقها، وغالبًا لا يرضى أحد بالزوجة

التيب، فالكل غالباً يريد بكرةً، فأباح له الإسلام التعدد في الزوجات، حتى إذا لم يسترح مع إحداهن استراح مع الأخرى، ولا يفكر في الطلاق حفاظاً على كيان الأسرة خاصة لو كان بينها أولاد.

ملحوظة: إذا قالوا إن الرجل أحياناً يكون مُبتلى بهذه العيوب فيكون شديد العصبيّة أو عقيباً أو يبتلى بمرض شديد يصعب معه الجماع فماذا تفعل الزوجة؟ نقول لهم قد جعل الإسلام لها مخرجاً وهو الخلع كما سبق بيانه منذ صفحات.

خامساً: حل بعض مشاكل المجتمع بتعدد الزوجات:

تعدد الزوجات يؤدي إلى حل مشاكل كثيرة في المجتمع، وإليك أمثلة:

(١) إذا تُوفي الرجل وترك زوجة وأولاداً منها تصبح زوجته أرملة وأولاده يتامى ولا يرضى أحد في المجتمع بزواج الأرملة، وخاصة إذا كان معها أولاد، فأباح الإسلام التعدد، حتى يتزوجها رجل، ويضمها إلى زوجته الأولى أو زوجاته الثلاثة، فيعفها بدلاً من أن تكون قصعة للذئاب، وفي نفس الوقت يرعى الأيتام، والإسلام حث على رعاية الأرملة واليتيم، ففي صحيح البخاري عن أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله قال أنس: أحسبه قال كالقائم لا يَفْترُ والصائم لا يُفْطِر) وفي الحديث أيضاً (أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وأشار بالسبابة والوسطى)^(١).

(٢) أحياناً توجد امرأة بسيطة الجمال، ولا يرغب فيها أحد، فالأفضل لها أن تستمتع بالزواج مع رجل متزوج خير لها من أن تظل عانساً فتفكر في الحرام.

(٣) قد يموت رجل ويترك زوجته وأولاده فيخشى أخوه المتزوج على أولاد أخيه اليتامى خاصة لو فيهم بنات، فيتزوج زوجة أخيه، ليرعى أولاد أخيه مع أولاده أمام عينه خوفاً عليهم، فالعم أحنُّ على الأولاد وأولى بهم من زوج الأمّ.

(١) أخرجه البخاري من حديث سهل بن سعد، وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة.

سادسا: تعدد زوجات أحيانا نحتاج إليه لجلب مصلحة أولدرء مفسدة:

فقد نحتاج إليه لجلب مصالح مهمة أو لدرء مفاسد كبيرة، وإليك أمثلة:

(١) توطيد العلاقة مع الأحباب والشركاء، فإذا كان الرجل متزوجاً، وأراد أن يوطد العلاقة مع شريكه، فقد يحتاج إلى الزواج من ابنته أو أخته.....، حتى تتوطد العلاقة، وهذا ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم مع أهم أصحابه، فوطد العلاقة بينه وبين أبي بكر بزواجه من ابنته عائشة، ووطد العلاقة بينه وبين عمر بن الخطاب بزواجه من ابنته حفصة، ووطد العلاقة بينه وبين عليٍّ، فزوجه ابنته فاطمة، ووطد العلاقة بينه وبين عثمان، فزوجه ابنته رقية، فلما ماتت زوجته ابنته أم كلثوم، ولما ماتت قال له: لو كانت عندنا الثالثة لزوجتاكها، وحتى يستطيع كل منهم أن يدخل بيت النبي (صلى الله عليه وسلم) بحرية لوجود صفة محرمة.

(٢) إذا كانت عند الرجل ابنة ولم يثق في كل من يتقدم لخطبتها، ويثق في رجل صالح لكنه متزوج، وكما يقولون اختر لابنتك ولا تختار لابنك فلو منعنا التعدد لحدث الحرج والإسلام جاء لرفع الحرج فأباح التعدد رحمة الرجل والمرأة.

(٣) إذا وقعت نزاعات وخلافات بين بعض المسلمين أو المسلمين واليهود أو المسلمين والنصارى، فيمكن أن يتزوج زعيم من زعماء المسلمين ابنة زعيم الخصم الآخر إن أمكن ذلك، حتى يؤلف قلبه على الإسلام، ويخفف من غلظته تجاه المسلمين، فيكون التعدد فيه مصلحة لأمة من المسلمين، وهذا ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم حين تزوج بأم حبيبة بنت أبي سفيان؛ لكي يخفف من عداوته تجاه المسلمين، فكانت مصلحة سياسية ودرء لمفاسد عن المسلمين.

سابعا: التعدد في الزوجات يرفع الحرج عن الرجل والمرأة:

ونضرب مثلاً لذلك فلو كان الرجل متزوجاً، وفي ظل ظروف معينة أحب امرأة لأخلاقها أو لجملها كما يحدث مع كثير من الناس، وكذلك أحبته المرأة، وهنا ليس أمامها

إلا الوقوع في الحرام أو الزواج بالحلال، ودفعاً للحرج لأباح للإسلام التعدد، فيتزوجها الرجل، وتكون المرأة زوجةً ثانيةً له، ومن ثمَّ يصبح التعدد كله سعادة للرجل والمرأة كما لا يخفى ذلك على أحد.

وفيه تعاون بين الزوجات، فغير الحامل تعاون الحامل والمرضة، والصحيحة تعاون المريضة وهكذا.

ثامنا: عدد مرات الإنجاب:

فترة الخصيب عند المرأة غالبًا تتوقف عند سن الخمسين، وبعد ذلك تنقطع الدورة الشهرية، ولا يمكن الحمل للمرأة عندئذٍ، أما عند الرجل فيمكن أن يُنجب حتى بعد سن الثمانين، وفي تلك الفترة قد يحتاج الرجل إلى الإنجاب مرات أخرى، خاصةً إذا كان أول إنجاب تأخر أعوامًا لسبب ما، والإنسان جُبِلَ على حُبِّ الأولاد لذلك قال تعالى: (زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ... [آل عمران: ١٤])، (الْهَالِ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) [الكهف: ٤٦] ولو منعنا تعدد زوجات لا اضطر إلى تطلق الأولى، فأباح الإسلام تعدد الزوجات.

تاسعا: التعدد في الزوجات يفيد في كثرة النسل عموماً:

وكثرة النسل فيه عزة للأمة أمام أعدائها ومنعة لها من عدوها، قال تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) [الأنفال: ٦٠]، خاصةً وأن المرأة تحمل مرةً واحدةً في العام، وتمكث ترضع وتنفطم، ثم تحمل ثانية، والتعدد في الزوجات يجعل هناك تعاون بينهما في مراعاة ظروفهن.

وقد حثَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النسل فقال: (تزوجوا الولود الودود، فإني مكاثرٌ بكم الأمم يوم القيامة)^(١).

مقارنة: لك أيها القارئ أن تقارن حدث النبي صلى الله عليه وسلم والذي فيه الحث على النسل بما قاله الإنجيل ففي (متى: ١٩/١٢) (يوجد خصيان خصوا انفسهم لاجل ملكوت السماوات من استطاع ان يقبل فليقبل) أليست هذه دعوة للإختصاص وبالتالي فهي دعوة لإفناء النوع البشري.

* وأما عن رزق الأولاد: فاعلم هداي الله وإياك إن الرزق مضمون عند الله تعالى فقال: (نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ) [الإسراء: ٣١]، فقدّم رزقهم على رزق الآباء.

والرزق مضمون دائماً قال تعالى: (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) [الذاريات: ٢٢]، وربك يرزق المسلم والكافر بغير حساب قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [آل عمران: ٣٧].

وأقولها صراحةً لمن يريد تحديد النسل خوفاً من النفقة على الأولاد إنك لا تدري هل ستكون في المستقبل غنياً أو فقيراً، فإنك لا تعلم الغيب قال تعالى: (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا) [لقمان: ٣٤]، (فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ) [يونس: ٢٠].

فالرزق في علم الغيب ولا يعلمه إلا الله تعالى، فقد تصبح غنياً لأوهن الأسباب، قال تعالى: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) [الطلاق: ٢-٣]، (سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) [الطلاق: ٧]، (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) [الطلاق: ٤].

* وإليك أمثلة وقعت بالفعل:

(١) أخرجه أحمد في مسنده، والطبراني في معجمه الكبير، من رواية أنس وصححه الألباني (الإرواء: ١٧٨٤).

* كانت دول الخليج جميعاً فقراء ورعاةً للشاة والغنم، فجعلها الله أغنى الأمم لأسباب لم تكن في الحسبان، حيث جعل أراضيهم غنية بالبتروال والكنوز الكثيرة.

* أحد الصيادين رمى شبكته في البحر، ولما أخرجها وجد فيها ثلاثة تماثيل أثرية فرعونية ذهبية، وهذه التماثيل عرضت للبيع بعشرات الملايين من الجنيهات، وكما قال تعالى: (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا) [لقمان: ٣٤].

* اشترى رجل فائزة قديمة من سوق الخردة بثلاثة جنيهات ونصف وبعد أشهر اكتشف أن الفائزة أثرية واكتشف أن زخارفها النحاسية هي زخارف ذهبية وباعها بسبعين ألف جنيه، والله يرزق من يشاء بغير حساب.

* حاتم بن الأصم أراد الحج، فتعلق به أولاده، وقالوا له: تتركنا لمن؟ فقالت ابنة منهم: دعوه يذهب إلى طاعة الله، فإنه أكَّال وليس برزاق، فإن مات الأكال فإن الرزاق حي لا يموت، فجمع حاتم المال والطعام، وسافر إلى الحج، وبات الأولاد جوعاً فأخذوا يوبِّخون البيت، فرفعت يدها إلى الله، وقالت: ربي لا تحجلني فيهم، وفي الصباح مرَّ أمير البلدة ومعه المعسكر، فقال: أنا عطشان أريد ماء، فطرقوا باب حاتم بن الأصم، فأخرجوا لهم كوزاً مملوءاً بالماء، فلما شرب الأمير وارتوى قال: من صاحب هذا الكوز؟ قالوا: حاتم بن الأصم، فوضع فيه قطعةً من الذهب، وقال: للمعسكر من أحبني فليوافقني أي يفعل مثلي، فوضعوا ما معهم من الذهب، ولما عاد الكوز فرح الجميع إلا البنت بكت، فقالت أمها: أتبكي وقد أغنانا الله؟ فقالت: أبكي لأنه نظر إلينا رجل من الخلق فاغتنينا فكيف لو نظر إلينا الخالق.

فالرزق مكتوب عند الله تعالى، فلا تحمل همَّ المستقبل وصدق من قال:

سهرت أعين ونامت عيون * في أمور تكون أو لا تكون
إن ربك كفاك ما كان بالأمس * وسيكيفك غداً ما سيكون

عاشرا: الإسلام اشترط العدل لتعدد الزوجات:

فالإسلام اشترط على الرجل إن أراد تعدد الزوجات أن يستطيع العدل بينهما، وإلا فيكتفي بـزوجة واحدة فقال: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا) [النساء: ٣] أي إن خشيتم ألا تعدلوا فيكفي زوجة واحدة فهذا أدنى ألا تجوروا، ولا بد وأن يعدل بينهما في كل شيء في الأكل والشراب والجماع والبيات والمعاملة.... ولا يفضل واحدة على الأخرى في شيء.

* وأما عن قوله تعالى: (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ) [النساء: ١٢٩]، فالمراد هنا العدل في الميل القلبي، فالرجل قد يستطيع أن يعدل بينهما في كل شيء إلا في الميول القلبي؛ لأن القلب حركاته لا إرادية، وليس ذلك بيد الرجل والقلوب كلها بيد الله تعالى كما في الحديث (إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء)^(١).

ولذلك كان بعض السلف يقول: اللهم هذا عدلي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك، وهذه المقولة ذكرت في حديث غير صحيح ونصه (اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك)^(٢).

وأما عن النزاع الذي يحدث بين الزوجات فأقول وبالله التوفيق:

- هذا النزاع سببه الغيرة بين النساء، وهذا شيء طبيعي، بل ويفيد أحياناً حيث تتنافس الزوجات على إرضاء الزوج فلا ينظر إلى الحرام أبداً.

- وهذه الغيرة كانت بين زوجات سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم فقد وقعت الغيرة من السيدة سارة زوجة سيدنا إبراهيم الخليل، فقد غارت من أمته السيدة هاجر

(١) - مسلم من رواية ابن عمر.

(٢) - أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه والترمذي من رواية عائشة وضعفها الألباني (الإرواء: ٢٠١٨)، (ص: د: ٣٧٠).

على الرغم أن هاجر كانت أمةً، لكنها لما حبلت وظلت سارة برهة من الدهر عقيماً لم تنجب غارت منها، لذلك انطلق إبراهيم بهاجر، حتى وضعها وطفلها قريباً من المسجد الحرام في الحجاز، وكانت صحراء بلا مأوى تركها ورضيعها معها، لكن الله رعاها.

ووقعت الغيرة بين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وتواطأ بعضهن على النبي صلى الله عليه وسلم ونزل فيهن قرآن، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يشرب العسل عند زينب بنت جحش، ويمكن عندها فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها الرسول صلى الله عليه وسلم فلتقل له: أكلت معافير؟ - صمغ حلو له رائحة كريهة - إني لأجد ريح معافير، فدخل على إحداهما، فقالت له ذلك، فقال: بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش، ولن أعود إليه وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحداً، فنزلت هذه الآيات)، وفي بعض الروايات أنه دخل على حفصة ودار بينهما الحديث وحلف ألا يشرب العسل، وقال لها: لا تخبري أحداً، فأخبرت عائشة فنزلت الآيات لتُعلم النبي صلى الله عليه وسلم ما دبره له زوجاته بسبب الغيرة بينهن.

- ولما حدثت هذه القصة نزل مطلع سورة التحريم فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْبَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيْلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا) [التحريم: ١-٥].

ونلاحظ في هذه الآيات أموراً:

١- أن الله لاطف النبي صلى الله عليه وسلم ومع ذلك وَقَرَهُ فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ... فلم يقل له يا محمد.

٢- أن من حرم شيئاً على نفسه، ثم أراد الرجوع فعليه كفارة يمين (قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ...)

٣- إلا في تحريم الزوجة، ففيه كفارة الظهار، وهي عتق رقبة مؤمنة من قبل أن يمس زوجته، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يمس زوجته، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً من قبل أن يمس زوجته زجراً له على ما فعله قال تعالى: (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَّأَسَّأَ ذَلِكَمْ تَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَّأَسَّأَ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (المجادلة: ٣-٤).

٤- كتمان السر واجب وخاصة أسرار الزوج عند زوجته والعكس.

٥- إن الله قد يُطْلَعُ رَسُولُهُ عَلَى بَعْضِ الْغَيْبِ.

٦- إن الله عاتب زوجات النبي صلى الله عليه وسلم اللاتي تأمرن عليه: (إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) أي مالت قلوبكما عن الحق، والمعنى إن تتوبا إلى الله لوجود سبب وهو ميل قلوبكما عن الحق ثم حذرهن الله فقال: (وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ...).

ثم هددهن فقال: (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ...)

مما سبق تعلم أن النزاع بين الزوجات على الزوج أمر طبيعي جُبلت عليه النساء بسبب الغيرة الطبيعية، والنزاع أحياناً يحدث بين الرجل وزوجته مع أنها زوجة واحدة، وهذا كله من طبيعة الحياة.

* والحل عند النزاع بين الزوجات يتمثل في قدرة الرجل على حسن إدارة شئون البيت، فإن رأى نفسه أنه غير مستطيع لذلك، فلا يفكر في تعدد الزوجات.

* وإني لأتعجب كيف لرجل لا يستطيع أن يدير شئون بيته، وبعد ذلك يفكر في رئاسة شركة أو رئاسة بلد أو دولة فيها ملايين الأفراد؟

وأخيراً أقول إن التعدد في الزوجات كان موجوداً في جميع الشرائع، فلو تفحصت الكتاب المقدس لو وجدت أن سليمان كان له مئات الزوجات، وداود كان له أكثر من زوجة وإبراهيم كذلك، فمعظم الأنبياء عدّوا الزوجات، لكن جاء الإسلام فجعل العدد محددًا بأربع فقط، حتى لا تقع المرأة في الحرج بابتعاد زوجها عنها أكثر من ثلاثة أيام، فلو جعله يُعدد مطلقاً، لوقعت الزوجات في الحرج؛ لأنه سوف يبيت ليلة عند كل واحدة فيطول انتظار الزوجة، حتى تأتي ليلتها، وهذه حكمة كبيرة من الإسلام،

* وأما النصارى الذين يتمسكون بالزوجة الواحدة، ويحرمون الطلاق ومنهم من يترهبين ولا يتزوج ويزعمون أن الرهبانية طهارة، نقول لهم: هل أنتم أطهر من الأنبياء والرسل السابقين الذين تزوجوا وعدّوا الزوجات مثل نوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان... وهم قدوة الأمم.

وفي كتابهم المقدس أحياناً يكون الزواج إجبارياً ففي (تثنية: ٢٥/٥-١٠) (إذا سكن أخوة معاً ومات واحداً منهم وليس له ابن فلا تصير أمرة الميت إلى خارج لرجل أجنبي أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة وإن لم يرض الرجل أن يأخذ امرأة أخيه: تصعد امرأة أخيه إلى الباب إلى الشيوخ وتقول قد أبى أخو زوجي أن يقيم لأخيه اسماً في إسرائيل، لم يشأ أن يقوم لي بواجب أخي الزوج. فيدعوه شيوخ مدينته ويتكلمون معه: فإن أصرّ وقال: لا أرضى أن أتخذها: حينئذ تتقدّم امرأة أخيه إليه أمام أعين الشيوخ وتخلع نعله من رجله وتبصق في وجهه. وتقول: هكذا يفعل بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه. فيُدعى اسمه في إسرائيل بيت مخلوع النعل).

* أما عيسى فلم يستطع الزواج بسبب الحرب التي كانت بينه وبين اليهود، فقد كانوا يبحثون عنه ليقتلوه، ولم يُحرم عيسى الزواج ولا الطلاق، ولا التعدد.

لطيفة علمية: سبحان الله إن الحيوان المنوي أحياناً يلقح أكثر من بويضة يعني يتزوج أكثر من أنثى لقوته ونشاطه، فهل البويضات والحيوانات المنوية أعقل من بني الإنسان (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفْلا تُبْصِرُونَ) [الذاريات: ٢١]، (سُرِّبِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ) [فصلت: ٥٣].

الشبهة الثانية: لماذا لم يبيح الإسلام للمرأة أن تتزوج أربعة كالرجل تماماً؟

نقول لهم هذا القول ضرب من الهذيان ولا يقوله عاقل فضلاً عن زعموا أنهم رواد التقدم والحضارة، ومع ذلك نرد ونقول لهم لا يصلح أبداً أن تتزوج المرأة اربعاً، وتكون على ذمة أربعة رجال في آنٍ واحد، وذلك لأمر هام وهو أن الرحم واحد فالمرأة لها رحم واحد، وتحمل في العام مرةً واحدة، فإذا تزوجت أربعة رجال فمن يستحق منهم الرحم؟ وإذا جامعوها في طهرٍ واحد، وحملت لمن يكون الجنين إذن؟ وهنا سيحدث اختلاط في الأنساب، بل ثبت علمياً أن جماع الرجل لزوجته يترك بصمةً فيها لا تزول إلا بعد عدة اشهر، بل وثبت علمياً أن البويضة لا يُلقَّحها إلا حيوانٌ منوي واحد ولا تقبل أكثر من واحد وإذا هاجمها إثنان لتلقيحها فسدت يعني لا تقبل إلا زوجاً واحداً، أفلا يعتبرون بذلك قال تعالى: (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفْلا تُبْصِرُونَ) (الذاريات: ٢٠-٢٣)

سؤال: قد يحدث للرجل أعراضاً تمنعه من الجماع كالشلل والأمراض الخبيثة فلماذا لا يكون لها زوجين في هذه الحالة كما ان الرجل يجوز له التعدد؟

الجواب من عدة أمور:

أولاً: قد يحتاج إليها الأربعة أزواج في وقت واحد:

فقد يُتفق أن يحتاج الأربعة إلى البيات مع المرأة او يحتاجونها للخدمة في وقتٍ واحد، وبالتالي يقع الشجار بينهم، والإسلام يدعو إلى حل المشاكل وليس لإختلاق

المشاكل، المرأة مثل البيت أو المسكن يكون لشخصٍ واحد فقط، فلا يصح أن تكون مطية لعدة أشخاص.

ثانياً: لا تقبله النفوس الطبيعية الأصيلة الغيورة:

فالإنسان الأصيل غيور بفطرته على حرمة، وهذه طبيعته، وهذا هو أصله فلا يقبل أن يرى زوجته مع رجلٍ آخر، هذا هو الإنسان الأصيل، أما اليوم فترى مرضى الديانة انتشر في جميع المجتمعات بما فيها بعض البلاد الإسلامية إلا من رحم رب البرية، فترى الرجل يترك زوجته تخرج إلى العمل متبرجة سافرة، وهو يعلم أن المرأة في العمل قد لا تسلم مما يكرهه مثل حدوث الدُّعابة بينها وبين الرجال، فهذا يلمسُ يدها، وهكذا يتحدث معها بأسلوب الغرام، وقد يقع الحب بينها وبين زميلٍ لها في العمل بحكم الاجتماع الدائم بينها في العمل، وتداخل المشاعر وغير ذلك، وكذلك يترك الرجل ابنته تذهب إلى الجامعة المختلطة متبرجة سافرة كاسية عارية، تلبس ملابس لا تكاد تغطي العورة المغلظة والله وحده المستعان.

ثالثاً: ثبت علمياً أن هناك حيوانات لا تقبل أن ترتبط الأنثى بأكثر من زوج مثل الأسود والقروود، فاللبؤة أو القردة لا ترتبط إلا بزوجةٍ واحدة طيلة حياتها، فإن مات أو قتل حزنّت عليه أولاً، ثم بعد ذلك ترتبط بغيره، وإذا زنت اللبؤة وعلم زوجها انتقم منها وقتلها وإذا زنت القردة رجمتها القروود بالحجارة وهذا كله ثابت علمياً على أرض الواقع فهل الحيوان أشدَّ غيرةً على حرمة من الإنسان؟

الشبهة الثالثة: لماذا جعل الإسلام الطلاق بيد الرجل فقط، ولم يجعله في يد الرجل

والمرأة معاً؟

الجواب من وجوه:

أولاً: أن الرجل هو الذي يدفع تكاليف الزواج من صداق ومسكن وغير ذلك، وهو الذي يدفع مؤخر الصداق والنفقة للمرأة والمسكن إذا كانت حاملاً أو معها

أطفال، وتكون عليه مؤنة العيش لذلك جعل الإسلام الطلاق بيده، ولذلك ترى الرجل يشتد غضبه على زوجته، ومع ذلك يمسك عن الطلاق خوفاً من الآثار المترتبة عليه، مثل دفع الصداق ونفقة المتعة والمسكن إذا كانت حاملاً أو معها أطفال وهكذا قال تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِأَنفُسِهِمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ) [النساء: ٣٤]، أما المرأة فلا تدفع شيئاً عند الطلاق فلو طلقت الرجل لن تدفع شيئاً بل سيدفع الرجل، وهذا لا يرضى به عقل أبداً فلو جعل الإسلام الطلاق بيد المرأة لوقع الرجل في الحرج.

ثانياً: قد جعل الإسلام للمرأة بديلاً عن الطلاق وهو الخلع، ومعناه الطلاق على عوض: فالرجل إذا أحب فراق المرأة طلق، ودفع ما عليه، والمرأة إذا أحببت فراق الرجل بسبب كُرْهٍ لها طلبت الخلع ودفعت ما دفعه الرجل لها من صداق، وإن كان الصداق كله مؤجلاً في ذمة الرجل تنازلت عنه وفارقها، قال تعالى: (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [البقرة: ٢٢٩].

وقد فصلنا القول في مسألة الخلع قبل صفحات تحت حقوق المرأة في الإسلام.

الشبهة الرابعة: لماذا ورث الإسلام الرجل أكثر من المرأة؟

والجواب عن هذه الشبهة يتضح من عدة أمور:

الأمر الأول: إن الرجل يستحق أن يرث أكثر من المرأة لأسبابٍ مهمة منها:

أولاً: أن الإسلام أوجب إعالة المرأة ورعايتها على الرجل سواء كانت زوجةً أو أمًّا أو بنتاً أو أختاً، فالرجل في الإسلام يدافع عن المرأة ولو بدمه، وينفق عليها بكدمينه وعرق جبينه، فمستقبل المرأة يقع على عاتق الرجل في الإسلام، وهذا منعدم في المجتمعات الغربية فهي تخرج للعمل مجبرة وتساعد الرجل في نفقات العيش.....، وقد ذكرناه تفصيلاً في حقوق الإنسان في الإسلام.

ثانياً: أن الجزء الذي ترثه المرأة في الإسلام خاص بها تدخره لمستقبلها، فلا تحتاج إلى أحد إذا توفي عائلها سواء كان المتوفى زوجها أو أخاها أو أباه، فهي لا تنفق شيئاً على نفسها في ظل حياة عائلها، فكل احتياجاتها الأصلية تقع على عاتق عائلها، ومن هنا تعلم أن ميراث الرجل يعود على المرأة أيضاً؛ لأنه ينفق عليها ويرعاها، أما ميراث المرأة فخاص بها لا تنفق منه على أحد، ولا على احتياجاتها الأصلية، ولو بحثت لوجدت أن الرجل الذي يرث ضعف المرأة قد ينفق من ميراثه على أكثر من امرأة، فينفق على زوجته وابنته وأمه وأخته، وهذا ما تفخر به المرأة في الإسلام فهي لا تخرج للعمل مجبرةً وصدق من قال:

مما زادني شرفاً وتيها * وكدت بأخصي- أظأ الثريا

دخولى تحت قولك يا عبادى * وأن صيرت أحمدي نيبا

وباختصارٍ شديد إن الرجل يرث أكثر من المرأة في بعض الحالات؛ لأنه هو الذي ينفق عليها ويرعاها، فميراث الرجل وماله كله يعود على من يرعاها، أما ميراث المرأة فيعود عليها وحدها ولستقبلها وحدها، وهذا ما تحلم به المرأة وتتمناه في المجتمعات الغربية.

الأمر الثاني: ليس كل الحالات يرث الرجل فيها أكثر من المرأة كما يلي:

أولاً: بعض الحالات يرث الرجل فيها ضعف المرأة :

مثل أن يكون الورثة أولاداً للमित أو أخوة أشقاء للميت أو من الأب فقط ،

* فلو مات الأب وترك أولاداً ذكوراً وإناثاً ورث الذكر ضعف الأنثى قال تعالى:

(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ) [النساء: ١١].

*ولو مات الرجل وترك أخوة أشقاء أو لأب ذكوراً وإناثاً ورث الذكر ضعف

الأنثى، قال تعالى: (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ امْرُؤَهُ هَلْكَ لَيْسَ لَهُ وَكْدٌ وَكَهْ

أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَكْدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ

وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [النساء: ١٧٦].

ونلاحظ هنا أن الأخ سوف يعول أخته؛ لأن الأب مُتوفي ، ولو كان حيًّا لما ورث الأخوة؛ لأن الأب يجب الأخوة؛ لأنه يتولى الإنفاق عليهم جميعًا، لذلك يرث الأخ ضعف الأخت؛ لأنه سوف يرهاها خاصة إذا لم يكن لها زوج، وكذلك الابن ورث ضعف البنت؛ لأنه سوف يقوم بأعالة أخته لموت أبيه، فيكون ميراث البنت خاص بها، وميراث الرجل سوف ينفق منه على المرأة.

ثانياً: في بعض الحالات يتساوى الرجل مع المرأة في الميراث،

* مثل أن يموت رجل ويترك بنتين وأباً وأمًّا، فتأخذ البنتان الثلثين، قال تعالى: (فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ) [النساء: ١١]، ويأخذ الأب السدس والأم السدس (وَلِأَبْوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ) [النساء: ١١]، فالأم ورثت مثل الأب في هذه الحالة؛ لوجود الفرع الوارث، وكذلك لو مات وترك ابناً وأمًّا وأباً، فيأخذ الأب السدس والأم تأخذ السدس مثل الأب والابن يأخذ باقي المال تعصيباً.

* وكذلك ميراث الأخوة لأم، يتساوى فيه نصيب الذكر مع الأنثى، قال تعالى: (وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ) [النساء: ١٢]، والمراد بالكلاله من لا والد له ولا ولد، والمراد بالأخ والأخت هنا هم الأخوة من الأم كما في قراءة ابن مسعود، حيث قرأها فقال: (وله أخ أو أخت من أم).

وهنا نلاحظ أن الأخت من الأم ورثت مثل الأخ من الأم؛ لأنها ليست مُلزمَةً منه بنفس درجة الأخ الشقيق أو لأب، فالشقيق أو لأب أقرب إلى الأخت من الأخ لأم، لذلك يرث الشقيق أو لأب ضعف الأخت؛ لأنه سيتولاها إذا لم يكن لها زوج أو ابن، وهكذا وهذه كلها حكمٌ خفيٌّ لا يعلمها إلا الحاذق.

ثالثاً: في بعض الأحوال ترث المرأة أكثر من الرجل قد تصل إلى ضعفه:

(١) أن يترك الميت ابنتين وأماً وأباً، فهنا للبنتين الثلثان والأب والأم لكل منهما السدس، فيكون نصيب إحدى البنتين ثلث التركة، والثلث ضعف السدس، وهو نصيب الأب في التركة، فتكون المرأة هنا ورثت ضعف الرجل، والأم تساوت مع الأب هنا.

(٢) إذا مات الزوج وترك زوجة وبنثاً واحدة وأباً، فتأخذ الزوجة الثمن والبنث النصف، والأب الباقي، فتكون البنت ورثت أكثر من الأب هنا أيضاً، والزوجة أخذت أقل من الأب في نفس الوقت.

(٣) لو ماتت امرأة وتركت زوجاً وبنتين وأباً وأماً، فسوف يأخذ الزوج الربع لوجود الفرع الوارث، قال تعالى: (فَإِنْ كَانَ هُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ) [النساء: ١٢]، وللبنتين الثلثان كما علمنا من قبل، وللوالدين لكل واحدٍ منهما السدس، ولكن سدس الباقي بعد حق الزوج، وهنا نلاحظ أن الأم ورثت نفس ميراث الأب، والبنتين ورثتا الثلثين أي لكل واحدةٍ الثلث، والثلث ضعف السدس يعني البنت أخذت ضعف ميراث أبي الزوجة وهو جد البنت، وفي نفس الوقت ورثت البنت أكثر من الزوج؛ فالثلث أكبر من الربع؛ وذلك لأن الفرع الوارث أقرب إلى المتوفى من الأصل الوارث أو من كان في نفس درجة المتوفى، فالأولاد أقرب عند المتوفى من الوالدين ومن الحواشي (الإخوة والأخوات) ومن شريك الحياة (الزوج والزوجة).

*وهنا ملحوظة خطيرة ببالي وهي أن البنت أخذت أكثر من الزوج؛ لأنها قد تكون من زوجٍ آخر، وقد مات هذا الزوج أو طلق أمها ثلاثاً، ثم تزوجت بالآخر فورث الآخر منها، ولكنه لا تجب عليه نفقة هذه البنت؛ لأنها بنت الزوجة، فنفتقتها على أهل أبيها - والله أعلم - إلا إذا كانت في حجره منذ صغرها حين تزوج أمها، فينفق عليها من باب الإحسان فقط.

* وكذلك إعالة هذه البنت ليست واجبة على أبي الزوجة وهو جدها لأمها، فالرجل لا تجب عليه نفقة بنت البنت أو ابن البنت وإعالتهم واجبة على أهل زوج البنت كما هو واضح بيّن وأجل من الشمس في ضحاها.

* وإن قلت إن البنت قد تكون بنت الزوج الذي ورث الربع، فلماذا أخذت أكثر من أبيها؟ أقول لعل الحكمة من ذلك أن الرجل غالباً يتزوج بعد موت زوجته، وإذا أنجب من زوجة أخرى قد يميل إلى الزوجة الثانية وأولادها بسبب وشاية الزوجة الثانية وغيرها، وقد يحدث الحرج لبنت الزوجة المتوفاة حين تطلب النفقة، لذلك ورّثها الشرع أكثر منه بكثير وعموماً إن الأولاد أقرب وأهم عند المتوفى من الوالدين وشريك الحياة (الزوج والزوجة).

فسبحان الذي شرع الميراث بحكمة وعدالة وهو أحكم الحاكمين وأعدل العادلين.

الأمر الثالث: نقول للغرب أنتم تعطون المرأة ثلث أجر الرجل في العمل، مع أنها تقوم بنفس العمل الذي يقوم به الرجل، ومع ذلك تعطونها ثلث أجره، وهي التي تنفق على نفسها طوال حياتها، وقد تظل تعمل في وظيفة حتى الموت من أجل سبل الحياة فأين العدالة والمساواة التي تدعون إليها حين يأخذ الرجل ثلاثة أضعاف المرأة؟ أما في شريعة الإسلام تأخذ المرأة نفس أجر الرجل إذا قامت بعمله وبنفس الكفاءة، وهذه هي عين العدالة، فكيف بعد ذلك تعيينون على الإسلام حين ورّث الرجل ضعف المرأة في بعض الحالات فقط مع أن الإسلام أوجب على الرجل إعالة المرأة ورعايتها أما ميراثها فلنفسها والمستقبلها فقط.

ملحوظة مهمة: دول الغرب إما يهود أو نصارى ومكتابهم المقدس فيه تفريق عنصري في

موضوع الميراث وأضرب مثلاً واحداً ففي (رسالة بولس إلى أهل غلاطية: ٤/ ٣٠)

(اطرد الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرّة)

الشبهة الخامسة: لماذا فضل الإسلام الرجل على المرأة حين قال: (الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) [النساء: ٣٤].

والجواب على على هذه الشبهة يتبين من عدة أمور:

الأمر الأول: معنى القوامة:

القوامة في الآية معناها الولاية أو الوصاية أو القيم، فالرجل ولي زوجته ووصي عليها وقيم عليها يشملها برعايته ويحفظها، ويتولى شئونها وتأديتها، فالزوج أقرب إلى زوجته من أبيها وأخيها، فهو عندها أهم إنسان في حياته، حيث يدافع عنها ولو بدمه، وينفق عليها بكد يمينه وعرق جبينه.

ولقد بين الله أسباب هذه القوامة فقال: (بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) [النساء: ٣٤]

السبب الأول: في هذه القوامة هو التفضيل، وليس المراد منه تفضيل الكرامة أو الشرف، وإنما المراد منه التفضيل في القدرة والقوة والعلم والعقل والعزيمة..... وغير ذلك مما يكون غالباً عند الرجل أفضل مما عند المرأة.

فالرجل يقوم بعمله طوال النهار، ثم يشتري ما يحتاجه البيت آخر النهار، ويتولى شئون البيت مع زوجته آخر النهار، ويربي الأولاد مع زوجته وهكذا يقوم بعمل خارج البيت، ويساعد في أعمال البيت؛ وذلك لأن الله فضله في القوة والعلم والحصافة والعزيمة على المرأة، فهو يساعد المرأة بفضل قوته عليها، لذلك فالصحيح في الإسلام أن الرجل هو الذي يشتري الخضار ولوازم البيت، فكل شيء يحتاجه البيت يُجلبه الرجل وليس المرأة، أما المرأة فوظيفتها رعاية البيت من الداخل فقط، ويساعدها زوجها فيه أيضاً، وهذا كله منعدم في الغرب، فتجد الرجل يعمل مثل المرأة خارج البيت، ولا يساعدها في البيت، وإذا اضطر إلى شراء خضار أو خبز للبيت خبأه في حقيبته خوفاً من العار، وللأسف هذا ما يفعله بعض المسلمين إلا من رحم رب العالمين إقتداء منهم

بالغرب فيترك الرجل زوجته تشتري الخضار، وتشتري الخبز، حتى في يوم راحته من العمل يمكث في البيت وتخرج هي إلى الأسواق وتختلط وتتخبط بالرجال وهذا كله خطأ فادح، والواجب أن يشتري الرجل كل ما يحتاجه البيت؛ لأن البائع رجلٌ وكما قال أحد العلماء (الشيخ وحيد عبد السلام بالي) ومضمون كلامه: أن المرأة إذا سألت البائع في السوق بكم الطماطم؟ يرد ويقول بجنيه وعشان خاطر الحبايب بثمانين، وآخر يقول لها بجنيه وعشان خاطر الحلوين بثمانين، فهل تريد أن يقول البائع لزوجتك وحرمتك يا حلوة أو يا حبيبتي؟ وقد تسمع الزوجة ما يكرهه زوجها، فأين الغيرة؟ فالمرأة ليس لها إلا البيت قال تعالى: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) [الأحزاب: ٣٣]، لكن للأسف أحيانا تقنع زوجها وتخرج من شدة سطوتها عليه ففي هذا العصر اسْتَنُوَقَ الْجَمَلُ وَاسْتَأْسَدَ الْحَمَلُ، ووهنت العزائم فذهبت الغنائم، والله وحده المستعان وعليه التكلان.

السبب الثاني: الإنفاق كما قال: (وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) [النساء: ٣٤]، فلقد أوجب الإسلام صداق المرأة عند الزواج ومؤن الزواج على الرجل، وأوجب عليه أن ينفق عليها طوال حياتها معه فالرجل وليّ زوجته؛ لأنه أفضل منها من حيث القوة والعلم، ولأنه ينفق عليها طوال حياتها كما كان ينفق عليها أبوها من قبل فهو وليّها كأبيها أو أكثر فقد تمكث مع أبيها عشر سنين، ثم تتزوج وتمكث مع زوجها خمسين سنة، ولذلك قال النبي (صلى الله عليه وسلم) (لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والذي نفس محمد بيده لا تؤذي المرأة حق ربها حتى تؤذي حق زوجها)^(١) ولم يقل لأبيها كل ذلك لعظم حق الزوج على زوجته، لكن السجود عندنا لله وحده لذلك لم يأمرها أن تسجد لزوجها. وهذا بعكس الغرب فالرجل عندهم لا ينفق على زوجته؛ لأنها تعمل موظفة مثله، ومع ذلك لا تستطيع أن تتصرف في مالها كيف

(١) أخرجه أحمد وابن ماجه من رواية عبدالله بن أبي أوفى وصححه الألباني في (ص: مجه/

تشاء؛ لأنه قوام عليها، فلا تفتح حساباً في المصرف باسمها إلا بإذن زوجها فهو ولي عليها، مع أنه لا ينفق عليها، فمن الذي يستحق العيب الإسلام الذي عدل أم الغرب الذي ظلم؟

الأمر الثاني: بلاغة القرآن فيها رد شافي كافي،

فالقرآن قال: (بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) [النساء: ٣٤]، ولم يقل بها فضل الله الرجال على النساء، حيث أشار بهذا اللفظ إلى أن المرأة من الرجل والرجل من المرأة كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) [النساء: ١]، وقال تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ) [آل عمران: ١٩٥]، فالمرأة من الرجل، والرجل من المرأة، فلا تفضيل بينهم في الكرامة أو الشرف لكن التفضيل بالعمل الصالح فقط.

□ **ملحوظة مهمة جداً:** هذه الآية تشير إلى تفضيل الجنس على الجنس فقط، من حيث الأمور التي ذكرناها، وهي القوة والعلم ... وليس تفضيل آحاد، فلم يقل بها فضل الله بعض الرجال على بعض النساء؛ وذلك لأن الجنس يأخذ حكم الغالب، والغالب تفضيل الرجال على النساء في هذه الأمور.

ومع ذلك فلا ننكر إن هناك من النساء من هي أقوى وأعلم وأذكى من بعض الرجال، ولكن هذا قليل جداً، ولذلك تجد أكثر العلماء من الرجال، وأكثر الأقوياء والأبطال من الرجال.

وأما العلماء من النساء فقليل جداً مثل السيدة عائشة وحفصة وزينب وأم سلمة ونفسية العلم وغيرهن من النساء، وكذلك نذكر بلقيس من حيث الذكاء في علم السياسة فقد حكمت مدينة سبأ في اليمن، وكان تحت حُكمها مئات الآلاف من الرجال والنساء، ومن ذكائها وعلمها بالسياسة أنها قالت: (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَةَ أَهْلِهَا أَذْلَةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) [النمل: ٣٤].

وكذلك حين قال سليمان: (نَكَّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ) [النمل: ٤١]، خالف بين ترتيب أثاثات العرش وغير ذلك ليعلم هل ستفطن بأنه عرشها أم لا قال تعالى: (فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ) [النمل: ٤٢]، حيث أنها لا تستطيع أن تقول هو عرشي؛ لأن عرشها في أقصى بلاد اليمن، وكانت المسافة من هناك إلى مكان سليمان في فلسطين تقطعها القافلة في مسيرة شهر وهي جاءت على فرس في بضعة أيام، فكيف جاء العرش في هذه الفترة الوجيزة؟ ومن يقدر أن يأتي بالعرش وهو ضخم جداً؟ لكنها رأت عليه علامات عرشها، فقالت بذكائها: (كَأَنَّهُ هُوَ) أي لا يفترق شيئاً عنه، لذلك قال سليمان: (وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ) أي وإن كانت هي على علم وذكاء، فنحن أعلم منها وأفضل منها؛ لأننا مسلمون موحدون لله تعالى وأثبت لها أنه أشد ذكاء منها فأمر ببناء صرح (قصر) على الماء من الزجاج، ولما قال لها ادخلي الصرح حسبه ماءً، فكشفت عن ساقها؛ لكي تغوص في الماء، فقال لها سليمان: إنه ليس ماءً، وإنما هو قصر من الزجاج الأملس بُني على الماء، فعلمت أنه أعلم وأذكى منها قال تعالى (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [النمل: ٤٤].

*ومهما بلغ ذكاء المرأة فلا يجوز لها أن تتولى رئاسة البلاد، ففي الحديث (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة)^(١).

(١) رواه البخاري من رواية أبي بكرة رضي الله عنه.

إلقاء الضوء على مؤتمر بكين ١٩٩٥ المتعلق المرأة والحركة النسوية

في هذا الموضوع نلقي الضوء على بعض المواد التي تم الإتفاق عليها في مؤتمر بكين سنة ١٩٩٥ والخاص بالمرأة والحركة النسوية، وذلك حتى تكتمل الفائدة لدى القارئ الحاذق اللبيب المتجرد المحايد ليعلم ما يتم طبخه من مؤمرات ضد النساء عامة على أيدي الملحدين الذين يحاربون الأديان السماوية بل ويحاربون الفطرة الإنسانية

* بداية نقول إن بلاد الغرب عقدوا عدة مؤتمرات لتفعيل الحركة النسوية في المجتمع عامة، وأشهر تلك المؤتمرات مؤتمر بكين الذي عُقد في الصين عام ١٩٩٥، والخاص بالحركة النسوية فقط، وهذا المؤتمر يتم متابعة تنفيذ مواده في جميع البلاد، ويُعقد مؤتمر كل خمس سنوات لدراسة النتائج، فلقد عقد مؤتمر بكين لسنة ٢٠٠٠ ومؤتمر بكين لسنة ٢٠٠٥ ومؤتمر بكين لسنة ٢٠١٠ وهلمنا جراً.

والغرض الأساسي من جميع المؤتمرات والمواثيق الدولية لحقوق الإنسان، وخاصة المتعلقة بتفعيل الحركة النسوية في المجتمع الدولي هو عولمة العادات الغربية والأفكار الغربية وغربنة وأمركة العالم كله ومحاربة الإسلام وكل الشرائع السماوية. وأضرب مثلاً بمؤتمر بكين فقد اشتمل على حوالي مائة وعشرين مادة جُلِّها تدعو إلى الانحلال الأخلاقي ومنها ما يلي:

- (١) إلغاء الفروق بين الجنسين الرجال والنساء، ووضع كلمة (جُنْدَر) والتي تعني نوع.
- (٢) إباحة الشذوذ الجنسي وزواج المثليين، أي يتزوج الرجل رجلاً والمرأة امرأة مثلاً، وهذا هو الشذوذ الجنسي.
- (٣) إباحة الزنا والفواحش مطلقاً.
- (٤) إباحة الإجهاض.
- (٥) تثقيف الأطفال والمراهقين جنسياً.

(٦) تدريب الأطفال والمراهقين على تفادي حدوث الحمل أثناء ممارسة الجنس مثل أن تأخذ البنت حبوب منع الحمل، أو يستخدم الولد العازل الذكري.

(٧) توعية الأطفال والمراهقين بالأمراض الخبيثة والتي تنتج من الفواحش كالإيدز وكيفية الوقاية منها أثناء ممارسة الجنس.

(٨) التثقيف جنسياً والتوعية بكيفية الوقاية من الأمراض الخبيثة يتم عن طريق وسائل الإعلام وفي المدارس أيضاً.

(٩) إباحة الفواحش بين الأخوة وبين الولد وأمه يعني إباحة زنا المحارم.

(١٠) دعا المؤتمر وكافة المؤتمرات إلى رفع سن الزواج بين الفتيات ومنع ختان الإناث، كل ذلك لكي تنتشر الفواحش بشراهة في بلاد الإسلام كما يحدث في بلاد الغرب، وهم يريدون فرض عاداتهم علينا، ولذلك إذا قرأت كتاب الأنشطة للصف الرابع الابتدائي في مصر لوجدت فيه: (من عادات الريف السيئة تزويج الفتيات مبكراً، وكذلك ختان الإناث)، حتى يترى الطفل على منع الختان وعلى رفع سن الزواج للإناث، وكما قال الله تعالى: (يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ) [الفتح: ١٥]، (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [الصف: ٨].

فكلنا نعلم أن البنت إذا لم تُحْتَنِ اشتدت شهوتها فيما ظنك بها إذا منعناها من الزواج بعدما تَبَلُّغ؟ وهل انتشرت الفواحش في الجامعات المختلطة إلا بسبب هذه الأحكام المسعورة؟ فهل من مدكر؟

* فالغرب يريد نشر الفواحش في كل البلاد، لأنهم عجزوا عن حل هذه المشكلة في بلادهم، ويحقدون على دول الإسلام وكما يقال: إن الزانية تحب أن يكون العالم كله زانياً، حتى لا يكون العار لها وحدها.

* والعجب كل العجب من الغرب فإن كلامهم متناقض وظاهر البطلان فإنهم استهزأوا من تزويج الفتيات في سن مبكر ومع ذلك أباحوا الفواحش بين الصغار، واستهزءوا الزواج عامة ثم أباحوا وكننوا زواج المثليين.

*مما سبق تعلم يريدون أن تكون المرأة مطية لكل ذئب ومفترس حتى يتمتع الرجل بمن شاء فهم يتظاهرون بأنهم يدعون إلى حرية المرأة، لكن الحقيقة غير ذلك، فهم يسعون إلى حرية الرجل على حساب كرامة وشرف المرأة، فاحذروهم.

حقوق غير المسلمين في الإسلام

وهذا الموضوع في غاية الأهمية فالجهل به أدى إلى تشويه صورة الإسلام لدى غير المسلمين ووقوع العنف بسبب الفتن التي يثيرها الأعداء ضمن خطته المسمومة لهدم الإسلام، وقبل البدء في صلب الموضوع نذكر أموراً مهمة:

أقسام غير المسلمين:

هناك حقائق لا بد وأن يعرفها كل مسلم وهي أن غير المسلمين أقسام، فهم ينقسمون عدة تقسيمات؛ تقسيم من حيث الديانة، وتقسيم من حيث السياسة.

ينقسم غير المسلمون من حيث الديانة إلى:

أولاً: غير مسلمين ولهم كتاب، أي لهم دين سهاوي وهم اليهود والنصارى، ويُطلق عليهم أهل الكتاب، وهؤلاء غير مسلمين فهم كفار ومشركون ولكن لهم معاملة خاصة، حيث أباح لنا الإسلام أن نأكل من ذبائحهم، وأن نتزوج من نسائهم العفيفات الحرائر، قال تعالى: (الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [المائدة: ٥]، سواء كان أهل الكتاب مقيمين في ديار الإسلام أو خارجها.

ثانياً: غير مسلمين وليس لهم كتاب، أي ليس لهم دين سهاوي، وهم باقي الكفار من غير اليهود والنصارى مثل المجوسيين والبوذيين وعباد البقر..... وهؤلاء لا تحل لنا ذبائحهم ولا نسائهم.

وينقسم غير المسلمون من حيث السياسة إلى:

أولاً: أهل الذمة: وهم غير مسلمين ومواطنون في بلاد إسلامية، أي لهم جنسية إحدى البلاد الإسلامية، سواء كان هؤلاء أهل كتاب أو كفاراً، ومعنى (الذمة) العهد فهم أهل عهد.

ثانياً: المستأمنين: وهم الحريون الذين يجارون المسلمين، ولكنهم دخلوا بلاد المسلمين بعقد أمان لفترة زمنية معلومة، وهذا العقد يُعرف الآن بالتأشيرة تأشيرة دخول البلاد.

ثالثاً: المهادين أو المعاهدين أو الموادعين: وهم أهل الحرب الذين عقد بينهم وبين المسلمين عقد على ترك القتال لفترة زمنية معلومة، كما فعله النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية، فقد عقد معاهدة وهدنة بينه وبين قريش على ترك القتال لمدة عشر سنين، ومثله معاهدة السلام التي عقدها مصر مع إسرائيل، ولكن هذه المعاهدة لم تُؤت بفترة معلومة وهذا مخالف لجمهور العلماء والله أعلم.

رابعاً: الحريون: وهم الذين يجارون المسلمين، وليس بيننا وبينهم عهد لترك القتال، وقد تكلمنا سابقاً في حقوق الإنسان في الإسلام عن دستور الإسلام في الحرب، يعني حقوق العدو في الإسلام.

أما الآن فتكلم عن حقوق أهل الذمة والمستأمنين والمعاهدين؛ وهو من أهم الموضوعات لأنهم يخالطون المسلمين، فهؤلاء لهم حقوق وعليهم واجبات، فإذا أدوا ما عليهم من واجباتٍ وأعطيناهم حقوقهم لم تكن هناك فتن طائفية؛ لأن الكل سوف يعرف ما له وما عليه، وسوف نتكلم عن هذه العناصر:

العنصر الأول: حقوق أهل الذمة والمستأمنين

العنصر الثاني: ضمانات هذه الحقوق

العنصر الثالث: واجبات أهل الذمة

العنصر الرابع: حقوق وواجبات المعاهدين.

العنصر الأول: حقوق أهل الذمة والمستأمنين:

أولاً: حمايتهم داخلياً وخارجياً:

فيجب علينا أن نحميهم في الداخل والخارج ونقاتل ونستमित في الدفاع عن أهل ذمتنا، فلو أرادت أي دولة أن تعتدي على أهل ذمتنا حاربناها، ويحارب الجيش الإسلامي من أجل حماية أهل الذمة، سواء كانوا أهل كتاب وهم اليهود والنصارى أو كفاراً كالمجوس والبوذيين...، فهم أهل ذمتنا، فلهم عهد الله وعهد رسوله أن نَحْمِيَهُمْ ما دام أنهم مواطنون في بلد إسلامي ويؤدون واجباتهم والتي سنذكرها بعد قليل.

مثال عملي: لما دخل التتار بعض البلاد الإسلامية ومنها بغداد، ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية ليكلم الأمير التتاري في شأن الأسرى، فوافق على تسريح الأسرى المسلمين فقط، فقال شيخ الإسلام لا نرضى إلا أن تُطْلَقَ معهم أسرى اليهود والنصارى، فهم أهل ذمتنا، فأطلقهم كرامةً له.

كذلك نحميهم داخلياً من أي ظلم يقع عليهم من قِبَل المسلمين وغيرهم، فلا يجوز لنا أن نظلم أهل الذمة ولقد حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك فقال: (من ظلم مُعَاهِداً أو انتقصه حقاً أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسٍ منه، فأنا حجيجه يوم القيامة)^(١)، ولفظ (معاهد) بفتح الهاء وكسرها.

وهذه الحماية تشمل حمايتهم روحاً وجسداً، فلا نعتدي على ذمّي بالقتل أو بضرب بدنه ظلماً، وفي صحيح البخاري عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من قتل معاهداً لم يَرِحْ رائحة الجنة، وإن ریحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اتقوا دعوة المظلوم، وإن كان كافراً، فإنه ليس

(١) - أخرجه أبو داود، من رواية صفوان بن سُلَيْمٍ عن ثلاثين من أبناء الصحابة عن آبائهم، وصححه الألباني (ص: ج: ٢٦٥٥).

دونها حجاب) (١) فلا يجوز لنا أن نظلم احداً حتى ولو كان مخالفاً لديننا ولعموم الآية (إِنَّهَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [الشورى: ٤٢]، ولفظ الناس عام يشمل المسلم والكتابي والكافر.

مثال عملي: في صحيح مسلم أن هشام بن حكيم مرَّ بالشام - وفي رواية على حمص - على أناس من الأنباط - وهم الأقباط - وقد أقيموا في الشمس، وُصِبَّ على رؤوسهم الزيت، فقال: ما هذا؟ قيل: يعذبون في الخراج، فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا) ولقد اقتصر عمر بن الخطاب لقبطي من ابن أمير مصر محمد بن عمرو بن العاص ولقد ذكرنا أمثلة كثيرة في مبدأ العدالة في الإسلام.

ثانياً: حماية أموالهم:

فكما يجب علينا أن نحمي أهل الذمة روحاً وجسداً من العدو الخارجي أو من الظلم الداخلي، كذلك يجب علينا أن نحمي أموالهم من السرقة والاعتصاب والتدليس وهو الغش... كالغش في الميزان والكيل فقد حرّمه الإسلام مطلقاً، قال تعالى: (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) [المطففين: ١-٦]، ولفظ الناس عام يشمل المسلم والكافر، وقال تعالى: (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) [الشعراء: ١٨٣].

والسارق تُقَطَّعُ يده حتى وإن كان سارقاً ذمياً لعموم الآية (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [المائدة: ٣٨].

(١) عند الإمام أحمد في مسنده من رواية أنس وحسنه الألباني (ص: ج: ١١٩).

وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح: (امنع المسلمين من ظلمهم والإضرار بهم وأكل أموالهم إلا بحلها).

ثالثاً: حماية أعراضهم:

يجب علينا حماية أعراض أهل الذمة فلا يَسُبُّ أحدٌ ذمياً بغير حق، ولا يعتدي أحدٌ على نساء أهل الذمة، فعقوبة الزنا لا تفرق بين المسلمين وأهل الذمة، حتى ولو كانت واقعة الزنا حدثت بين مسلم وكافرة، فيقام الحد على المسلم، فإن كان محصناً رُجم، وإن كان غير محصن جُلد مائة جلدة، وكذلك نفع مع الزانية الكافرة إن كانت محصنة رُجمت، وإن كانت غير محصنة جُلدت مائة جلدة، والتغريب عام كامل للرجل والمرأة، إلا إذا كانت المرأة مُغتصبةً وأُجبرَت على الزنا، فالعقاب على الرجل فقط، حتى ولو كان مسلماً لعموم الآية (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) [النور: ٢]، فلم تفرق الآية بين مسلم وكافر في الحكم، وقال جل وعلا: (وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانِيَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) [الإسراء: ٣٢]، وهذا الحكم مطلق فهو نهى عن قربان الزنا مطلقاً.

رابعاً: لهم حرية العقيدة وممارسة أحكامهم الشرعية:

حتى وإن كانت مخالفةً لعقيدة الإسلام فلا يُكرهون على ترك دينهم، قال تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) [البقرة: ٢٥٦]، (وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمَرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفَرْ) [الكهف: ٢٩]، (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) [يونس: ٩٩]، (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) [النساء: ٨٠]، أي لست عليهم بمراقب ولست محاسباً لهم، وقال تعالى: (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ) [الغاشية: ٢٢].

وكتب عمر لأهل إيلياء وكانوا نصارى أماناً يشهد له التاريخ، حين فتح بيت المقدس، فقال: (هذا ما أعطى عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل إيلياء من

الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم لا تُسَكَنُ كنائسهم ولا تهدم ولا يُنتَقَصُ منها ولا من خيرها ولا من صليبها ولا شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم^(١).

خامساً: لهم الحرية في تناول وفعل ما يعتقدون إباحته:

فَيُقَرُّونَ على ما يعتقدون إباحته وجوازه في شرعهم، ومن ثمَّ فلا يجوز التضييق عليهم في تناول وفعل ما يعتقدون إباحته، حتى ولو كان محرماً في شرعنا الحنيف، مثل شرب الخمر وأكل الخنزير ولبس الحرير والذهب للرجال، فلو كانوا يعتقدون إباحة ذلك فلا يجوز لنا أن نُضَيِّقَ عليهم في ذلك ما دام أنهم أهل ذمتنا، ولكن بشرط ألا يتظاهروا بفعل الكبائر سداً للذريعة، حتى لا يفتنوا المسلمين في دينهم فلا يتجاهروا بشرب الخمر وأكل الخنزير، ولكن يتناولون ذلك في بيوتهم أو في كنائسهم خفيةً، وإذا تجاهروا بذلك يُعزَّرَ الفاعل بعقوبة تردعه عن ذلك، ولا يقام عليه الحد مثل المسلم.

وإذا جاءوا إلينا لنحكم بينهم في قضية تخصُّهم حكمنا بشرعنا أو نعرض عنهم قال تعالى: (فَإِنْ جَاءوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ) [المائدة: ٤٢]، (وَأِنْ أَحْكَم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) [المائد: ٤٩].

أما ما يتعلق بحقوق الآخرين، فلا يجوز فعله مثل الزنا، حتى ولو كان برضا الزانية؛ لأنه يتعلق بشرف أهلها، فالزنا يُلْحَقُ العار بعصبة المرأة، وفيه اختلاط في الأنساب ويؤدي إلى انتشار أبشع الأمراض..... ولذلك تأباه النفوس الأصيلة السليمة، وفي جميع الشرائع تجده محرماً، ومن فعله يجب إقامة الحد عليه كما شرَّعه الإسلام؛ لأنهم يعيشون في دولة إسلامية كذلك ما ترفضه الفطرة الإنسانية السليمة مثل زواج المحارم كزواج الرجل من أمه أو أخته... فهذا لا يجوز لهم وقد كان يفعله المجوس ففي سننه أبي داود وصححه الألباني في (صحيح أبي داود: ٢٦٢٤) (أن عمر بن الخطاب كتب قبل

(١) تاريخ الطبري.

موته بسنة إلى الأمصار بقتل كل ساحر ومَنع المجوس من زواج المحارم وأن يفرقوا بين كل رجل تزوج من مَحْرَمَتِهِ كَأُمِّهِ وابنته وأخته... فَيُفَرِّقَ بينهما)، وزواج المحارم باطل فهو زنا بل هو أشنع جريمة زنا في الوجود ولا يقبله إلا الخسيس.

سادساً: لهم الحرية في التَّكْسُبِ والتَّجَارَةِ، ولكن بما لا يخالف الإسلام:

فلهم الحرية في ممارسة التجارة والتكسب، ولكن فيما أحلَّه الله فقط، فلا يتاجرون في الخمر، ولا في المخدرات، ولا يتعاملون بالربا؛ لأن الربا محرَّم في جميع الشرائع السماوية، ولا يتاجرون في لحوم الخنازير، فكل ذلك محرم شرعاً، ولكن يجوز لهم أن يبيعوا لأمثالهم الخمر ولحوم الخنازير التي يعتقدون إباحتها في شرعهم، ويجوز لهم أن يشتروها، ولكن يتم ذلك بعيداً عن المسلمين.

أما ما أباحه الشرع الإسلامي فلهم أن يتاجروا فيه جهراً.

ويجوز لهم أن يتعاملوا معنا في التجارة بيعاً وشراءً، وكذلك في المعاملات المالية المباحة في شرعنا فلا نتعامل في محرم مثل الربا ففي صحيح البخاري عن عبد الرحمن بن أبي بكر قال: (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم جاء رجل مشرك بغنم يسوقها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بيعاً أو عطية يعني هبة، فقال: لا، بل بيع فاشتري منه شاة)، وفي الصحيحين عن أنس بن مالك (أن النبي صلى الله عليه وسلم رَهَنَ درعه بالمدينة عند يهودي، وأخذ منه شعيراً لأهله)، مع أن الصحابة فيهم أغنياء، ولن يخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه فعل ذلك ليبين لنا أنه يجوز التعامل مع أهل الذمة مالياً بشرط ألا نَقَعَ فيما حرَّمه الإسلام، والحمد لله على تيسير الإسلام.

ملحوظة هامة إلى العامة: الإسلام حرم علينا بعض البيوع مثل بيع القطط والكلام والخنازير والميتة والأصنام..... وراجع في ذلك فقه المعاملات في كتب الفقه الإسلامي مثل تمام المنة في فقه الكتاب وصحيح السُّنَّة للعزازي وفقه السُّنَّة للشيخ سيد سابق والشرح الممتع على زاد المستقنع لإبن عثيمين

سابعاً: لهم الحق في التأمين عند العجز:

قاله بعض العلماء كالقرضاوي، ولكن هذا للذمي فقط؛ لأنه يدفع الجزية، واستدلوا بما رواه أبو يوسف القاضي في (الخراج): (أن عمر بن الخطاب رأى شيخاً يهودياً يسأل الناس فسأله عن ذلك، فعرف أن الشيخوخة والحاجة ألجأته إلى ذلك فأخذه وذهب به إلى خازن بيت المال، وأمره أن يقرض له ولأمثاله من بيت المال ما يكفيهم ويصلح شأنهم، ثم قال: ما أنصفناه إذ أخذنا منه الجزية شاباً، ثم نخذله عند الهرم)،

وروى أبو يوسف (الخراج) أن خالد بن الوليد كتب لأهل الحيرة وكانوا نصارى بالعراق: (وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله)، وكان هذا بحضرة أبي بكر الصديق وعدد من الصحابة فلم ينكر عليه أحد، وهذا يشمل الطعام والكسوة والعلاج.

ثامناً: الحكم لهم بالعدل:

فلو ظلم مسلم ذمياً أو مستأمناً، وأقرّ المسلم بذلك، أو شهد عليه المسلمون حكم القاضي على المسلم للذمي، فإذا سرق المسلم ذمياً قُطعت يد المسلم السارق، وكذلك إذا اغتصب ذمياً أُقيم عليه حد الزنا، كما بيناه في العدل في الإسلام^(١).

* إلا في القتل، فلو قتل مسلم ذمياً لا يقتل به، ولكن يجب عليه دفع الدية، وهي نصف دية المسلم لحديث (لا يقتل مسلم بكافر)^(٢)، (كَانَتْ قِيَمَةُ الدِّيَةِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانٌ مِائَةً دِينَارٍ أَوْ ثَمَانِيَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَدِيَةُ أَهْلِ

(١) - وراجع أحكام التعامل مع غير المسلمين، خالد بن محمد الهاجد.

(٢) أخرجه الترمذي وابن ماجه من رواية ابن عمرو وصححه الالباني في (ص: ج: ٧٧٥٢).

الْكِتَابِ يَوْمَئِذٍ النَّصْفُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) أخرجه أبي داود من رواية عبدالله بن عمرو بن العاص وحسنه الألباني (الإرواء: ٢٢٤٧)

*** ملحوظة** ويجوز لهم تولى بعض وظائف الدولة بشرط ألا تتعلق بالدين، وهذا مجرد جواز فقط وليس حقاً واجباً لهم، فيجوز أن يستخدمهم الحاكم في بعض وظائف الدولة وشؤونها، بشرط ألا تتعلق بالدين الإسلامي، فلا يتولون بيت المال (خزينة الدولة أو وزارة المالية) ولا قيادة الجيش؛ لأنه يتعلق بالجهاد، ولا وزارة الأوقاف، ولا وزارة التربية والتعليم إلا من حيث الشؤون الفنية فقط؛ لأن التعليم يتعلق بالدين الإسلامي، ولا يتولون ولاية عامة كرئاسة الدولة، أو نائب الرئيس، ولا منصب المحافظ؛ لأن المحافظ يشبه الأمير على منطقة معينة.

العنصر الثاني: ضمانات هذه الحقوق:

فأت ترى وثائق حقوق الإنسان الوضعية ليس لها ضمانات، والواقع خير شاهد على ذلك، فحقوق الإنسان تنتهك كل يوم في فلسطين على أيدي اليهود، ومع ذلك لا تسمع سوى الإدانات الباردة، والوعود الكاذبة، وكأن المسلم ليس إنساناً،

أما في شرعنا الحنيف تجد ضمانات للحقوق ومنها:

أولاً: ضمان العقيدة الإسلامية:

فإن العقيدة الإسلامية تمنع المسلم من انتهاك حقوق الآخرين، وذلك عن طريق الترغيب والترهيب، والأمر بالعدل مع كل طوائف المجتمع، وهذا من سمات هذا الدين الحنيف كما سبق بيانه في مبدأ العدل في الإسلام.

وكذلك التحذير من ظلم الذمي أو المعاهد كما سبق بيانه منذ قليل

ثانياً: ضمان المجتمع الإسلامي:

فإذا وقع الذمي في ظلم مع مسلم اشتكى إلى الأمير، فإن لم يستجب، فإلى الحاكم، وإلا فليشتكي إلى القضاء أو يشتكي إلى علماء المسلمين، فيقفوا معه حتى يأخذوا له حقه.

مثال عملي: قام أحد الولاة العباسيين بإجلاء قوم من أهل الذمة من جبل لبنان بسبب خروج بعضهم على عامل الخراج، وكان قريباً من الأمير، فكتب إليه الإمام الأوزاعي، وذكره بقوله تعالى: (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) [فاطر: ١٨]، فليس لك أن تأخذ عامةً بذنوب خاصة، وهؤلاء ليسوا عبيداً حتى يحل لك أن تحولهم من بلدٍ لآخر، ولكنهم أحرار وأهل ذمة.

ولقد ذكرنا أمثلة كثيرة من عدالة المسلمين مع غيرهم في مبدأ العدالة في الإسلام.

العنصر الثالث: واجبات أهل الذمة في دولة الإسلام:

فكما أن لهم حقوقاً فعليهم واجبات إن أخلو بواجبٍ واحدٍ عاقبهم الإمام على ذلك، ومنها ما يلي:

أولاً: أداء الجزية والخراج والضريبة التجارية وهي واجبات مالية:

* **الجزية:** ضريبة سنوية تؤخذ على الرؤوس يدفعها الرجال البالغون القادرون على التكسب الذين يستطيعون حمل السلاح، ويدفعها الغني القادر على دفعها فقط، أما الفقراء فلا يدفعونها.

والجزية تُدفع مقابل إعفائهم من الخدمة العسكرية، وحمايتهم من العدو، ولذلك لا تجب على نسائهم وصبيانهم والعاجزين منهم كالأعمى والأعرج؛ لأنهم ليسوا من أهل القتال، وكذلك الشيخ الكبير، والزَّمن (المريض مرضاً مزمناً يعجزه عن القتال) والرَّاهب المعتكف دائماً في كنيسته فهؤلاء جميعاً لا يدفعونها.

قال تعالى: (فَاتَّبِعُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ

صَاغِرُونَ) [التوبة: ٢٩]، (صاغرون) مستسلمون بإلقاء السلاح وبالخضوع لحكم الدولة الإسلامية.

وتسقط الجزية بالإسلام أو بالاشتراك في الخدمة العسكرية، أو بالاشتراك في الحرب ضد العدو الخارجي، وهو ما حدث سنة ١٩٦٧ وسنة ١٩٧٣ في مصر حين حاربت مصر العدوان الإسرائيلي، أسقطت مصر الجزية عن النصارى؛ لأنهم اشتركوا في الحرب ضد العدو، وما زالوا يشتركون في الخدمة العسكرية.

* الخراج: ضريبة مالية تفرض على الأرض الزراعية التي تحت أيديهم، فهي تشبه ضريبة الأطنان أو الضريبة العقارية اليوم،

والفرق بين الخراج والجزية: أن الجزية على الرؤوس والخراج على أصول مملوكة، والجزية تسقط بالإسلام أو الاشتراك في الدفاع عن البلد، أما الخراج لا يسقط حتى ولو أسلم الذمي، وكلاهما غير محدد المقدار.

* الضريبة التجارية: وتكون على عروض التجارة وهي مثل الجمارك اليوم

والضريبة التجارية فرضها عمر على أهل الذمة التجار منهم فقط مقابل زكاة مال المسلمين، وتؤخذ من الذمي بنصف العشر، ومن الحربي بالعشر لأن أهل الحرب كانوا يأخذون العشر من تجار المسلمين فعاملهم عمر بن الخطاب بالمثل، والحربي كما ذكرنا هو من الأعداء المحاربين لكنه دخل الدولة بعقد أمان.

ثانياً: التزامهم بقوانين الدولة الإسلامية:

وذلك في الأحكام المدنية والمالية والجنائية وليست الدينية، فيمنعهم الحاكم من الربا ومن السرقة والزنا والقتل.....، ومن فعل شيئاً مخالفاً لأحكام الدولة الإسلامية عاقبه الحاكم، فمن سرق منهم قطعت يده، ومن قتل يؤخذ القصاص، ومن زنا يجرم إن كان محصناً، ويجلد إن كان غير محصن كما بيناه مراراً وتكراراً.

أما أحكامهم الدينية فيُقرُّون عليها، فإذا كانوا يرون إباحة الخمر ولحوم الخنازير لا يضيق عليهم، ولكن يفعلون ذلك خفية كما سبق بيانه حتى لا يفتنوا المسلمين. أما الزنا والسرقة وزواج المحارم فهذا كله لا يجوز كما سبق بيانه.

وإذا احتكموا إلينا في أمور دينهم حَكَمْنَا بينهم بشريعة الإسلام قال تعالى: (وَأَنْ أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) [المائدة: ٤٩].

ثالثاً: مراعاة شعور المسلمين:

فلا يَسُبُّونَ الإسلام ولا رسول الإسلام ولا يتطاولون على شيء من شعائر الإسلام ولا يروجون أفكاراً تخالف الإسلام، إلا إذا كان جزءاً من عقيدتهم كالتثليث والصلبان لكن لا يتجاهرون به، ولا يتجاهروا بتناول المحرم عند المسلمين كالخمر ولحوم الخنازير وأكل الميتة، ولا يتجاهروا بالأكل والشراب في نهار رمضان مراعاة لمشاعر المسلمين، وبالجملة كل ما يراه الإسلام منكراً فلا يتجاهرون به، وإن كان مباحاً عندهم، حتى لا تقع الفتنة.

رابعاً: لا يجوز لهم أن يبنوا كنيسةً جديدة:

ولكن إن وافق الإمام أو الحاكم أو الرئيس على بناء كنيسة لمصلحة يراها فلا يجوز لأحد أن يهدمها أو يحرقها.

خامساً: لا يجوز لهم أن يمنعوا أحداً منهم أراد أن يدخل الإسلام:

فإن أراد نصراني أو يهودي أو أي كافر أن يدخل الإسلام فليس لأحدٍ من أهله أن يمنعه أو يحبسّه أو يعذبه، وإلا فلا قيمة للفتح الإسلامي إذن، فالفتح الإسلامي مهمته أن يقضي على كل من يمنع الناس من دخول الإسلام أو يضيق على من أراد الإسلام، وهذا من باب الحرية التي ينادي بها في ظل الشعوب.

العنصر الرابع: حقوق المعاهدين : إذا دخلوا بلادنا بعقد أمان

أولاً: يجب حمايتهم.

ثانياً: لهم حرية الاعتقاد وتناول المباح في دينهم وإذا كان مخالفاً لديننا تناولوه خفية كما سبق بيانه في حقوق اهل الذمة

ثالثاً: لهم حرية التعامل المالي المشروع في ديننا فقط كما سبق بيانه في حقوق أهل الذمة.

وليس لهم التكافل الاجتماعي ولكن هذا لأهل الذمة لأنهم يدفعون الجزية...

* أما إذا لم يدخلوا بلادنا فحقهم الوحيد هو عدم الاعتداء عليهم أو على أموالهم أو نساءهم أو على بلادهم وبالمثل إذا دخل مسلم بلادهم بعقد أمان فيتم حمايته كما نفعل معهم في بلادنا حتى تنتهي مدة عهدهم أو ينقضوا عهدهم بتعطيل شرط من شروط المعاهدة، قال تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) [التوبة: ٤]، (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) [التوبة: ١٢].

أما واجباتهم: فهي ان يلتزموا بما جاء في عقد الأمان الذي عقده معنا.

العنصر الخامس: حقوق أهل الحرب الذين يحاربوننا

وهذا الموضوع تكلمنا عنه بإستفاضة في حقوق الإنسان في الإسلام، وبالمجمل يَحْرُمُ علينا قَتْلُ نساءهم وصبيانهم ورهبانهم، وكل من لا يشترك في الحرب ضد المسلمين لا يُقتل، بل نقاتل الأعداء المحاربين فقط وكل من اشترك معهم أو عاونهم في الحرب ضد المسلمين حتى يستسلموا أو يقع الصلح ولا نُخَرَّبُ في بلادهم عامة فلا نقطع الأشجار، ولا نهدم البيوت إلا إذا اضطررنا لذلك، وراجع التفصيل في حقوق الإنسان في الإسلام.

حقوق الحيوان في الإسلام

وسوف نبدأ في الحديث عن بعض حقوق الحيوان في الإسلام ليعلم الجميع أن الإسلام لم يهمل شيئاً في الحياة بل جاء الإسلام منظماً لحياة الفرد والمجتمع حتى الحيوان لم يهمل حقوقه فنص عليها في نصوصه الكريمة.

وللأسف الشديد فأنا أشعر بالحجل حين أتكلم عن حقوق الحيوان، لأننا في زمن انتهكت فيه حقوق الإنسان، فلقد قُتل الأبرياء وشُرِّدَ الأطفال والنساء والشيوخ والضعفاء ودُمِّرت مدن بأكملها، وتمَّ كل ذلك تحت مسمى حماية حقوق الإنسان، وهذا مما زاد الطين بلةً والله وحده المستعان.

وقبل البدء في الكلام عن تلك الحقوق نتحدث عن شيء مهم وهو

حقائق مهمة حول الحيوان غفل عنها جهلة الإنس والجان:

أولاً: الحيوان ذُكِرَ في القرآن: وهذا يعتبر تشريف للحيوان، فلقد ذكر الكثير من الحيوانات في القرآن مثل:

البقر والغنم والإبل والنحل والنمل والفيل والحوت والمهدد والسمان والأسد والسَّبُعُ والكلب والحمار حتى الذباب والبعوض والعنكبوت والقمل والجراد..... وكذلك هناك سور سميت بأسماء حيوانات مثل سورة البقرة وسورة الأنعام وسورة النحل وسورة النمل وسورة الفيل وسورة العنكبوت.

ثانياً: الحيوان يشترك مع الإنسان في صفات كثيرة، فالحيوان يأكل ويشرب ويتناسل ويموت ويبعث ويُحشَر والفرق بين الحيوان والإنسان التفكير، فالحيوان له عقل ضئيل يسير به ويتعاش به، ولا يتكلم لكن من الحيوانات من يردد كلام الإنسان كالبيغاء، أما الإنسان فيتكلم بطلاقة وله عقل كبير ويفكر ويتكرر، ومع ذلك سوف يحشر الله تعالى الحيوان يوم القيامة لأخذ القصاص منه، قال تعالى: (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ) [التكوير: ٥] وقال تعالى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا

فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) [الأنعام: ٣٨]، فالحيوانات أمم كالإنسان، وسوف تُحْشَرُ كالإنسان.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لتؤذُنَّ الحقوق إلى أهلها حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء).

* والدليل على أن الحيوان يعقل نسبياً هو ما نشاهده على أرض الواقع فالكلب يُنْقِذُ أوامر صاحبه؛ والحمار يذهب إلى الحقل ويعود وحده؛ وأنثى الحيوان تُرَضِّع صغارها في مواقيت محددة مع أنها لا تمتلك ساعة؛ فمن الذي ألهمها التوقيت المحدد؟ الله الذي خلقها وسواها وأنعم عليها وهداها.

قصة لطيفة: في يوم من الأيام سار طبيب بيطري في الطريق، فوجد كلباً مكسور القدم، فاصطحبه معه إلى عيادته البيطرية، وقام بعلاج هذا الكلب ورعايته، حتى تم شفاؤه، ثم سرّحه، يقول الطبيب وبعد أيام سمعت طرقاتاً طفيفاً على باب العيادة، ففتحت الباب، فوجدت ذلك الكلب جاء ومعه كلبٌ آخرٌ مكسورٌ القدم أتى به إلى العيادة لكي أداويه، إذن فالحيوان يعقل نسبياً.

ثالثاً الحيوان يُسَبِّحُ بحمد الله كسائر خلق الله تعالى: ولكننا لا نسمع هذا التسبيح ولا نفقهه، قال تعالى: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) [الإسراء: ٤٤]، (وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ) [الأنبياء: ٧٩]، (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّارُ لَهُ الْحَمْدُ) [سبأ: ١٠]، (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) [النحل: ٤٩]، (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ) [الحج: ١٨] والمراد من السجود هنا الانقياد ومنه سَجَدَ البعير أي طأطأ رأسه يعني انقاد لصاحبه وسجد الشجر أي مال من كثرة الحمل. وقيل المراد سجود الظل أي أن الظل هو

الذي يسجد، فالكافر يسجد ظله وهو لا يصلي أصلاً، وكان الحسن البصري يقول للكافر سجد ظلك أما أنت فلا تسجد لربك فبئسما صنعت.

رابعاً: الحيوان يرى ويسمع ما لا يراه ولا يسمعه الإنسان:

* فبعضها يرى الملائكة وبعضها يرى الجن، والحيوانات ثبت أنها تسمع أصوات المعذبين في القبور، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنه رأى شيطاناً).

وعن ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الموتى ليعذبون في قبورهم حتى إن البهائم لتسمع أصواتهم) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير وصححه الألباني (ص: ج / ١٩٦٥).

* والحيوانات تُشْفِقُ من يوم الجمعة؛ لأنها تعلم أن الساعة ستقوم يوم الجمعة، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تطلع الشمس ولا تغرب على أفضل من يوم الجمعة وما من دابة إلا وهي تفزع يوم الجمعة إلا هذين الثقلين الجن والإنس)^(١)، وعن أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم (ما على وجه الأرض من دابة إلا وهي تصبح يوم الجمعة مُصِيخَةً - تستمع بإنصات - حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس) أخرجه أبو داود وصححه الألباني في (ص: ج / ٣٣٣٤)

خامساً: الحيوانات عجماء، لكنها تتخاطب فيما بينها، وقد يُطْلِعُ اللهُ بعض خلقه على ذلك، وتكون معجزة له، أو كرامة له، وكلنا نعلم أن سيدنا سليمان كان يفهم لغة الطير، وتكلم مع الطير، وفهم كلام النملة، وكل ذلك سجله القرآن قال تعالى: (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ

(١) أخرجه ابن حبان من رواية أبي هريرة وحسنه الألباني في (ص: الترغيب: ٦٩٧).

صَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ (... [النمل: ١٧-١٩]، وقال سليمان: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ) [النمل: ١٦]، وتكلم معه الهدهد حين قال له: (أَخْطُتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ) [النمل: ٢٢].

* وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم: (بيننا راع في غنمه عدا عليه الذئب، فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي حتى استنقذها منه، فالتفت إليه الذئب، فقال: من لها يوم السَّبْعِ؟ يوم لا راع لها غيري فقال الناس: سبحان الله، وبيننا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها - ركبها - فالتفت إليه، فكلمته، فقالت: إني لم أُحَلِّقْ لهذا، ولكنني حُلِقْتُ للحرث، قال الناس: سبحان الله قال النبي صلى الله عليه وسلم: فإني أو من بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب).

سادساً: الحيوانات من آيات الله تعالى وفيها عظة للناس:

قال تعالى: (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ...) [الغاشية: ١٧]، وقال جل شأنه: (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) [النحل: ٦٦]، وقال سبحانه وتعالى: (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ) [غافر: ٧٩-٨٠]، (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [العنكبوت: ٤١]، ولقد تكلمنا عن إعجاز القرآن في علم الحيوان عندما كنا نتحدث عن الإعجاز العلمي في القرآن في الفصل الأول.

سابعاً: الحيوانات تراحم فيما بينها كالإنس والجان:

فالأم والأب في الحيوانات يُشْفِقَانِ عَلَى وَلَدِهِمَا كَمَا فِي عَالَمِ الْإِنْسِ وَالْجَانِ، وَهَذَا كَلَهُ لَا يَجْهَلُهُ أَحَدٌ، وَجَدِيرٌ بِالذِّكْرِ أَنْ نَذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ الْمَتَّفِقَ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جِزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ

جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك تتراحم الخلق حتى الفرس ترفع حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه)، كل هذا من جزء واحد، فكيف إذا رحمنا الله بالتسعة والتسعين الباقين أسأله جل وعلا أن يتغمدنا برحمته إنه هو أرحم الراحمين.

قصة لطيفة: كان بعض السلف يتناولون الطعام فوقف أمامهم قطُّ (هرُّ)، فوضعوا له شيئاً من اللُّقْمِ واللحم، فكان يأخذ الطعام وسرعان ما يأتي ويعطونه غيره، وتكرر ذلك كثيراً فتعجبوا هل كل هذا الطعام لا يكفي القط، فراقبوا القط، فوجدوه يأخذ الطعام، ويذهب به إلى مكان خرب فيه قطُّ آخر أعمى فيلقي إليه الطعام، وهكذا يفعل القط الصحيح مع الأعمى، فسبحان من خلق كل شيء وهداه وأطعمه وسقاه ومنَّ عليه وهداه، وبإيتنا نترحم بيننا كما فعل هذا القط.

ثامناً: إغاثة الحيوان تكون سبباً في مغفرة الذنوب:

ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم: (بيننا كلب يطيف بركبته - بئر - كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت مؤقها - حُفَّها - فاستقت له به، فغُفِر لها به)، والبغي هي الزانية، أي تفعل الكبائر؛ فالزنا من الكبائر ومع ذلك غفر الله لها بسبب هذا الكلب الذي سقته.

تاسعاً: الحيوان قد يتسبب في هداية بعض الناس:

* فاللهد كان السبب الأول في هداية بلقيس وقومها إلى الإسلام، لأنه هو الذي اكتشف مملكة سبأ وكانت مشركه، فقام بإبلاغ سيدنا سليمان بذلك ودارت القصة حتى أسلمت بلقيس وأسلم قومها.

* الجن زعموا أنهم يعلمون الغيب، فاكتشفوا بطلان هذا الزعم، وكان السبب في ذلك الأرضة (السوسة) لأن سليمان مات وهو جالس على الكرسي أمامهم ومع ذلك لم يعلموا بموته، وظلوا منشغلين بالأعمال الشاقة، حتى أكلت الأرضة وهي السوسة عصا سليمان التي كان يتكأ عليها، فلما تخلصت العصا لم تتحمل جسد سليمان، فسقط على

الأرض، فعلمت الجن أنهم لو كانوا يعلمون الغيب لاكتشفوا موت سليمان، وهو أمامهم وما استمروا في الأعمال الشاقة التي أمرهم بها، قال تعالى: (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ) [سبأ: ١٤]، يعني أن (سوسة) كانت السبب في الكشف عن موت سليمان فكانت فهي السبب في نجاة الجن من الأعمال الشاقة.

وإذا قلت إن الأرضة ستأخذ وقتاً طويلاً في أكل العصا وقد يستمر ذلك لأيام فأين أهل سليمان وحاشيته من الإنس ألم يكن من الواجب أن يسألوا عنه؟

الجواب لعل الأرضة أكلت جزءاً سريعاً من أسفل العصا في وقت يسير - ساعات مثلاً - فوقع جسد سليمان لأنه كان متحاملاً عليها فلم تتحمل العصا بعدما تحورت من الأسفل والله أعلم.

* والذباب والناموس يؤذي الأشرار في الليل، فالشرير يضرب الناس في النهار، ويضرب نفسه في الليل عند النوم ليدفع النوم والذباب عن وجهه، فيضرب وجهه ليقتلها، فتفر منه، ويظل هكذا حتى الصباح، قال تعالى: (وَإِنْ يَسْأَلُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) [الحج: ٧٣].

عاشرا: الحيوان قد يكون سبباً في نجاة بعض الخلق:

مثل الأرضة (السوسة)، والتي كانت سبباً في نجاة الجن من الأعمال الشاقة.

وفي عهد سيدنا سليمان حدث قحط وجذب، فخرج بالناس لكي يصلي بهم الاستسقاء، ويدعو الله حتى ينزل عليهم المطر، وفي طريقه وجد نملة مستلقاة على ظهرها، وترفع قوائمها إلى الله تعالى، وتدعو وتقول: اللهم إنا خلقنا من خلقك، ولا غنى لنا عن فضلك، فقال سليمان للناس: ارجعوا فقد استجيب لكم بدعاء غيركم.

قصة لطيفة: أحد الملوك كان يربي كلباً في القصر، ويهتم به، فخرج الملك ليتنزه مع حاشيته، وترك الكلب مربوطاً في القصر، فأبصر الكلب ثعباناً يبئخ السَّم في الماء الذي

يشرب منه الملك، ولم يتمكن الكلب من قتل الثعبان لأنه كان مُقيداً، ولما عاد الملك أخذ الكلب ينبح، ففكروا قيده، فلما رأى الملك يتناول الإناء ليشرب من الماء المسموم أخذ ينبح بشدة، فتعجبوا ولم يفهموا ما يريد الكلب، فلما أصرَّ الملك على الشراب قام الكلب بالشرب قبله حتى مات، فعلم الملك أن الماء كان مسموماً، وأن الكلب فداه بنفسه، فحمل الكلب في نعش ودفنه في قبر تكرّياً له، وكتب على قبره هذا قبر كلب^١.

الحادي عشر: الحيوان أفضل من بعض الخلق،

* فالحيوان أفضل من الكفار قال تعالى: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ) [الأعراف: ١٧٩]، وذلك لأن الحيوان يسبح وليس له عقل كبير كما سبق بيانه، والإنسان له عقل كبير فإذا كفر بالذي خلقه، كان الحيوان أفضل منه، ولذلك قال بعض السلف: خلق الله الملائكة بعقول ولا شهوات لها، وخلق الحيوان بشهوات، وبلا عقول، فمن غلب عقله شهواته كان كالملائكة، ومن غلب شهواته عقله كان كالحیوان.

* ولا ننسى أن الهدهد أنكر على بلقيس وقومها أنهم يسجدون لغير الله تعالى.

بعض حقوق الحيوان:

أولاً: الحيوان له الحق في سُكْنَى الأرض والأكل من خيراتها:

فإن الله تعالى خلق بعض الزروع في الأرض للحيوان، ولذلك قال في كتابه العزيز: (وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِالْأَنْعَامِكُمْ) [عبس: ٣١، ٣٢]، (وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِالْأَنْعَامِكُمْ) [النازعات: ٣٠-٣٣]، (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ) [يونس: ٢٤].

١ - (ساعة وساعة: ٣٧٣-٣٧٤) للشيخ محمود المصري

ثانياً: يحرم علينا حبس الحيوان والتضييق عليه:

ففي الحديث المتفق عليه عن عبد الله بن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم: (دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض)، ومعنى الخشاش هوام الأرض كالقثران وحشرات الأرض.

سبحان الله إن الله عَذَّبَ المرأةَ لأنها حبست قطةً مع أنها لم تعذبها فماذا سيفعل مع الذين عَذَّبُوا الإنسانَ في جوانتانامو وأبي غريب وقتلوا الملايين في واضطهدوا آخرين في سوريا وكشمير وبورما وليبيا والشيستان والبوسنة..... كل ذلك من أجل مصالح شخصية؛ قال تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (البقرة: ٢٨١)

ثالثاً: لا يجوز تعذيب الحيوان أو اتخاذه لعباً وغرضاً:

ففي صحيح مسلم عن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً)، وفي الصحيحين عن سعيد بن جبير أن ابن عمر مرَّ بنفَرٍ نصبوا دجاجة يرمونها (يرمونها بالسهم) فلما رأوا ابن عمر تفرقوا عنها (تركوا الدجاجة وانصرفوا)، فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ إن النبي صلى الله عليه وسلم لعن من فعل هذا (لعن النبي صلى الله عليه وسلم من مثَّل بالحيوان).

كذلك يحرم ضرب الحيوان بالسهم حتى الموت لأنه تمثيل بالحيوان إلا إذا اضطربنا لذلك، ففي الحديث عند البخاري ومسلم أن أنس دخل دار الحكم بن أيوب، فإذا قوم قد نصبوا دجاجة يرمونها، فقال أنس: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تُصَبَّرَ البهائم).

مما سبق يتضح لك جلياً أنه لا يجوز الاستمتاع بمصارعة الدببة كما يفعل الجهَّال، ولا يجوز الاستمتاع بمناطحة الخراف، أو مصارعة أي حيوان مع آخر.

وكذلك لا يجوز قلي السمك وهو حي يضطرب، ففي اليابان يتم قلي السمك وهو حي، ويقدم للزبون المفترس على طبق، وهو يتقلب في الطبق، أليس هذا تعذيب للحيوان يا دعاة حقوق الإنسان والحيوان.

وفي الفليين يأكلون دماغ القرده، وفي الصين وبعض بلاد الغرب يأكلون الأجنة البشرية في المطاعم، ثم ينادون بحقوق الإنسان.

ولقد شاهدت شريطاً مسجلاً في فرنسا أحدث ضجة واسعة فيها فقد كشف أسوء معاملة في ذبح الحيوان في إحدى المذابح الآلية بفرنسا وتم التعليق عليه في نشرة الأخبار بفرنسا فأصدر عمدة البلدة التي فيها المذبح بغلقه والتحقيق في القضية، وقد رأيت الجزائر في الشريط وهو يضرب البهيمة على رأسها بالسَّاطور ويضربها على قدمها حتى تهمد قليلاً ثم تُربط من إحدى قدمها ويتم سحبها فتعلق من قدم واحدة ثم تذبح وهي معلقة بأسلوب بشع

يتتهكون الحقوق ثم ينشئون منظمات لحقوق الإنسان وأخرى لحقوق الحيوان وهي مجرد مظاهر يتبجحون بها في وجوه المسلمين فقط وإلى الله وحده المشتكى.

رابعاً: يُستخدم الحيوان فيما خلق له فقط:

فلا يجوز لك أن تركب الخروف أو البقرة، ولكن تركب الجمل أو الحمار أو الفرس والفيل... فالكل يُستخدم فيما خُلِقَ له، ولقد ذكرت لك منذ قليل حديث البقرة التي كلمت الرجل حين ركبها فقالت له: ما لهذا خُلقت، ولكني خلقت للحرث.

خامساً: لا يجوز لك أن تُرهق الحيوان في العمل:

فلا يجوز لك أن تكلف الحيوان فوق طاقته في العمل، سواء كان فرساً أو حملاً أو جملًا، مهما كانت قوته، فلا يكلف فوق طاقته، واستمع إلى هذه القصة الطريفة، عن عبد الله بن جعفر أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل حائطاً لرجل من الأنصار، فإذا جمل، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم

فمسح ذُفراه فسكت - ذفري البعير أصل أذنيه حيث يعرق الحمل من أصل أذنيه من الخلف - فقال: من رب هذا الحمل؟ لمن هذا الحمل؟ فجاء فتى من الأنصار، فقال: لي يا رسول الله، فقال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكى إليّ أنك تُجيعه وتدئبه - أي تتعبه - (١).

وهنا نلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفهم لغة الحيوان لذلك فهم شكوى الحمل، والوقائع في ذلك كثيرة جداً، المهم لا يجوز لك أن تُكَلِّف الحيوان فوق طاقته، ويجب عليك توفير الطعام والشراب له.

سادساً: حرمة دم الحيوان:

فلا يجوز لك أن تزهد روحه إلا الذي أحل الله ذبحه لأكله، أو الذي أحل الله قتله لأذيته، أما القتل لمجرد العبث فلا يجوز، ففي صحيح مسلم من حديث ابن عباس (لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً) ومرّبك حديث ابن عمر المتفق عليه (لعن النبي صلى الله عليه وسلم من مثل بالحيوان).

سابعاً: الإحسان في ذبحه وفي قتله:

فلا تعذبه أثناء الذبح أو القتل، وفي صحيح مسلم عن شداد بن أوس قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليُجِدَّ أحدكم شفرته وليُرح ذبيحته) أي اختاروا أسهل الطرق في الذبح، وكذلك في القتل سواء كان القتل قصاصاً أو حدّاً ومعنى (وليُرح ذبيحته) أي يتركها بعد الذبح حتى تبرد فلا يسْلُخها حتى تبرد.

ثامناً: احترام مشاعر الحيوان واجب علينا:

فكل ما يؤذي الحيوان لا بد وأن نبتعد عنه، حتى عند الذبح مثلاً لا تُجِدَّ السكينة أمامه عند الذبح، واستمع إلى هذه القصة البليغة في حقوق الحيوان، عن ابن عباس أن

(١) - أخرجه أبو داود وأحمد وصححه الألباني (ص: د: ٢٢٩٧).

النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ على رجلٍ واضعٍ رجله على صفحة شاة، وهو يجد شفرته وهي تَلْحَظُ إليه ببصرها، فقال: (أفلا قبل هذا؟ أتريد أن تُميتها موتتين)^(١)، أي أفلا قمت بتحديد الشفرة قبل أن تهيئها للذبح حتى لا تتألم.

* ولقد سُمِّيَ أبو هريرة بذلك لحفاوته ورعايته لهرة صغيرة كان يحملها في كفه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (يا أبا هر) ولما كانت الهرة صغيرة، قيل له: (يا أبا هريرة) تصغير هرة.

* واستمع إلى هذه القصة كان الزمخشري من كبار علماء المسلمين، وقُطِعَتْ إحدى قدميه فسألوا عن سبب قطعها، قال: دعاء أمي حيث كنت صغيراً ألعب بعصفور، فدخل العصفور في عشٍّ فأمسكت برجله فُقُطِعَتْ رجله، فتألمت أمي، وقالت: قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله، فلما كبرت وقعت من على الدابة، فانكسرت قدمي، وعمَلْتُ عليَّ عملاً أوجب قطعها فُقُطِعَتْ.

* ولقد قال عمر بن الخطاب: (لو أن بغلة تعثرت في طرق العراق لخشيت أن يسألني الله عنها لم لم تسوي لها الطريق يا عمر) هكذا خشي أن يُسأل عن بغلة تعثرت، وأين؟ في العراق، وليس عنده في المدينة.

فهل المسلمون كانوا بحاجة إلى إنشاء منظمات لحقوق الإنسان والحيوان؟ أم هو التدليس والتلبيس من أعوان إبليس وهم المنافقون الذين يقولون ما لا يفعلون.

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط وصححه الألباني (س: ص: ٢٤).

فصل في خطط الأعداء لهدم الإسلام

تمهيد: لقد حاول أعداء الإسلام على مدى التاريخ أن يدمروه ففشلوا.

ففي البداية أدرك الاعداء أن الإسلام لن يُهزَم بالسيف فلجأوا إلى المكر الخبيث، فحاولوا هدم الإسلام عن طريق التحريف فيه فحاولوا التحريف في القرآن ففشلوا لأن القرآن محفوظ في صدور المسلمين، وله تلاوة خاصة به تؤخذ عن طريق المشايخ الحفاظ وبالسند المتصل كما بيناه في الفصل الأول، فلجأوا إلى تحريف أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، فاختلقوا آلاف الأحاديث ونسبوها إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) لكن اكتشفوا أن جهدهم لا قيمة له، لأن المسلمين لا يأخذون الأحاديث إلا بسند صحيح، لذلك أفنى العلماء الجهابذة عمرهم في جمع وتنقيح الأحاديث وآثار الصحابة حتى ميزوا بين النص الصحيح والسقيم.

وبعد دخول القرن الثامن عشر لجأ أعداء الإسلام إلى خطط متكاملة لهدم دولة الإسلام، وقد أعددت هذا الفصل لكشف هذه الخطط، وهذه الخطط هي:

الخطوة الأولى: العمل على إضعاف قوة المسلمين سياسياً

الخطوة الثانية: العمل على ضرب إقتصاد الدول الإسلامية

الخطوة الثالثة: غزو المناهج الدينية الإسلامية

الخطوة الرابعة: غزو اللغة العربية

الخطوة الخامسة: الغزو الفكري للمسلمين

الخطوة السادسة: الغزو الأخلاقي للمسلمين

الخطوة السابعة: امتصاص طاقة المسلمين

الخطوة الثامنة: الغزو الإعلامي للمسلمين

الخطوة التاسعة: دعم العلمانيين للول إلى سدة الحكم في البلاد الإسلامية

الخطوة العاشرة: دعم كل تنظيم ديني أو مدني يحمل في طياته هدماً للإسلام

* وإتماماً للفائدة ذكرت خطة شاملة مضادة لخطة الأعداء

الخطة الأولى

العمل على إضعاف قوة المسلمين سياسياً

فقد سعى الغرب بكل السبل لتفكيك وتفريق قوة المسلمين، وتشتيت شملهم، حتى تضعف قوتهم سياسياً، فيعجزوا عن جهاد أعداء الإسلام.

ولقد قام العدو بعدة سياسات لتحقيق هذه الخطة ومن ذلك ما يلي:

أولاً: إلغاء الخلافة الإسلامية:

فلا شك أن الخلافة الإسلامية هي مركز قوة المسلمين فهي النواة التي تجتمع حولها دول الإسلام، فالخليفة هو السلطان الأعظم لكل دول الإسلام، وهذا يعني أن دول الإسلام كلها تمثل دولة واحدة عاصمتها الخلافة، ويستطيع المسلم دخول أي دولة إسلامية بلا تأشيرة دخول أو أي عائق.

لكن للأسف الشديد عندما احتل الغرب دولة الخلافة (تركيا) لعشرات السنين اشترطوا لإنهاء الاحتلال عدة شروط منها إلغاء الخلافة، وإعلان الجمهورية التركية، وإلغاء المحاكم الشرعية والعمل بالقوانين الوضعية.

ولم يكتفوا بذلك بل أتوا بعميل لهم وهو مصطفى كمال الدين أتاتورك، وجعلوه رئيساً لجمهورية تركيا، ليضمنوا تنفيذ ما اشترطوه وبالفعل ألغى الخلافة، وأعلن الجمهورية، وألغى القوانين الشرعية، وأعلن العمل بالقوانين الفرنسية الوضعية، وألغى اللغة العربية، وجعل اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية، ومنع الحجاب والخمار، وفرض التبرج والسفور عنوة، ومزق المصحف، وهدم المساجد وحولها إلى حظائر للخيل ونشر الخمر في البلاد بين العباد..... الخ

فجاء بكل دمار وذمار - خراب وعار - على الدولة الإسلامية طاعة لأسياده الغربيين عامله الله بما يستحق.

وبعد إلغاء الخلافة تقطعت أوصال الدولة الإسلامية، وأصبحت دولاً ودويلات وتفرقت كلمة المسلمين، بسبب الحرص على الرياسة والمصالح الشخصية، وهذا ما أرادته العدو، وكما قيل (فرّق تسد) وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وجدير بالذكر: أن مصطفى كمال الدين أتاتورك أمل على الشعب التركي عقيدة فاسدة راكدة وهي أن الدين الإسلامي هو سبب التخلف، ووعدهم بالتقدم حتى تلتحق بركاب الغرب لكن بشرط التخلي عن الالتزام بالدين الإسلامي التمسك بما عليه الغرب؛ فحارب الدين الإسلامي بكل ما أوتي من قوة ونشر الإنحلال الأخلاقي كالغرب؛ لكن الله خيب ظنه؛ وظلت تركيا في مستنقع الجهل ودياجير الظلم والظلام وفي قطار التخلف.

* وظلوا كذلك حتى تولى تركيا الزعيم أردوغان من حزب **الإسلام الإسلامي** وكان قارئاً للقرآن فنهض بشعبه وانتشله من هذا التخلف حتى أصبح اقتصاد تركيا في مصاف اقتصاد الدول المتقدمة بفضل الله وبسبب أردوغان؛ لأنه لا ينافق أحداً على حساب الحق والعدل بل يهاجم إسرائيل الفاشية الجائرة نهراً جهاراً ويقف مع الحق حيث كان ولقد ضرب في ذلك أروع الأمثلة وتاريخه به صفحات من نور؛ نحسبه كذلك والله حسيبه ولا نزيهه على الله تعالى؛

ولذلك تجد شعبه يجدد له العهد ويتمسك به بل ووقف معه ضد محاولات الجيش للإنقلاب عليه بل ووقفت معه الأحزاب المعارضة له لأنها مثقفة، وأسأل الله أن يطيل عمره ويحسن عمله وأن يجعله خيراً مما أعلم وأن يغفر له ما لا أعلم.

ثانياً: بث الفتنة بين دول الإسلام:

لم يكتف العدو بإلغاء الخلافة، وتقطيع أوصال الدولة الإسلامية وتحويلها إلى دول ودويلات، بل خطط لزرع الفتنة بين دول الإسلام عن طريق أجهزة المخابرات السرية، حتى لا يكون هناك تعاون فيما بينها، بل وينشأ الحقد بين زعماء الدول الإسلامية، فينشغلون بالفتن السياسية ولا يفكرون في خدمة الإسلام.

وقد يكون هناك مجلس تعاون أو مجلس اتحاد..... بين دول الإسلام، لكنها مجرد مسميات لا تصنع شيئاً.

وبالمثال يتضح المقال، فقد قامت أمريكا بتحريض العراق على الكويت بحجة سرقة البترول منه مع أن الدولتين إسلاميتين، وهما أعضاء في مجلس التعاون الخليجي، ولكن الحرص على الدنيا يقلب الحسابات، وبالفعل قامت العراق بغزو الكويت، وأعلنت الحرب على كل من يقف معها ضده، فانظر هداك الله كم نفس قتلت، وكم من المنشآت هدمت، وكم من المصالح عطلت بسبب الفتنة، وللأسف يُقتل المسلمون بعضهم، ويُجربون بيوتهم بأيديهم وأيدي العدو ومكره.

*وفي حرب الخليج الأولى (كانت بين العراق وإيران) كانت أمريكا تمد العراق بالسلاح ظاهراً، وفي الخفاء تمد إيران بالسلاح، وتتظاهر أنها مع العراق، فقتل عشرات الآلاف من الطرفين، والمكسب للعدو الحقيقي وهو أمريكا والغرب، وهو إهلاك المسلمين ببعضهم والاستفادة من بيع السلاح وتجربته في المسلمين.

ثالثاً: تفتيت الدولة الكبيرة:

فقد خطط العدو لتفكيك بعض الدول الإسلامية الكبيرة المساحة الغنية بالموارد، وذلك عن طريق زرع الفتنة في الدولة الواحدة، والمناداة بانفصال الجزء المعارض عن باقي الدولة، وغالباً يكون الجزء المعارض هو الغني بالموارد، فتقوم دول الأعداء بدعمه وإنزال العقوبات على الدولة الأم، حتى ترضى بالإنفصال، ثم يستفيد العدو بموارد الجزء المنفصل بعد ذلك.

* وبالمثال يتضح المقال فقد زرعت أمريكا الفتنة في دولة السودان الكبيرة، وكانت أكبر دولة في قارة أفريقيا وغنية بالموارد، ونشب القتال والأهلية بين الشمال والجنوب لعدة سنوات، وفي النهاية وبمكرٍ ودعمٍ من الأعداء تم الانفصال، فأصبحت هناك دولة جنوب السودان ومعظمها نصارى، والآن يستفيد العدو من هذا الانفصال، فهو يستفيد من بترول هذه الدولة الصغيرة حتى أن إسرائيل تستفيد من

الزراعة فيها، ومن بتروها ومياها العذبة، وقبل كل شيء تمّ تمزيق أكبر دولة في أفريقيا (لله الأمر من قبل ومن بعد).

* ولا ننسى أن بوش الأب رئيس أمريكا الأسبق كان وراء تفكيك الاتحاد السوفيتي لتصبح أمريكا وحدها هي القوة العظمى.

رابعاً: ضرب استقرار الدول الإسلامية:

والهدف من هذه الخطوة إهلاك المسلمين ببعضهم عن طريق إنشاء ودعم القوى المعارضة في الدولة الواحدة، وطبعاً لا توجد دولة على وجه الأرض إلا وتجد فيها قوى سياسية معارضة؛ لأن الآراء تختلف ولا تأتلف فلا يحدث استقرار سياسي في الدولة، ولا تفكر في جهاد العدو، بل تدعن لقراراته، بسبب ضعفها.

وبالمثال يتضح المقال فقد قامت أمريكا ودول الغرب بدعم القوى السياسية المعارضة في دول الإسلام، وشجعتها على عمل الاحتجاجات ضد النظام الحاكم، وبالفعل قامت ثورات عارمة في عدة دول إسلامية مثل تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا والسودان والجزائر والمغرب ومالي والبحرين والسعودي والكويت... وغيرها، والنتيجة سقوط عشرات الآلاف من القتلى، والملايين من المصابين، وسقوط بعض الحكام مثل حاكم تونس، وحاكم مصر، وحاكم اليمن، وحاكم ليبيا، بل إن حاكم ليبيا قُتل بطريقةٍ بشعة، وبعدها انتشرت الاحتجاجات الفتوية في الدول الإسلامية، وتعطلت المصالح، ووهن اقتصاد هذه الدول، وأشرفت على الهاوية بسبب توقف الإنتاج، وعمّت الفوضى وانتشرت أعمال البلطجة والسرقه والنهب والاعتصاب بعد كسر هيبة الشرطة في هذه الدول، وأصبح الناس في وجل وبلغت القلوب الحناجر، واضطرت الجيوش إلى النزول للطرق العامة لسد عجز الشرطة وأصبحت هناك حدود شبه خالية من حرس الحدود كما حدث على حدود ليبيا بسبب القتال الذي نشأ بين المعارضة والدولة وإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولا ننسى أن منظمات المجتمع المدني كانت تتلقى تمويلاً أجنبيّاً؛ لعمل الاحتجاجات تحت مسمى حرية التعبير عن الرأي بالمظاهرات، وكانت تُدسُّ البلطجية في المسيرات لضرب المنشآت الحكومية، بل وصل الأمر إلى حبس المشايخ، وحرق المساجد، وتمزيق المصاحف، ووهنت الدول الإسلامية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعلمياً... بسبب طاعة العدو والخروج على الحاكم.

* بل إن بعض الدول الإسلامية انهار جيشها بسبب الاضطراب السياسي الداخلي مثل ليبيا وسوريا والعراق...

خامساً: تدمير الصحة:

فقد كَرّث العدو جهوده لتدمير صحة المسلمين، وخاصةً الشباب منهم فهم الحصن والمنعة من العدو، وأول من يفكر في جهاد العدو هو الشباب المسلم، فقام العدو بإنتاج العديد من السلع المدمرة للصحة ونشرها في بلاد المسلمين مثل التدخين كالسيجارة والسيجار والبايب وعلب معسل الشيثة، وكلنا نعلم أن التدخين كله ضار، ويُسبب أكثر من سبعين مرضاً فتاكاً منها سرطان الدم وسرطان الرئة، يعني قد يتسبب في الوفاة، ولا ننسى أن المدخن يضر غيره بدخان المسموم؛ وللأسف أحياناً تستورد الدولة الإسلامية وسائل التدخين الأجنبية، ويتم الترويج لها في وسائل الإعلام من إعلانات ومسلسلات وأفلام وصحف ومجلات.....

* المخدرات وجميع أنواع المفترات، وهي أشد من التدخين ضرراً، بل إنها تدمر الجسد بشكلٍ عام، وتُذهب بالعقل، وأغلب الحوادث بسبب هذه المخدرات، وكثيراً ما نقرأ في صحف الحوادث عن تعدي الرجل على المحارم جنسياً بسبب المخدرات فيقع في ابنته أو أمه....، وأكثر حوادث الطرق والقتل سببها المخدرات.

* الخمر وجميع أنواع المسكرات، فهذه لا تنتج إلا على يد العدو، وللأسف هناك شركات تجارية تعمل في الخمر والمسكرات بتصريح من الحكومات الإسلامية، والله وحده المستعان، والإعلام يُروِّج لها على أنها نافعة صحياً، والعكس صحيح، فهي تدمر

الكلى والبطن عامةً، وصدق القرآن حين حرمها بسبب ضررها، وأوجز القاعدة فقال: (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) [الأعراف: ١٥٧]، وفي الحديث (الخمر أم الخبائث فمن شربها لم تقبل صلاته أربعين يومًا، فإن مات وهي في بطنه مات ميتة جاهلية)^(١).

* المشروبات الغازية مثل الكوكاكولا والبيبسي كولا وسيفن أب والكافز.....، فهي منتجات إسرائيلية، وثبت ضررها البالغ على العظام والمعدة والكلى.....، وأغلب الأجانب في بلاد الغرب لا يشربونها فأكبر مستهلك لها بلاد العرب، فهم يصنعونها لنا فقط ولا يشربونها بسبب ضررها، ويكفي أن أرباح هذه المشروبات تذهب إلى بلاد العدو، ويستعين بها على حرب المسلمين.

* وهناك منتجات أخرى كثيرة ومنها تصدير حفاظات الأطفال لبلاد المسلمين فقد ثبت أن بها مواد تؤدي إلى العقم، ومنها ما قامت إسرائيل بتصديره لبلاد العرب المسلمين مثل الجزام الذي اكتشف علماء مصر أن فيه قطعة مغناطيسية تسبب العقم، وكذلك القمح المسرطن واللحوم الفاسدة، كل هذا يتم تصديره لبلاد المسلمين لتدمير صحتهم حتى لا يقووا على عدوهم.

سادساً: المناداة بتحديد النسل:

والمناداة بتحديد النسل أصبح شائعاً في بلاد الإسلام بتحريض ومكر من العدو خوفاً من تكثير العدد، فيصبح المسلمون في قوة ومنعة.

وتحديد النسل وجد قبولاً في الأوساط الراقية التي تتشبه بالبلاد الكافرة، لذلك تجد الأسرة في الأوساط الراقية تحتوي على الوالدين وولدين أو واحد فقط، ونادراً ما تجد أسرة في الأوساط الراقية فيها ثلاثة من الأولاد.

(١) أخرجه الطبراني في (الأوسط) من رواية ابن عمرو وحسنه الألباني (ص: ج: ٣٣٤٤)

ومن التحريض على تحديد النسل أن جعلوا من شروط الأم المثالية أن يكون عندها اثنان من الأولاد فقط، وبعض الشركات تجعل الشرط ثلاثة أولاد.

* وتحديد النسل فيه مخالفة ظاهرة للإسلام، ففي الحديث (تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم)^(١).

والرزق بيد الله وحده فلا خوف من الفقر قال تعالى: (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا) [لقمان: ٣٤] والرزق مكتوب قبل الولاده، وأغنى الدول في البترول هي دول الإسلام، وللأسف أكبر الجيوش هي جيوش العدو، فهل من معتبر؟

(١) أخرجه أبو داود والنسائي من رواية معقل بن يسار وصححه الألباني (ص:ج / ٢٩٤٠)

الخطبة الثانية

العمل على ضرب اقتصاد دول الإسلام

فالعَدُو يريد تدمير كل شيء، فبعد أن نجح في تفتيت دولة المسلمين الكبرى، اتجه للعمل على ضرب اقتصادهم، ونجح في ذلك نجاحًا كبيرًا كما ستراه الآن.

* بعض طرق التي انتهجها العدو لهدم اقتصاد الدول الإسلامية:

أولاً: غزو الأسواق:

وتَمَّ عن طريق فتح الأسواق الحرة في الدول الإسلامية، وطرح المنتجات الأجنبية بسعر مُعْرِي، والترويج لها في وسائل الإعلام للتشجيع على شرائها، فيتجه المواطنون ومنهم المسلمون إلى شراء المنتج الأجنبي، وترك المحلي، ومن ثمَّ تَقَلَّ المبيعات في الشركات الوطنية، فتحدث الخسائر، وتهرب الاستثمارات خارج البلاد، وتنتشر البطالة، وتصبح الدولة استهلاكية، بل وتحت رحمة العدو.

* وغزو الأسواق منه الكلي والجزئي:

هـ الغزو الكلي يكون في كل السلع، يعني استعمار اقتصادي، وهو ما يحدث في معظم بلاد الإسلام مثل الصومال والسودان وليبيا والسعودية واليمن والبحرين وقطر وعمان والعراق... فهم يعتمدون على الاستيراد في كل شيء، حتى السكينة والخنجر والأواني والملابس وأدق السلع يستوردونها بسبب إغراق الصين وأمريكا ودول الكفر لأسواق دول الإسلام، وهذا يعني أن هذه الدول المعتمدة على الاستيراد أصبحت في تبعية اقتصادية لدول الكفر، ولا ننسى أن بعض دول الإسلام هبطت إلى أدنى الحضيض، ووصلت إلى الفقر المدقع؛ بسبب الغزو الكلي لأسواقها مثل الصومال والسودان... وغيرهما.

هـ الغزو الجزئي ويكون في بعض السلع فقط كما فعلته أمريكا مع مصر في القمح، فقد كانت مصر تزرع القمح وفي استغناء عن الاستيراد، فعرضت أمريكا عليها القمح

بسعر أقل بكثير من السعر المحلي، فقبلت مصر ذلك وعرقلت استلام القمح من المزارعين توفيرًا للميزانية، فأعرض الفلاحون عن زراعة القمح شيئًا فشيئًا، حتى أصبحت مصر في عوزٍ دائمٍ إلى القمح الأمريكي، ومن ثم نضطر إلى الرضوخ إلى ضغوط العدو، حتى لا تقع في هاوية الجوع.

ثانيًا: الحصار الاقتصادي:

ويكون بفرض العقوبات على اقتصاد دول الإسلام، ويلجأ إليها العدو في بعض الحالات، منها إذا وصلت أي دولة إسلامية إلى مستوى التقدم في الصناعة والتكنولوجيا كما فعلته أمريكا وأوروبا مع النمور الآسيوية ومنها ماليزيا الإسلامية، فقد أذهلت ماليزيا العالم كله بتقدمها في صناعة التكنولوجيا حتى تفوقت على دول الأعداء، فقام مجلس الأمن الكافر الخائن بفرض عقوبات على اقتصادها حتى انخمدت.

وكذلك فعلوا مع إيران بسبب تقدمها النووي، مع أنهم لم يفعلوا ذلك مع إسرائيل التي تصرح بأنها تمتلك السلاح النووي والكيماوي، وكذلك روسيا وأمريكا والهند، فالعقوبات الدولية يتم تفصيلها على مقاس الدول الإسلامية فقط،

كذلك حينما تجد أمريكا أي دولة إسلامية لا ترضخ لضغوطها وأوامرها تفرض عليها العقوبات الاقتصادية عن طريق مجلس الأمن الأمريكي الخائن، كما فعلت مع العراق والسودان وليبيا والصومال... وغيرها.

ثالثًا: نشر سياسات هدامة للإقتصاد:

فقد مكر العدو ونشر الفكر الهدام للاقتصاد في دول الإسلام، مثل الخصخصة، فقد انتشرت سياسة الخصخصة في معظم الجمهوريات الإسلامية مثل مصر، فقد تم بيع العديد من الشركات القومية الحكومية مثل شركات النسيج العملاقة وشركات الحديد والصلب، حتى الصرف الصحي تم بيعه، وتم إضافة نسبة على فاتورة المياه تدفع لشركة الصرف الصحي، مما أدى إلى غلاء المعيشة، وكذلك تم بيع الشركات التجارية الكبيرة

مثل صيدناوي وعمر أفندي وغيرها، وهذا كله أدى إلى نشر البطالة، وخروج العديد من العمال على المعاش المبكر، وطرد الآخرين، واتضح أنها سياسة خاطئة مدمرة.

رابعًا: إخماد كل ما يؤدي إلى التقدم الصناعي:

فلا شك أن تقدم الصناعة يؤدي بدوره إلى تقدم الاقتصاد إذا لم يكن هناك حصار اقتصادي، لذلك يحاول العدو جاهدًا إخماد كل ما يؤدي إلى التقدم الصناعي، خاصة في دول الإسلام العربية، وبالمثال يتضح المقال ففي مصر تم إخماد شركات الريان العملاقة عن طريق تشويه سمعتها في الإعلام، فهرع الناس المساهمون إلى المطالبة بأموالهم، فحدث الإفلاس، وتم بيع أصول هذه الشركات، وفي النهاية اتضح الحقيقة وأنها كانت حربًا من العدو؛ لأن هذه الشركات أعلنت أنها ستقوم بتصنيع كل شيء، وسوف تحارب الاستيراد، فصنعت الورق والحديد، وطبعت الكتب.....، واشتغلت في كل شيء، حتى الأخشاب، لذلك أعلنوا الحرب عليها وأخذوها، كذلك أوقفوا شركة النصر لصناعة السيارات، وضيقوا الخناق على الهيئة العربية للتصنيع، وكانت مخصصة لصناعة الطائرات، فتحولت إلى صناعة الأجزاء المنزلية كالتلفاز....، وأوقفوا مشروع الضبعة النووي مع أنه كان سلميًا لتوليد الكهرباء، ولكن كل ما يؤدي إلى التطور والنهضة الاقتصادية يتم إخماده بضغوط من العدو وبموافقة الحكام الخونة.

خامسًا: الغزو العسكري لنهب ثروات الشعوب الإسلامية:

والتاريخ خير شاهد على ذلك، فقد دخلت أمريكا وإنجلترا دولة العراق المسلمة في مطلع القرن الحادي والعشرين؛ لنهب البترول وخيرات الشعوب، ولم تكتفِ بفرض العقوبات الاقتصادية والعسكرية عليها، وكذلك دخلت فرنسا بقواتها العسكرية لضرب النظام الليبي بعد قيام ثورات الربيع العربي، بزعم حماية المدنيين فنهبت البترول، وقتلت العديد من المدنيين، مع أنهم زعموا أنهم دخلوا لحماية المدنيين، واتضح بعدها أنهم دخلوا في الأصل لمصلحتهم الشخصية وليس لمصلحة المدنيين، ومن قبلهم في خمسينات القرن العشرين دخلت إسرائيل وإنجلترا وفرنسا في عدوان ثلاثي على مصر؛ للاستيلاء على

قناة السويس، ثم دخلت إسرائيل مصر، واحتلت سيناء في ستينات القرن العشرين، ودخلت سوريا أيضا واحتلت الجولان، كما دخلت لبنان والأردن وبعدها هزمت هزيمة ساحقة في العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ - ١٠/٦/١٩٧٣م، ثم هزمت من لبنان.

وهكذا تتوالى النكبات بسبب بُعد المسلمين عن دينهم وتَشَعُّبِهِم واختلافهم على متاع الدنيا الزائل، وما يحدث الآن نبأنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها، قيل: يا رسول الله فمن قلة يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت)^(١).

سادساً: دعم الكفار للسيطرة على شركات مهمة ومواقع استراتيجية في دول الإسلام:

وذلك حتى يكون ولائهم للعدو الكافر مثلهم، فالكفر كله ملة واحدة، وفي نفس الوقت حتى يكونوا معوِّلاً لهدم الإسلام بنشر الفساد في البلاد والعباد.

وبالمثال يتضح المقال، فقد دعمت فرنسا عابد الصليب نجيب ساويرس؛ حتى سيطر على شركة محمول موبينيل في مصر، كذلك امتلك بعض القنوات الإعلامية والصحف، وامنك أكبر صالات قمار في شرم الشيخ بمصر، ودائماً يجارب الإسلام بقنواته الإعلامية بعرض المشاهد الهابطة والمثيرة لإفساد الشباب، فهو من أكبر الساعين إلى هدم الإسلام، وهو الذي قال: سأنفق كل ما أملك حتى لا يُقام إسلام في مصر، أسأل الله تعالى أن يجعل تخطيطه في تدميره، وألا يرفع له راية، وألا يحقق له غاية، وأن يجعله لمن خلفه آية، وأن يزلزل الأرض من تحت قدميه، ويجعل هلاكه أمام عينيه وبين يديه إنه ولي ذلك ومولاه.

(١) أخرجه أحمد وأبو داود من رواية ثوبان وصححه الألباني (س: ص: ٩٥٨).

سابعاً: ضرب الاستقرار لهدم الاقتصاد:

فقد ذكرنا في الخطة الأولى أن العدو دائماً يسعى لضرب الاستقرار لدول الإسلام، حتى تتفتت قوة المسلمين وتتشعب وجهات نظرهم، وذلك عن طريق تقوية المعارضة، ودعمهم سياسياً ومادياً وعلمياً، ووصلت الأمور إلى ذروتها حين قامت ثورات الربيع العربي في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين، فانعدم الأمن في البلاد، وهربت الاستثمارات، ونُهبت أموال الشعوب، وسُرقت البنوك، ووصلت بعض دول الإسلام إلى أدنى الحضيض اقتصادياً وسياسياً، حتى أصبحت على شفير الهاوية وإعلان الإفلاس، بسبب ضرب استقرارها بكثرة الاحتجاجات والاعتصامات، والتي أوقفت عجلة الإنتاج، وإنا لله وإنا إليه راجعون، أسأل الله جل وعلا أن يرد أمتنا الإسلامية إلى هدي نبيها محمد صلى الله عليه وسلم رداً جميلاً.

الخطبة الثالثة

غزو المناهج الدينية الإسلامية

الهدف منها واضح، وهو نشر الجهل الديني بين شباب المسلمين حتى يصبحوا أَرْضاً خصبَةً للفكر الغربي والأفكار الكفرية عامةً.

ولتحقيق هذه الخطبة قام العدو بعدة أمور منها ما يلي:

أولاً: حصر المواد الدينية في مادة واحدة

ففي مدارس التربية والتعليم (مدارس الحكومة المصرية) كان الدين الإسلامي يُدرّس في عدة مواد، كالتفسير والحديث والفقهاء.... فأصبح يُدرّس في مادة واحدة وهي التربية الدينية تحتوي على عدة دروس من كل مادة دينية.

ثانياً: المادة الدينية إضافية

ففي التعليم الحكومي بمصر مادة الدين إضافية فالراسب فيها لا يمتحنها في دور ثان، ولا تؤثر على مجموعته ودرجة نجاحه، وهذا يحفز الطالب المسلم على ترك مذاكرتها وعدم الاهتمام بها، ولذلك تجد طالب التعليم الحكومي أجهل ما يكون بمعرفة أحكام دينه، بل يجهل قراءة القرآن الكريم، وهذا ما أراده العدو.

ثالثاً: دعم العلمانيين للوصول إلى المراكز المرموقة في مؤسسات التعليم

كما فعلت إنجلترا مع لطفي السيد، فقد دعمته حتى تولى رئاسة الجامعة، وكذلك فعلت فرنسا مع طه حسين، حتى لَقَّبَتْهُ بـ (عميد الأدب العربي)، وهو في الحقيقة عميد الأدب الغربي عابد الصليب، الذي قال {إن القرآن كتاب كباقي الكتب لا بد وأن يخضع للنقد الأدبي} عليه من الله ما يستحق، وكذلك فعلت أمريكا مع نجيب محفوظ الذي أَلْفَ رواية (أولاد حارتنا) استهزأ فيها بالذات الإلهية وبالملائكة والرسول والأنبياء لذلك أعطوه جائزة نوبل اليهودية، وكذلك فعلت أمريكا مع كامل بهاء الدين، حتى وصل إلى وزير التربية والتعليم في مصر وهو من رجال سوزان مبارك وعلماي بَحَث، ولذلك منع

النقاب والخمار في المدارس الحكومية، بل منع غطاء الرأس عامةً يعني كان يدعو إلى التبرج والسفور مدهنة لأعداء الإسلام ولم يمنع النقاب وغطاء الرأس من الراهبات لهاذا؟.

وهكذا يدعّم الغرب وأمريكا العلمانيين، حتى يحصلوا على المراكز المرموقة في كل شيء، وخاصةً التعليم، حتى يهدموا مناهج الدين الإسلامي، ولا ننسى أن الغرب هو الذي أتى بـ (مصطفى كمال الدين أتاتورك)، والذي ألغى التعليم الديني أصلاً، وألغى اللغة العربية.

رابعاً: تخفيف المناهج الشرعية الإسلامية في الأزهر

حتى الأزهر الشريف الذي يتخرج من آلاف العلماء سنوياً وفي شتى العلوم الشرعية والثقافية... لم يسلم من هذا التخطيط الخبيث، فقد كان الطالب يدرس في كل مادة منهجاً كاملاً فيدرس كتاباً حافلاً في كل مادة دينية، فضغطت أمريكا على المسؤولين العملاء الخونة فخففوا المناهج بصورة مذهلة، وبعد ذلك دمجوا عدة مواد في كتاب واحد فأصبح الطالب الأزهرى جاهلاً بكثيرٍ من أمور دينه، بل يجهل أهم أمور الدين في العقيدة والأحكام الفقهية؛ لأنه يدرس اليسير فقط ودراسة سطحية. بل منهم من يجهل أهم أحكام الصلاة والتي هي أهم ركن في الإسلام بعد الشهادتين، ومنهم من يجهل قراءة القرآن لا يجيد شيئاً من أحكام التلاوة وهذا ما أراده العدو؛ وإنا لله وإنا إليه راجعون.

* وقد كان الطالب الأزهرى يتخرج من الثانوية عالماً، يحق له أن يُفتي؛ لأنه درس ألفية ابن مالك في النحو و متن الفقه و متن الجزرية في التجويد، وحفظ القرآن كاملاً ودرس عدة أجزاء في التفسير، ودرس شرح البخاري وغير ذلك، وكانت المرحلة الثانوية الأزهرية خمس سنوات، واليوم ثلاثاً فقط، وأصبح تدريس الشرع فيه صورياً لا حقيقياً.

* والأزهر يحصل على أقل ميزانية، فجامعة الأزهر الضخمة الشاخنة تحصل على أقل من نصف ميزانية جامعة عين شمس. بسبب تهميشه من المسؤولين العملاء الخونة.

* وحين كنتُ أدرس بجامعة الأزهر رأيت الإعلام المسعور قام بحملة شعواء ضد الأزهر الشريف لغلقة زاعمين أن الذي يتخرج منه هم الإرهاب وكان هذا تخطيطاً من الغرب محاربة منهم لدين الإسلام حيث أرادوا تجفيف منابع العلماء ولكنهم فشلوا في ذلك فشلاً ذريعاً وكما قال الله تعالى: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (الصف: ٨) ولما فشلت الحملة ضغطوا على المسؤولين فأمروا بتخفيف المناهج، والله وحده المستعان.

الخطبة الرابعة غزو اللغة العربية

الهدف منها واضح، بل أجلى من الشمس في ضحاها وهو استئصال شأفة أحكام وأداب الشريعة الإسلامية، فلا شك أن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، وهي لغة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ومن ثمَّ فإن تفسير القرآن والسنة يتوقف على معرفة اللغة العربية، فإذا اضمحلت اللغة العربية وتلاشت من المسلمين استعجموا القرآن، واستبهموا السنة النبوية، ويصبح الإسلام غريباً عليهم، ولا يعرفون شيئاً عنه سوى رَسْمه واسمه.

ولقد قام المستشرقون بعدة سياسات لغزو اللغة العربية نذكر بعضاً منها:

السياسة الأولى: نشر العامية

فقد خطط بعض المستشرقين أمثال (مولار)، (ويلكوكس) لنشر العامية حتى تتلاشى اللغة العربية الفصيحة من بين المسلمين.

وسعى إلى تنفيذ هذه الخطة عميل الغرب (أحمد لطفي السيد)، فقد رفع شعار (تمصير العربية بإحياء العامية)، وانتشرت العديد من الكلمات العامية مثل (ليه، ليش، شو، بابا، ماما، أخويا، إيه ده، علشان، هانشوف، امبارح، ماشي، حاضر، طيب، رُوح)^(١).

السياسة الثانية: محاولة تحريف الخط العربي:

فقد خطط المستشرق (ولمور) والأب المستشرق (أنستاس) لتحريف الخط العربي حتى يتم القضاء على معرفة الرّسم القرآني، فتطوله الأيدي بالتحريف بعد أن يَسْتَعْرَب المسلمون الخط العثماني،

وهم فعلوا ذلك ظناً منهم أن القرآن كباقي الكتب السماوية يَسْهُل تحريفه، ولكنَّ الله قطع وعداً على نفسه فقال: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر: ٩]، فقد

(١) راجع (عودة الحجاب) د. إسماعيل المقدم.

حُرِّفَ الإنجيل والتوراة والزبور من قبل لأن الله لم يقطع وعداً بحفظهم، ولذلك كان كل فترة يبعث نبياً لبني إسرائيل ليجدد لهم التوراة.

* وللأسف الشديد فقد حاول عميل الغرب (لطفى السيد) تنفيذ هذه الخطة تحت مسمى (إصلاح الخط العربي)، ودعا إلى فك التنوين وكتابتها بالحروف فمثلاً (سعدٌ) بالرفع تكتب (ساعدون)، (سعداً) بالنصب تكتب (ساعدان)، وبالجر (ساعدين)، ودعا إلى فك الحركات الخفية مثل الإدغام والتعبير عنها بالحروف فمثلاً (محمدٌ) بالرفع تكتب (موحمامدون)، وهكذا حاولوا محو الشخصية المسلمة من الوجود، ولكن الله حَيَّب آمالهم^(١).

السياسة الثالثة: نشر القواميس المحرفة:

* فقد قام المستشرقون بوضع قواميس مزيفة لحقائق اللغة العربية لتضليل المسلمين مثل (قاموس المنجد)^(٢).

وكذلك وضعوا تراجم مزيفة لمعاني القرآن الكريم لتنفيذ الأجنبي من الإسلام، وقد نبهنا على ذلك في كلامنا عن معجزة القرآن الكريم .

* ولا ننسى أن بعض المستشرقين برعوا في اللغة العربية، وقاموا بالتأليف في العلوم الإسلامية كالفقه وأصول الفقه والحديث وعلومه وتفسير القرآن، فوضعوا أفكارهم العفنة الخبيثة، وآراءهم المسمومة في مؤلفاتهم، وهاجموا المقررات العلمية الثابتة الصحيحة حتى يُخْرِجُوا المسلمين عن دينهم، ومن هؤلاء المستشرقين (يوسف شاخت)، (عطية سوريال)، (فيليب جتي)، (اللورد كرومر)، (جولد زيهر)، (هوارد ويلس)^(٣).

(١) راجع (عودة الحجاب) د/ إسماعيل المقدم.

(٢) راجع (هويتنا أو الهاوية) د/ إسماعيل المقدم ص ٥٨-٦٨ تزداد فقهاً وعلماً.

(٣) راجع (اللغة العربية التحديات والمواجهة) أ/ سالم مبارك الفلق.

السياسة الرابعة: تعميم الدراسة باللغات الأجنبية:

ففي أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين فرض الاحتلال الغربي على الدول المحتلة تعميم الدراسة باللغات الأجنبية لغزو اللغة العربية، ومن ثمَّ يسهل الغزو الفكري والثقافي والأخلاقي، فيُهْدَم الإسلام في هذه البلاد.

* وقد كانت الدراسة باللغة الفرنسية في تركيا وبلاد المغرب العربي وتونس والجزائر..... بسبب احتلال فرنسا لهذه الدول، وكانت الدراسة باللغة الإنجليزية في مصر وسوريا والسودان والعراق..... بسبب احتلال إنجلترا لهذه الدول، وكانت اللغة الإيطالية منتشرة في ليبيا بسبب احتلال إيطاليا لها.

ولا يزال لهذه السياسة أثر بالغ على الجامعات، فالكليات العلمية تُدرَّس باللغة الأجنبية مثل الطب والصيدلة والهندسة والعلوم والتربية.... ففي مصر مثلاً تُدرَّس هذه الكليات باللغة الإنجليزية.

ونحن نأمل أن تعود الدراسة باللغة العربية في جميع الكليات على مستوى الجامعات العربية، ففي الدستور الجديد لجمهورية مصر العربية سنة ٢٠١٢ نصَّ الدستور على ضرورة الدراسة باللغة العربية في جميع الكليات حتى الطب والصيدلة والهندسة. لكن للأسف الشديد تم تعطيل هذا الدستور من خلال الخونة المنقلبين على المخلصين وطبخوا دستوراً جديداً لا يمت إلى الإسلام بأي صلة.

السياسة الخامسة: التشجيع على تعلم اللغات الأجنبية بشتى الطرق:

فقد قام العدو الخبيث بعدة طرق لتشجيع العرب على تعليم وتعلم اللغات الأجنبية، ومن هذه الطرق:

أولاً: فَتْحُ مدارس اللغات والترويج لها في الإعلام الخبيث.

ثانياً: تقديم المنح الدراسية المجانية في اللغات الأجنبية في أمريكا والاتحاد الأوروبي، فيذهب الطالب المسلم إلى أمريكا، فيقضي هناك عدة أشهر تكون كافية في

أمركته قلبًا وقلبًا، فيعود وهو يكره اللغة العربية، ويتشدد بالإنجليزية، ويسبح بحمد أمريكا ليلاً ونهارًا، والله وحده المستعان.

ثالثاً: اشتراط اللغة الأجنبية للإلتحاق بالوظائف أو بالكليات العلمية، فيضطر المسلم إلى دراسة اللغة الأجنبية، ويهتم بها ويترك لغته العربية، فتأمل.

رابعاً: الترويج للغة الأجنبية في وسائل الإعلام، وخاصة المرئية كالتلفاز والإنترنت، فكثيراً ما نجد كلمات ومجمل أجنبية في برامج التلفاز، وكذلك المسلسلات والأفلام والإعلانات، ويصوّر التلفاز اللغة الأجنبية على أنها لغة الحضارة كالإنجليزية والفرنسية والألمانية، ويصور اللغة العربية على أنها لغة التخلف والتأخر خاصة في القنوات التي يملكها الأعداء والعلمانيون، بل إن هناك قنوات عربية تقدم برامج عربية، ولكن اسمها أجنبي مثل قناة (أون تي في)، (دي ام تي في)، (ام بي سي)، (تايم سينما)، (نايل لايف)، (ستار سينما)، (كايرو سينما)، (سي بي سي) ...

فإذا كانت هذه القنوات عربية وبرامجها عربية، فلماذا يتم تسميتها بأسماء أجنبية، فهل هذا مDAHنة للغرب على حساب الدين؟ أم هي في أصلا تابعة للغرب؟

النتيجة المذهلة:

فقد نجح الغرب بنسبة هائلة ومدهشة في هذه الخطة الخبيثة، وتتلخص النتيجة فيما

يلي:

أولاً: هناك بلاد تحولت من اللغة العربية إلى الأجنبية تماماً، مثل جمهورية تركيا الإسلامية، فهي الآن تتكلم التركية والفرنسية، والتي فرضها عليهم عميل الغرب مصطفى كمال الدين أتاتورك، ولا تجد منطقة في تركيا تعرف اللغة العربية اليوم، بعد أن كانت عاصمة الخلافة العثمانية الإسلامية، فتحررت عن لغة الإسلام ومعظمها تحرر عن أخلاق الإسلام، لذلك قال المستشرق الألماني (كامنير): (إن تركيا اليوم لم تعد بلدًا

إسلامياً، فالدين لا يدرس في مدارسها ... وإن قراءة القرآن العربي وكتب الشريعة الإسلامية أصبحت الآن مستحيلة بعد استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية^(١).

ثانياً: انتشار اللغة العامية في جميع البلاد العربية بلا استثناء حتى مصر بلد الأزهر ودول الخليج وبلاد الشام..... كل دول العرب تتكلم بالعامية.

ثالثاً: هناك بلاد يغلب عليها معرفة اللغة الأجنبية أكثر من اللغة العربية مثل بلاد المغرب والجزائر وتونس، فهذه الدول تنتشر فيها اللغة الفرنسية ويتقنونها أكثر من اللغة العربية.

رابعاً: أصبحت اللغة الأجنبية تُدرّس للصغار إلزاماً منذ الطفولة في الحضارة وفي التعليم الأساسي، وفي مدارس اللغات تُدرّس للطفل عدة مواد باللغات الأجنبية ويدرس أكثر من لغة أجنبية، وكأن اللغة العربية لا وجود لها.

خامساً: هناك دول تتكلم بالعامية، ولكن ينتشر فيها آلاف الكلمات الأجنبية، وسوف أضرب مثلاً بمصر بلد الأزهر الشريف، فقد انتشر فيها آلاف الكلمات الإنجليزية والفرنسية، ومن ذلك ما يلي:

* أسماء العديد من الملابس مثل (بادي، استرتش، ميكروجب؛ ميني جب، جيبة، جيونة، جاك، سويت، شورت، مايو، سلب، بامبرز، جينز، بلوزا، بنطلون، بارامودة، شوز، كاب؛ بوكسر...)،

* أسماء العديد من الأجهزة والأنظمة مثل (تلفزيون، موبايل، تليفون، ريسفر، فيديو، نايل سات، إيريال، كمبيوتر، فلاشة، جاك، هارد، فيريزر، برنت، سيستم، لاب توب، برنامج، اكسيل، وورد، بَوربُوينت...)

* كلمات عامة مثل (بنك، قلم كوريكتو، تراس، كمبوند، ريسبشن، ياس (نعم)، فرى جُد، استُتَب [توقف]، رنج [يعني في حدود]، كانتين، كوفي شوب، أوفر تايم [وقت

(١) راجع (هويتنا أو الهاوية) د. إسماعيل المقدم ص ٦٧.

إضافي]، سوري [أسف]، مِرْسِي [شكرًا]، مدام [سيدة]، مستر، مودرن [حديث]،
تواليت [حمام]، سوبر ماركت، هتل [فندق]، ويسكي، شامبايا، بيريل، فيروس، بكتيريا،
سفن أب....

* جميع أسماء الأدوية تكتب بالإنجليزية، ومعظم برامج الكمبيوتر بالإنجليزية...

وللأسف من العرب من يتشدد باللغات الأجنبية حبًا فيها، وهذا هو الداء
العُضال.

فتلاحظ أن الموازين انقلبت وانعكست، فأصبحت اللغة العربية أجنبية، ولغات
الغرب كالإنجليزية والفرنسية هي اللغة المحلية، وفي صحيح مسلم من حديث أبي
هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا فطوبى
للغرباء)، وفي رواية قيل: ومن هم الغرباء يا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال:
(الذين يصلحون إذا فسد الناس)^(١).

(١) أخرجه الطبراني في (الكبير والاوسط) من رواية سهل بن سعد الساعدي وصححه الألباني
(س: ص: ١٢٧٣).

الخطة الخامسة

الغزو الفكري

والهدف منها واضح وهو الإستعمار الغربي لثقافة المسلمين حتى يتجردوا من شريعة الإسلام عن طريق زرع الفكر الغربي الهدام في بلاد الإسلام بطريق التلبيس والتدليس ، وهذا ما وقع بعد تخفيف المناهج الدينية.

*** أمثلة من الأفكار المسمومة التي زرعتها الغرب في بلاد المسلمين:**

أولاً: المواطنة: وهو مصطلح منتشر في بلاد المسلمين إلا من رحم ربي.

ومعناه: المساواة المطلقة بين أفراد الشعب الواحد في جميع الحقوق والواجبات.

والهدف من هذا الفكر: مساواة الكافر بالمسلم مساواة مطلقة.

*** النتائج المترتبة على العمل بهذا الفكر:**

(١) بناء العديد من الكنائس ومعابد اليهود، حتى في العواصم الإسلامية طبقاً لمصطلح المواطنة، فكما يجوز للمسلمين بناء المساجد بلا قيود، يجوز للنصارى بناء الكنائس بلا قيود، ويجوز لليهود بناء المعابد بلا قيود؛ لأنهم جميعاً شعب واحد، فتأمل طريقة التدليس والتلبيس وكأن من أعوان إبليس.

(٢) تَوَلَّى الكثير من الكفار مناصب مرموقة في البلاد الإسلامية، ففي مصر مثلاً تولى النصراني يوسف بطرس غالي وزارة المالية في عهد مبارك، يعني تولى بيت مال المسلمين، ومع ذلك سرق عشرات المليارات من الوزارة، وهرب عقب ثورة يناير التي أسقطت مبارك وأعوانه من الحكم وكذلك تولى النصراني فخري عبد النور وزارة السياحة بعد ثورة يناير، وكان يضع العوائق أمام الحجاج في شركات السياحة، كذلك وصل العديد منهم إلى مجلسي الشعب والشورى يعني اشتركوا في سن التشريعات للمسلمين (فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) [القمر: ١٥].

(٣) تزوجت بعض المسلمات برجال كفار بداعي الحب والمواطنة، ففي مصر مثلاً تزوجت بعض الفتيات المسلمات برجال نصارى، ووقعت فتن كثيرة عقب كل زواج واحدة برجل نصراني، وفي أمريكا أحياناً يُزوج الرجل المسلم ابنته المسلمة لرجل يهودي، أليس هذا هو عين الانتكاس الذي أراده الأعداء بطريق الإلتباس، قال تعالى في حكم نكاح المسلمة لرجل غير مسلم: (لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ) [الممتحنة: ١٠].

(٤) أصبحت الأحكام والتشريعات تصدر من غير التقييد بدين الإسلام، حتى ولو كانت مصادمة لأحكام الشريعة الإسلامية طبقاً لمبدأ المواطنة، فمثلاً تفرض الضرائب على المسلم والكافر، وتُلغى الجزية، ولا يهتم الحاكم بجمع زكاة المال، والتي هي ركن من أركان الإسلام.....فتنبه لهذا جيداً.

وجدير بالذكر أن الغرب الملحد ينادي بمبدأ المواطنة، ولا يعمل به، ألا ترى أنهم يضيّقون الخناق على المسلمين المواطنين في بلادهم، ألم يمنعوا النقاب في فرنسا، فأين المواطنة التي يزعمونها؟ ألم يقوموا بمجازر ضد المسلمين في (بورما)؟ على أيدي العوام والرهبان بلا شفقة وآخر حتى أنهم أحرقوا المسلمين بالنار، حتى صاروا همماً بلا رحمة، فأين المواطنة؟

ثانياً: الديمقراطية الغربية: وتعمل بها كل الجمهوريات الإسلامية إلا من رحم رب البرية.

ومعناها: أن يحكم الشعب نفسه بنفسه عن طريق المجالس النيابية مثل مجلس الشعب، مجلس الشورى.

والهدف من هذا الفكر: واضح من التعريف وهو ترك الشريعة الإسلامية، والعمل بالقوانين الوضعية التي تقرها المجالس النيابية اتباعاً للنظم الغربية.

ولاحظ أن الدولة التي تعمل بنظام الديمقراطية تأخذ بمبدأ المواطنة، وعليه فالمجالس النيابية لا تخلو أبداً من غير مسلمين، وهذا يعني أنهم يشتركون في وضع القوانين للمسلمين.

ولذلك لا تجد جمهورية إسلامية تعمل بنظام الديمقراطية وتحكم بالشريعة الإسلامية، بل تحكم بالقوانين الوضعية الغربية، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الديمقراطية الغربية تخالف الشريعة الإسلامية في أمور كثيرة أهمها ما يلي:

(١) فيها تحكيم لهوى الشعب، ولا تحكيم فيها لشرع الله، والحكم في الإسلام لله وليس للشعب، وإلا لَعَبَدَ الشَّعْبُ هَوَاهُ، قال تعالى: (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) [يوسف: ٤٠]، (وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ) [المائدة: ٤٩]، (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [المائدة: ٤٤]، (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [المائدة: ٤٥]، (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [المائدة: ٤٧].

والأهواء مختلفة متعارضة، لذلك نجد القوانين الوضعية تبرئ المجرم بسبب تضاربها مع بعضها، أما شريعة الإسلام فهي من عند الله تعالى، فلا تعارض فيها قال تعالى: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) [النساء: ٨٢].

(٢) الديمقراطية مبنية على فكر المواطنة، فلا فرق بين مسلم وكافر في وضع القانون، فالكل سواء في المجالس النيابية التي تضع القوانين والتشريعات.

(٣) الديمقراطية ينطق فيها الجاهل والمنافق، والفاجر والخائن، بل رأينا في في البرلمان أميين وتجار مخدرات، والكل له صوته في البرلمان، وهذا ما نبأ به النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: (سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب،

ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق الرُّويضة، قالوا: وما الرُّويضة؟ قال: التافه يتكلم في أمر العامة^(١).

شبهة واهية وردود شافية:

قالوا إن الديمقراطية فيها مجلس للشورى رسمياً وهذا ما ينادي به الإسلام.

ويرد عليهم من وجوه:

(١) الإسلام أول من نادى بالشورى، وحث عليه، بل إن الله أنزل في القرآن سورة تسمى (سورة الشورى)، وأمر نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم بالشورى، فقال: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) [آل عمران: ١٥٩]، وأثنى على شورى المسلمين، فقال: (وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ) [الشورى: ٣٨].

(٢) أول من أسس مجلساً رسمياً للشورى هو الفاروق عمر بن الخطاب، وهذا لا يخفى على رجال التاريخ.

(٣) الشورى في الإسلام للتشاور في كيفية تطبيق شرع الله في الأمور التي لم يرد فيها نص أو إجماع، وأن يكون أعضائه من أهل الحل والعقد، وليس من العوام، أما الشورى في الديمقراطية للتشاور في وضع الأحكام عامةً، حتى لو كان فيها نص شرعي، ولذلك كان من أثر الديمقراطية صدور تراخيص لبيع الخمور وصالات القمار وبيوت الدعارة ومصانع التدخين والكحوليات والمسكرات في الأماكن السياحية مثل شرم الشيخ وشارع الهرم بمصر بلد الأزهر، وصدور قرار بمنع الخمار في المدارس (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [النور: ٦٣]، (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) [الأحزاب: ٣٦].

(١) أخرجه ابن ماجه من رواية أبي هريرة وصححه الألباني (ص: ج: ٣٦٥٠).

* وهنا نقول من الممكن تحويل الديمقراطية لتتماشى مع الإسلام فنجعل مجلسي الشعب والشورى يتشاورون وصدرون الأحكام التي لم يأت بها نص في الشريعة الإسلامية بحيث لا تخالف أحكامهم أصلاً من أصول الشريعة الإسلامية، فيناقشون قانون المرور وتحديد فترة الرخصة ومقدار الغرامة الرادعة للمخالف.... وغيره ولا يصدرن أحكاماً تخالف الإسلام مثل التصريح ببيع الخمر وفتح بيوت الدعارة.... فكل هذا يهدم الدين والمجتمع كما لا يخفى عليك.

ثالثاً: المدنية والليبرالية والعلمانية:

ومعانيها كلها تصب في مجرى واحد، ومعناها واحد وهو (اللا دينية) يعني فصل الدين عن الحكم، بل عن الحياة أصلاً لذلك يقولون الدين لله والوطن للجميع.

والهدف من هذا الفكر واضح وأجل من الشمس في ضحاها وهو وصول أعداء الإسلام إلى حكم البلاد الإسلامية بالتدليس والتليس، أو على الأقل يصل المتأسلمون الخائنون لدينهم إلى حكم البلاد، فتكون أجسادهم في بلادهم وقلوبهم مع بلاد الغرب الملحد الفاجر.

** وهذه المصطلحات تخالف الإسلام في أمورٍ منها:

(١) أنها تحكم بالقوانين الوضعية، وتترك الشريعة الإسلامية فهي تلغي الحدود، وتجيز ما حرمه الشرع مثل الربا والخمر والفواحش والتبرج والسفور.

(٢) هذه المصطلحات تُجيز للكافر أن يتولى الرئاسة على المسلمين، وهذا لا يجوز في الإسلام، قال تعالى: (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً) [النساء: ١٤١].

(٣) هذه المصطلحات تُجيز للمرأة أن تتولى الرياسة على الرجال عامةً، وهذا مخالف لشريعة الإسلام، فالقوامة للرجل سواء في البيت أو خارج البيت قال تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) [النساء: ٣٤]، وفي صحيح البخاري عن أبي بكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة).

كما سبق تعلم أن هذه المصطلحات هي أوجه أخرى لنظام الديمقراطية، والكفر كله ملة واحدة، ولذلك وصل العديد من الكفار إلى المراكز المرموقة في بلاد المسلمين طبقاً لهذه الأفكار المسمومة، وقال (بن غوريون) في (الكنيست): (اصبروا فلن يكون هناك سلام لإسرائيل ما دام العرب تحت قيادة الرجعيين - يقصد الإسلاميين - إن الشرط الأساسي للسلام هو أن يقوم في البلدان العربية حكومات ديمقراطية متحررة من التقاليد الإسلامية)^(١).

رابعاً: المرأة مثل الرجل تماماً:

ومعنى هذا الفكر أن المرأة تتساوى مع الرجل مطلقاً وفي كل شيء بلا استثناء.

والهدف منه: تبديل الشريعة الإسلامية، ومن ذلك أنهم نادوا بأن ترث المرأة مثل الرجل تماماً، وفي كل الحالات، ونادوا بتوظيف المرأة في كل وظائف الرجل بلا استثناء، ونادوا بمنع الطلاق أو بجعل العصمة بيد المرأة فتكون المرأة قوامة على الرجل يعني قلب الموازين قال تعالى: (يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ) [الفتح: ١٥].

النتائج المترتبة على هذا الفكر:

(١) قامت تونس الإسلامية بتغيير أحكام الميراث، وسأوت المرأة بالرجل في كل الحالات، وهذه مخالفة ظاهرة للشريعة الإسلامية التي ورثت الرجل أكثر من المرأة؛ لأنه ينفق عليها ولا تنفق هي شيئاً على نفسها كما بيناه في حقوق المرأة في الإسلام ولعلمهم راجعوا أنفسهم بعد ثورات الربيع العربي.

(٢) وصلت المرأة إلى الوظائف العليا والمجالس النيابية حتى الوظائف الخاصة بالرجال مثل القضاء، ففي مصر تم تعيين قاضيات، وكذلك مأذونة للأнкحة، وهذه مخالفة ظاهرة؛ لأن المرأة لا تصلح قاضية ولا مأذونة للأнкحة خاصة وأن مأذون الأнкحة وليّ من لا ولي لها.

(١) عودة الحجاب ص ٩٠، د. إسمايل المقدم.

(٣) كثيرًا ما تشترط المرأة عند زواجها أن يكون الطلاق بيدها، وهذا مخالف لقوله تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) [النساء: ٣٤]، وقال تعالى: (فَإِنْ طَلَّقَهَا) [البقرة: ٢٣٠]، ولم يقل فإذا وقع الطلاق أو طلقته.

ولا ننسى أن منع الطلاق كان ينادي به (قاسم أمين) صاحب تحرير المرأة المسلمة من أخلاقها وحجابها، وكأنه يريد التشبه بالنصارى فهم يمنعون الطلاق عامله الله بما يستحق، فلا تغتر بكل من لبس مسوح الإسلام.

خامسًا: أمور عامة ومن ذلك:

(١) نشر الأعياد الغربية مثل عيد الأم، والذي وضعت فرنسا لأولاد الزناة، ولذلك لا نجد عندهم عيدًا للأب وكذلك عيد الحب الذي وضعه الغرب إحياءًا للعلاقة الآثمة وكذلك عيد الميلاد ويفعله معظم الناس إلا من رحم ربُّ الناس تقليدًا للغرب والأعياد الكفرية الأخرى مثل شم النسيم، رأس السنة الميلادية... وغيرها.

والمسلمون ليس لهم أعياد سوى عيدين عيد الفطر وعيد الأضحى، وما سوى ذلك بدعة حتى الاحتفال بالمولد النبوي وليلة المعراج وموالد الأولياء... بدعة ضلالة.

(٢) الأكل بالشوكة والسكينة، وفيها مخالفات ظاهرة للإسلام منها ترك الأكل بالأصابع ثم لعقها لنيل البركة كما هي سنة النبي عليه الصلاة والسلام، ومنها إمساك الشوكة بالشمال، يعني الأكل بالشمال، وفي الصحيحين قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس: (يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك).

(٣) زينة المسكن بالتصاوير والتماثيل، وهذه العادة تسربت إلينا من الدول الغربية، ويعمل بها عوام المسلمين مثل: الدبدوب والعرائس المجسمة والحيوانات المجسمة، حتى أصبح من العادة أن تكون هذه التماثيل ضمن جهاز العروس، وأحيانًا تأتي العروس بتماثيل الحيوانات الأليفة مثل النمر والذئب والثعلب والضبع والغزال، وكذلك أصبح من العادة تزيين الجدران بصور المشاهير، حتى الفاسقين، وهذا كله

مخالف للإسلام، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تدخل الملائكة بيتاً فيه تماثيل أو تصاوير).

(٤) إقتناء الكلاب، وهذه البدعة أصبحت من العادة عند شباب المسلمين إلا من رحم رب العالمين، وقد رضعوها من بلاد الغرب، فتجد الشاب أو الشابة يقتني الكلب أو الجرو، وينام معه على الفراش، ويقبله من فمه ويحتضه، وهذا كله ضار، وقد يسبب الدودة الشريطية كما قرره د. علي إسماعيل عبيد في كتابه (أمراض الحيوانات الأليفة التي تصيب الإنسان)، ولا ننسى أن الملائكة لا تدخل البيت الذي فيه كلب، ففي الصحيحين عن أبي طلحة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو تصاوير).

والتجارة في الكلاب حرام، ففي الصحيحين عن عقبة بن عمرو قال: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمن الكلب ومهر البغيِّ وحُلوان الكاهن) يعني أجرة الكاهن حرام أيضاً.

(٥) دَبْلَةُ الخُطُوبَةِ أو الزواج، وهي بدعة نصرانية غربية، ومع ذلك انتشرت في الأمة انتشار النار في الهشيم، وأصبح الآن من المعتقد لدى الجميع أن الدبلة في اليد اليمنى للتعبير عن الخطوبة، وفي اليد اليسرى للتعبير عن الزواج، ومن لم يلبس الدبلة فليس بمتزوج وليس بخاطب، وكما قلت أن الدبلة بدعة نصرانية ابتدعتها النصارى متعقدين أنها تجلب المحبة، فهي بدعة ضلالة، وفيها معتقد فاسد، وكان من سنن المسلمين تقديم الخاتم للعروس، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للذي كان يريد أن يُخطب امرأة (التمس ولو خاتماً من حديد) أخرجه الشيخان في صحيحهما من رواية سهل بن سعد الساعدي.

وصدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم حين قال (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى ولو دخلوا جحر ضبّ تبعتموهم، قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: فَمَنْ؟) متفق عليه من رواية أبي سعيد.

وسترى المزيد في الغزو الأخلاقي.

الخطة السادسة

الغزو الأخلاقي

وهدفها: وهو تحرير وتجريد المسلمين من أخلاق الإسلام، وتغريبهم أخلاقياً عن طريق الاستعمار الأخلاقي.

* ولقد نجح الغرب في ذلك نجاحاً كبيراً والواقع خير شاهد ولا أدل على ذلك من إنتشار التبرج والسفور، والإختلاط بين الجنسين في شتى الميادين، وإنتشار الزنا في بلاد المسلمين إلا من رحم رب العالمين، وأصبح اليوم من العسير أن نفرق بين المسلم والكافر بسبب التقليد الأعمى لدول الكفر في كل شيء في الهيئة والأخلاق والمعاملات واللغة ... حتى في المعاصي هكذا اختلط الحابل بالنابل، والله وحده المستعان وعليه التكلان.

* وإن قلت إن تبديل أخلاق المسلمين بهذه الصورة المدهشة أمرٌ عسير، فكيف **نجح الغرب فيه؟**

الجواب: عن طريق إفساد المرأة؛ لأنها هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، فإذا فسدت فسد المجتمع، فهي التي تربي الأجيال، ويتخرج على يدها الأبطال، فإذا حَوَتْ حَوَى معها الرجال.

والمرأة هي التي تزين المعصية للرجل وتعاون الشيطان على مراده، وهي فتنة شديدة، وأخبرنا بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم في الصحيحين من رواية أسامة بن زيد (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء)، ولذلك فإن القرآن حين تكلم عن الزنا ذكر المرأة قبل الرجل؛ لأنها هي السبب الأول لوقوع الفاحشة عن طريق فتنتها للرجل، قال تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ...) [النور: ٢].

ولذلك قال الغرب: أغرقوا المسلمين بالشهوات، افتنوهم بالمرأة والكأس، وهذا من باب حقد المنهزم على المنتصر.

* مراحل إتمام هذه الخطة:

نظرًا لأن تغيير أخلاق المسلمين ليس سهلاً على أحد من الأعداء؛ لأن الأخلاق القويمة عقيدة راسخة في قلوب المسلمين، ومرتبطة بدينهم، لذلك فإن الغزو الأخلاقي تمّ على مرحلتين كل منهما استغرقت برهة من الدهر، وهما مرحلة التمهيد الفكري، ومرحلة التطبيق العملي.

المرحلة الأولى: التمهيد الفكري أو النظري:

وتبدأ من أواخر القرن التاسع عشر إلى مطلع القرن العشرين، وهي تمثل مرحلة التأسيس، أو وضع البذور لعملية التغريب الأخلاقي.

وفي هذه المرحلة استعان الغرب بعدة مشاهير من المسلمين العرب، بل ومن المشايخ المشهورين الذين لهم إيقاع وصدى في قلوب المسلمين فاستعان الغرب بعدة رموز مشهورة؛ لكي يقنعوا المسلمين بالتغريب وتقليد أخلاق الغرب، ومن هؤلاء رفاة الطهطاوي وتلميذه جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وقاسم أمين، وسعد زغلول، ولطفي السيد، وطه حسين، وهدى شعراوي، ودرية شفيق، وتوفيق الحكيم، ونجيب محفوظ، ومصطفى أمين، ونزار قباني، وإحسان عبد القدوس، وجيهان السادات، وسوزان مبارك... وغيرهم وهم القوم يشقّ جليسه.

هؤلاء جميعاً كان لهم الأثر المسموم في تغريب أخلاق المسلمين، وقد يتعجب القارئ ويندهش من إدراج بعض العلماء والأدباء والزعماء في هذه القائمة، ولكن إذا عرفت السبب بطل العجب، وسوف أتكلم عن بعضهم فقط في السطور التالية كمثال يتضح به المقال، حتى يزول العجب، وتنجلي الحقيقة^(١).

(١) الشيخ رفاة الطهطاوي:

(١) ماذكرته وما سأذكره استفدته من عدة كتب أهمها (عودة الحجاب) لفضيلة الشيخ المحقق الدكتور إسماعيل المقدم حفظه الله ورعاه.

وهذا الرجل لا يخفى على أحد في مصر رائدة العروبة، فقد كان من مشايخ الأزهر العظام في وقته، وأرسله الخديو (محمد علي) مع بعثة إلى فرنسا مهمتها نقل العلوم الفنية الفرنسية إلى مصر، فخرج رفاعه مع هذه البعثة داعياً وواعظاً لهذه البعثة، ومكث رفاعه في باريس خمس سنوات، فقد كانت هذه السنوات كافية في تجنيده وإرضاعه من جراثيم الغرب؛ فقد انبهر هناك بحضارتها فوضع منها، وهضم من جراثيمها، وألف هناك كتابه المشهور (تلخيص الإبريز في تلخيص باريز) دعا فيه إلى التغريب بأسلوب التلويح، فيقول في كتابه مثلاً: (السفور والاختلاط بين الجنسين ليس داعياً إلى الفساد)، (الرقص على الطريقة الأوروبية ليس من الفسق في شيء، بل هو أنيقة وفتوة)، وكأنه يدعو إلى إنشاء المسارح والتبرج والسفور اقتداءً بالغرب، ويعتبر أول من دعا إلى التغريب في مصر.

وجدير بالذكر أن رفاعه عرض كتابه على أستاذه الفرنسي (جومار)، واعتمده فهل تظن أن جومار الفرنسي يريد خيراً للمسلمين؟ سبحانك هذا بهتانٌ عظيم.

(٢) جمال الدين الأفغاني:

وهو تلميذ رفاعه الطهطاوي، ومن أشهر مشايخ الأزهر، ويعتبر من مؤسسي الجامعة الإسلامية مع الزعيم مصطفى كامل، وأبي الهدى الصيادي من سوريا، وعبد الرشيد إبراهيم من سيبيريا، والحركة السنوسية في ليبيا، وكان السلطان عبد الحميد هو الذي أشار بتأسيس هذه الجامعة لتوحيد الشعوب الإسلامية، ولكن الأفغاني كان يهدف إلى توحيد أهل السنة مع الشيعة، وهذا له خطره لذلك قيل عنه أنه شيعي إيراني ومتأفغن وليس أفغانياً حقيقياً.

هذا الرجل سار على درب أستاذه رفاعه الطهطاوي في عملية التغريب، بل زاد الأمر غموضاً حين ارتبط بالمحافل الماسونية، وتبنى مبادئ الثورة الفرنسية، فكان يدعو إلى التغريب، وكان يميل إلى الديمقراطية بمفهومها الغربي.

وإنك لتتعجب أن هذا الرجل كان على ارتباط بالمخابرات الإنجليزية، واتفق معهم على إقصاء الخلافة عن الأتراك، ونقلها إلى العرب، وهذا يعني أنه سبب من أسباب عزل السلطان عبد الحميد، وأنه كان معاوناً للاحتلال الأوروبي في تركيا، وكان يؤيد احتلال روسيا لبلاد الهند^(١)، قال تعالى: (يُجَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَجْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) [البقرة: ٩].

(٣) الشيخ محمد عبده:

وهو أشهر من أن يعرّف فهو من رجال الأزهر، لكن للأسف أتى بفكر جديد في تفسير الآيات، وهو فكر دخيل وشاذ، لذلك وقع في مناقضات كثيرة.

ومحمد عبده هو صاحب مدرسة الإصلاح وحركة التنوير، والتي كان منها تحرير المرأة المصرية، يعني تحرير المرأة المسلمة من حجابها، وكان هذا الرجل ينتقد بحدة الاحتلال البريطاني لمصر، ولكن للأسف لما تردد على صالون الأميرة (نازلي) خفت حملته ضد الإنجليز، بل سمح بصداقته الشخصية للورد كرومر صديق الأميرة (نازلي)، وهذا تفريط في حق بلاده، وعدول عن رأيه السياسي بسبب اغتراره بصالون الضرار الذي تقيمه الأميرة (نازلي).

وجدير بالذكر أن محمد عبده تخرج من مدرسته قاسم أمين وسعد زغلول وكلاهما من الداعين إلى تحرير المرأة، بل إن الشيخ محمد عبده ساعد قاسم أمين في عمل كتاب (تحرير المرأة)، فكانت مدرسته داعية إلى تغريب المرأة المسلمة.

(٤) & (٥) قاسم أمين وسعد زغلول:

وهما من زعماء فساد الأخلاق عامة وفساد المرأة خاصة.

* وكلنا نعلم أن قاسم أمين ألف كتاباً أسماه (تحرير المرأة)، وذلك بعد ترده على صالون (الأميرة نازلي) واغتراره بها، وهذا الكتاب أحدث ضجة كبيرة في المجتمع

(١) - راجع كتاب (الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط) للصلابي.

المصري، بل أفسد الحياة الاجتماعية في مصر؛ لأن هذا الكتاب كان يدعو إلى تحرير المرأة من حجابها أسوة بالغرب، ويدعو إلى الحد من تعدد الزوجات أسوة بالغرب الكافر، ويدعو إلى خروج المرأة إلى العمل، ومنع الطلاق إلا أمام المحاكم كما يفعله النصارى ويفعله الغرب عامةً، لذلك أحدث ضجة شديدة في المجتمع وهوّج بعنف، واتهموه بالكفر؛ لأن كتابه هذا يدعو إلى الإباحية.

وسعد زغلول هو صديقه الحميم فهو الذي ناصره، فقد فتح له بيته، فهو المعاون الأول لقاسم أمين في وجه التيار الديني، بل هو الذي أخرج فكرة تحرير المرأة إلى التطبيق العملي، فهو الذي أمر زوجته صفية برفع الحجاب، وحين تولى زعامة الشعب في ثورة سنة ١٩١٩ في مصر اشترط على السيدات اللاتي يحضرن سماع حُطْبِهِ أن يرفعن النقاب، والأدهى من ذلك أنه هو الذي مد يده ونزع الحجاب (النقاب) عن وجه (هدى شعراوي)، فَصَفَّقَتْ له (هدى شعراوي)، وَصَفَّقَتْ النساء لهذا الهتك المشين، وَنَزَعْنَ الحجاب، ونجحت خطة الأعداء في نزع حجاب المرأة المسلمة عن طريق العملاء الخائنين.

وجدير بالذكر أن سعد زغلول من مؤسسي حزب الأمة بدعم من الاحتلال البريطاني حتى يقوم الحزب بتقنين شرعية الاحتلال ومهادنته، فيكون هذا الحزب في مواجهة الحزب الوطني الذي يتزعمه (مصطفى كامل) الذي يناهض الاستعمار البريطاني دائماً، وهذا يعني أن سعد زغلول كان عميلاً للاحتلال وصبغة بريطانية وليس زعيماً وطنياً

وحزب الأمة هو حزب الوفد حالياً وهو حزب معارض ليبرالي ولا يخدم الإسلام في شيء، بل إن الكثير من أعماله تحالف وتعاوي الإسلام كما لا يخفى على أحد.

(٦) لطفى السيد:

وكان مديراً للجامعة أيام (طه حسين)، وكان لطفى السيد يلقب بـ (أستاذ الجيل) وهو من مؤسسي (حزب الأمة) الذي كان يخطط لهدم الإسلام أصلاً.

وهو من أكبر الدّاعين إلى السفور والاختلاط، بل هو الذي أدخل البنات الجامعة متبرجات سافرات، وأجلسهن في وسط الطلاب، يعني هو أول من طبّق الاختلاط في الجامعات، فقد كان يدعو إلى الحرية المطلقة في كل صورها، بل قال: (لست ممن يتشبثون بوجوب تعلم دين بعينه)، فهو أستاذ التضليل وليس أستاذ الجليل، وقد كان يدعو إلى (إصلاح الخط العربي)؛ لهدم لغة القرآن كما شرحناه في الحطة الرابعة (غزو اللغة العربية)، فكان أداة استعمارية لهدم الأخلاق واللغة العربية في وقت واحد وكان مؤازراً لـ (طه حسين) في أقواله الكفرية عليها اللعنة.

(٧) طه حسين:

ويسمى بـ (عميد الأدب العربي) ظلماً وزوراً، وله صدى في قلوب العامة بسبب الإعلام المضلل للعقول، فهو في الحقيقة (عميد التغريب)، بل (عميد التضليل والتنصير والإلحاد)، وكان يخاف منه الطاغية (فاروق) بسبب فكره المضلل، فهو من أشهر الدّاعين إلى تحرير المرأة، بل كان يدعو إلى إنشاء معهد (التمثيل والرقص الإيقاعي)، ويقول هو نوع من الحياة الحديثة، وكان يدعو الطالبات في الجامعة دائماً إلى الاختلاط حتى حوّل الجامعة إلى مجتمع خالٍ من الأخلاق الإسلامية، وكان يترجم الأغاني الفرنسية التي تدعو إلى الإباحية.

* وقيل عنه أنه تنصر وتم تعميده في كنيسة في فرنسا، وشجع الأساتذة الإنجليز على التنصير في الجامعة في مصر، فقد كان يقول: أنا أفكر بالفرنسية وأكتب بالعربية، يعني هو صناعة غربية، وكان يقول: (علينا أن نسير سيرة الأوربيين، ونسلك طريقهم، ونأخذ الحضارة خيرها وشرّها وحلوها ومُرّها...).

ومن كُفِّرَه أنه قال: (القرآن ككل الكتب الخاضعة للنقد، ويجب صرف النظر عن قداسته تمامًا)^(١)، وكتابه (الشعر الجاهلي) مليء بالكفر، ويستخدمه النصارى في التبشير^(٢).

(٨) نجيب محفوظ:

وهو أديب مشهور من أكفر أهل الأرض، فقد أُلِّفَ رواية (أولاد حارتنا)، وحصل بسببها على جائزة نوبل اليهودية؛ وذلك لأن الرواية مليئة بالإلحاد، بل استهزأ بالكعبة، وتناول على الذات الإلهية، وعلى مقام الأنبياء، واستخف بالملائكة، فهذه الرواية كفر بواح، ولذلك لما تقدم للحصول على الجائزة، وحُرِّمَ منها في المرة الأولى قال: إن جائزة نوبل يعطيها اليهود لليهوديين فقط، ثم نالها بعد تأليف الرواية السابقة، وكان يدعو إلى الفاحشة وتبريرها كما يفعل الغرب.

(٩) هدى شعراوي وصفية زغلول ودرية شفيق وجيهان السادات وسوزان مبارك

...

هؤلاء النساء من دعاة تحرير المرأة وتجريدها من الخلق الإسلامي، وهُنَّ أوائل اللاتي طبقن ذلك عملياً، ولا ننسى أن سوزان مبارك هي التي جعلت من النساء قاضيات يَحْكُمْنَ على الرجال، وكذلك كانت هدى شعراوي ودرية شفيق يدعوان إلى إقحام المرأة في المجالس النيابية ومساواتها بالرجال، ومنع الحجاب، ومنع تعدد الزوجات، وجعل الطلاق أمام الحاكم ... يعني تبديل شريعة الإسلام، وجيهان السادات كانت تُحِثُّ على منع الطالبات من ارتداء الحجاب في الجامعة.

المرحلة الثانية: التطبيق العملي لغزو الأخلاق:

(١) راجع (طه حسين) لأنور الجندي.

(٢) عودة الحجاب للمقدم.

وفي هذه المرحلة تم التغريب الفعلي لأخلاق المسلمين لإفسادهم حُلُقياً، وخاصة الشباب منهم، حتى انتشرت الفواحش في البلاد إلا من رحم رب العباد.
أمثلة مما تم بالفعل في بلاد المسلمين إلا من رحم رب العالمين:

(١) التبرج والسفور:

وهو الذي نادى به كل من: قاسم أمين ومصطفى أمين وسعد زغلول وهدى شعراوي ودرية شفيق وجيهان السادات وسوزان مبارك وغيرهم كما سبق ذكره، فقد انتشر التبرج والسفور في بلاد المسلمين كانتشار النار في الهشيم، حتى قضى على الأخضر واليابس.

وعندنا اليوم ما يسمى بـ (بيوت الموضحة)، ونسميها بـ (الأزياء)، وهذه البيوت لا تألوا جهداً في إفساد بنات المسلمين، وتعمل على تغريب ملابس البنات المسلمة، فالיום تلبس المرأة المسلمة البنطلون الضيق جداً، الذي يصف كل العضلات، ويسمى (الاسترتش)، (الجينز الليكرا)، وتلبس ثياباً قصيرة جداً حتى يظهر الفخذان ويسمى (الميكروجب)، (الميني جب)، (البارمودا) وتلبس الضيق جداً على الجسد، حتى يصف كل شيء، ويسمى (البدي)، وكذلك انتشرت الثياب الشفافة بين نساء المسلمين، بل وانتشرت البناتيل الجينز الممزقة على سائر فخذ الفتاة؛ بل انكشفت العورات المغلظة على الشواطئ في المصايف، وفي بعض الألعاب مثل السباحة؛ فانتشرت الفتنة بين الشباب، وهذا ما أراده الأعداء لنا.

وما يندى له الجبين أن بعض الجمهوريات الإسلامية تمنع الحجاب والخمار في المدارس، وحدث ذلك في مصر بلد الأزهر، فقد أصدر الوزير الأسبق للتربية والتعليم (كامل بهاء الدين) قراراً بمنع دخول الفتيان المدارس مرتديات الخمار، وكذلك تُحرم المختمرة من التوظيف في الإعلام وضيافة الطيران، يعني لا بد من التبرج والسفور تقليداً للغرب الملحد، وظل هذا عقوداً.

ولا أنسى أن وزير الثقافة الأسبق في مصر (فاروق حسني) تجرأ وقال: النقاب حرام هكذا ينطق الرويضة حتى في الدين، وهو من أجهل العالمين، وهو من رجال (سوزان مبارك) من دعاة تحرير المرأة وتجريدها من الخلق الإسلامي مجاملة لأعداء الإسلام وخاصة النصارى في مصر، والله وحده المستعان.

والإعلام دائماً يشوه صورة الحجاب والخمار على أنه تخلف ولا يتسلط إلا على الزي الإسلامي، فيقول: تم القبض على لص، وهو يرتدي النقاب، وتم القبض على مجرمة منتقبة هكذا يتسلطون، وكأن المتبرجات السافرات العاريات هن الشريفات الصديقات كل ذلك بتعرض من العلمانيين وخاصة النصارى في مصر.

وعندنا بيوت لزيينة النساء وتسمى (الكوافير)، والتي تعلن الحرب على الإسلام ليلاً ونهاراً، ولا تألوا جهداً في نشر الزينة المخالفة للإسلام مثل (ترقيق الحجاب)، ويسمى في الإسلام (التمص)، وكذلك الوشم وتفليج الأسنان ووصل الشعر (الباروكة)، ووضع المساحيق المفتنة للشباب، وبعدها تقع المصيبة يندمون ووقتها لا ينفع الندم، وفي الصحيحين عن ابن مسعود: (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشحات والتممصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله)، وفي الصحيحين عن عائشة قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لعن الله الواصلة والمستوصلة)

والتبرج والسفور أدى إلى نشر الفواحش بصورة مذهلة، حتى وصل الأمر إلى زنا المحارم بسبب رؤية الأخ أو الأب أو الابن لمفاتن وزينة الأخت والبنت والأم ومشاهدة الأفلام الإباحية (فَهْلُ مِنْ مُدَكِّرٍ) [القمر: ١٥].

إفحام شديد: أكثر النساء حرصاً على التبرج والسفور هن النصرانيات فتسير الواحدة منهن شبه عارية وهذا بتحريض من الرهبان ليفتنوا المسلمين وهنا نقول لهم أليست هذه مخالفة ظاهرة لدينكم فإن السيدة مريم أم المسيح كانت محتشمة في ثيابها فقد كانت تلبس الثياب السابعة الفضفاضة الصفيقة فلماذا تحالفون دينكم؟

(٢) الاختلاط بين الجنسين:

والذي كان ينادي به طه حسين ولطفي السيد ونجيب محفوظ وغيرهم كما ذكرناه سابقاً، وتم لهم ما أرادوه، فقد انتشر الاختلاط بين الجنسين في شتى الميادين كالعجين، فانتشر في المدارس والجامعات والمواصلات والوظائف، وهذا منتشر في جميع الجمهوريات الإسلامية إلا ما رحم رب البرية.

وخطر الاختلاط بين الجنسين لا يجهله أحد، وخاصةً بين المراهقين في الجامعات، لذلك انتشرت الفواحش في الجامعات المختلطة بسبب فتنة البنت المتبرجة السافرة لزميلها، إذ ماذا تنتظر من الشاب المراهق حين يجلس في وسط فتيات متبرجات في كامل زينتهن؟

(٣) منع الزواج المبكر:

وهي حيلة أخرى لمحاصرة الشباب، حتى يقع في الفواحش، ومما يتفطر له القلب أن بعض الجمهوريات الإسلامية ومنها مصر بلد الأزهر أصدرت تشريعات بمنع الزواج المبكر طاعةً للغرب الملحد، تحت مسمى حقوق المرأة، وهم يريدون أن يجعلوا المرأة مطية للرجل.

تأمل معي ماذا يصنع الشاب المراهق المفتول العضلات في كامل فتوته إذا منعناه من الزواج ومنعنا الفتاة أيضاً من الزواج المبكر؟ إن الجائع إذا لم يجد ما يسد جوعته سرق، فكذلك المراهق المحاصر يقع في الحرام، وإلى الله المشتكى.

(٤) منع ختان الإناث:

وكلنا نعلم أن الختان يجعل البنت في حالة اتزان، فهو عفة وطهارة، فلا تشتد عليها الشهوة، ولا تفقدها أيضاً، فإذا مُنعت من الختان اشتدت شهوتها، ولا سيما في سن المراهقة، ومع منعها من الزواج المبكر، واختلاطها بالشباب فليس أمامها سوى

الفواحش. وهذا الحصار التام للبنات المسلمة تشبها بالنصارى حتى تُضِلَّ وتُضِلَّ، فالهدف منه إفساد البنات المسلمة، حتى تُفسد هي الشاب المسلم

والأدهى والأمرُّ أن بعض الجمهوريات الإسلامية ومنها مصر أصدرت تشريعات بمنع ختان الإناث في تسعينات القرن العشرين طاعةً لتعليمات الغرب.

(٥) تسمية الزنا بغير اسمه وتوثيقه في القانون الوضعي:

فقد انتشر الزنا بين المراهقين تحت مسمى (الزواج العرفي) وهو باطل وزنا، ففي الحديث (أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل فنكاحها باطل فنكاحها باطل، فإن دخل بها فلها المهر بما استحلت من فرجها وإن اشتجروا، فالسلطان ولي من لا ولي له)^(١)؛ وهذا الزواج الباطل نجده منتشرًا بين شباب الجماعات المختلطة، وفي الوظائف المختلطة بسبب كثرة الفتن المثيرة للشهوات. وللأسف يوثق هذا الزواج في القانون في عدة جمهوريات إسلامية.

(٦) منع تعدد الزوجات: تشبها بالنصارى وبالكفار عامة.

وهذه حيلة أخرى لشد الحصار على الحلال، وفتح باب الحرام، فلو أن الشاب أو الرجل أحب زميلته في الجامعة أو في العمل، أو أحب امرأة أخرى لظروفٍ غير عادية، فإن لم يتزوجها وقع معها في الحرام.

ومما يدعو للعجب أن بعض الجمهوريات الإسلامية أصدرت تشريعات بمنع تعدد الزوجات كما في تونس، وعندنا في مصر إذا أراد المسلم أن يتزوج ثانية فلا بد من موافقة الزوجة الأولى، لذلك كثيرًا ما يلجأ الرجل إلى الزواج الباطل (العرفي)؛ لأن الزوجة الأولى لن توافق أبدًا على زواج زوجها من أخرى.

وجدير بالذكر أن تعدد الزوجات فيه حلول كثيرة لمشاكل المجتمع، لذلك شرّعه الإسلام وحدده بمقدارٍ معين، وبشروطٍ معينة، حتى لا تضيع الحقوق، وقد تكلمنا عن

(١) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه من رواية عائشة، وصححه الألباني (ص: ج: ٢٧٠٩).

ذلك في (شبهات واهية وردود شافية حول حقوق المرأة في الإسلام)، فراجعه فهو بحث هام ونفيس جدًا والتوفيق من الله وحده.

(٧) التشجيع على مزاحمة المرأة للرجل في ميدان عمله، والتعامل بأسلوبٍ غربي:

فاليوم خرجت المرأة إلى العمل، ولم تستثني عملاً واحداً للرجل، حتى المجالس النيابية تزاومت عليها، وكذلك وظيفة القضاء تزاومت عليها، واختلطت المرأة بالرجال سواء كانت متزوجة أو غير متزوجة، بل ويتم قبولها في الوظيفة أكثر من الرجل حسب درجة جمالها وتبرجها وسفورها.

أيضاً المعاملة بين الموظفين والموظفات تتم بأسلوبٍ غربي، وهو ما يسمى بـ (الإيديكيت الفرنسي) يعني السيدات أولاً ثم الرجل، فيتم تقديم المرأة على الرجل في كل شيء، ونتعامل معه بكل خنوع، فإذا صافحها قبل يدها، وتجلس أمامه بأسلوبٍ غربي كأن تضع قدماً على قدم، وتخضع له في القول، حتى تفتنه.

والأدهى والأمر أن المرأة لا تخرج إلى العمل إلا في كامل زينتها وتبرجها وتكاد تكون شبه عارية، حتى تُعجب الموظفين زملاء، وتُلفت الأنظار إليها، فتقع المخالفات الشرعية إن لم تقع الفاحشة نفسها، وقد يضطر زميلها إلى الزواج الباطل منها (الزواج العرفي)، وكم رأينا في الواقع العملي عادات غريبة تحدث بين الموظفين والموظفات من كلام غرام ومعاكسات وتقبيل... وفساد عام للأخلاق.

وجدير بالذكر أن خروج المرأة إلى العمل أدى إلى نشر البطالة بين الشباب، ومن ثم فسد المجتمع عامة، فالمرأة تنفق معظم راتبها على بيوت الموضة وبيوت الزينة ولا تنفق إلا القليل على البيت، أما الشاب فينفق على نفسه وبيته وقد ينفق على والديه، فلما انقلبت الموازين وخرجت البنت للعمل تعطل الشباب، وكثرت البطالة، وانتشرت السرقة والجرائم بسبب الفراغ القاتل، والواقع خير شاهد.

(٨) الترويج للإباحية وإثارة الشهوات في الإعلام والفضائيات:

فالإعلام بدلاً من أن يتجه إلى خدمة الإسلام في بلاد المسلمين اتجه إلى خراب العباد في كل البلاد، سواء في الصحف والمجلات أو الفضائيات.....

فلا تجد صحيفة أو مجلة إلا وتجد فيها نساء عاريات إلا الصحف والمجلات الدينية، وكذلك الإعلانات في التلفاز فلكي يَنجح الإعلان لا بد من ظهور امرأة شبه عارية، وكذلك المسلسلات والأفلام تجد الرجل يؤدي دور الزوج للمرأة، وينام معها ويداعبها كالزوج، وبعدها يُطْلَقُون على الممثل الزاني فنناً، ويمجدونه أكثر من العالم؛ وتظهر المرأة في التلفاز شبه عارية، بل وصل الأمر إلى انتشار الأفلام الإباحية على الفضائيات، وكذلك مشاهد الرقصات العارية والأغاني الهابطة، وكلها مشاهد هابطة وللأخلاق هدامة وإلى الدعارة داعية، وهذه السموم تكاد تراها في كل بيوت المسلمين إلا من رحم رب العالمين، فإذا يصنع الشاب حين يشاهد الأفلام الإباحية وتُثار شهوته؟ لقد وقعت فواحش بين المحارم بسبب هذه الإباحية، ولولا خشية الإطالة لذكرت قصصاً لذلك.

وقد كانت أفلام الإباحية تباع وتشتري، أما اليوم فتؤخذ مجاناً من الإنترنت أكبر هدام لشباب المسلمين، والله وحده المستعان، اللهم غبظاً لا هبطاً.

(٩) انتشار بيوت الدعارة في الأماكن السياحية:

السياحة لعملاء الكفر في بلاد المسلمين لم تجلب سوى الشر للمسلمين، فهناك أماكن بها بيوت دعارة مثل شرم الشيخ وشارع الهرم في مصر، وفي الأماكن السياحية تنكشف العورات المغلظة أمام العامة، وقد تحدث الفواحش على الشواطئ، ولا يتحرك ساكن لأحدٍ من المسؤولين والأدهى من ذلك أن الحكومات تعطي ترخيصاً لهذه البيوت الهدامة لأخلاق المسلمين، بدلاً من أن تقوم بتوقيع العقوبة الرادعة لهم، بل جعلت لهم ترخيصاً وجنوداً يحمونها، ونذكركم بحديث الشيخين عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته)، فالمشاهد الساخنة أصبحت

أمام الشاب أمام عينيه وبين يديه، ولا مفر له من الوقوع في الفاحشة، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ونسأل الله العافية.

(١٠) انتشار المنشطات الجنسية وحبوب منع الحمل.... :

فاليوم انتشرت المنشطات الجنسية بين الشباب وحبوب منع الحمل أصبحت في متناول الأيدي، حتى إذا أراد الشاب والشابة التلذذ بالحرام تناولت البنت حبوب منع الحمل، وتناول الشاب المنشط الجنسي، ووقعا معاً في الحرام، ويقضيا ليلةً ساخنة مع اختفاء النتائج والأدلة الجنائية وهو الحمل، ثم القيام بعملية ترقيع لغشاء البكارة إذا كانت غير متزوجة، وإذا نسيت المرأة تناول حبوب منع الحمل وحبلت تسارعت إلى إسقاط الجنين عن طريق (الإجهاض) وللأسف قد تكون متزوجة، وتقع في الحرام بحرية تامة بسبب وجود حبوب منع الحمل، وحبوب الإجهاض في متناول الأيدي، ويصبح حق الزوج هباءً منثوراً.

وأحياناً إذا أراد الشاب اغتصاب فتاة يضع لها المخدر في أي مشروب، ثم يغتصبها وهي لا تشعر؛ وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الخطة السابعة امتصاص الطاقة

الهدف منها عدة أمور:

(١) الحيلولة دون اتحاد دول الإسلام.

(٢) الحيلولة دون تقدم دول الإسلام علمياً أو صناعياً.

(٣) الحيلولة دون تقدم دول الإسلام اقتصادياً.

ما فعله العدو الخبيث لتحقيق هذه الخطة الخبيثة:

أولاً: زرع إسرائيل في منطقة الشرق الأوسط:

وهذه الخطوة الخسيسة ساهمت في نتائج كبرى للعدو اللدود، ومنها ما يلي:

(١) فصل الدول الإسلامية التي في آسيا عن التي في أفريقيا، ومن ثم يصعب الاتحاد تجاهد العدو، ومعظم دول الإسلام في قارتي آسيا وأفريقيا فتم زرع إسرائيل في فلسطين للفصل بين القارتين، وزيادة في قطع أوصال الدول الإسلامية، وهذه نقطة سياسية مهمة.

(٢) الإنشغال الدائم بالقضية الفلسطينية، وخاصة القدس، فلا تفكر دول الإسلام في التقدم العلمي، والاهتمام بالبحوث العلمية؛ بسبب انشغالها بهذه القضية فكرياً وعلمياً وعملياً، لذلك نرى أن معظم دول الإسلام عبارة عن سوق لترويج سلع العدو، فهي استهلاكية غير صناعية، وهذه نقطة علمية واقتصادية.

(٣) كثرة التبرعات التي يتم جمعها لإغاثة الشعب الفلسطيني المنكوب، فكثيراً ما تُعقد المؤتمرات؛ لجمع التبرعات لإقامة ما تهدمه إسرائيل في فلسطين، وهذا يمثل امتصاص وتصفية لخزائن المسلمين، فيصبح اقتصاد المسلمين في تدني دائم؛ لأن النكبات

مستمرة في فلسطين كما هو مشاهد على أرض الواقع، بل أحياناً تقوم إسرائيل بتدمير عشرات القرى تدميراً كاملاً؛ فهي العدو للبشرية.

(٤) أصبحت إسرائيل سلاحاً في يد أمريكا والغرب يشهرونه في وجه المسلمين، فإذا أحسوا تمرداً من حكامهم على القرارات الأمريكية أو الأوروبية أعطوا الضوء الأخضر لإسرائيل، فتقوم بعمليات التدمير والتوغل في أراضي الفلسطينيين، ومن ثمّ تجمع التبرعات من خزائن دول الإسلام؛ لإغاثة فلسطين، وتحدث الأزمة الاقتصادية عند العرب، وترتفع الأسعار بدورها، فيضطر حكام العرب إلى الإذعان للضغوط والقرارات الأمريكية والأوروبية، وهذا يعني أن العدو يتترس بالمسلمين المنكوبين، فإما الإذعان وإما القتل والتشريد، وهذه نقطة سياسية واقتصادية في آنٍ واحد. وللمزيد راجع كتاب (بنو إسرائيل في الكتاب والسنة) لطنطاوي شيخ الأزهر السابق

ثانياً: استقطاب علماء المسلمين التطبيقيين والموهوبين علمياً:

وذلك لتجفيف منبع التقدم العلمي والاقتصادي.... حتى تظل الدول الإسلامية في التذني علمياً واقتصادياً واجتماعياً وسياسياً، بسبب ذهاب علمائها إلى بلاد العدو، فيتمتع العدو بخبرات المسلمين العلمية، وتُحرّم منها دول الإسلام. ويتم استقطاب علماء المسلمين والمبتكرين عن طريق الإغراء بالمال أو السلطان أو عن طريق الضغوط الأمريكية، فإما أن يذعن الحُكّام الخونة فيرسلوا العلماء، وإما أن يمتنعوا عن تطبيق أفكار وأبحاث هؤلاء العلماء في بلادهم، وإلا دَبَّرت أمريكا وإسرائيل عملية التصفية الجسدية لهؤلاء العلماء.

وأضرب مثالا بما حدث عندنا في مصر: فقد تم استقطاب مئات العلماء في مختلف العلوم في الطب أو الكيمياء أو الفيزياء أو الفلك.....ومن ذلك ما يلي:

(١) في الكيمياء د. علي مصطفى مشرفة، والذي أرشد إلى إمكانية صناعة القنبلة الهيدروجينية، فهو أحد العلماء السبعة الذين عرفوا سرّ الذرة علمياً؛

(٢) في الفيزياء د. أحمد زويل، والذي أدهش العالم بمخترعاته المذهلة؛

(٣) في الجيولوجيا د. فاروق الباز وهو عالم كبير مشهور.

(٤) في علم الرياضيات الطالب معجزة الرياضيات عمر السيد عثمان الذي أدهش علماء الأمريكان في علم الرياضيات، على الرغم أنه لم يتجاوز سن الخامسة عشر من عمره، وحصل على بكالوريوس الهندسة من جامعة القاهرة، وكذلك بكالوريوس الهندسة من الجامعة الأمريكية بالقاهرة في مصر، والآن يقوم بعمل الماجستير في علم الرياضة البحتة في وسط ذهول من أستاذه الأمريكي.

(٥) في صناعة التكنولوجيا الطالب أحمد الذي ابتكر ريموت للصاروخ، وهو خريج دبلوم صناعي في مصر، وحصل على الدكتوراه الفخرية من وكالة ناسا الأمريكية معتمدة من رئيس الوكالة الفرنسي، ويسعى لتحويل الحروب إلى سلمية

* وغيرهم كثير، وهذا يعني أن أمريكا سرقت الحضارة من علماء المسلمين.

* وقد وقعت عدة اغتيالات للعلماء المسلمين الفطاحل،

١- دَبَّرَت إسرائيل عملية تصفية جسدية للعالم الدكتور علي مصطفى مشرفة.

٢- دبر الموساد تصفية جسد د. يحيى المشد العالم النووي المصري، والذي كان ضمن المجموعة التي تعمل في بناء المفاعل النووي العراقي بناء على طلب صدام حسين؛ ولما عرضوا عليه المال والجنس ليُبدي شيئاً عن أبحاثه رفض؛ فقتلوه في فندق بفرنسا صباح يوم ١٣ يونيو ١٩٨٠، وبعدها اعترف الموساد بتصفيته وتصفية عشرة علماء كانوا يعملون في بناء المفاعل النووي العراقي.

٣- اغتال الموساد الإسرائيلي العالم المسلم الكبير د. حسن كامل صباح لبناني.

٤- اغتال الموساد الإسرائيلي في ميونخ الألمانية عالم الذرة المصري شلبي السكري

- ٥- قام الموساد الإسرائيلي بوضع عبوة ناسفة في سيارة العالم النووي الإيراني مصطفى أحمد روشان، وانفجرت به.
- ٦- دبّرت أمريكا عملية تفجير طائرة البطوطي المصرية، والتي كانت تحمل مائة وخمسين عالمًا مصريًا.
- ٧- اغتالت أمريكا العالمة النووية المسلمة المصرية د/ سميرة موسى.
- ٨- اغتالت أمريكا العالم المصري النووي د. سمير نجيب
- ٩- في أمريكا تعرض العالم الفيزيائي د. أحمد زويل لعملية إشعاع في المنخ، وحدث له ورم في المنخ، وهي محاولة لتصفيته، ثم توفي في أمريكا بعدها بعام.
- ١٠- في إنجلترا تم تصفيته العالم الطبيب المصري كريم أسعد الذي توصل إلى اكتشاف عقار بديل للمورفين ورفض أن يكشف عنه للجهات الأجنبية فقتلوه هناك.
- * وبعد فإن قائمة الاغتيالات طويلة جدا ومنها اغتيال العالم الباحث السعودي د/ محمد حامد المري وزوجته في أمريكا.....، ولكن فيما ذكرناه عبرة وخير دليل على ما نقول.

الخطة الثامنة

الغزو الإعلامي

هدفها: تنفير غير المسلمين من الإسلام والمسلمين، حتى يكرهوا الإسلام، فيتجنبوا الدخول فيه، فيصبح الإعلام سلاحاً مضاداً للدعوة الإسلامية، وفي نفس الوقت يزرع الكراهية في نفوس غير المسلمين تجاه المسلمين، فيحدث العداء الدامي كما نشاهده على أرض الواقع في بورما، فقد اضطهدوا المسلمين حتى وصل الأمر إلى إحراقهم بالنار أحياء، وهم مسلمي الروهينجا، ومع ذلك لا يتحرك ساكن لدى منظمات حقوق الإنسان، حتى الأمم المتحدة لا يتحرك لها ساكن تجاه مأساة المسلمين، وكأن المسلم ليس إنساناً، كل ذلك بسبب الحملة الإعلامية الشرسة ضد الإسلام والمسلمين، ولا ننسى أن معظم وكالات الإعلام يتحكم فيها اليهود لأنهم يسيطرون على رأس المال العالمي.

مضمون الخطة: تشويه صورة الإسلام والمسلمين في جميع وسائل الإعلام المختلفة كالصحف والمجلات والجرائد والفضائيات.... ولا سيما التي يملكها اليهود والنصارى وعملاؤهم المأجورون من الليبراليين والعلمانيين،

*** وقد اعترف بذلك د. روبرت كريت مستشار الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون فقد أسلم وقال: (لو قرأ الناس الصحف في أمريكا، فإنهم بلا شك سينتابهم الخوف من الإسلام) وكذلك اعترف د. يوسف كوهين وهو حاخام يهودي أسلم واعترف بأن إعلام أوروبا يُضلل ويُزيّف الحقائق، واطلعت على عدة فيديوهات على الإنترنت لأناس أسلموا من أوروبا وأمريكا واعترفوا جميعاً أن الإعلام يشوه صورة الإسلام في أوروبا وأمريكا، بل إن أحدهم ذهب إلى المركز الإسلامي في إحدى ولايات أمريكا ليفجره من شدة كرهه للمسلمين والسبب ما يسمعه في الإعلام الأمريكي ان الإسلام هو دين إرهاب وأن أتباعه إرهابيون لكن الله هداه حين ذهب هناك واستمع**

إلى حقيقة الإسلام وشاهد هناك الكثير من علماء أمريكا الذين أسلموا فاقتنع بكذب الإعلام وأسلم وكان سابقا في أفراد الجيش الأمريكي، وغيلهم كثيرا جدا جدا.

* والغزو الإعلامي تسبب في عزوف كثير من الناس عن الدخول في الإسلام، أنظر (أسباب الإعراض عن الدخول في الإسلام) في الفصل القادم

حيث يقوم الإعلام الصهيوني والأمريكي والغربي وعملائهم المأجورين باختلاق ونشر الشبه المفتراة على الإسلام، ومن ذلك:

(أ) الإسلام تشدد وتزمت.

(ب) الإسلام فيه إجحاف للمرأة وتقييد لحريةها.

(ج) الإسلام تخلف وتأخر ورجعية.

(د) الإسلام إرهاب وتطرف.

وقولهم الإسلام تشدد وتزمت، مرود لأن التيسير من مبادئ الإسلام وقد تكلمنا عن مبدأ اليسر في الإسلام في الفصل الثاني، وأما قولهم الإسلام هضم حقوق المرأة فقد ردنا عليه في الفصل الثالث، والآن نرد على إفكهم إن الإسلام تخلف وتأخر، وأن الإسلام وإرهاب وتطرف

الرد الشافي والكافي على قولهم الإسلام فيه تخلف وتأخر:

فيرد علي هذه الشبهة من خلال العرض الآتي:

أولاً:- إن الإسلام حثَّ على كل علم نافع، ولذلك اجتهد الكثير من علماء المسلمين في شتى ميادين العلم، حتى كان لهم السبق الأول في العديد من العلوم والاكتشافات سواء في الطب أو الصيدلة أو الهندسة أو الرياضيات أو الفلك أو الطبيعة أو الكيمياء أو الفلسفة أو الإقتصاد أو علم الاجتماع...

* وسوف أذكر بعضًا من النماذج المشرقة للعلماء المسلمين الأوائل^١،

(١) جابر بن حيان: العالم المسلم الكيميائي مخترع القلويات وماء الفضة وأول من أدخل البحث التجريبي إلى الكيمياء، وله السبق والفضل في معرفة ملح النشادر، وماء الذهب، والبوتاسيوم، وزيت الزاج، والقلويات، وأكسيدها وأملاحها وأحماض النيتريك والكبريتيك فهو مؤسس علم الأكسدة.

(٢) الخوارزمي: مؤسس علم الجبر، ولا يزال اسم الجبر يعرف في أوروبا بالخوارزم نسبةً إلى مؤسسه، وهو أول من قام بتعريف الأرقام الهندية، واكتشف بعض القواعد الرياضية كقاعدة الدالة الخطية، والطريقة الهندسية لحل المربعات المجهولة (المعادلة من الدرجة الثانية)، وجداول المثلثات.... لذلك اعترف العالم الياباني (سيكي كاو) بأن الخوارزمي أول من فكر في اختراع الكمبيوتر.

* ولا ننسى أن (جمشيد بن مسعود بن محمود الكاشي) هو الذي ابتكر الكسور العشرية فكان لها الأثر العظيم في تقدم علم الحساب واختراع الآلة الحاسبة.

(٣) أبو بكر الرازي: أشهر أطباء العالم، وأول من طبق العلاج الكيميائي في الطب، واستعمل العقاقير على الحيوان قبل أن يُطبَّقها على الإنسان، وله جهدٌ مشهور ومشكور في جراحة العيون والأمراض التناسلية والنساء والولادة.

(٤) ابن سينا: الملقَّب بالرئيس، وهو أشهر من أن يُعرَّف، عالم في الطب والفيزياء والكيميائي، وَصَفَ العديد من الأمراض كالتهابات غشاء الدماغ المعدية، وأول من وَصَفَ مرض تصلب الرقبة والتهاب السحايا، وأسهم في العديد من العلوم كالفيزياء والجيولوجيا والفلك والرياضيات..... فهو وحده مدرسة، لكنه كان متعمقا في

^١ - ومعظم هذه النماذج مقتبسة من كتاب (بناة الفكر العلمي في الحضارة الإسلامية) للدكتورة حليلة

الغراري، وبعض مواقع الانترنت.

الفلسفة أكثر من علوم الشريعة الإسلامية، فأصبح منحرفاً في العقيدة جهمياً معطلاً لصفات الله وكان أبوه من الإسماعيليين، وقيل إنه تاب قبل موته عن أفكار الفلاسفة والمتكلمين والله تعالى أعلم .

(٥) ابن النفيس: أول من اكتشف الدورة الدموية في الشرايين وجريان الدم إلى الرئتين لمدهما بالهواء وليس بالغذاء كما كان يعتقدُ الناس، وكان يعتمد على التشريح للوصول إلى النتائج، فهو من أوائل علماء التشريح في العالم.

(٦) ابن الهيثم: صاحب علم البصريات، وأول من شرح تركيب العين، ووضّح أجزاءها بالرسوم، وأعطاهها أسماء ترجمها الغربيون إلى لغاتهم، وأول من قال إن العدسة المحدبة ترى الأشياء أكبر مما هي عليه؛ وأن الضوء يأتي من الأجسام إلى العين، وليس العكس كما كان يعتقد العلماء؛ فهو مؤسس علم الضوء؛ ولقد أدت اختراعاته واكتشافاته إلى صنع الكاميرات وآلات التصوير؛ لذلك وصفته دائرة المعارف البريطانية بأنه رائد علم البصريات بعد بطليموس.

(٧) ابن يونس: الفلكي والمهندس، قال عنه سارطون: كان أعظم فلكي مسلم له الفضل في اختراع رقائق الساعة، وأول من وضع قانوناً في حساب المثلثات الكروية، وكان يرصد كسوف الشمس في القاهرة.

(٨) الزهرابي: الجراح العالمي أول من أجرى عملية استئصال الحصى من المثانة عن طريق المهبل، وأول من نجح في عملية شق القصبه الهوائية، ونجح في إيقاف نزيف الدم بربط الشرايين الكبيرة، وعلم تلاميذه خياطة الجروح خياطة داخلية لا تترك أثراً مرئياً، وكيفية الخياطة بإبرتين وخيط واحد مثبت بهما وطريقته في الجراحة والخياطة لا زالت تُستخدم في العمليات حتى الآن.

(٩) البيروني أشهر شخصية علمية على مر العصور بشهادة علماء العرب والغرب فهو الذي اكتشف جاذبية الأرض قبل نيوتن عندما قال: "إن الأجسام تسقط على الأرض بسبب قوى الجذب المتمركزة فيها"، فأخذ نيوتن هذا التعبير وأعطاه معنى أكثر شمولية فقال: «كل جسم في الكون يؤثر بقوة جذب على جسم

آخر ومقدار هذه القوة يتناسب طردياً مع صاحب جذب الكتلتين وعكسياً مع مربع المسافة بينهما».

(١٠) الإدريسي والذي أشار إلى كروية الأرض في كتابه (نزهة المشتاق).

(١١) عباس بن فرناس أول من فكر في عمل الطائرة

(١٢) المقدسي في علم الجغرافية وكتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)

(١٣) علماء آخرون: في الفلسفة والفلك والإقتصاد والفيزياء والرياضيات والطب

كابن رشد والفارابي وعمر الخيام..... وغيرهم كثير

(١٤) الفاروق عمر بن الخطاب أول من أسس الدواوين ومجلس الشورى والقضاء

وبيت المال والبريد وغيره من الشؤون الإدارية، ووقتها كانت أوروبا تعيش في ظلام

الجاهلية والفوضى، ولا يستقر لهم قرار.

(١٥): هل نسي الغرب أن صلاح الدين الأيوبي انتصر على صليبي أوروبا كلها بفضل

اكتشافات علماء المسلمين والتي كانت تأسيساً لصنع الديناميك.

هل نسي الغرب أن المسلمين الأوائل هم الذين أول من قالوا بكروية الأرض وهم

الذين صنعوا البوصلة لمعرفة القبلة ولتوجيه البحارة وهم الذين صنعوا أقلام الحبر

الجافة وصنعوا الورق واخترعوا آلة لطبع كتبهم.

هل نسي الغرب أن أوروبا كانت غارقة في بحر الظلمات والجهل في حين كانت

الإنارة تنير ممرات وطرق مصر والقاهرة.

هل نسي الغرب أن المسلمين الأوائل هم الذين علموا أوروبا الطهارة من عمل

الحمام والطهارة من الجنابة والإغتسال عامة كل فترة للنظافة..... فالمسلمون

حين فتحوا بعض بلاد أوروبا وجدوا روائح كريهة جداً من أجسامهم بسبب انعدام النظافة فعلمهم المسلمون كيفية الطهارة.

هل نسي الغرب أن أوربا كانت تعيش في بحر الفواحش وشرب الخمر خاصة مع رجال الدين، وكانوا يحرمون العلم والإختراعات التي تخالف معتقداتهم الباطلة، في حين أن الإسلام شجّع وحث على طلب العلم ونشره والإجتهد للنهوض بالأمة لأنه ليس في الإسلام ما يتعارض مع العلم القطعي كما بيّناه في الفصل الأول عندما تكلمنا عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة؛ فقام المسلمون بجهد جهيد حتى كان لهم السبق في كل العلوم.

* أما في العصر الحديث:

فحدّث ولا حرج عن العلماء المسلمين والشباب المسلم الموهوب، فهم أشهر من أن يُعرّفوا كأمثال د. علي مصطفى مشرفة، د. فاروق الباز، د. أحمد زويل، د. محمد البرادعي، د/ سميرة موسى،..... وهم مسلمون عرب، واستفادت منهم أمريكا وأوروبا كما بيناه منذ قليل.

* وهناك شباب وأشبال وضعوا بصمتهم على لائحة الابتكارات ومنهم:

(١) الأَخَوَان: بدران محمد (١٢ سنة)، محمود محمد (عشر سنوات) اكتشفا تطوير الخلايا الشمسية من النبات، وحصلا على جائزة البيئة العالمية، والتي تمنحها منظمة (جرين آبل) البريطانية، وهما أول مصريان يحصلان عليها، وأصغر الفائزين بها في العالم على مدى التاريخ.

(٢) الطالب المصري المسلم شريف أنور، والذي لم يتعد عمره الرابعة عشر، ومع ذلك ابتكر طائرة استكشافية مزودة بتقنيات حديثة، وتهبط على الأرض والماء يعني تجمع بين مميزات الطائرة البرمائية والأرضية، وتتميز بالخفة؛ لأنها تُصنَع من الخشب المغطى بالصاج المطل، ولم يستجب له أحد من المسئولين وكما يُقال (ودن من طين والأخرى من عجين)

(٣) الشاب المسلم المصري عمرو أبو النصر الذي اخترع جهازًا لاكتشاف الزلازل والرادار وجهازًا لتحلية المياه، صنعه وهو في الإعدادية، وهو صاحب فكرة

النَّيْلُ الجديدي من المتوسط إلى منخفض القطارة في مصر، ولكن هل من مجيب أم لا حياة لمن تنادي؟

(٤) الشاب المسلم المصري حسن عبد الحكيم جمعة، والذي ابتكر جهازاً يعمل على استخراج غاز البوتاجاز من الصرف الصحي، وفي نفس الوقت يقوم بتوليد الكهرباء من الصرف الصحي، وإصلاح الماء الباقي لاستخدامه في الري.

(٥) الطالب المسلم المصري محمد حسن علي، والذي اخترع جهازاً إلكترونيًا لعلاج مشاكل السكك الحديدية لمنع الحوادث، واخترع شريحة شمسية كبيرة للاستفادة من الطاقة الشمسية تنتج أضعاف الشريحة العادية بست مرات.

* أخيراً نقول اللائحة أو القائمة طويلة وضخمة وثقيلة بكل المعاني، وهناك أشبال مبتكرون في السعودية والإمارات واليمن وكردستان العراق، بل هناك طفل يماني صنع جهازاً كهرومغناطيسياً لتوليد الطاقة، واسمه (أسعد الكامل) وغيرهم كثير وكلهم مسلمون، فكيف يقال أن الإسلام تَأَخَّرَ وَتَخَلَّفَ، مع أن أصغر المبتكرين في العالم مسلمون، ولا ننسى أن جامعة بنها في مصر انضمت إلى المؤسسات الأوربية بسبب إنجازاتها العظيمة في الطب والهندسة، وتعتبر أول جامعة عربية وأفريقية تنضم لمؤسسات أوروبا، أليست هذه شهادة من الغرب بقوة التعليم في العالم العربي الإسلامي؟ اللهم نعم.

ثانياً:- لقد اعترف المنصفون من الغرب في كتبهم بأن المسلمين هم أول من أدخلوا التجارب العملية وهم أساس حضارة أوروبا مع ملاحظة أنهم يسمون المسلمين بالعرب لأن أوائل المسلمين من العرب وإليك أمثلة من إقرارات علماء الغرب بفضل المسلمين الأوائل على حضارة أوروبا:

* المؤرخ الأمريكي (ول ديورانت) فقد قال: (ويكاد المسلمون يكونون هم الذين ابتدعوا الكيمياء بوصفها علماً من العلوم، ذلك أن المسلمين أدخلوا الملاحظة الدقيقة، والتجارب العلمية، والعناية برصد نتائجها.....) (قصة الحضارة/ ج13: ص196)

* الأمريكي (ميلر بروز) قال: «في العصر الذهبي للثقافة الإسلامية كان علماء المسلمين يضعون أسس العلم الحديث» (الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة/ ص ٤٢).

* المستشرق الفرنسي (لويس سيديو) فقد استعرض وجوه الحضارة الإسلامية ثم قال: (هكذا تجل تأثير العرب في جميع فروع الحضارة الأوربية الحديثة) (تاريخ العرب العام/ ص ٣٨١) نقلا من كتاب السرجاني (ماذا قدم المسلمون للعالم).

* المستشرق الألماني (أرنست بانرث) فقد قال: «إن الأوروبيين قد عرفوا أن طرق العرب العلمية كانت أنسب لمعرفة الحق..... وأول من قلده العرب في التجربة الراهب (روجر بيكون) في انكلترا، وحتى الآن يشكر علماء الطبيعة في أوروبا العرب على إدخال طريقة التجربة العلمية التي دلت على التطور والتحديث في جميع الميادين» (تأثير الفلسفة الإسلامية في تطور الفكر الأوربي/ ص ٧-١١).

* الباحثة الألمانية (زغريد هونكة) (إن العرب [المسلمين] هم مؤسسو الطرق التجريبية في الكيمياء والطبيعة والحساب والجبر والمثلثات وعلم الاجتماع وبالإضافة إلى عدد لا يحصى من الاكتشافات والاختراعات في مختلف فروع العلوم فقد قدم العرب [المسلمون] أثمن هدية وهي طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهدت أمام الغرب طريقة لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطه عليها (اليوم) (شمس العرب تسطع على الغرب: ص ٤٠١-٤٠٢).

* المؤرخ (روم لاندو) ينقل عن (بريفو) في كتابه (تكوين الإنسانية) «فالإغريق قد نظموا وعمموا ووضعوا النظريات ولكن روح البحث وتركيب المعرفة اليقينية وطرائق العلم الدقيقة والملاحظة الدائبة كانت غريبة عن المزاج الإغريقي وإنما كان العرب هم أصحاب الفضل في تعريف أوروبا بهذا كله ، وبكلمة فإن العلم الأوربي مدين بوجوده للعرب» (الإسلام والعرب/ ص ٢٤٥-٢٤٦).

* (الموسوعة البريطانية: ٤٦/١٨) تقول: (المبنى العام للصيدلة قد بدأه العرب).

* المستشرق البريطاني (مونتجمري وات) اعترف أيضا بفضل علوم المسلمين على حضارة الغرب لذلك ألف كتابا أسماه (فضل الأسلام على الحضارة الغربية).

* الباحثة الإيطالية (لورا فاغلييري) فقد قالت: «ألم يكن العرب أول من اصطنعوا الطرائق التجريبية قبل أن يعلن بيكون ضرورتها بزمن طويل؟ وتطور الكيمياء وعلم الفلك... أليست هذه من مآثر العرب» (دفاع عن الإسلام / ص ١٣٠)

* المستشرق والمؤرخ الفرنسي (غوستاف لوبون) اعترف قبي مواضع كثيرة من كتابه (حضارة العرب).

وبعد فقد نقلت هذه الاعترافات من موقع الدكتور (محمد موسى الشريف) وكتاب السرجاني (ماذا قدم المسلمون للعالم) وموقع (مداد) ومن أراد المزيد من اعترافات علماء الغرب بفضل المسلمين الأوائل فليطالع هذه المصادر اضافة إلى كتب القرضاوي وموقع (حراس العقيدة الإسلامية).

سؤال يطرح نفسه:

إذا كان المسلمون هم الأساس الأوّل لحضارة أوروبا، فلماذا نرى الدول العربية متأخرة عن دول أوروبا؟

الجواب من عدة وجوه:

أولاً: أن التتار عليه لعنة الله حين دخل بغداد ألقى بكتب المسلمين في نهر الفرات، حتى أصبحت جسراً يعبر عليه بفرسانه، فضاع مجهود علماء المسلمين، وكذلك فعل في دمشق ومعظم بلاد المسلمين التي دخلها، وبقيت بلاد الأندلس التي فتحها المسلمون وترجموا لها الكتب القيمة بقيت هذه البلدة وحدها المحتكرة لكتب العلماء المسلمين الكبار، فلما سقطت في أيدي الصليبيين، وتحول اسمها إلى أسبانيا، وأصبحت من بلاد أوروبا استولى الصليبيون على الكتب القيمة، وبنوا عليها، وتأخر المسلمون بسبب سلب التتار والعدو عامة لكتبهم وتراثهم.

ثانياً: أمريكا والغرب يترصدون للموهوبين والعلماء الكبار في بلاد المسلمين، فإذا برع عالم في شيء أغرته أمريكا والغرب، فيترك بلده، ويذهب إلى بلادهم بسبب العروض المغرية كما فعلوا مع د. أحمد زويل، د. مصطفى مشرفة، د. فاروق الباز،.... حتى الصبية الموهوبين يتم أخذهم إلى بلاد الغرب وأمريكا.

وإذا لم يرخص العالم أو الشاب المبتكر الموهوب بالذهاب إلى أمريكا والمكث فيها وقع الاعتقال المدبر له كما كما بيناه في خطة امتصاص طاقة المسلمين.

ثالثاً: الضغوط الدولية على بلاد الإسلام لمنع التصنيع والتطوير وإلا فُرِضَت العقوبات الدولية الاقتصادية عليها كما حدث مع النمرور الآسيوية ومنها ماليزيا الإسلامية التي أذهلت العالم بتقدمها في التكنولوجيا والصناعة عامةً.

* وللأسف معظم حكام المسلمين اليوم يداهن الغرب على حساب بلاده، بل على حساب دينه إلا من رحمه الله تعالى، فترى الحاكم العميل الخائن لا يساعد ولا يستجيب لمبتكر أو لعالم مسلم في بلده رضوخاً لضغوط أمريكا والغرب، فعندنا في مصر مثلاً آلاف المبتكرين، ومنهم حديث السن، ومع ذلك لا يجدون من يستجيب لهم، فهناك شاب صنع كرسيّاً يصعد السلم بالمريض، وآخر صنع عربة حديثة تدار بالريموت، وآخر صنع إنساناً آلياً، ولكن هل من مجيب؟ بل لا حياة لمن تنادي بسبب عمالة الحكام لبلاد الغرب، بل عندنا شباب حصلوا على الدكتوراه الفخرية من وكالة ناسا الأمريكية وهم في العشرينات من عمرهم، أليست هذه شهادة من أمريكا على وجود المبتكرين والموهوبين من المسلمين؟

ولعلك تقول ما الذي يضطر الحاكم إلى الرضوخ لأمريكا والغرب؟

الجواب: هذا له أسباب كثيرة أهمها:

(١) أن أغلب حُكّام لا يصلون إلى الكرسي إلا بعد دعم أمريكا والغرب له وهذا الدعم لا يتم إلا بعد إرضاعه من جراثيمهم المسمومة في بلادهم ليضمنوا ولاءه لهم فيسجّلون له مثلاً شرائط جنس أو إيقاعه في أي شيء يكرهه شعبه كالرشاوي الهالية ويتم تسجيله عن طريق مخابراتهم السريّة.... وغير ذلك مما يكون دُلاًّ له في أيديهم فيرضخ لمطالبهم خوفاً من الفضيحة في القنوات الفضائية.

(٢) أحياناً يتم إيقاع الحاكم المسلم الخائن في الجنس مع امرأة عميلة لهم ويتم تصويره في شريط ليكون سلاحاً يهددونه به فيرضخ لطلباتهم.

* وقد اعترفت ليفني وزيرة خارجية إسرائيل أمام الإعلام الفضائي في أبريل ٢٠١٦ بأنها مارست الجنس مع حُكَّام عرب وغيرهم وتم تصويرهم وافتخرت بأنها فعلت ذلك خدمة للموساد الإسرائيلي وقالت أصنع أي شيء خدمة لبلدي إسرائيل..... وقالت إنها استأذنت أحد الحاخامات اليهوديين في ممارسة الجنس خدمة لبلادها فأباح لها ذلك وقال إنك حين تفعلي ذلك تقدمين خدمة للدين وللإهود، ولكنها اعترفت بعدها بأنها مصابة بالإيدز وكانت صدمة كبيرة للحُكَّام الذين واقعوها فأصابهم الهلع والفرع وسارع بعضهم إلى عمل التحاليل إطمئناناً على نفسه، وكما قيل (قد تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن).

* وجدير بالذكر أن مصر كانت تستخدم بعض الفنانات لإيقاع حُكَّام ومسؤولين في الجنس ثم تصويرهم واستفزازهم بالشريط المصور لينالوا منه ما يريدون وكذلك كان بعض المسؤولين في مصر يفعلون نفس الفعل الشنيع مع بعضهم فيقوم المسؤول بتصوير آخر وهو يمارس الجنس مع فنانة أو امرأة عاهرة.... وهكذا حتى يكون بعضهم تحت رحمة بعض والمستفيد هو الحاكم للدولة ليدعن له الجميع؛ ولكن هو نفسه يدعن لأمريكا والغرب..... وإلى الله المشتكى.

ثانياً: شبهة الإرهاب والتطرف:

وهذه الشبهة أوهن من بيوت العنكبوت، بل هي من التدليس على الناس، وسوف ينكشف لك زيفها في السطور التالية:

* بداية نتعرف على معنى الكلمتين لتفرق بينهما،

* معنى كلمة الإرهاب من رَهَبَ يعني خَوْف، فالترهيب هو التخويف، والإرهاب هو الإخافة.

* معنى التطرف الأخذ بطرف الشيء دون الباقي، يعني الأخذ ببعض النصوص وترك الباقي فيأتي التشدد والغلو والعنف بسبب الجهل بباقي النصوص

كما سبق تعلم أن الإرهاب ليس هو التطرف، فالإرهاب شيء والتطرف شيء آخر، لكن وسائل الإعلام تخلط بين الإرهاب والتطرف ليكره المسلمون الجهاد، فالترهيب لا بد منه في أي مجتمع لردع الخارجين عن القانون، أما التطرف فهو مرفوض في أي مجتمع.

الإرهاب كلمة مستحدثة، وكانت من قبل تعني الجهاد لردع العدو المتربص بالبلد الآمن حتى يَعْمَ الآمن والأمان في جميع البلدان.

* ويجب إرهاب العدو بكل السبل قال تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [الأنفال: ٦٠، ٦١].

فلاحظ أنه شرَّع الجهاد لإرهاب العدو فقط، وليس لإرهاب المسلمين أو المستأمنين من غير المسلمين، فهذا غير مشروع، بل إن الإسلام حثَّ على السلم والسلام، فقال تعالى في القرآن الكريم:

(وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)،

ولذلك لما تقاعست الأمة الإسلامية عن الجهاد تَسَلَّطَ عليها العدو من كل جانب، فاجتاح فلسطين ومصر وسوريا والأردن ولبنان وأفغانستان والبوسنة والشيستان وكشمير والعراق وليبيا... وغيرها من البلدان، وأصبحت الأمة في ذلٍّ وهوان بسبب تقاعسها عن الجهاد لردع العدوان، وهو ما أخبرنا ونبأنا به الرسول صلى الله عليه وسلم فقال:

(إذا تباعيتم بالعينه وأخذتم أذنان البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم)^(١).

وكلمة الجهاد لا تعني القتال في اللغة، بل تعني السعي والكفاح وهذا قد يكون بالقلم كجهاد العلماء في نشر العلم وجهاد الصحفيين المخلصين في نشر الحقيقة، وقد يكون الجهاد بالكلمة وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كجهاد الدعاة لإصلاح الأمة، وقد يكون الجهاد بالسيف وهذا عند الضرورة كالدفاع عن الأمة ضد أعدائها،

ونلاحظ أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم مكث في مكة ثلاثة عشر عاماً تعرض فيها لأشد أنواع الأذى هو أصحابه ومع ذلك لم يُعلن الجهاد بالسيف بل كان يجاهدهم بالقرآن لإقامة الحجة على قومه كما قال له ربنا في القرآن الكريم:

(فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا) (الفرقان: ٥٢) أي وجاهدهم بالقرآن وسورة الفرقان مكية.

لكنه أعلن الجهاد بالسيف حين هاجر إلى المدينة المنورة دفاعاً عنها وعن عريبتها ضد أعدائها، وليس لكي ينشر الإسلام بالسيف فالإسلام لم ولن ينتشر بالسيف كما يدعي الخراصون الأفاكون والإفكيك انتشر في الصين ولم يفتح فيها المسلمون شبراً؟.

(١) - أخرجه أبو داود من رواية ابن عمر، وصححه الألباني (س: ص: ١١).

مفاجأة كبرى: الجهاد بالسيف موجود في كتاب اليهود والنصارى فلقد جاهد يشوع

بالسيف ضد عمالقة فلسطين كما في (الخروج : ١٧ / ٩-١٣)

بل قال في (ارميا: ٤٨ / ١٠) (ملعون من يعمل عمل الرب برحاء و ملعون من يمنع

سيفه عن الدم)

وعيسى أمر أتباعه بذبح أعدائه كما في (لوقا : ١٩ / ١٧) وأمرهم أن يبيعوا الثياب

ويشتروا السيف فقال في (لوقا: ٣٦/٢٢) (فقال لهم لكن الان من له كيس فليأخذه

ومزود كذلك ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتتر سيفاً)

* أما التطرف أو العنف فهو أخذ الأمور بشدة وتجاوز حد الوسط والاعتدال،

وهذا تَبَرُّاً منه الإسلام، فلا قتل للأبرياء ولا للمستأمنين ولا غلو في الدين، بل دعا

الإسلام إلى الوسطية واليسر والسماحة والعدالة كما بيناه في فصل مبادئ الإسلام، بل هو

الذي قال: (اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ)

[النحل: ١٢٥]، بل إن القرآن لم يذكر السيف أصلاً وذكره كتاب اليهود والنصارى

مئات المرات فمن الإرهاب والمتطرف إذن؟.

كما سبق تعلم أن الإعلام الغربي والصهيوني والأمريكي يُدَلِّس على الناس بخلط

الحقائق، فجعل الإرهاب هو التطرف حتى ينسى المسلمون الجهاد، وتصبح بلاد

الإسلام عرضة للنهب والسلب ولقمة سائغة لأمريكا والغرب وروسيا والصين

والهند... وغيرها من بلاد الكفر.

سؤال يطرح نفسه من المتطرف والإرهابي الحقيقي؟

الجواب: المتأمل في أحوال البلاد والعباد يعلم يقيناً أن الذي يمارس العنف

والإرهاب هم الغرب وأمريكا وإسرائيل وروسيا... من بلاد العدو فالتاريخ والواقع

يشهدان بذلك، فلقد اجتاحت أمريكا وإنجلترا العراق ظلماً، واجتاحت إسرائيل

بمعاونة الغرب وأمريكا فلسطين ومصر وسوريا والأردن ولبنان ظلماً، واجتاحت الحلف

الأطلسي أفغانستان، ولا ننسى ما فعلته روسيا في أفغانستان وكوسوفا والشيشان، وما

فعله الصُّرْب في البوسنة والمهرسك، وما فعلته إيطاليا في ليبيا، وما فعلته فرنسا في الجزائر وبلاد المغرب؛ وما فعلته بريطانيا قبل ذلك في مصر والأردن والعراق.....، فمن يكون المتعربد والمتطرف والإرهابي؟

شبهة واهية وأجوبة شافية كافية: وهي شبهة تفجيرات برج التجارة العالمي في أمريكا والتي يطلق عليها أحداث الحادي عشر من سبتمبر والمتهم فيها المسلمون بل القاعدة المسلحة في أفغانستان، ويرد بها يلي:

١- القاعدة القانونية المتفق عليها تقول: المتهم بريء حتى تظهر أدلة إدانته ولم يظهر دليل واحد على ذلك

٢- لقد قام أكثر من سبعين خبيراً على مستوى العالم بالتحقيق في هذا الموضوع وأثبتوا بالأدلة القطعية براءة المسلمين من ذلك، ومن هذه الأدلة أن الطائرة حين اصطدمت بالمبنى حدث انفجار في أكثر من مكان في المبنى ولم يحدث تحطم فقط يعني كان هناك تفجيرات في المبنى مُعدَّة لذلك، الطائرة المدنية التي زعموا سرقتها لا تستطيع الدوران بالشكل الذي حدث بل تقوم به الطائرة العسكرية، كيف تم سرقة الطائرات بهذه السهولة؟، قالوا أن الصناديق السوداء للطائرات المسروقة احترقت مع أن الصندوق الأسود يحتل درجات الحرارة العالية جداً فكيف احترق؟ رئيس الوزراء الإسرائيلي كان مسافراً إلى أمريكا في ذلك اليوم ورجع في الصباح الباكر من الطريق قبل أن يكمل رحلة السفر ولم يكن وقع الانفجار فلماذا رجع هل أعلمه احد أن موعد الإنجاء اقترب؟..... وغيرها من الأدلة.

٣- الطائرة حين سُرقت واختلف اتجاهها لم تقم القواعد العسكرية بدورها كما هو معلوم، فلماذا لم يسقطوا الطائرة أو يتم التحليق حولها...؟

٤- القاعدة نفسها تبرأت من هذا الفعل بل قال ابن لادن قتل النفس البريئة حرام ونحن لا نقاتل إلا المحاربين لنا فقط.

٥- أمريكا وحلفاؤها دخلوا أفغانستان ولم يقتلوا زعيم القاعدة ابن لادن لهاذا؟ مع أنهم قتلوه بعد عدة سنوات في باكستان.

واتضح في النهاية أن أمريكا هي التي افتعلت هذا الانفجار وبالتحديد الرئيس الأمريكي بوش هو الذي خطط لذلك ليهيء الرأي العام العالمي لإحتلال أفغانستان حتى تستولى أمريكا على كنوز البترول الموجود فيها.

الخلاصة: إن الإسلام بريء من سفك الدماء لأنه حرّم قتل النفس وحرّم قتل غير المسلم إلا أن يكون محارباً للمسلمين، ففي الحديث (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين خريفاً)^(١)، وإن كان قتل النفس محرم في جميع الشرائع فإن الإسلام هو الوحيد الذي شدّد فيه وقال من قتل نفساً واحدة فكأنما قتل كل الناس فقال تعالى: (مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا) [المائدة: ٣٢].

****** ونحن لا ننكر أن هناك أفكاراً تؤدي إلى العنف انتشرت بين بعض المسلمين فقط والإسلام بريء من ذلك، وكما قلنا من قبل إذا أخطأ طبيب في عمله اهتمناه وحده ولا ننتهم مهنة الطب كلها بسببه.

والتطرف الذي انتشر بين فئات قليل من المسلمين له أسبابه وإليك التوضيح.

أسباب انتشار العنف والتطرف في بعض بلاد المسلمين: كثيرة ومنها:

(١) انتشار البطالة، والفراغ عنصر قاتل وهدام للفكر والسلوك معاً.

(٢) غياب العدالة الاجتماعية، فالمظلوم قد يلجأ للعنف لأخذ حقه.

(٣) انتشار الفسق والفجور في بلاد الإسلام كالخمور والفواحش والتبرج

والسفور، وتضييق الخناق على الملتزمين بدينهم، فهذا يفقدتهم الاعتدال.

(١) أخرجه البخاري من رواية ابن عمرو.

(٤) عدم الاهتمام بتعليم الدين أدى إلى نشر الفهم الخاطئ للنصوص.

(٥) الظلم الواقع على المسلمين من الكفار في بلاد كثيرة، فالشباب المسلم الذي يشاهد كل يوم عربدة إسرائيل في بلاد المسلمين، وأن مجلس الأمن الخائن لا يصنع شيئاً بل يعاونهم، فهذا الشاب يتحمس لنصرة إخوانه الضعفاء، فيضطر إلى العنف والعمليات الفدائية، فلو كان الغرب يريد السلام فعليه أن يرد ما سَلَبَهُ، وإلا فليتحمل.

كيفية علاج المشكلة:

(١) فتح قنوات الاتصال مع جميع الجماعات، فلا بد من عقد مناظرات بينهم وبين كبار العلماء، لإقامة الحججة عليهم قبل استخدام الحل الأمني، كما فعل سيدنا علي مع الخوارج فقد أرسل إليهم ابن عباس، فأقام عليهم الحججة، ورجع معه أربعة آلاف، فلما استخدم الباقون العنف وسفك الدماء قتلهم حفظاً على الأمن.

(٢) الاهتمام بتعليم الدين في جميع مراحل التعليم، حتى لا يركن الشاب إلى من يلعب بعقله، مع التركيز على مبادئ الإسلام كالوسطية والإعتدال والعدل والسماحة.....، وعدم الخروج على الحُكَّام.

(٣) نشر العدل بين فئات المجتمع والاهتمام بالشباب في الحياة السياسية واستخدام طاقاتهم، فالعدل أساس الملك.

(٤) منع جميع وسائل الفسق في المجتمع، فتتعدم حجاج العنف باسم الدين.

(٥) عودة جميع أراضي المسلمين المحتلة، وإلا فما أخذ بالقوة يسترد بالقوة.

* ومن أراد الاستزادة في موضوع الإرهاب والتطرف فليراجع:

الإرهاب والعنف والتطرف في ميزان الشرع، د. محمد علي إبراهيم.

الإرهاب الأسباب والعلاج، د. عصام بن هاشم الجفري.

الإرهاب المفهوم والأسباب وسبل العلاج، د. محمد الهواري.

الإرهاب والعنف والتطرف في ضوء القرآن والسنة، د. عبد الله كيلاي

الخطة التاسعة

دعم العلمانيين للوصول لحكم البلاد الإسلامية

الهدف منها واضح جداً: وهو الحيلولة دون وصول الإسلاميين للحكم، حتى لا يطبقوا الشريعة الإسلامية.

مضمونها: دعم العلمانيين بكل السبل للوصول إلى المراكز المرموقة في البلاد الإسلامية، حتى يصلوا إلى حكم البلاد الإسلامية.

إياك أن تنسى أن العلمانية تعني اللادينية، ويتساوى فيها المسلم والكافر، ويجوز أن يتولى الكافر حكم البلاد طبقاً لهذا المفهوم المسعور.

فأمريكا والغرب يخشون من الإسلاميين؛ لأنهم يسعون إلى اتحاد البلاد الإسلامية، وإحياء فريضة الجهاد لردع كل مجرم داخل وخارج البلاد، ومن ثمّ لو اتحد المسلمون فأول شيء يفكرون فيه، هو طرد العدو الكافر من البلاد الإسلامية، فيحاربون إسرائيل لردعها عن احتلال بلاد المسلمين ظلماً وزوراً، وسوف يقومون بتطهير فلسطين وخاصة القدس من أدناس اليهود إخوان القردة الخنازير، ويستعيدون كل الأراضي الإسلامية التي احتلها الغرب والأمريكان والإسرائيليون، لذلك تخشى أمريكا والغرب من وصول الإسلاميين إلى الحكم.

يقول المستشرق البريطاني (مونتجمري): "إذا وجد القائد المناسب الذي يتكلم بالكلام المناسب عن الإسلام، فإنه من الممكن لهذا الدين أن يظهر كإحدى القوى السياسية العظمى في العالم مرةً أخرى من جديد وبعدها قل على الغرب السلام"

ويقول الديكتاتور السابق للبرتغال (سالازار): "أخشى أن يظهر من بين المسلمين من يوجه خلافاتهم إلينا".

ويقول المستشرق (جب): "إن الحركات الإسلامية تتطور بصورة مذهلة ... ولا ينقصها سوى الزعامة، لا ينقصها سوى ظهور صلاح الدين من جديد"^(١).

* لذلك تعمل أمريكا والغرب على تجنيد المسؤولين المسلمين لصالحهم، فتكون أجسامهم في بلادهم وقلوبهم في بلاد الكفر بسبب الحرص المال والكرسي، وكأن أمريكا والغرب يحركونهم بالريموت، ومنهم من يتقمصه الشيطان فلا يحتاج إلى جهد منهم لتوجيهه، بل يحارب الدين بكل ما أُوتي من قوة، وبعدها يدعي حبه لله ولرسوله، وصدق من قال:

أُحِبُّ أَعْدَاءَ الْحَبِيبِ وَتَدْعِي * حَباً لَهْ مَا ذَاكَ فِي الْإِمْكَانِ
وَكَذَا تَعَادِي جَاهِداً أَحْبَابَهُ * أَيْنَ الْمَحَبَّةُ يَا أَخَا الشَّيْطَانِ
إِنَّ الْمَحَبَّةَ أَنْ تَوَافِقَ مِنْ * تَحِبُّ عَلَى طَاعَتِهِ بَلَا نَقْصَانِ
فَإِنْ ادْعَيْتَ الْمَحَبَّةَ مَعَ خِلَافِكَ * مَا يَحِبُّ فَأَنْتَ ذُو بَهْتَانِ

* وإذا مال المسئول عن طاعتهم؛ قلبوا الطاولة عليه حتى يعزلوه.

* وبسبب عمالة الحكام المسلمين للغرب وخيانتهم لدينهم؛ لا تجد دولة عربية تُطبِّقُ الشريعة الإسلامية إلا السعودية ولا تطبقها بحذافيرها والله أعلم.

كذلك ترى حُكَّامَ المسلمين الخونة صامتين تجاه جرائم العدوان في بلاد المسلمين، فلقد احترقت قرى ومدنٌ إحترافاً شاملاً كما حدث في فلسطين وسوريا ولبنان والعراق وليبيا وأفغانستان..... ومع ذلك لم يحركوا ساكناً، بل للأسف منهم من يبارك ما يفعله العدو في بلاد المسلمين تحت ذريعة محاربة الإرهاب وهي شائعة يعلق عليها العدو

(١)- وللزيد من أقوال المستشرقين راجع كتاب د. جلال العالم، (قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله).

الأمريكي والصهيوني والغربي والروسي جرائمه حين يدخلون بلاد المسلمين ويخربونها تحت هذا المسمى، والموضوع في الأساس هو المصالح الشخصية لهذه الدول، ولا تسمع حساً لدعاة حقوق الإنسان المنافقين.

الخطة العاشرة

دعم كل تنظيم ديني أو مدني يحمل في طياته تدميراً للإسلام

هدفها: وضع المعوقات والألغام في طريق الدعوة الإسلامية حتى تُخمد، فلا ينتشر الإسلام ويُهدم ويُنحر ويُذبح.

مضمونها: نشر ودعم المنظمات والجمعيات الهدامة لمبادئ وأركان الإسلام، ومن ذلك دعم الفرق التي تتستر بالإسلام وهي في الحقيقة هدامة للإسلام وحتى يتضح المقال فلا بد من ضرب المثال:

أولاً: الجمعيات الماسونية اليهودية: ونتكلم عنها في السطور التالية:

* معنى الماسونية: البناؤون الأحرار، وهي في الحقيقة منظمة يهودية سرية هدامة إرهابية.

* هدفها العام: سيطرة اليهود على العالم سيطرة كلية سياسياً واقتصادياً ...

* عقيدتها: الكفر البواح بالله ورسله وملائكته وكتبه وبكل الغيبات، بل يعتبرون الأديان خزعبلات وخرافات، فالماسونية العدو الأكبر للديانات عامة.

* معاقلها: تتخذ المحافل والمجامع للتخطيط السري؛ للوصول إلى أهدافهم الشيطانية التدميرية، والمحفل الكبير للماسونية يقام في أورشليم إشارة منهم أن الماسونية سوف تحل محل الأديان، وأن محافلها ستحل محل المعابد.

* وتستخدم الكلمات البراقة الخداعة كإخاء، حرية، مساواة، عدل، إنسانية، فهي تتستر بالكلمات الخداعة، مع أن اليهود ألد أعداء الإنسانية كما بيناه مراراً.

بعض الأعمال التي تقوم بها لتصل إلى هدفها العام (السيطرة على العالم):

(١) العمل على تقويض الأديان ومُحاربتها، فقد قال أحد اليهوديين الماسونيين: (سوف نُعلِنُها حربًا شعواء على العدو الحقيقي للبشرية وهو الدين)، وقال بعضهم: (سوف تحل الماسونية محل الأديان ومحافلها ستحل محل المعابد).

(٢) استخدام المرأة لهدم الأخلاق وهدم الرباط الأسري كنشر الجنس والإباحية والزنا مع المحارم ومحاربة الزواج.

(٣) التجسس على الدول لصالح إسرائيل وبث الفتنة بينها لتتصارع.

(٤) بث سموم النزاع في البلد الواحد، وإحياء الطائفية لتقع الحرب الأهلية وتحدث الفوضى، وإسقاط الحكومات حتى يسيطر اليهود على هذه البلاد.

(٥) العمل على الغزو الفكري لدى المسلمين ليصبحوا علمانيين لا دينيين.

من نتائج المحافل الماسونية:

(١) إسقاط الخلافة العثمانية.

(٢) قيام الثورات ضد الحكام في عامة البلاد مثل الثورة الفرنسية والبلشفية والبريطانية وثورات الربيع العربي.

(٣) انتشار الإباحية والجنس بمختلف أنواعه في وسائل الإعلام كالفضائيات وأشربة الفيديو والإنترنت.... وانتشار الصور الخليعة في الصحف والمجلات.

(٤) انتشار الفكر الهدّام بين المسلمين مثل المواطنة ومساواة المسلم بالكافر حتى يتولى الكافر الرئاسة على دول المسلمين، ومساواة المرأة بالرجل مساواة مطلقة، فتنزوج أكثر من رجل، ويكون لها زوج وصاحب، وترث مثل الرجل وتشاركه في كل الأعمال، حتى سلاح الطيران، وكل أنواع السلاح في الجيش.

(٥) تدني اقتصاد بعض الدول الإسلامية وخاصة العربية منها؛ لأن معظم رأس

المال العالمي تحت سيطرة اليهود الماسونيين.

ثانياً: جمعيات التبشير التنصيرية:

ونتكلم عنها في السطور التالية:

معناها: الدعوة إلى اعتناق النصرانية.

هدفها: هدفها العام هو عمل عقبة في طريق انتشار الإسلام، ويترجم إلى عدة

أهداف:

(١) الحيلولة دون دخول النصارى في الإسلام.

(٢) الحيلولة دون دخول الأمم الأخرى في الإسلام.

(٣) إخراج المسلمين من دائرة الإسلام إلى النصرانية، ولكن هذا الهدف طويل

المدى؛ لأنهم بذلوا جهوداً ضخمة مادية وبشرية، ومع ذلك كانت النتائج ضئيلة جداً لا تتناسب مع الجهود المبذولة؛ لأن عقيدة الإسلام راسخة في قلوب المسلمين حتى العوام منهم، فلا تجد مسلماً أبداً يقتنع بعقيدة النصارى، وهي أن عيسى ابن الله أو هو الله المتحكم في الكون، أو أن الآلهة ثلاثة... فكلها عقائد تتعارض مع العقل، فالكل يُولد على الفطرة وأبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...، فإذا كان المسلم يُولد على عقيدة التوحيد ويجد أبواه عليها ويتربى عليها، فيصعب إن لم يكن مستحيلاً أن يخرج منها لمجرد الدعوة إلى النصرانية مهما كانت الإغراءات المادية، وقد يأخذ منهم الإغراءات وتبقى عقيدته في قلبه، ويصلي لله بصلاة المسلمين خفية، كما حدث ذلك كثيراً، بل إن كثيراً من القساوسة والمنصرين أسلموا خفية، وكانوا يصلون صلاة المسلمين خفية^(١).

(٤) تغريب المجتمع المسلم، وهو من الأهداف الأساسية لهذه الجمعيات، فتعمل

على الاستعمار الغربي الثقافي والأخلاقي والفكري للمجتمع المسلم، وهذا ظهر أثره اليوم، فكثير من المسلمين يتخلقون بخُلُق الغرب، ويتشددون بلغتهم الواهنة الواهية،

(١) وراجع كتاب (رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا) تجد فيه عجب العجاب.

يعني متأسلمون وليسوا مسلمين بل هم متأمرون ومتغربون... كما سبق بيانه في الخطط السابقة الغزو الفكري والغزو الأخلاقي ...

طرق وصول المنصرين إلى الناس للتنصير

كثيرة جداً، نذكر بعضاً منها على سبيل المثال:

(١) عن طريق جمعيات الإغاثة، وهذه الجمعيات يشترك فيها الرجال والنساء كباراً وصغاراً، يحملون المؤن والملابس والخيام ووسائل الإغاثة إلى البلاد المتضررة من الكوارث أو المصابة بالفقر المُجْدِع، وهدفهم الأساسي هو التنصير وليس الإغاثة، وإنما فيقدمون المؤن على أنها نعمة من عيسى بن مريم، وأي شيء يُقدم يكون عليه شعار النصارى مثل جمعية (الصليب الأحمر).

ولذلك قام الرئيس السوداني (عمر البشير) بطرد منظمات الإغاثة حين اكتشف عمليات التنصير على أيديهم، وتحت ضغوط دولية تم الإبقاء على بعضها.

(٢) عن طريق البعثات الطبية، وهي ضمن مجالات الإغاثة، ولكن تختص بالطب فقط، فتقوم ببناء المستشفيات، وإجراء العمليات الجراحية، وقبل إجراء أي عملية يأتي القسيس للمريض، ويتلو عليه شيئاً من الإنجيل، ويقول له: إن المسيح سوف يشفيك، وإذا نجحت العملية قالوا له المسيح أذنَ بشفائك، وإذا فشلت قالوا لم يأذنَ بشفائك، ويتم تقديم جميع الخدمات الطبية بطريقة معينة، بحيث تُؤلف قلوب المستفيدين على النصرانية، وإذا شعروا بتمسك المستفيد بدينه الإسلامي يتم حرمانه تحت أي مسمى مثل أن المسيح لم يأذن في ذلك، فكل شيء يتم إلصاقه للمسيح افتراءً عليه وكأن المسيح تَقَمَّصَ القسيس فهو يتكلم على لسانه.

(٣) الوصول للناس عن طريق البعثات الاستكشافية، والتي تُرسل لعدة دول لعمل استكشافات جغرافية، وهدفها الأصلي هو التنصير، فتتنقل في البلاد بحثاً عن القرى الفقيرة الجاهلة، ثم يتم التعامل معها كما تفعل منظمات الإغاثة لتنصير.

(٤) المنح الدراسية الغربية، حيث تقوم بعض المنظمات التنصيرية بعمل هذه المنح للذين تكتشف فيهم الذكاء والنجابة، فيسافرون لبلاد الغرب، فتنقطع صلتهم بالجامعات الإسلامية، وعن طريق الإغراءات فيصبح ولأوهم لبلاد الغرب فيستفيدون من هذه العقول المذهلة كما بيناه في خطة (امتصاص الطاقات).

الوسائل التي تساعد المنصر على نجاح مهمته في التنصير:

(١) الفقر: فكلما كان الرجل فقيراً كانت عملية التنصير أسهل بطريق المال

(٢) الأمراض والأوبئة: فكلما كانت المنطقة مليئة بالمرض، كلما كانت أرضاً خصبة للمنصرين، فالخدمات الطبية أشبه بالإغراء الهادي.

(٣) تأليف الأذهان: ومعناه تأليف غير النصراني على رؤية مشاعر وشعار النصراني كالصلبان والكنائس، ففي مصر وجدنا محاولات لنشر الصليبان بطريقة لا يشعر بها أحد، فوجدنا الصليبان بين الرسومات على الملابس والمفروشات والبلاط...، وفي السودان تم بناء كنيسة مساحتها مائة ألف متر، وقريبة من مطار الخرطوم وبجوارها مقبرة للنصارى، وكأن طابع المدينة نصراني مع أنها مسلمة.

(٤) تساهل حكام المسلمين، فقد تساهل كثير من حكامنا فوافقوا على بناء العديد من الكنائس ورفعوا شأن النصارى، واعتمدوا أعياد النصارى أجازة رسمياً في الدولة حتى للمسلمين، مما أدى إلى تسهيل التنصير وهم لا يشعرون

(٥) قلة الوعي الديني، وهذا أخطر شيء، لأن الفقير والمريض الذي على دراية وعلم يتمسك بدينه لآخر لحظة، أما الجاهل الذي لا يدرك طريقة التلبيس والتدليس فمن السهل أن ينجح معه المنصر؛ لأن القسيس يستخدم آيات مبتورة من القرآن لتشكيك المسلم الجاهل، مثل قوله تعالى: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى) [المائدة: ٨٢]، ثم يسكت ولا يكمل الآية، لأنه لو أكملها لانقلبت حجة عليه، ففيها (ذَلِكَ بِأَنَّ

مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ [المائدة: ٨٢]، ويلقي عليه شُبُهَاتٍ واهية، ويقرب إليه النصرانية عن طريق الكتب المنحرفة الضالة من مشاهير المسلمين وهم كفرة، كابن عربي الصوفي والذي يقول بحلول الإله في جسد الإنسان، كما أن النصارى يقولون إن الإله حَلَّ في جسد عيسى، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

مفاجأة كبرى: كثير من المنصرين أسلموا وأسلم بسببهم الآلاف ومنهم:

- (١) رئيس لجان التنصير بأفريقيا القس السابق إسحق هلال مسيحة.
- (٢) المنصر وأستاذ اللاهوت المصري السابق إبراهيم خليل فلوبوس.
- (٣) المنصر السابق الألماني جي ميشيل.
- (٤) أمين عام مجلس الكنائس العالمي لوسط وشرق أفريقيا سابقًا (أشوك كولن يانج).

(٥) القمص السابق المصري عزت إسحاق معوض^(١).

ملحوظة مهمة: كما قلنا مرارًا وتكرارًا أن التنصير يعتمد على الإغراءات الهادية والمعنوية، لذلك غالبًا ما يبيع لهم الرجل المنصر جسده دون قلبه الذي يُكِنُّ فيه إيمانه بالله وحده وإليك المثال التالي:

* يقول القس السابق إسحق هلال مسيحة – والذي كان رئيسًا للجان التنصير بأفريقيا ثم أسلم يقول -: ذهبنا إلى السودان في رحلة تنصيرية في سبتمبر سنة ١٩٧٩ م، ومكثنا هناك ثلاثة شهور، وكانت تعليقات البابا شنودة أن كل من تقوم اللجنة بتنصيره يتسلَّم مبلغًا مقداره خمسة وثلاثون ألف جنيه مصريًا (لاحظ حجم المبلغ في ذلك

(١) وراجع قصصهم في (رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا) عبد الرحمن محمود.

الوقت)، بخلاف المساعدات العينية، فقمنا بإغراء خمسة وثلاثين سودانياً تحت ضغط الحرمان، وشدة الحاجة، وبعد أن سلّمْتهم الأموال الممنوحة من البابا اتصلت بالبابا من هناك، فأمر بأخذ المنتصرين لكي يروا المقدسات المسيحية في مصر، وتم إخراجهم من السودان على أساس عقود عمل بالأديرة لرعي الأغنام والإبل والخنازير، وأثناء رجوعنا بالباخرة قمت أتفقد المنتصرين الجدد، ففوجئت بأحد المنتصرين الجدد يُصلي صلاة المسلمين، وكان اسمه محمد آدم، وتم تغيير اسمه إلى عبد المسيح، ولما تحدثت معه وجدته متمسكاً بالإسلام، بل قالها صراحةً: بعث لكم جسدي بأموالكم، أما قلبي وروحي وعقلي فهو ملكٌ لله وحده وأنا أشهد أمامك بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (١)

تعليق مهم: نلاحظ ضخامة المبالغ التي تُنفق من أجل نجاح عملية التنصير فالمبلغ الذي سيأخذه من يتنصر في ذلك الوقت (٣٥٠٠٠) جنيه مصرياً وكان هذا في سنة ١٩٧٩م، وكيلو الذهب في ذلك الوقت كان يساوي (١٥ - ٢٠) ألف جنيه مصرياً حسب نوع العيار يعني المبلغ كان يعادل اثنين كيلو (٢٠٠٠ جرام) من الذهب هذا للشخص الواحد ولذلك فإن جمعيات الإغاثة التنصيرية تخطت ميزانيتها المائتي مليار دولار سنوياً، في حين أن هيئات الإغاثة الإسلامية لا تتخطى ميزانيتها عُشر هذا المبلغ، بسبب انشغالها بالقضايا السياسية الأخرى، ومن أهمها القضية الفلسطينية، فلاحظ الفرق الكبير، أيضاً المنظمات التبشيرية تجمع التبرعات الطائلة وتتلقى دعماً رسمياً أما جماعة التبليغ الإسلامية فهي مجهود ذاتي ولا تتلقى أي دعم بل يتم التضييق عليها من حكام المسلمين الخونة.

(١) للاستزادة في موضوع التنصير راجع

- * (التنصير مفهومة وأهدافه ووسائله وسبب مواجهاته) للشيخ علي إبراهيم الحمد النملة
- * (التنصير تعريفه ووسائله وحسرات المنتصرين) للشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الصالح
- * (التحذير من وسائل التنصير) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

ثالثاً اختلاق ودعم النبوات الكاذبة مثل القاديانية:

أسسها: الميرزا غلام أحمد القادياني في الهند، بإشارة من الإنجليز حينما كانوا مُحْتَلِينَ للهند، ومعظم بلاد المسلمين في أواخر القرن التاسع عشر، ونشأت في (قاديان) ثم انتشرت في بلاد أخرى.

الغرض منها: تعطيل فريضة الجهاد ومسألة العدو، حتى تتمكن إنجلترا من استقرار بلاد المسلمين تحت سلطتها، وفي نفس الوقت إفساد عقيدة المسلمين.

تسمى بالأحمدية والقاديانية: فَتَسَمَّى بالقاديانية نسبةً إلى البلد التي نشأ فيها مؤسسها وهي (قاديان)، وتسمى بالأحمدية نسبةً إلى اسم مؤسسها.

ادعاء مؤسسها: ادعى النبوة وتناول على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وعلى صحابته، ثم ادعى أنه المهدي المنتظر، ثم ادعى أنه المسيح بن مريم، ثم ادعى أن الله جَسَدَ شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم في جسده.

وظل ينتقل من ادعاء إلى آخر آملاً أن تجد دعوته قبولاً شاملاً عاملاً، لكن ما اتبعه إلا أقل القليل من الجهلاء، فكانت دعوته كأن لم تكن.

والمسلمون يعتقدون يقيناً بختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) [الأحزاب: ٤٠]، وإذا حُتِمَتِ النَّبُوءَةُ حُتِمَتِ الرِّسَالَةُ بطريق الأولى، لأن كل رسول لا بد وأن يَتَنَبَّأَ أولاً، لذلك فإن القاديانية ظاهرة البطلان.

من أفكارهم ومعتقداتهم:

(١) يؤمنون بتناسخ الأرواح، حيث أن القادياني كان يقول إن محمداً صلى الله عليه وسلم تَجَسَّدَ فيه، يعني بُعِثَ مرتين مرة في مكة، ومرة في قاديان حين تجسَّدَ في أحمد القادياني.

(٢) يعتقدون أن الله يصوم وينام ويخطئ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(٣) يعتقدون أن النبوة لم تُحْتَم، وأن القادياني هو أفضل الأنبياء.

(٤) يُبيحون الخمر والأفيون والمخدرات ولحم الخنزير.

(٥) يُحَرِّمون الجهاد، ويُوجبون طاعة الإنجليز الذين كانوا محتلين للهند وقتئذٍ، وهذا تقنين للإستعمار.

(٦) يُوجبون الحج إلى قاديان، وزيارة قبر القادياني عليه لعنة الله تعالى.

من خلال ما سبق يتبين للقارئ اللبيب أن القاديانية صناعة غربية، وانتشرت تحت الحماية الغربية في أوروبا، وبمباركة الإنجليز، وذلك لمعاونة الإنجليز في السيطرة على بلاد الإسلام، وإخماد الحركات الجهادية المقاومة للاحتلال.

* وجديراً بالذكر أن الإنجليز أرسلوا خليفة القادياني بعد موت القادياني إلى فلسطين سنة ١٩٢٤ لنشر القاديانية عقب صدور وعد بلفور، وساعده اليهود في بناء مدرسة ومعبد ومركز للقاديانية؛ لِيُمَهِّد الطريق لليهود في إحتلال فلسطين.

ملحوظة مهمة:

ذكرنا في الفصل الأول أن أي متنبئ كذاب لا يؤيده الله بالمعجزات، بل يُجْذله ويفضحه، وهذا ما كان حدث للقادياني الكذاب، ومن ذلك ما يلي:

* أنه ناظر نصرانياً، فغلبه النصراني وأفحمه، فلما غضب القادياني بسبب هزيمته قال: إن النصراني سيموت بعد خمسة عشر شهراً إذا لم يتب حسب ما أوحى الله إليه، فخذله الله، وجاء الموعد المحدد، ولم يمت النصراني، فادعى القاديانيون أنه تاب وأناب، فلما سمع النصراني تلك الدعوة كتب يكذبهم، وافتخر بمسيحيته، فانخذل القادياني وأتباعه، وكذب الله نبوءته.

* ومن ذلك أنه ادعى أن الطاعون لا يدخل بلده (قاديان) ما دام أنه فيها، حتى ولو دام الطاعون سبعين عاماً، فكذب الله ودخل الطاعون بلدة قاديان وفتك بأهلها، بل

إن القادياني نفسه مات بالطاعون، وقبل موته مباشرةً خرج البراز من فمه، ومات وهو يقضي حاجته، عليه لعنة الله.

* ومن ذلك أيضًا أن الشيخ أبا الوفاء أمير جمعية أهل الحديث في عموم الهند ناظر القادياني، وأفحمه بالحجة، وكشف ضلاله، ولكن القادياني لم يرجع واستمر على عناده وكفره، فباهلته الشيخ أبو الوفاء على أن يموت الكاذب في حياة الصادق منهما، ونصر الله الشيخ وخذل المفترى، فلم تمر سوى أيام قليلة حتى مات القادياني سنة ١٩٠٨ في حياة الشيخ أبي الوفاء، قال تعالى: (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) [الإسراء: ٨١]، (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) [الحج: ٤٠]، (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) [الروم: ٤٧].

رابعاً: دعم الفرق الضالة المنتسبة إلى الإسلام زوراً، وهي تناقضه تماماً:

فهناك عدة فرق ومذاهب ضالة ومُضِلَّة منتسبة إلى الإسلام تتلقى دعماً من أمريكا والغرب، لأنها تنافي وتناقض الإسلام، بل تتماشى مع الكفر ظاهراً وباطناً. مثل البهائية (البابية)، القرآنيين، غلاة الصوفية، والجماعات التكفيرية....

ونتعرف على بعضها فيما يلي:

(أ) البابية أو البهائية: أسسها علي محمد رضا الشيرازي، وهو شيعي إيراني، لكنه استقل بمذهبٍ خاصٍ لنفسه، وسمى نفسه بالباب، لذلك سُمِّيت بالبابية.

ادعاء مؤسسها: ادعى أنه المهدي المنتظر، ثم ادعى أن الله حلَّ في جسده، فصار إلهًا للناس؛ لأن الشيعة كالنصارى يؤمنون بالحلول (يعني حلول الإله في جسد المقربين إليه) تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً، ثم سَمَّى نفسه بالباب، يعني باب الطريق الموصل إلى الله، لذلك سميت بالبابية.

من عقائده وأفكاره: أنه أنكر البعث والحساب والجنة والنار، وجمع بين اليهودية والنصرانية والإسلامية، وأنه لا فرق بينهم يعني توحيد عنصري، وأنكر الجهاد وصلاة الجمعة وأباح المحرمات كُلِّها.

* ثم وَرَثَهُ وزيرُهُ حسين علي، والذي سَمِيَ نفسه بيهاء الله، فَسَمَّيَتْ بالبهائية.

* جدير بالذكر أن هذه الفرقة تأسست في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي بإيعاز وبمباركة روسيا وإنجلترا واليهود لتقنين الاستعمار الإنجليزي واليهودي، وإفساد عقيدة المسلمين وأخلاقهم، ولذلك فهم يجرمون الجهاد مثل القاديانية، ويقولون بوجود طاعة المستعمرين الإنجليزي واليهود وعدم مقاومتهم، أيضًا يبيحون المحرمات عامة مثل الخمر والزنا وسائر أنواع الفجور حتى أن زنا المحارم مباح في هذه الفرقة، فهي ألعن من القاديانية، على الرغم أن القروء يجرمون الزنا، ويرجمون الزاني، وكذلك الأسود يجرمون الزنا ولذلك قال الله عن الكافرين: (إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) [الفرقان: ٤٤].

* ومن حُبَّت البهائية أن جعلوا قبلتهم مدينة عكا بفلسطين، حتى تكون على مقربة من بلدة اليهود المزمع تأسيسها، وما هي إلا عقود حتى صدر وعد بلفور لليهود، ثم تأسست دولة اليهود بفلسطين، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

(ب) القرائيون: وهم الذين يأخذون بالقرآن فقط دون السنة النبوية؛ وهذا وحده كافي لهدم الإسلام ككل.

يعني يسعون إلى هدم السنة المحمدية، ويفسرون القرآن بالقرآن، بل ويُحرفون في معانيه، ويتطاولون على الصحابة وعلماء الحديث، والعلماء.

مؤسسها: أحمد خان في الهند وقت الاحتلال البريطاني لها، ثم قام عبد الله جكرالوي بتأسيسها في باكستان، وفي مصر كان زعيم القرائيين هو رشاد خليفة الكذاب الذي قال: أعلم موعد الساعة يعني يعلم ما لم تعلمه الأنبياء عامة، ثم ادعى

النبوة عليه لعنة الله، ومن زعماء القرآنيين في مصر أحمد صبحي منصور، وهو أشهر زعيم لهم حاليًا على مستوى العالم، وقد طرده الأزهر بسبب انحرافه وكفره

من أفكارهم ومتعقداتهم:

(١) التفسير بالرأي المخالف لأصول الحديث واللغة وظاهر القرآن الكريم، فمثلاً قالوا عن كلمة أميّ يعني مؤمن، ونفوا أن يكون الرسول غير قارئ، فقالوا إنه كان قارئاً، وخالفوا صريح القرآن حين قال: (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَبَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) [الفرقان: ٥]، فلم يقل كتبها بل قال: (اكتَبَبَهَا) يعني طلب كتابتها، وقال: (تُمَلَّى) يعني تُقْرَأُ عليه، فهو لا يقرأ، وأنكروا كل النصوص الواردة في السنة والتاريخ التي نصت على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن قارئاً، مع أن الكتب السماوية السابقة (الكتاب المقدس) أثبتت ذلك كما بيناه في بشارات الكتاب المقدس بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم في الفصل الأول.

(٢) لا يقولون بختم النبوة، لذلك ادعى رشاد خليفة النبوة.

(٣) أنكروا الصلوات الخمس ولا يصلون الجمعة، وكذلك الحج والعمرة والجهاد، بل قالوا: إن الفتوحات الإسلامية كانت استعماراً، وعابوا على الصحابة مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم فتح مكة، وقال له ربه: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) [الفتح: ١]، فالمراد من الآية صلح الحديبية، والذي كان سبباً في فتح مكة.

(٤) الشهادة لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة شرك بالله، وهذا يعني أن الأذان والإقامة فيها شرك، وعندهم الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم شرك بالله تعالى إذن نقول لهم أنتم بذلك تكفرون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

(٥) يبيحون للمسلمة أن تتزوج من يهودي ونصراني، وهذا مخالف للقرآن أصلاً، ولكنهم يُفسرون النصوص حسب أهواءهم عليهم لعنة الله.

(٦) لا يؤمنون بعذاب القبر ونعيمه.

(٧) يُنكرون أحكام زكاة المال وزكاة الفطر، ويؤمنون بزكاة عامة فقط.

مما سبق يتضح لك أنها فرقة هدامة للإسلام، وتتستر به، لأنها تتفق مع القاديانية والبهائية في إنكار الجهاد ومقاومة العدو، بل وتهدم معظم أحكام الإسلام، وتشر الفساد، ولا تنسى أنها تأسست وقت الاحتلال البريطاني للهند، وهذا يعني أنها كانت تقنن الاحتلال بطريقة خبيثة، وهي تحريم جهاد العدو ووجوب طاعته،

* مما سبق تعلم أن القاديانية والبهائية والقرآنيين تأسسوا وقت الاحتلال البريطاني للهند ومعظم بلاد المسلمين، فتم تأسيسهم بمباركة الغرب الملحد (١).

(ج) غلاة الصوفية:

معنى التصوف: مأخوذة من لباس الصوف، وهم سُموا بذلك لكثرة لبسهم الصوف علامة على زهدهم في الدنيا واجتهادهم في العبادة.

منهم المهتدون ومنهم الضالون:

فالصوفية أول ما نشأت كان هدفها الزهد والاجتهاد في العبادة بما لا يخالف السنة النبوية، فكانت للمتصوفة صفات مميزة كالورع والخشية والصبر والكرم والزهد في الدنيا والإيثار والاجتهاد في العبادة ومجاهدة النفس.....

* ولكن اندسَّ فيهم بعض المبتدعة، وغلوا في العقيدة، فرفعوا الأنبياء وخاصة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فوق منزلته، بل رفعوا منزلة الأولياء فوق منزلة الأنبياء كأمثال ابن عربي الصوفي، والحلاج.

(١) - مراجع مهمة:

١ - الفصل في الرد على شبهات الأعداء د. علي بن نايف الشحود،

٢ - كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها (عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني)،

٣ - موسوعة البحوث والمقالات العلمية د. علي بن نايف الشحود.

*ومن أفكار المغالين من المتصوفة.

(١) اعتقادهم أن الوليَّ في ضريحه يتصرف في الكون فيشفي هذا ويصيب ذاك ويقدر على الإحياء والإماتة، وهذا مناقض لتوحيد الربوبية بل والألوهية.

فمعلوم أن توحيد الألوهية توحيد العبادة لله وحده؛ وهم يعبدون الأضرحة، ويتوسلون وإليها، ويتضرعون إليها، وهذا شرك في الألوهية.

وتوحيد الربوبية هو إفراد الله تعالى بالخلق والتدبير، فلا خالق إلا الله، ولا مُتَصَرِّف في الكون إلا الله وحده، لكن غلاة الصوفية يعتقدون أن الأولياء حتى وهم أموات يتصرفون في الكون، فينزل المطر برضاهم، ويذهب المرض برضاهم، وهذا شرك ربوبية تعالى الله عما يقولون ويفعلون ويصفون علوًّا كبيراً.

(٢) إقامة الموالد ونشر البدع الهدامة مثل الذُّكْر بالطبل والرقص، بل وتقع المخالفات الكبرى أثناء حلقات الذكر في الموالد مثل الاختلاط، بل ومنهم من يعتقد أن الولي لو زنا فلا حرج عليه، فهو مغفور له ما قدمه وما أخره.

(٣) الذبح لغير الله تعالى فيذبحون للأضرحة، وَيَنْذُرُونَ للأولياء.

(٤) لا يرون فرضية الجهاد، ويعتقدون أن الأولياء قادرون على قهر الأعداء بدون حرب.

(٥) اعتقادهم بالحلول يعني من الممكن أن يجل الله تعالى في جسد الوليِّ.

مما سبق يتضح أن أمريكا والغرب يدعمون التصوف والغلو فيه؛ لأن طرقهم هدامة للإسلام، وأنهم لا يقاومون الاستعمار الأمريكي والغربي، فمثلهم كمثل الرهبان، بل إن غلاة المتصوفة أشد كفرةً.

(د) الجماعات التكفيرية في بلاد الإسلام:

فأمريكا تعلن ليلاً ونهاراً أنها تحارب الإرهاب، وفي الحقيقة هي تحارب الإسلام فقط فهي التي تصدر السلاح الفتاك لهذه الجماعات لضرب المسلمين في بلادهم، فقد كان معهم أسلحة وقنابل سهلة الاستخدام، لتسهيل عملية الاغتيال للوزراء والرؤساء وزعزعة استقرار البلاد الإسلامية وإلا فمن أين أتوا بالسلاح والبلاد العربية لا تصنع السلاح أصلاً والجماعات التكفيرية تُكفّر ما سواها، وتستحل دمها، وفي صحيح مسلم عن ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم (أيها امرئ قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما).

* **ويعد:** فقد ذكرنا طوائف تنتسب إلى الإسلام وهو بريء منها، فلا تغتر بكل من لبس مسوح الإسلام، وتشبه بالعلماء الأعلام، وأذكركم بما رواه عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان)^(١).

ومن هذه الطوائف فرقة الشيعة التي تستبيح نكاح السفّاح وزهق الأرواح، ومذهبهم كاسد وقولهم فاسد، فقد ختم الله على بصرهم وطمس بصيرتهم، فهم يلبسون عباءة الإسلام، وهم في الحقيقة أعداء للإسلام والإسلام بريء منهم، فالذي أسس الشيعة يهودي خبيث اسمه (عبد الله بن سبأ) بغرض هدم الإسلام.

خامساً: المنظمات الحقوقية المدنية سواء الأهلية أو الأجنبية:

فهذه المنظمات تتلقى دعماً من دول الكفر عامة؛ لأنها تعمل على ترسيخ الأفكار الغربية المناقضة للإسلام مثل بمساواة المرأة بالرجل في كل شيء حتى الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والميراث، ومساواة الكافر بالمسلم في جميع الحقوق، ومع ذلك لا ينادون بمساواة الكافر مع المسلم في جميع الواجبات، فهي ترفع الكافر فوق المسلم فتجعل له مثل حقوق المسلم ولا تُوجب عليه كل واجبات المسلم، تنادي

(١) أخرجه أحمد في مسنده بسند صحيح، وصححه الألباني (س: ص / ١٠١٣).

وأحياناً تكون هذه المنظمات ستاراً للتجسس على الدول لصالح أمريكا وإسرائيل والغرب فالكفر كله ملة واحدة؛ لذلك لم تفعل شيئاً من أجل المضطهدين والمظلومين بل تداهن الحكام الظالمين ضد الشعوب المظلومة.

* ولقد ساهمت هذه المنظمات في نشر الفوضى في بلاد الإسلام إبان ثورات الربيع العربي، لضرب استقرار هذه البلاد عن طريق تدريب الشباب المأجورين لعمل الاحتجاجات الفوضوية، والاستعانة بالبلطجية، فهي منظمات تصطاد في الماء العكر، لا تفرق بين الروائح الكدرة والعطرة.

وقام المجلس العسكري في مصر سنة ٢٠١١-٢٠١٢ بالقبض على هذه المنظمات وكان منهم أمريكيون ومصريون بعدما اكتشف عملهم الإجرامي في البلاد المصرية، حين تولى إدارة شئون البلاد بعد رحيل رئيسها مبارك، وصادر منها مئات الملايين من الأوراق النقدية، وحرّر قضية لهم، لكن للأسف قامت أمريكا بالترغيب والترهيب للمجلس العسكري فأذعن لهم وهرب المجرمين.

جدير بالذكر أن هذه المنظمات تطالب بحقوق الإنسان في البلاد الإسلامية، ولا تسمع لهم حساً في البلاد حين تُنتهك حقوق المسلمين على أيدي الكافرين، فقد هضمت حقوق المسلمين على مرأى ومسمع من العالم كله في فلسطين والعراق وأفغانستان وسوريا ولبنان والصين وبورما والشيشان.....على أيدي إسرائيل وأمريكا وانجلترا وروسيا..... ولم نسمع لهذه هذه المنظمات صوتاً.

الخطة الشاملة المضادة لخطط الأعداء

بعدما تكلمنا عن خطط الأعداء لهدم الإسلام، وطمس واغتيال الهوية الإسلامية، نتكلم الآن عن كيفية استعادة الهوية الإسلامية يعني كيفية بناء الدولة الإسلامية بخطة شاملة مضادة لخطط العدو الظالم الغاشم.

وهذه الخطة لها عدة جوانب، وسأحصرها في خمسة محاور رئيسية هي:

المحور الأول: الثبات والصبر وعدم اليأس؛ والتوبة من المعاصي والتضرع إلى الله

تعالى ليكشف عنا الإستضعاف:

****** فيجب على الصحوة الإسلامية والغيورين على دين الإسلام الصبر والثبات في ظل هذه الحروب الشرسة، فالصبر والثبات عامل مهم للنصر والفوز، وكما في الحديث (النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً)^(١).

ولقد حثنا الله على الصبر والرباط دائماً، فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [آل عمران: ٢٠٠]، حتى النبي محمد صلى الله عليه وسلم أمره ربه بالصبر، فقال له: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوْلُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) [الأحقاف: ٣٥] بل أمره بالبصر في ثمانية عشر موضعاً من القرآن مما يدل على أهمية الصبر لبلوغ المرام وفي الحديث عن أبي ثعلبة الخشني قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله)^(٢)..

أن ما نعيشه الآن من غربة في أوطاننا، وما يسمى بعصر المواراة بسبب الحرب الشرسة ضد الإسلام والعملاء الخائنين لدينهم وأوطانهم من أجل لُعاة الدنيا، كل

(١) أخرجه الخطيب البغدادي من رواية أنس وصححه الألباني (ص: ج: ١١٧٥٢).

(٢) أخرجه الترمذي وابن ماجه وأبو داود، وصححه الألباني (ص: الترغيب: ٣١٧٢).

ذلك أخبرنا به الرسول صلى الله عليه وسلم فقال في صحيح مسلم من رواية أبي هريرة (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء).

****** وعلينا جميعاً أن نحذر من اليأس، فإنه يُجَوِّرُ الأبطال، وَيُضَيِّعُ الآمال، واليأس ليس من صفات المسلمين، وكما قال رب العالمين: (إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) [يوسف: ٨٧]، (وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) [الحجر: ٥٦]، فالنصر قريب لا محالة، كما قال تعالى: (أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) [البقرة: ٢١٤]، لكنه يحتاج إلى صبر وثبات وعزيمة كما قال رب البرية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [الأنفال: ٤٥].

تذكير علينا أن نتسلى بها حدث للنبيين من شدائد، فصبروا حتى نصرهم الله.

***** فسيدنا إبراهيم صبر على أذى قومه، وحين أرادوا إحراقه، جعل الله النار عليه برداً وسلاماً.

***** وسيدنا يوسف صبر على مكر إخوته به حين أوقعوه في البئر، وتم بيعه عبداً، ثم صبر على محنة دخول السجن ظلماً، فأيده الله وجعله مَلِكًا على مصر.

***** وسيدنا أيوب صبر على شدة المرض، وفقد الأموال والأولاد لعدة سنوات، ثم عافاه الله، وآتاه أضعاف ما فقدته من المال والولد.

***** وسيد الخلق جميعاً محمد صلى الله عليه وسلم صبر هو وأصحابه على أذى قومهم وشدة القهر والظلم، حتى اضطروهم إلى الهجرة، ثم صبروا على ضيق العيش في المدينة المنورة، وصبروا في جميع الحروب، حتى إنهم حوصروا من كل جانب في غزوة الأحزاب، فصبروا وما قنطوا، فنصرهم الله وأعزهم، فرجعوا إلى أهلهم منتصرين سالمين غانمين، ورزقهم الله رَغَدَ العيش بعد الشدة، وانتشر الإسلام في بقاع الأرض، وأصبحت دول الإسلام الأولى كالسعودية واليمن والإمارات والكويت والبحرين..... هي أغنى العالم، فأرض الحجاز في السعودية انطلقت منها جحافل

المجاهدين، حتى انتشر الإسلام فيما حولها من الدول، فأغناهم الله تعالى بعدما كانوا في شدة عتيدة، والسبب الأول هو صبرهم من أجل دينهم، وكما يقال: دوام الحال من المحال، وصدق من قال:

دع الأمور تجري في أعتها ما ولا تبتن إلا خالي البال
بين غمضة عين وانتباهتها يُغيّر الله من حال إلى حال

وأقول لكل مسلم كلما حاصرتك المصائب فاذكر المصيبة العظمى للأمة الإسلامية وهي موت النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان موته قاصمة الظهر للأمة الإسلامية، فإذا ذكرتها هانت عليك مصائبك، وصدق من قال:

اصبر لكل مصيبة وتجد * واعلم أن المرء غير مخلد

فإن دهتك مصيبة تحزن لها * فاذا ذكر مصائبك بالنبي محمد

** وعلمنا أن نتوب من المعاصي ونكثر من الاستغفار والتضرع إلى الله تعالى ليكشف عنا الغمة، فالله سميع مجيب ولا يتقبل إلا من المتقين قال تعالى: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (المائدة: ٢٧) (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (البقرة: ١٨٦) (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر: ٦٠) (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ) (هود: ٥٢) (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) (نوح: ١٠-١٤)

دور وسائل الإعلام في هذا الجانب:

يجب عمل مسلسلات وأفلام تاريخية تشجيعية تحكي أمجاد أسلاف المسلمين الأبطال الذين صبروا حتى انتصروا، مثل صلاح الدين الأيوبي ونور الدين التركماني

والسلطان قطر وشيخ الإسلام ابن تيمية ... حتى تكون من باب التشجيع على التمسك بأجداد وتراث المسلمين، فالتشجيع لمقاومة اليأس مهم، لأنه من المحرر والمقرر أن اليأس يحول الآمال إلى آلام والانتصارات إلى إنكسارات، وصدق من قال:

كل داء في سقوط الهمم * يجعل الأحياء مثل الرمم

نامت الأُسْدُ بسحر الغنم * سَمَّتْ العجز ارتقاء الأمم

المحور الثاني: الاعتصام بالكتاب والسنة النبوية الصحيحة:

فلا نخرج عن القرآن والسنة الصحيحة في أي قول أو فعل قال تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) [الأنعام: ١٥٣]

فلقد حَذَّنَا اللهُ بسبب بُعْدِنَا عن القرآن والسنة، وَرَفَضْنَا لتراث المسلمين الأوائل، فمعظمنا اليوم مسلمون بلا إسلام، يعني متأسلمون؛ أبدانهم في بلادهم وقلوبهم وأرواحهم في بلاد الكفر تسبح بحمدها إلا من رحم ربي، لذلك أصبحنا في ذل وهوان، ولن يرفع الله عنا الذل والهوان وينصرنا، حتى نرجع إلى ديننا، ونتمسك بالقرآن والسنة الصحيحة، وحينها نكون مسلمين حَقًّا نُنْصِرُ اللهُ فَيَنْصُرْنَا كما قال: (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) [الروم: ٤٧]، (وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) [الحج: ٤٠-٤١].

الإعتصام بالكتاب والسنة ينطوي تحته عدة أمور أهمها الآتي:

(١) تصحيح العقيدة: يعني عقيدة أهل السنة والجماعة التي لا تأويل فيها لصفات الله وأسمائه الحسنی، والعقيدة عامة لا تؤخذ إلا بالقرآن والسنة الصحيحة.

كذلك إحياء قاعدة الولاء والبراء، فنوالي المسلمين عامة على أعدائهم، ونتبرأ من كل ما يخالف هدي الإسلام. ويجب تعليم الشباب في المساجد والمدارس نواقض الإسلام حتى لا يقعوا فيها كما وقع فيها الخائنون لدينهم وأوطانهم.

(٢) إحياء شعائر الإسلام: كالصلاة في الجماعة في المساجد، ودفع الزكوات المقررة شرعاً، والتواصل والتراحم والإخاء والتآزر، والتعاون فيما بيننا على البر والتقوى، كما كان يفعل صحابة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

(٣) محاربة البدع والفجور: والتي صدرها لنا الغرب كالتبرج والسفور والتدخين والخمور والمخدرات والفواحش، وبدع الأعياد القومية.....

* ولكن في البداية يتم ذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالموعظة الحسنة، دون التعرض للعنف كما قال تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ بِالتَّيِّبِ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [النحل: ١٢٥]، ونظّل هكذا حتى نقضي على الأمور التي أدت إلى اختلاط الحابل بالنابل، فيتميز المسلم عن الكافر في كل شيء.

* فالعنف لا يأتي بالنتيجة الصحيحة، فلا بد من الإقناع فينصح الرجل أخاه العاصي وزميله وصديقه وجاره بلطف وإقناع فيقول له مثلاً: التدخين ضار بالصحة يُسببُ تليف الكبد وسرطان الرئة ويدمر الصحة عامة ويؤذي الآخرين فيقتنع فيقلل منه بدايةً، ثم يقلع عنه ولا نياس من النصيحة.

* والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة أشبه بالجهاد في سبيل الله، وتحتاج إلى العلم الشرعي، وإجادة فن الدعوة كالتدريس يحتاج إلى إجادة المادة، وإجادة الفن التربوي أيضاً، وهذا البند يحتاج إلى دعم رجال التبليغ والدعوة الإسلامية، فهي تقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالموعظة الحسنة.

(٤) التبصرة بخطط العدو: فلا بد من تبصير المسلمين بما يُخططه العدو لهم من خلال الخطب والدروس في المساجد والندوات والاجتماعات، حتى تكون هناك جرعات تحذيرية تحصينية، فتتقوى المناعة الدينية.

(٥) الإهتمام بالعلم الشرعي: فلا بد من الإهتمام الشديد بالعلم الشرعي في جميع مراحل التعليم، وتكون المادة الدينية إلزامية، وليست اختيارية إضافية، وتحتوي المواد الدينية على القرآن الكريم والعقيدة والحديث والفقه والتفسير واللغة العربية والتاريخ ... حتى يتكون لدى الطالب المسلم قاعدة دينية صلبة.

* دور الإعلام فلا بد من نشر البرامج الدينية التعليمية والمسلسلات الدينية، والتي تحتوي على بعض الأحكام كالوضوء والصلاة والزكاة والحج والمعاملات، وكذلك بعض مبادئ الإسلام كالسماحة واليسر والعدالة والإخاء والتراحم والتواصل، وفي نفس الوقت تفضح الاحتلال الغربي والأمريكي الذين استباحوا دماء المسلمين وفروجهم وأموالهم، واستضافة علماء اليهود والنصارى الذين أسلموا، حتى يزداد المسلم تمسكاً بدينه، واعتزازاً بترائه.

* كذلك يقوم الدعاة بالرد على شبهات الأعداء المشككين في الخطب والدروس والندوات.... مع ذكر نواقض وفضائح الكتاب المقدس المشتمل على خمسين ألف منقوضة بشهادة علماء اليهود والنصارى؛ وإذاعتها في وسائل الإعلام كالتلفاز والإنترنت والصحف.... لتثقيف الخاصة والعامة من المسلمين.

* وتأمل ما قاله (موشى ديان) وزير الحرب الإسرائيلي الأسبق:

ذَكَرَ د. إسماعيل المقدم في ختام كتابه (هويتنا أو الهاوية) أن موشى ديان التقى بمجموعة من الشباب فيهم شاب مؤمن فصافحهم بخبث، فرفض الشاب المؤمن أن يصافحه قائلاً: أنتم أعداء أمتنا تحتلون أرضنا، وتسلبون حريتنا، ويوم الخلاص منكم آتٍ ولا بد بإذن الله، فابتسم (ديان) قائلاً: سيأتي يوم ونخرج من هذه الأرض، وهذه نبوءة نجد لها أصلاً في كتبنا، ولكن متى؟ فاستطرد وقال: إذا قام فيكم شعب يعتز بترائه، ويحترم دينه، وإذا قام فينا شعب يرفض ترائه، ويتنكر لتاريخه عندها تقوم لكم قائمة، وينتهي حكم إسرائيل، انتهى بتصرف.

ونختصر كلامه بجملة واحدة: (حين يكون عدد المصلين في صلاة الفجر كعدد المصلين في صلاة الجمعة) كما كان يحدث في عصور الإسلام الأولى

المحور الثالث: تفعيل اللغة العربية في المجتمع الإسلامي:

اللغة هي النواة التي يجتمع حولها الشعوب، وتتوحد بسببها الدول، لذلك يجب تفعيل اللغة العربية لغة الإسلام الأساسية، حتى تشعر شعوب الإسلام بروح الإخوة، ويشعرون أن لهم جذوراً أساسية، وهي اللغة والدين قبل العرق والنسب.

ولكي يتم تفعيل اللغة العربية يجب القيام بعدة أمور وهي:

الأمر الأول: وضع اللغة العربية كمادة أساسية في جميع مراحل التعليم، وفي جميع المدارس والجامعات الخاصة والحكومية، حتى يتقنها جميع الطلاب في كل مراحل التعليم، ولكن للأسف نجد كثيراً من الطلاب يجيدون في اللغات الأجنبية كالإنجليزية والفرنسية والألمانية....، ويجهل اللغة العربية (لغة القرآن).

الأمر الثاني: اشتراط إجادة اللغة العربية لتولي الوظائف، ولا سيما الوظائف المرموقة كالنيابة والقضاء والمحاماة والإعلام والطب والصيدلة والهندسة والتدريس في أي تخصص، وذلك حتى يهتم الجميع بلغة الإسلام.

لكن للأسف عندنا في مصر القاضي ووكيل النيابة والمحامي.... يتكلمون ويقعون في أخطاء جسيمة في اللغة العربية يجهلهم نصوص القرآن تماماً.

الأمر الثالث: عمل المنح المجانية في اللغة العربية، ويمكن جعلها إجبارية إذا كانت من الضروريات الملحة للعمل كالنيابة والقضاء والمحاماة والإعلام... حتى يتم الارتقاء بهم في وظيفتهم، فلا تتكرر أخطاؤهم الجسيمة في اللغة العربية.

الأمر الرابع: نشر مميزات اللغة العربية في وسائل الإعلام المختلفة، لتكون جرعاً تشجيعية وتحصينية من الغزو الأجنبي للغة العربية،

ونذكر هنا بعض المميزات المهمة للغة العربية:

(١) أنها لغة القرآن ولغة الإسلام عامة وبدونها يصعب التعرف على أحكام وأسرار شريعة الإسلام، لذلك أراد العدو طمسها حتى يصبح المسلمون بلا إسلام.

(٢) لغة مكتملة الحروف، فهناك حروف في اللغة العربية لا توجد في غيرها، مثل الضاد؛ لذلك فهي تسمى بلغة الضاد، وكذلك الحاء لا توجد في الإنجليزية مثلاً فكلمة أحمد تنطق بالإنجليزية أهمد، وكذلك محمد تنطق مُهَمَّد كذلك حرف الحاء فهو حرف أساسي في اللغة العربية أما في الإنجليزية فحرف فرعي يكتب بحرفين انجليزيتين ومثله حرف الشين يكتب بحرفين في الإنجليزية.

(٣) اللغة الوحيدة المختصرة، ونضرب مثلاً لذلك بجملته (لم أره)، فهي تتكون من خمسة أحرف، وإذا ترجمت إلى الإنجليزية تكونت من ثلاثة عشر حرفاً I did not see him.

(٤) هي أبلغ وأفصح لغة، ففيها الكثير من الصور البلاغية، والتي يعبر بها المتكلم عن مراده ومقصوده وراجع الإعجاز البلاغي في القرآن في الفصل الأول

الأمر الخامس: التشجيع من خلال البرامج التليفزيونية؛ مثل عمل المسابقات في عرض النقد الأدبي لبعض النصوص والأشعار، وتوضيح الأخطاء اللغوية عند المثقفين وتصحيحها، وكذلك عرض المسابقات في الشعر والنثر والخطابة، فتكون الجائزة لأبلغ شعر أو أبلغ حُطبة، فتزداد حماسة الجميع للغة العربية بدلاً من حماسهم للغات الأجنبية، مع التنبيه على خطة العدو لطمس اللغة العربية.

* ولا ننسى عمل مسلسلات وأفلام وبرامج باللغة العربية الفصيحة، وعمل مسابقة حول هذه المسلسلات والأفلام لجذب المشاهدين إلى عروض اللغة العربية الفصيحة فتعود حماسة المسلمين للغة دينهم، وتصبح اللغة العربية هي السائدة.

ولكن للأسف نجد الإعلام يشجع على اللغات الأجنبية لأنه مسعور ومأجور.

الأمر السادس: الاهتمام البالغ بمدرسي اللغة العربية، وذلك في جميع مراحل وصفوف التعليم سواء في مراحل التعليم الأساسية أو الجامعات، فنهتم بهم من كل الجوانب سواء الهادية أو العلمية، حتى لا يزهّد أحد في هذا التخصص الضروري الملح كالتنافس، ولكن للأسف الغالبية العظمى هرعت إلى اللغات الأجنبية بسبب الأحوال المتدنية لمخصص اللغة العربية، وبسبب تنفير الإعلام من اللغة العربية، لذلك تجد الطالب لا يدخل كلية اللغة العربية إلا بسبب المجموع المتدني لدرجاته، فيجب على الدولة دعم متخصصي اللغة العربية ومواد الشريعة الإسلامية دعماً كلياً، كما يحدث في بعض دول الخليج، فلا نفرق بين متخصص المواد العلمية والمواد اللغوية والشرعية، فالكل موظف ويبرع حسب موهبته.

* ولا ننسى تعريب المناهج العلمية كالطب والصيدلة والهندسة، فهذه الكليات تُدرس باللغات الأجنبية، فيجب تعريبها حتى يتحمس الطلاب للغة الإسلام.

المحور الرابع: الاهتمام بالعلم والعلماء في جميع الفروع بلا استثناء:

غالباً علماء المسلمين يقع عليهم الظلم في بلادهم بسبب عمالة الرؤساء للأعداء، وحرصهم على الكرسي، وإشباع الأهواء، ومن ثمّ يترك العالم المسلم بلده، فتستقطبه بلاد الكفر، وتنتفع بعلمه، ثم تستخدم علمه ضد بلاد الإسلام.

فيجب تصحيح المسار والاهتمام بكل فروع العلم والعلماء الأبرار، حتى نبني بلادنا ونستغني عن بلاد الكفر، وصدق الشاعر حين قال:

العلم دفعه موتاً لا عماد لها * والجهل مهدم موت العز والكفر
وصدق من قال:

ما الفخر إلا لأهل العلم انه * عا الهدى لى استهدى، أدلاء
وقدر كار امرئ ما كان يحسنه * والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففر بعلم تعش حياً به أبداً * فالناس موتى وأهل العلم أحياء

وفي هذا الجانب أنصح بعدة أمور مهمة:

الأمر الأول: يجب الاهتمام بكل فروع العلم بلا استثناء، فالكل يبرع حسب موهبته، والكل مهم، حتى الرسم والخط والأنشطة والتاريخ، فكلها علوم تنويرية للعقل؛ حتى التاريخ مهم حيث نتعلم منه أخطاء السابقين، حتى لا نقع فيها، ونتعرف فيه على أمجاد المسلمين السابقين، ونستفيد مما أصابوا فيه، وأذكر هنا أن إسرائيل حين احتلت مصر وسوريا عام ١٩٦٧، قال أحد ضباط الجيش الإسرائيلي لوزير الحرب الإسرائيلي (موشي ديان) خطتك الحربية شبيهة بما حدث عام ١٩٤٨، فلماذا لم تغير الخطة، فقال: إن العرب لا يدرسون التاريخ.

الأمر الثاني: يجب عمل المعامل الجادة والمفيدة، وتفعيلها لدى جميع الطلاب المحتاجين إليها، حتى يستفيد الطالب نظرياً وعملياً، فيكون التطبيق عملياً مع الدرس أو بعده، فيستطيع الطالب التطوير والتقدم بما لديه من مواهب .

ولكن للأسف أغلب المعامل في المدارس والمعاهد مغلقة ، فأنا شخصياً درست الفيزياء والكيمياء والأحياء بجانب العلوم الشرعية في القسم العلمي في الأزهر، ولكني لم أرَ الدروس العملية إلا أقل القليل، فالمعظم درسته نظرياً فقط بسبب غلق المعمل، وعدم اهتمام المدرس، وهذا ما تسبب في تأخر الشعوب، ولقد اشتكى كثير من الموهوبين المخترعين الصغار إغلاق المعامل في مدارسهم مما اضطرهم إلى البحث على شبكة الإنترنت، وهذا ما سهّل لأمريكا والغرب استقطاب الموهبين من بلادنا إلى بلادهم فإنهم يُغرّونهم بما حُرّموا منه في بلادهم.

الأمر الثالث: فتح قنوات الاتصال بين جميع طوائف وطبقات المجتمع، للشورى، والاستفادة من أفكار الشباب الموهوبين، فهناك أطفال صنعوا وابتكروا أجهزة وأشياء لم يصنعها الفطاحل، ولكن للأسف براءات الاختراع في دول الإسلام مأواها الأرفف، فلا يوجد اهتمام ولا عمل جاد مع الشباب.

لذلك يجب عمل المسابقات بين المخترعين عامة، ونختار أفضل اختراع مع إبداء الأسباب، وإعطاء الجائزة للفائزين مع جوائز تشجيعية للباقيين ومساعدتهم حتى يفوزوا في مسابقة أخرى مع إخراج كل الابتكارات إلى الحياة العلمية حتى لا ييأس أحد، ومن ثم يتم مساعدة الفاشل حتى ينجح وليس العكس وكما قال أحد العلماء المصريين على شاشة التلفاز: في الغرب وأمريكا يتم مساعدة الفاشل حتى ينجح وفي مصر يتم إرهاب الناجح حتى يفشل .

الأمر الرابع: الاهتمام بجميع أساتذة الجامعات والدعم الكامل للمدرسين، وذلك في كل فروع العلم، حتى يؤدي الجميع مهمته على أكمل وجه، ولا يتحسر ويتعقد نفسياً بسبب إهمال الدولة له، ولكن للأسف نرى الطالب في مصر يحصل على مجموع متدني، فيدخل كلية الحقوق، وبعد تخرجه يعمل وكيل نيابة أو قاضياً، ويحصل من الدولة على عشرات الآلاف كراتب، بل تجد بعض القضاة يحصلون على الملايين من الدولة، وتدعمهم الدولة دعمًا كاملاً، كأنهم رؤساء دول، في حين أن المدرس الجامعي في كلية الحقوق، والذي تخرج على يديه وكيل النيابة والقاضي، لا يحصل على العشر من معشار ما يحصل عليه تلميذه القاضي ووكيل النيابة، فأين العدالة في توزيع الموارد،

كذلك الطبيب لا يحصل على معشار ما يحصل عليه وكيل النيابة فأين العدالة، مع أن الطبيب ذاق مرارة المشقة في المذاكرة للحصول على مجموع عالي ليتمكن من دخول كلية الطب ثم بلغ به الجهد مبلغه في هذه الكلية وسنوات دراستها أكثر من سنوات أي كلية والتكاليف باهظة وبعد التخرج يعيش الطبيب في كبت ومراقبة ليجمع بين عمله وتعليمه لأنه يتطلع إلى كل جديد في مهنته.

كذلك تجد مهندس البترول والاتصالات والعمارة يحصل على الآلاف كراتب، ولا يحصل أستاذه الجامعي الذي علّمه على عُشر ما يحصل عليه تلميذه المهندس، فلم تراع الدولة العامل النفسي.

ولا ننسى علماء الشريعة والدعاة، فإن دورهم مهم لتوجيه الشباب بالوعي الديني، حتى لا يكون الشباب أرضاً خصبة لأفكار التطرف، أو يصطادهم الغرب.

ولكن للأسف الداعية في مصر يحصل على أقل راتب، لذلك يترك موقعه، ويذهب إلى أي حرفه، حتى يكفي أسرته، ولذلك انتشر الجهل بالدين والتطرف.

فلا بد من انتشار الشباب الضائع بدعم الدعاة والأئمة وعلماء الشريعة، وإعطائهم حقوقهم المسلوبة حتى يؤدي دورهم على أكمل وجه، وينشروا الوعي الديني، ويصححوا المفاهيم لدى الشباب، وينشروا سماحة الإسلام، فقد كان الخلفاء المسلمون يهتمون بكل العلماء، سواء الشرعيين أو العلميين، لذلك كان علماء المسلمين الأوائل هم الأساس الأول لحضارة أوروبا كما بيناه في الخطة الثامنة.

الأمر الخامس: دور الإعلام المهم للغاية في هذا الجانب، فالناس يدمنون المسلسلات والأفلام، فيجب عمل أفلام ومسلسلات وبرامج توضح أهمية العلم والعلماء، وتوضح أمجاد علماء المسلمين الأوائل أمثال ابن حيان وابن الهيثم والخوارزمي وغيرهم وشهادة الغرب لهؤلاء العلماء، وأنهم هم الذين أسسوا وطوروا معظم العلوم كالطب والصيدلة والهندسة والرياضيات والجيولوجيا..... كذلك لابد من تقديم البرامج العلمية، والتي توضح الطرق العملية بطريق المشاهدة للمهنة الفنية كعملية استخراج الحديد وميكانيكا السيارات وأجهزة الاتصالات... وكذلك شرح المواد العلمية كالفيزياء والكيمياء والأحياء..... مع عمل البرامج الدينية، والتي توضح الأحكام الصحيحة للشريعة ومبادئ الإسلام.....

ومن الممكن عمل قنوات متخصصة في كل علم كقناة للطب وأخرى للفيزياء وثالثة للرياضيات..... كما يوجد حالياً قنوات دينية بحتة.

خامساً: الاتحاد الفعلي أو الضمني لدول الإسلام:

وهذه الخطوة من أهم الجرعات المضادة لخطط وأهداف العدو الخبيثة، فهو الذي أراد تمزيق وحدة الأمة الإسلامية حتى يسيطر عليها.

فيجب تفعيل الاتحادات الإسلامية الموجودة حالياً، حتى يكون الاتحاد حقيقياً أو حتى ضمنياً، فهناك الكثير من الاتحادات، ولكن بلا جدوى مثل الاتحاد الأفريقي والجامعة العربية والاتحاد العالمي لعلماء المسلمين والتعاون الخليجي ومع ذلك تجد العدو له اتحادات فعّالة مثل الاتحاد الأوروبي والحلف الأطلنطي واتحاد دول اليورو وحلف وارسوا...

فيجب توحيد دول الإسلام حتى تكون كالجسد الواحد الذي له عدة أعضاء

ولكي تنجح هذه الخطوة فلا بد من عدة أمور مهمة:

الأمر الأول: توحيد العملة الرسمية بين دول الإسلام: فيكون التعامل بين دول الإسلام بعملة واحدة بدلاً من التعامل بعملة العدو (الدولار)، فلا يكون العدو خيراً منا حين وَحَدَ عملته في الاتحاد الأوروبي وجعلها باليورو، فنقوم نحن بتوحيد العملة، ولتكن عملة بلاد الحرمين هي المعمول بها الريال، أو يعود الدينار الذهبي والدرهم الفضي وهو الأفضل بدلاً من العملات الورقية.

الأمر الثاني: إلغاء معوقات السفر بين دول الإسلام عامةً، وهذا ما صنعه دول الخليج مع بعضها، ونأمل أن يُعمَمَ على كل دول الإسلام حتى تتوحد أوصال الدولة الإسلامية كما كانت عليه في عصر الخلافة، وهذا يتطلب بعض ما يلي:

(١) إلغاء التأشيرات حتى يسهل التنقل بين دول الإسلام، فيشتد ارتباط الشعوب ببعضها، ويستطيع المسلم أن يصلَ رَحِمَه في أي بلد مسلم، ويتصاهر في أي بلد مسلم بلا معوقات كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) [الحجرات: ١٣].

(٢) إلغاء نظام الكفيل، والذي تشترطه السعودية وبعض دول الخليج، ومن ثمَّ يسهل تنقل العمال المهرة بين دول الإسلام، ويعم الخير على جميع البلدان.

(٣) إلغاء نظام الفيزا المعقدة، حتى يستطيع المسلم أن يذهب إلى أي بلد مسلم للعمل فيها حسب متطلبات السوق فيحدث التوازن، ولا نفتقر إلى بلاد الكفر.

(٤) ربط دول الإسلام ببعضها بربياً فيجب فتح الحدود البرية وإصلاحها وعمل الجسور أو الأنفاق اللازمة وعمل الخطوط البرية السريعة كالقطارات حتى تلتحم دول الإسلام، وتسهل عملية التجارة بينها، فيقوى اقتصادها عالمياً.

الأمر الثالث: التحالف والتكامل بين دول الإسلام في كل المجالات، ومنها:

(١) التحالف العسكري؛ فيتم عمل جيش مركزي لدول التحالف الإسلامي كما فعل العدو في حلف الناتو والأطلسي ووارسوا،

* ويتم إنشاء هذا الجيش بنسبة من جيش كل دولة إسلامية، ويتناوب الأعضاء على قيادته حسب الكفاءة والخبرة والأمانة.... كل فترة محددة ويتلقى قائده الأوامر من مجلس اتحاد دول الإسلام.

* وتكون وظيفة هذا الجيش المركزي الإسلامي هو ردع أي عدوان خارجي على أي دولة إسلامية أو عدوان دولة إسلامية على الأخرى، فلا نستعين بدول الكفر لردع العدوان كما حدث حين استعانت الكويت والسعودية بالجيش الأمريكي الكافر لردع العدوان العراقي، وكذلك مساندة أي دولة إسلامية يحدث فيها اضطرابات داخلية بسبب بعض الطغاة، فلا نحتاج إلى التدخل الأجنبي لعودة الاستقرار كما حدث حين تدخلت فرنسا وأمريكا في ليبيا بزعم نصره الشعب الليبي من بطش الطاغية معمر القذافي واتضح أنهم دخلوا ليشهدوا منافع لهم.

(٢) التعاون والتكامل الصناعي، فتقوم كل دولة بتصدير خبراتها إلى دول الإسلام في أي صناعة تفوقت فيها، ويجب توزيع التخصصات، فتتخصص كل دولة في صناعة

معينة تتقدم فيها وتقوم بتطويرها دائماً كالمطائرات أو السيارات أو تكنولوجيا المعلومات أو القطع البحرية أو المعدات العسكرية ... مع العمل في الصناعات الأخرى أيضاً، فكل دول الإسلام تعمل في كل الصناعات، ولكن تحاول أن تمتاز كل دولة في صناعة معينة فترتبط دول الإسلام ببعضها صناعياً.

(٣) التعاون والتكامل الزراعي، فنوعية الأرض تختلف من بلدٍ لآخر، وكذلك الطقس الجوي يختلف من بلدٍ لآخر، فليست كل البلاد صالحة لزراعة كل المحاصيل والثمار، لذلك يجب أن تهتم كل دولة إسلامية بزراعة محاصيل معينة حسب نوعية أراضيها وطقسها، ولا مانع من زراعة الباقي، ولكن تتفوق في محصول معين ليتم تصدير الزائد منه إلى دول الإسلام، ويجب الاهتمام بالمحاصيل الضرورية كالقمح والشعير والأرز والتمر... حتى تملك دول الإسلام قوتها، فتصبح سيدة قرارها ولا تلجأ إلى الدول الكافرة للحصول على قوتها.

(٤) التعاون والتكامل الاقتصادي، فيتم عمل صندوق نقد دولي إسلامي لمساندة دول الإسلام، وخاصة الدول الإسلامية الفقيرة كالصومال وفلسطين، ولمواجهة أي كوارث تحدث لأي دولة إسلامية، فلا نحتاج إلى معونات من دول الكفر والتي لا تعطي شيئاً بدون مقابل، وصدق من قال:

لا تسألن بني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم إن سألته يغضب

(٥) التعاون والتكامل العلمي، فيجب على كل دولة إسلامية أن تخصص في فرع من فروع العلم وتتقدم فيه، وفي نفس الوقت تشغل بباقي العلوم، ومن الممكن التخصص في جزء واحد من علم واحد، فمثلاً الطب تخصص في العظام أو القلب ... وكذلك الهندسة تخصص في العمارة أو الاتصالات أو البترول ... حتى ترتبط دول الإسلام ببعضها علمياً في كل المجالات وتستغني عن دول الكفر.

* **وجدير بالذكر ألا تبخل أي دولة إسلامية على أخرى بما وصلت إليه من تقدم في علم معين، ويتم مساعدة الدول الإسلامية الفقيرة المتخلفة من خلال تصدير العلماء مع مساندها من صندوق النقد الدولي الإسلامي، فهناك دويلات صغيرة، ومع ذلك هي من أغني دول العالم مثل قطر والكويت وعمان والبحرين...، فيجب تكافل وتكامل الدول الإسلامية فيما بينها، فالدولة غير الصناعية تعمل في الزراعة مع استخدام جزء من شعبها كعمال في الورش والمصانع سواء المحلية أو التي في الدول الإسلامية الأخرى الصناعية حتى يكتسبوا الخبرات، فنستفيد من الطاقات المهذرة بسبب الفقر وقلة العلم.**

الأمر الرابع: عمل محكمة دولية إسلامية للفصل في المنازعات الدولية الإسلامية، فلا تنشب الحروب لأتفه الأسباب كما حدث بين العراق والكويت، والعراق وإيران، وسوريا وتركيا... ويتناوب الأعضاء على رئاسة هذه المحكمة حسب العلم والكفاءة والخبرة.

وبالتالي لا نحتاج إلى المحكمة الجنائية الدولية، والتي تحكم على الضعفاء، وتترك الجبابرة كمجرمي إسرائيل الذين دمروا الآلاف من قرى فلسطين، ومجرمي أمريكا مثل بوش الابن الذي دمر العراق وأفغانستان ظلمًا وعدوانًا.

الأمر الخامس: يتناوب رؤساء المسلمين على رئاسة الحلف الإسلامي، وذلك كل فترة زمنية أو بالانتخاب حسب الإتفاق وحسب الكفاءة والخبرة والقدرة، مع توافر شروط الإمامة العظمى في الإسلام كالعقيدة الصحيحة (أهل السنة) والبلوغ والعقل والحرية والذكورية والعلم بالأحكام الشرعية^(١)...، حتى لا تتشعب الآراء ويختلف الأعضاء، فيكون هناك رئيس عام تجتمع عليه كلمة كل دول الإسلام، ويكون بمثابة

(١) ومن أراد التفصيل في هذا الموضوع فليراجع: (الأحكام السلطانية) للهاوردي،

مآثر الإنافة في معالم الخلافة) أحمد القلقشندي،

(الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاء والأمراء) محمود بن إسماعيل الجذبي.

الخليفة، غير أن الخليفة يظل في منصبه حتى الموت، أما رئيس حلف دول الإسلام يظل في منصبه إلى انتهاء فترة رئاسته.

وبعد: إذا تم عمل الأمور السابقة تفصيلاً سوف تعود الدولة الإسلامية كما كانت عليه في عهد الخلفاء كالجسد الواحد، فيكونوا يداً على من سواهم، وكما في الحديث عند مسلم عن النعمان بن بشير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المسلمون كرجلٍ واحد إذا اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله)، وفي الصحاحين من حديث النعمان بن بشير (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

أيها القارئ ما ذكرته من إصلاحات فهو غيظ من فيض تحتاج إليه الدولة الإسلامية، لكنني ذكرت الملامح المهمة، ويجب أن يشترك فيها كل دول الإسلام.

* ولكن هناك إصلاحات داخلية تحتاج إليها بعض الدول دون أخرى، فمثلاً في مصر بلد الأزهر نحتاج إلى إصلاح منظومة القضاء، ومن ذلك إعداد القضاة وتأهيلهم في أكاديمية خاصة بهم قبل إجلاسهم على منصة القضاء، فيجب أن يحفظ القرآن كاملاً، ويتقن اللغة العربية وتفسير القرآن والفقه وأصوله وقواعده...

وكذلك يجب إصلاح وتعديل القوانين المخالفة والهدامة للإسلام، حتى تتوافق مع الشريعة الإسلامية، فلا نحكم على القاتل والزاني بعدة أشهر أو سنوات، ثم يخرج فيعاود الجريمة، أما لو طبقنا شريعة الإسلام فسوف نقضي على جميع المفاسد في المجتمع. وكذلك المنظومة المالية فلا نفرض الضرائب إلا في أضيق الحدود، بل نفرض الزكوات على أصحابها ونفرض الضرائب على أهل الكتاب الذين رفعنا عنهم الجزية، حتى تتحقق العدالة بدلاً من أن تفرض الضرائب على الموظفين والتجار، ويتهرب منها الأثرياء أصحاب المليارات، أما زكاة المال والصدقات العامة فلن يتهرب منها أحد؛ لأنها حق لله تعالى، ومن ثم نجمع أضعاف ما نجمعه من نظام الضرائب الظالم الفادح، وفي نفس الوقت تكون الأنفس راضية، فهناك رجال أثرياء يملكون ما يتجاوز التريليون

من الجنيهات، ومع ذلك لا نفرض عليهم ضرائب؛ لأن المال في البنك لا يعمل به في تجارة، أما لو طبقنا زكاة المال فسوف نأخذ ٥, ٢٪ ممن يملك ما يوازي خمسة وثمانين غراماً من الذهب الخالص (عيار ٢٤)؛ يعني سوف نأخذ من صاحب التريليون خمسة وعشرين مليار جنيه، فكم سنحصل على المليارات من جميع الأثرياء المسلمين، إضافة إلى جمع الضرائب من أثرياء أهل الكتاب.

كذلك إصلاح البنوك حتى تتوافق مع الشريعة الإسلامية، يكون مضارباً بالأموال في التجارة أو قارضاً يعمل به في الصناعة ويأخذ نسبته ويعطي الباقي لرب المال، أو يكون البنك كالوسيط أو أشبه بالسمسار فيضع الرجل المال في البنك، ويأتي آخر يطلب المال لكي يعمل به في مصنعه أو تجارته، فيأخذ رب المال نسبة ورب العمل نسبة ويأخذ البنك نسبة كمصروفات بنكية على وساطته واستشاراته، فيعم الخير في البلاد والعباد.

نصيحة قبل الختام: قد يصعب تطبيق كل خطوات الإصلاح في ظل وجود بعض الحكام الخائنين المحيين للدنيا على حساب الدين، وهنا نقول للصحوة الإسلامية والشعوب المغلوبة، عليكم بالصبر والثبات والإصلاح فيما بينكم، فإذا صلح الشعب خرج منهم رئيس صالح، فضلاح الحكام من صلاح الشعوب، وصلاح الشعوب من صلاح الحكام، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) [الرعد: ١١] فالكل يعمل حسب استطاعته، وما لا يُدْرِكُ كُلَّهُ لا يُتْرَكُ كُلَّهُ، فقد كانت مصر وقت الاحتلال مقهورة مظلومة، وكان حاكمها الملك فاروق موالياً للإنجليز، ومع ذلك لم تتوقف حركة الإصلاح لدى علماء الإسلام، بل كان الجامع الأزهر بمثابة الجامعة تخرج منه آلاف العلماء، حتى تحول إلى جامعة من أعرق وأكبر الجامعات في العالم، مع أن الفاطميين بنوه في الأصل لهدم الإسلام، فَحَوَّلَهُ العلماء لصالح الإسلام، كما يقول عائض القرني في كتابه (لا تحزن): اصنع أنت من الليمون شراباً حلواً ولا تياس،

وكلنا نعلم أن دولة الإسلام تؤسس في القلوب أولاً ثم يتم ترجمتها بالعمل ثم تنشر بين الجميع رويداً رويداً حتى تملأ البقاع الأرضية، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، والله وحده المستعان وبه التوفيق.

ملحوظة مهمة هناك كتب للقرضاوي في شرح الحل الإسلامي لمشاكل المجتمع

منها

- ١- الحل الإسلامي فريضة وضرورة.
- ٢- شبهات المرتابين والمشككين في الحل الإسلامي.
- ٣- أعداء الحل الإسلامي.
- ٤- شريعة الإسلام.
- ٥- ملامح المجتمع المسلم.

الفصل الخامس

موضوعات مهمة لعامة الأمة

مقدمة

وفي هذا الفصل ستتعرف على عدة موضوعات هامة للعامّة لا تقل أهمية عما سبق بيانه في الفصول السابقة بل هي تتمّة لها حتى تكتمل الفائدة وتزول الشبهات الواهية التي تدور على ألسنة العوام وخاصة المستشرقين والليبراليين والعلمانيين الجاهلين المعادين لأي دين.

فقد يرد السؤال ما هي أهداف الإسلام التي يسعى لها؟

كذلك من الممكن أن يتبجح آخر ويقول إن كان الإسلام أرسى الحقوق كلها وهو رحمة للبشرية وأدلة صحته قوية وواضحة للبشرية ومبادئه سامية فلماذا نرى المسلمين ثلث العالم فقط؟

فسوف تتعرف على الأجوبة الشافية الكافية على مثل هذه الأسئلة وغيرها في هذا الفصل والذي يتكلم عن الموضوعات التالية:

- (١) أهداف الإسلام.
- (٢) المميزات والثمار الذهبية من تطبيق الشريعة الإسلامية.
- (٣) أسباب الإعراض عن الدخول في الإسلام.
- (٤) عاقبة الكفر.
- (٥) نواقض الإسلام.

مقاصد (أهداف) الإسلام

* بداية نتعرف على معنى مقاصد الإسلام:

المقاصد: جمع مقصد وهو الهدف، فمعنى مقاصد الإسلام: أهداف الإسلام.
الهدف العام للإسلام هو تحقيق مصالح الخلق ودرء المفسد عنهم في الحال والمآل
يعني في العاجل والآجل.

والهدف العام يتفرع منه عدة أهداف خاصّة، والهدف الخاص هو الحكمة من كل
حكم شرعي، وفي النهاية تؤدي جملة الأهداف الخاصة إلى الهدف العام.

وبالمثال يتضح المقال: الجيش هدفه العام هو درء العدوان عن البلاد، ولكي
يتحقق هذا الهدف يتم تقسيم الجيش إلى عدة أقسام، وكل قسم يؤدي إلى هدف خاص
مثل سلاح المهندسين الذي يعمل على تطوير الأسلحة والأجهزة المستخدمة في
الحروب، وكذلك سلاح البحرية، والذي يعمل على تأمين الموانئ البحرية والحدود
البحرية.... وهكذا، فكل قسم يعمل لهدف خاص به، وفي النهاية تؤدي هذه الأقسام
إلى الهدف العام وهو حماية البلاد من أي عدوان خارجي.

والإسلام يسعى إلى تحقيق عدة مقاصد أساسية وضرورية، ولا يمكن استمرار
الحياة بدونها، لأنها من الضروريات، وكلنا نعلم أن مصالح البشرية ثلاثة مراتب:
ضروريات، ثم حاجيات، ثم تحسينات.

والمقاصد (الأهداف) الضرورية التي يسعى الإسلام لتحقيقها هي:

- (١) حفظ الدين.
- (٢) حفظ النفس.
- (٣) حفظ العقل.
- (٤) حفظ النسل بما فيه العرض والنسب.

(٥) حفظ المال.

فقام الإسلام بعدة تشريعات لتحقيق هذه المقاصد الضرورية كما يلي :

أولاً: حفظ الدين:

فالدين ضروري في حياة البشرية فقد نجد شخصاً بلا علم أو فلسفة، ولكن لا نجد شخصاً من غير دين، فالكل له دين يختاره لنفسه سواء كان ديناً سماوياً كالإسلامية واليهودية والنصرانية أو ديناً أرضياً كالمجوسية والبوذية.....،

ولقد قام الإسلام بعدة تشريعات لحفظ الدين منها ما يلي:

(١) **أوصى بحرية الاعتقاد:** وهذا حق للإنسان وأول من نادى بحرية الاعتقاد هو الإسلام حيث قال: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)، فالإسلام لا يُكْرِه أحداً على الدخول في نظامه، بل إن القرآن حذّر الرسول صلى الله عليه وسلم من أن يُجْبِر أحداً على الدخول في الدين فقال: (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) [يونس: ٩٩]، وقال له: (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ) [الغاشية: ٢٢]؛ وذلك لأن الهداية بيد الله وحده، وهذا ما أكده الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم فقال له: (لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) [البقرة: ٢٧٢] (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [القصص: ٥٦].

(٢) **شرع الجهاد لحماية حرية الاعتقاد:** فالإسلام لم يشرع الجهاد لإجبار الناس على الدخول في نظامه، فالقرآن الكريم لم يذكر كلمة السيف أبداً، بخلاف كتاب اليهود والنصارى فقد ذكر كلمة السيف مئات المرات، وإنما شرع الإسلام الجهاد لحماية حرية الاعتقاد، فقد يريد الرجل الدخول في الإسلام، فيخشى من بطش زعماء بلاده، وهذا ما كان يحدث في بداية ظهور الإسلام، فقد كان المشركون يُعَدِّبون كل من يُسَلِّم من الناس بلا رحمة، حتى اضطروهم إلى الهجرة من بلادهم، وحتى الآن نجد الدول غير المسلمة تضيق الخناق على المسلمين كما يحدث في الصين وبورما، وكذلك في فرنسا حين منعوا

النقاب في الميادين العامة، وفي روسيا حين حظروا قراءة القرآن على المسلمين في بلادهم فكان المسلمون يقرأون القرآن في الكهوف خشية من بطش الظالمين لذلك شرع، لذلك قام المسلمون في أفغانستان بالجهاد لدفع العدوان الروسي عن المسلمين، ونصرهم الله عز وجل، وانكسر العدو الروسي والحمد لله رب العالمين، فالإسلام شرع الجهاد لحماية حرية الاعتقاد ولدفع الظلم عن المسلمين وخاصة الضعفاء قال تعالى: (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا) [النساء: ٧٥].

ملحوظة: الجهاد بالسيف موجود في كتاب اليهود والنصارى فلقد جاهد يشوع بالسيف

ضد عمالقة فلسطين كما في (الخروج: ١٧ / ٩ - ١٣) بل قال في (ارميا: ٤٨ / ١٠)

(ملعون من يعمل عمل الرب برخاء و ملعون من يمنع سيفه عن الدم)

وعيسى أمر أتباعه بذبح أعدائه كما في (لوقا: ١٩ / ١٧) وحث على شراء السيف ولو

أدى ذلك إلى بيع الثياب فقال في (لوقا: ٢٢ / ٣٦) فقال لهم لكن الان من له كيس

فليأخذه ومزود كذلك ومن ليس له فليبيع ثوبه ويشتر سيفاً)

* مع ملاحظة ان السيف لم يُذكر في القرآن أصلاً وذكّر في كتاب اليهود والنصارى مئات
المرات.

ويجب أن نعلم أن الإسلام حرّم الاعتداء بلا سبب فقال: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) [البقرة: ١٩٠].

(٣) **حَرَّمَ كُلَّ شَيْءٍ يُؤَدِي إِلَى الْكُفْرِ:** يعني حرّم كل شيء يؤدي إلى الخروج من

الدين حفاظاً على الدين كالذبح لغير الله والاستغاثة بالأضرحة، واستحلال ما حرّمه

الله قطعاً مثل الخمر ولحم الخنزير، وكذلك إنكار ما أثبتته الإسلام قطعاً مثل إنكار

البعث والنشور والحساب والجنة والنار والصلاة والصوم والزكاة، فكل ذلك مُحَرَّجٌ من

الملة، أما تناول الخمر ولحم الخنزير بلا استحلال فهو كبيرة وفسق وليس كفرًا، وكذلك ترك الصلاة والصوم... بلا انكار فهو فسق وليس كفرًا.

(٤) شرع عقوبة الردة فمن خرج عن الدين قُطِعَت رقبته بالسيف كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (من بدّل دينه فاقتلوه)^(١).

والحكمة من هذا العقاب لحماية جديّة الاعتقاد وعدم الاستهزاء بالدين، فقد تكون محاولة من الأعداء لفتنة المسلمين المتمسكين بالدين، فقد يخطط مشرك لفتنة المسلمين عن طريق الدخول في الدين، ثم الخروج منه فيُشكِّك الناس في دينهم، وهذا ما حَطَّط له المشركون فعلاً في بداية الإسلام، وحكاه القرآن فقال: (وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهُ النَّهَارِ وَآكُفُّوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [آل عمران: ٧٢]، يعني لعل المسلمين يرجعون عن دينهم إذا دخلتم في دينهم وخرجتم منه، فحرّم الإسلام الردة، وجعل عقابها ضرب العنق بالسيف حتى لا يَتَّخِذَ أَحَدٌ الدِّينَ لغرضٍ سياسي أو لخدعة المسلمين.

ملحوظة: عقوبة الردة كانت موجودة قبل الإسلام في كتاب اليهود والنصارى ففي (الخروج: ٣٢ / ٢٧-٢٨) أن الله أمر موسى عليه السلام بقتل من عبدوا العجل.

ثانياً: حفظ النفس:

فالحياة حق لكل إنسان، لذلك أوصى الإسلام بحفظها، وقام بعدة تشريعات لصيانة النفس وحفظها، حتى يستمر النوع البشري، ومن هذه التشريعات ما يلي:

(١) تحريم الإعتداء على النفس سواء بالقتل أو الجروح:

وسواء كان هذا الاعتداء من الشخص على نفسه أو على نفس غيره

(١) أخرجه البخاري من رواية ابن عباس.

* فالإسلام حَرَمَ الإنتحار فقال تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) [النساء: ٢٩]، (وَلَا تُلْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) [البقرة: ١٩٥]، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من تَرَدَّى من جبل فقتل نفسه، فهو في نار جهنم يَتَرَدَّى فيها خالدًا مخلدًا فيها أبداً، ومن حَسَسَ سُمًّا فَسُمَّهُ في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبداً).

* وحرَمَ الاعتداء على الغير فقال: (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) [الإسراء: ٣٣]، والحق الذي يبيح قتل النفس حدده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (لا يَجِلُّ دَمٌ امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله إلا في إحدى ثلاث زنا بعد إحصان فإنه يُرجم ورجل خرج محارباً لله ولرسوله، فإنه يُقتل أو يُصلب أو يُنْفَى من الأرض، أو يُقتل نفساً فيُقتل بها)^(١)، وفي رواية عثمان بن عفان (كفر بعد إسلام أو زنا بعد إحصان أو قال نفس بغير نفس)^(٢).

* كذلك قتل غير المسلم حرام وكبيرة إلا أن يكون محارباً للمسلمين، قال تعالى: (مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا) [المائدة: ٣٢]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين خريفاً)^(٣).

وإن كان قتل النفس محرم في جميع الشرائع فإن الإسلام هو الوحيد الذي شدد فيه وقال من قتل نفساً واحدة فكأنما قتل الناس أجمعين كما في الآية السابقة.

(١) (صحيح) أخرجه أبو داود والنسائي من رواية عائشة انظر (صحيح الترغيب: ٢٣٨٩)

(٢) أخرجه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني، (صحيح ابن ماجه: ٤٥٣٣).

(٣) أخرجه البخاري من رواية ابن عمرو.

وشدّد الإسلام على جريمة قتل المؤمن فقال تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) [النساء: ٩٣]، وفي الحديث (قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا)^(١).

(٢) شرع العقوبات الزاجرة: كالقصاص والدية والكفارة

فأوجب القصاص في القتل العمد أو الجرح العمد قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ) [البقرة: ١٧٨]، وقال تعالى: (وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا) [المائدة: ٤٥].

وأوجب الكفارة والدية على غير المتعمد فقال تعالى: (وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا..... فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) [النساء: ٩٢]، ولا كفارة في الجروح، أما الدية فحسب نوع القتل وحسب نوع الجرح، والتفصيل في تفسير القرطبي، وكتب الفقه كالشرح الممتع لابن عثيمين وتمام المنة للعزازي.

(٣) شرع قتال البغاة وقُطَاع الطرق الذين يهددون أمن البشرية، وكذلك جهاد

الظالمين حماية للمستضعفين، فقال تعالى: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتِلُوا فَاصْطَلِحَا بَيْنَهُمَا فإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ) [الحجرات: ٩] يعني حتى ترجع الطائفة الباغية إلى أمر الله، وقال تعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ) [المائدة: ٣٣]، وقال تعالى: (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا

(١) (حسن صحيح) أخرجه النسائي من رواية بريدة، أنظر (صحيح الترغيب: ٢٤٤٠).

أَخْرَجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا [النساء: ٧٥].

(٤) شرع الرُّخَصِ حفاظاً على النفس من الهلاك:

فالدين الإسلامي الوحيد المليء بالرخص تيسيراً على أتباعه، ولقد تكلمنا عن شيء من ذلك في (اليسر في الإسلام).

ومن هذه الرخص أن الخمر والميتة ولحم الخنزير حرام، ومع ذلك يباح تناولها عند الضرورة مثل الذي يمشي في الصحراء، ولا يجد ما يأكله ولا يشربه إلا هذه المحرمات، فيجوز له تناولها حتى لا يهلك، قال تعالى: (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَحَلْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلِلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [البقرة: ١٧٣]، أي يباح للمضطر تناول الحرام بشرط ألا يكون طالباً للحرام مع وجود الحلال، وألا يأكل أكثر مما يسدُّ الجوع.

ومن الرخص أنه أباح التيمم لمن وجب عليه الغسل إذا كان الجو بارداً جداً، ولا يستطيع تسخين الماء، ويخشى أن يهلك أو يُصاب بمرض إن اغتسل بالماء البارد كما بيناه في مبدأ اليسر في الإسلام في الفصل الثاني.

ثالثاً: حفظ العقل:

لأنه ضروري في حياة البشرية؛ لأنهم يميزون بالعقل بين الطيب والخبيث والجيد والخسيس لذلك قام الإسلام بعدة تشريعات لحفظ العقل منها ما يلي:

(١) تحريم كل ما هو ضرر على العقل: حيث حرّم المسكرات والمفترات كالتدخين والمخدرات، قال تعالى: (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [المائدة: ٩٠]، (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) [الأعراف: ١٥٧]، وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل مسكر خمر، وكلُّ خمرٍ حرام).

(٢) شرع عقوبة زاجرة على شرب المسكرات، وهي الجلد في ميدان عام أربعين جلدةً أو ثمانين حسب ما يراه القاضي، ليرتدع المجرم، ويرتدع الباقون، ففي الحديث عن علي بن أبي طالب قال: (جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في الخمر أربعين وكمّلها عمر ثمانين وكُلُّ سُنَّةٍ)^(١) يعني الجلد أربعين أو ثمانين مأخوذ من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فيختار القاضي منهما ما يراه زاجراً للمجرم.

فإذا جُلِدَ ولم يرتدع يُجَلَّدُ كُلَّ مَرَّةٍ، حتى إذا شرب الخمر أربع مرات قُتِلَ ففي الحديث عن أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا سكر فاجلدوه، ثم إن سكر فاجلدوه، ثم إن سكر فاجلدوه، فإن عاد الرابعة فاقتلوه)^(٢) والسبب في هذا التشديد أن السكران ينتهك حقوق الآخرين وهو لا يشعر، فكثيراً ما تقع الحوادث بسبب شرب المسكرات كما بيناه في فصل حقوق الإنسان في الإسلام.

(٣) حث الإسلام على تغذية العقول:

وذلك بتحصيل العلوم، حيث قال الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) [طه: ١١٤]، ولم يقل زدني جمالاً أو قوةً أو مالاً بل قال زدني علماً، وقال تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) [الزمر: ٩]، وأولو الألباب هم أصحاب العقول السليمة.

(٤) حث الإسلام على استغلال العقل:

وذلك بالتفكير في المخلوقات، واستنباط الحكيم كما قال تعالى: (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) [الذاريات: ٢٠، ٢١]، وكذلك استنباط أدلة وجود الله من خلال النظر في مخلوقاته (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ) [الأعراف: ١٨٥]، (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ

(١) أخرجه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني: (صحيح ابن ماجه: ٢٥٧١).

(٢) أخرجه أبو داود وابن ماجه وقال الألباني: (حسن صحيح)، (ص: ابن ماجه: ٢٥٧٢).

كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ.....) [الغاشية: ١٧-٢٠]، وكذلك بالنظر في آيات القرآن الكريم (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) [النساء: ٨٢].

وكذلك بالتمييز بين الطيب والخبيث والجيد والخسيس كما قال تعالى: (فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) [الزمر: ١٧، ١٨]، (قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [المائدة: ١٠٠].

رابعاً: حفظ النسل:

فالنسل ضروري حتى لا ينقرض النوع البشري، ولقد قام الإسلام بعدة تشريعات لحفظ النسل بما فيه النسب والعرض ومن ذلك ما يلي:

(١) الحث على الزواج: لأن الزواج فيه فوائد عديدة منها النسل الشرعي، ومنها تحصين الفرج لكلا الزوجين، فلا يفكر الرجل المتزوج في هتك عرض امرأة لأنه مُحَصَّنٌ بالزواج، ولا تفكر الزوجة في الفاحشة، لأنها مُحَصَّنَةٌ بالزواج.

ولقد حث الإسلام على الزواج من المرأة الولود؛ لأجل كثرة النسل، ففي الحديث عن معقل بن يسار قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال له: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال، لكنها لا تلد أفأتزوجها؟ قال: لا، فكرر عليه السؤال ثلاث مرات، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول له: لا، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: (تزوجوا الولود الودود، فإني مكاثرتكم الأمم)^(١).

س/ وإذا قلت ما ذنب البنت في العقم حتى يجرمها الرسول صلى الله عليه وسلم؟

الجواب: إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يجرمها من الزواج لكنه لم يشأ أن يضيع حق الشاب البكر في الإنجاب، وقد يُفكر في الزواج ثانية من أجل الإنجاب بعد قضاء وطره

(١) أخرجه أبو داود والنسائي وصححه الألباني (صحيح أبي داود: ١٧٨٩).

منها، والمرأة العقيم لا تحرم من الزواج فقد تزوج الرجل العقيم أو الثيب الذي أنجب حتى لا تحدث المشاكل بعد الزواج بسبب العقم.

(٢) تحريم الإعتداء على الأعراس بالزنا أو القذف حتى لا تُختلط الأنساب.

* فالإسلام حَرَّمَ الزنا وكلَّ ما يؤدي إلى الزنا، حيث قال تعالى: (وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) [الإسراء: ٣٢]، ولم يقل ولا تزنوا، فكل ما يُقَرَّب إلى الفاحشة فهو حرام كالنظر إلى الأجنبية لغير ضرورة، وكذلك مصافحتها وكذلك الاختلاط والخلوة بها بدون محرم مؤبد، فكل ذلك يؤدي إلى الفاحشة لذلك حرمه الإسلام.

* كذلك حَرَّمَ القذف، لأنه تشكيك في الأنساب قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [النور: ٢٣]، وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اتقوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حَرَّمَ الله إلا بالحق، وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات).

بل إن القاذف إذا لم يكن معه بيِّنة على قوله يُجلد ثمانين جلدة، قال تعالى: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور: ٤)

(٣) حَرَّمَ القتل حفاظًا على النوع البشري، كما سبق بيانه منذ قليل.

(٤) شرَّع العقوبات الزاجرة عن اقرار الضرر على النسل: فشرَّع القصاص والديات عند القتل أو إحداث الجروح وشرع الجلد في القذف، والجلد للزاني غير المحصن والرجم للزاني المحصن، وسبق بيانه مرارًا وتكرارًا.

خامساً: حفظ المال:

لأنه ضروري عند البشر، مع العلم أن المال ليس فقط النقدي (الفلوس) بل هو مَتَقَوْمٌ يُطَلَّقُ عليه مال كالسيارات والأجهزة.... ولقد قام الإسلام بعدة تشريعات للحفاظ على المال ومن ذلك ما يلي:

(١) **تحريم الاعتداء على مال الغير سواء بالسرقة أو الربا أو الغش في المعاملات أو الأكل بالباطل كأن يدعي ديناً على أحد كذباً وزوراً، ويأتي بالشهود أو بأوراق مزورة، أو بالقمار ولو بالتراضي قال تعالى: (إِنَّمَا الْحُمُرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [المائدة: ٩٠]**، والميسر هو القمار، وفي صحيح مسلم عن بريدة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لعب بالنردشير فكأنها صبغ يده في لحم خنزير ودمه)، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)، وصحيح مسلم عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من غشنا فليس منا)، وقال تعالى: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْخِلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِيَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة: ١٨٨]، والرشوة أيضاً ففي الحديث (لعنة الله على الراشي والمرتشي)^(١).

(٢) **حث على العمل لتنمية المال، قال تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [الجمعة: ١٠]**، (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) [الملك: ١٥]، وفي صحيح البخاري عن المقدم بن معد يكرب قال الرسول صلى الله عليه

(١) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي من رواية عبد الله بن عمرو وصححه الألباني (صحيح الجامع: ٥١١٤)، وهناك رواية أخرى بزيادة (والرائش الذي يمشي بينهما)، ولكنها ضعيفة منكرة بهذه الزيادة قاله الألباني (س: ض: ١٢٣٥).

وسلم: (ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده)، فقد كان يصنع دروع الحرب

(٣) نهى الإسلام عن إضاعة المال: كالتبذير والإسراف أو التَّلف، قال تعالى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) [الأعراف: ٣١]، (وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا) (٢٦) إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) [الإسراء: ٢٦]، وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال).

(٤) تشريع العقوبات الزاجرة عن الاعتداء على مال الغير، فقد أوجب قطع يد السارق قال تعالى: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) [المائدة: ٣٩]؛ لأن الحبس لا يرتدع معه المجرم، بل يزداد همّةً في الجرائم، لذلك أوجب الإسلام قطع آلة السرقة في الإنسان وهي اليد، وهو عقاب زاجر كما لا يخفى على ذي لب.

* هناك رسالة استفدت منها كثيراً في هذا الموضوع امها (مقاصد الشريعة الإسلامية) أصدرها موقع الإسلام جزاهم الله خيراً.

المميزات والثمار الذهبية في تطبيق الشريعة الإسلامية

الكثير من الناس يخاف من تطبيق الشريعة الإسلامية بسبب تشويه صورة الإسلام في الإعلام الغربي والأمريكي لذلك أردت أن أذكر المميزات والثمار الذهبية في تطبيق الشريعة الإسلامية، حتى يطمئن الجميع إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، ولا ننسى أننا قمنا في ثنايا الكتاب بالرد الشافية والكافية على الشبهات الواهية التي يُشَوِّه بها الغرب الإسلام فراجع فصل الحقوق وفصل خطط الأعداء لهدم الإسلام واسباب الإعراض عن الإسلام في هذا الفصل.

المميزات والثمار الذهبية التي نحصل عليها لو طبقنا الشريعة الإسلامية:

أولاً: إنها من عند رب البشر:

فلا تتغير ولا تتبدل مثل نظريات البشر، ويستحيل عليها الخطأ أو النسيان، لأنها من عند رب البشر كما قال القرآن: (لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى) [طه: ٥٢]، (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) [آل عمران: ٥]، وهو أعلم بمصالح خلقه (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [الملك: ١٤]، ولا يظلم بشريعته (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ) [يونس: ٤٤].

أما نظم البشر كالاشرابية والرأسمالية.... فكلها تسعى إلى مصالح شخصية، وكلها نظم فاشلة وأثبتت فشلها في القرن السابق، لأنها نظريات من عند بشر يخطئ ويصيب، ويضل وينسى، ويظلم ويسعى لمصلحته الشخصية.

ثانياً: نشر العدل والمساواة:

وهذا من أعظم مبادئ الإسلام، فهو الذي نادى بالعدل وحرم الظلم، ونادى بالمساواة بين الوزير والخبير، والغني والفقير، والشريف والضيع، والرئيس والرعية، فالكل سواسية كأسنان المشط، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [النحل: ٩٠]،

والإسلام هو الذي أعلن قانون المساواة، ففي الحديث (أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ) ألا هل بلغت قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فيبلغ الشاهد الغائب)^(١).

وقد تكلمنا عن مبدأ العدل في الإسلام في الفصل الثاني.

ثالثاً: حفظ الحقوق وحمايتها بتطبيق الحدود:

فالإسلام أول من تكلم عن حقوق الإنسان فقال: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) [الإسراء: ٧٠]، وقال: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) [التين: ٤]، وحرّم القتل حفظاً لدماء الإنسان، وحرّم الخمر حفظاً لعقل الإنسان، وحرّم الزنا حفظاً للأعراض، وحرّم السرقة حفظاً للأموال، وحرّم القذف والسب حفظاً لكرامة الإنسان، وحرّم قطع الطرق حفظاً لأمن الإنسان، وقد تكلمنا عن ذلك تفصيلاً في (أهداف الإسلام) ورددنا على الشبه الواردة في ذلك في فصل (الحقوق).

رابعاً: نشر الرفاهية والثراء في البلاد:

فلو طبقنا الإسلام لن نحتاج إلى معونات دول الكفر، وسوف نرتقي في سبيل المعيشة، وسوف يحدث الثراء في جميع البلاد ولكل العباد.

وسوف أشرح لك كيفية ذلك بلغة الحروف والأرقام من خلال عدة أمور:

الأمر الأول: تطبيق زكاة المال على الأغنياء من المسلمين فقط:

(١) أخرجه أبو نعيم في (الحلية) والبيهقي في (شعب الإيمان) من حديث جابر وصححه الألباني (س: ص: ٢٧٠٠).

فكل من مَلَكَ النصاب من المسلمين وحال عليه الحول، ولم ينقص وجب عليه دفع اثنين ونصف في المائة، والنصاب مقداره خمسة وثمانون جراماً من الذهب عيار أربعة وعشرين أو ما يعادلها من الأموال السائلة أو الأوراق النقدية مثل الأسهم والسندات وغيرها، والزكاة تتميز عن الضرائب بما يلي :

(١) زكاة المال على الأغنياء فقط أما الضرائب فتُطبَّق بلا تفرقة بين الفقراء والأغنياء، بل هناك من يملك المليارات ولا يدفع ضرائب أصلاً، ومع ذلك تجد كل موظف يدفع الضرائب وتخصم منه من المنبع، وكذلك ضريبة المبيعات وغيرها، وكل هذا ظلم للعباد، أما زكاة المال فيدفعها الأغنياء من المسلمين فقط.

(٢) زكاة المال تُصرف إلى أناس معينين كالفقراء والمساكين والعمالين عليها والمؤلفة قلوبهم، وفي عتق رقاب المسلمين وفك أسرهم وتصرف أيضاً في الجهاد في سبيل الله....، ولكن بعد اكتفاء الفقراء والمساكين والعمالين عليها أو لا يعني بعد سداد ما يحتاجه المحتاجون من المسلمين، لأنها تؤخذ من المسلمين فقط.

أما الضرائب فيذهب معظم إيراداتها إلى العاملین عليها والمؤلفة قلوبهم عند العاملین في الضرائب، أو المؤلفة قلوبهم عند أصحاب المعالي في الدولة، وهذا ليس عدلاً، ولقد كنا نسمع أن أحد مديري مصلحة الضرائب كان يحصل على مئات الآلاف شهرياً من الضرائب وهذا فرق شاسع بين الضرائب وزكاة المال.

(٣) زكاة المال أكثر إيراداً من الضرائب، كيف ذلك؟

إن هناك مبالغ طائلة في البنوك ليس عليها ضرائب، ولكن عليها زكاة مال، فهناك من يملك مئات المليارات في البنوك الداخلية والخارجية، ولا يدفع عليها ضرائب، لأنها غير مستخدمة في التجارة، أما زكاة المال فسوف تُسري عليه جبراً كل عام، فمن كان يملك عشرة مليار مثلاً عليه زكاة مال قدرها اثنين ونصف في المائة يعني $10000000000 \times 2,5\% = 2500000000$ يعني مئتين وخمسين مليون، هذا عن فرد واحد يملك شركة أو مصنع مثلاً أو محلات تجارية، وهناك من يملك مائة مليار،

وهناك من يملك فوق التريليون جنيه عندنا في مصر، لكني لا أريد أن أذكر أسماء فكلها مشهورة، تحيل لو حسبنا زكاة ماله، فالتريليون معناه ألف مليار والألف الواحدة عليها خمسة وعشرين جنيهاً، يعني يجب عليه دفع خمسة وعشرين مليار جنيه هذا عن شخص، فكيف لو حسبنا الزكاة لجميع أغنياء المسلمين فلن نجد فقيراً بعد عام أو عامين من تطبيق زكاة المال.

(٤) الضرائب يتهرَّب منها الكثير؛ لأنه يعلم أن أكثر إيراداتها يذهب إلى أصحاب المعالي، وأنها فرض من قِبَل البشر، أما زكاة المال فلن يتهرب منها أحد، لأنه يعلم أنها فُرِضت من قبل رب البشر، وأنها حق لله وحده، وتصرف لأصناف معينة حددها الله سبحانه وتعالى، ويعلم أنه سيحاسبه عليها ربه جل وعلا

الأمر الثاني: تطبيق الضرائب على غير المسلمين مقابل زكاة المال المفروضة على

المسلمين، ولكن سوف تفرض الضرائب على الميسورين منهم فقط، أما الفقراء من غير المسلمين فَسَدُّ إحتياجاته على بيت مال المسلمين.

وبالتالي يكون هناك عدالة في جلب الموارد من البشر، فالمسلم يدفع زكاة المال بنسبة اثنين ونصف في المائة، إذا كان من الأغنياء وغير المسلم يدفع ضرائب لا تزيد على اثنين ونصف في المائة إذا كان من الميسورين.

وسدُّ إحتياجات جميع فقراء الدولة على حساب بيت مال الدولة سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين.

الأمر الثالث: تطبيق العدالة في توزيع موارد الدولة، والتي تتمثل في زكاة المال

والضرائب والبتروال والمناجم الذهبية (جبال الذهب)، والإيرادات العامة الأخرى مثل الموانئ والمطارات..... وغيرها من الإيرادات، فلو طبقنا العدالة في توزيع الموارد لم نجد محتاجاً بعدها أبداً.

الأمر الرابع: محاربة الإسراف والتبذير في المال العام، فلا ننفق على الحدائق الملايين، وعندنا فقراء لا يجدون الطعام، ولا ننفق الملايين على قصور الرئاسة ومساكن معالي الدولة وسياراتهم وبقاتهم التي تستنزف الكثير من إيرادات الدولة، فهناك من كان يُجهز مكتبه في وظيفته بالملايين، وهناك من كان يركب سيارة بمليون جنيه ومنهم من يُخصّص له عدة سيارات، فالإسراف والتبذير أكبر عامل في نشر الفقر وهدم الاقتصاد بسبب غياب العدالة والمساواة.

لطيفة: كان عمر بن الخطاب يلبس المرقع والرخيص وبين يديه الغالي والنفيس كما يقول القرني مع أنه رئيس لكل دول المسلمين، وذكرنا في الفصل الثاني في مبدأ العدالة أنه كان يحافظ على قطرة الزيت ليحافظ على أموال العامة.

الأمر الخامس: محاربة الاختلاسات والسرقة عامة، فلو طبّق الإسلام فسوف تُحارب الاختلاسات من الأموال العامة التي هدمت الدولة، وسوف تُحارب السرقة من المال العام مثل بيع السلع المدعمة في الأسواق الحرة.....، فقد حُرّم الفقير من حقه لذلك انتشر الفقر بين العباد، وهذا يعني بالخلاصة محاربة كل ما يدعو إلى الفقر وضعف الاقتصاد عامةً.

الأمر السادس: طاعة الله سبحانه وتعالى أولاً وأخيراً، فعلى جميعنا أن نؤمن أولاً وآخرًا أن الرزق من عند الله تعالى، ولن ننال ما عنده إلا بطاعته والخضوع إليه، فهو الذي يملك السماوات والأرض وما بينهما، والماء ينزل إلى الأرض بإذنه، والأرض تثبت الزرع بإذنه، فلو أطعناه لكثُر الرزق، وكثُر الماء، وكثُر الثمار، ولزادت البركة فأحيانًا يخرج من الثمار تالف كثير مما يقلل المعروض، وترتفع الأسعار كما يحدث في الطماطم والقمح..... والسبب هو إنعدام البركة.

فلو أطعنا الله لرزقنا من سمائه وأرضه قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ

مُتَّصِدَةً وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ) [المائدة: ٦٥، ٦٦]، (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [الأعراف: ٩٦].

وقد كان ينزل على بني إسرائيل المن والسلوى من عند الله تعالى على عهد موسى عليه السلام قال تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى) [البقرة: ٥٧]، فلما عصوا ربهم وتركوا العبادة يوم السبت غَضِبَ عَلَيْهِمُ رَبُّهُمْ وَسَخَطَهُمْ، قال تعالى: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) [البقرة: ٦٥]، (قُلْ هَلْ أَنْبَيْتُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) [المائدة: ٦٠].

فلو أطعنا الله ورضي علينا لجعل الأرض تُخْرِجُ كنوزها، ولكُنَّا أسعد الناس بطاعته، أليس من الممكن أن نكتشف الكثير من آبار البترول؟ أليس من الممكن أن نكتشف كنوزًا أخرى بخلاف المعهود عندنا اليوم؟ فإن البترول لم يكن مهمًّا ولا منتشرًا في القرون الأولى، ثم اكتشفنا أهميته في عَصَبِ الصناعة، وهكذا قد نكتشف كنزًا آخر غير البترول وأغلى منه، بقدرة الله العليم بكل شيء، والقدير على كل شيء.

خامسًا: التقدم العلمي في كل مجالات العلوم:

فالإسلام هو الذي حَثَّ على طلب العلم ونَشْرِهِ، ففي الحديث (من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة)^(١)، وفي رواية: (وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، حتى الخيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر

(١) أخرجه مسلم من رواية أبو هريرة.

الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذه بحظٍّ وافر^(١).

وفي الحديث (طلب العلم فريضة على كل مسلم)^(٢).

ولقد حذر الإسلام من كتمان العلم، ففي صحيح ابن حبان وصححه الألباني في (ص: الترغيب: ١٢١) عن عبد الله بن عمرو قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من كتم علمًا أجمه الله يوم القيامة بلجامٍ من نار).

وقال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ) [آل عمران: ١٨٧]

ونتيجةً لذلك نهض المسلمون الأوائل بالأمم، فهم الذين وضعوا الكتب في الطب والفلك والرياضيات والفيزياء والكيمياء والجغرافيا.... وهم السبب في تأسيس الحضارة الحديثة، وقد شهد بذلك علماء الغرب، ومن هؤلاء العلماء: ابن النفيس وجابر بن حيان وابن سينا والخوارزمي.... كما بيناه تفصيلاً في الفصل الرابع (خطط الأعداء لهدم الإسلام) تحت (خطة الغزو الإعلامي) وذكرنا تحت (الخطة الشاملة لاستعادة الهوية الإسلامية) كيفية التخطيط للتقدم العلمي

سادساً: الإسلام هو دين السماحة والرحمة:

فالنصراني واليهودي والمجوسي والبوذي وغيرهم الكل يمارس شعائر دينه في كنيسة أو صومعته أو دار عبادته أو في بيته ولا حرج، فلا يستطيع أحد أن يمنع أحداً من ممارسة شعائر دينه في دولة الإسلام، لأن الإسلام هو الذي قال: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) [البقرة: ٢٥٦]، (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) [الكافرون: ٦]، ولا يستطيع أحد أن يُجبر أحداً

(١) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه من رواية أبي الدرداء، وقال الألباني: حسن لغيره (ص: الترغيب: ٧٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه من رواية أنس وصححه الألباني (ص: الترغيب: ٧٢).

على الدخول في دين الإسلام (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)، ولم يَرِدْ في التاريخ الإسلامي أن هناك أحداً دخل الإسلام جبراً

فالكنائس تَظَلُّ مُؤَمَّنَةً، فلا يستطيع أحد أن يهدمها أو يخرب شيئاً فيها، بل إن المسلمين حين فتحوا بيت المقدس في فلسطين كتب عمر بن الخطاب كتاب أمانٍ للنصارى على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم، وهذا لا يجمله أحد.

كل من لا يدين بالإسلام له أن يتناول ما اعتقد إباحته في دينه، حتى ولو كان حراماً في الإسلام، ولكن لا يجوز لأحد أن يعيث بحقوق الآخرين، ثم يقول إنه مباح عندنا، فلا يجوز لهم فعل الفواحش فهي محرمة في جميع الشرائع وقد تكلمنا عن مبدأ السماحة في الإسلام في (الفصل الثاني) وتكلمنا عن حقوق غير المسلمين في الإسلام في (الفصل الرابع).

سؤال: أليس من الممكن أن تعيدنا الثياب الدينية إلى التأخر العلمي؟

الجواب من وجوه:

(١) الإسلام لم يفرض زياً معيناً بل فرض ستر العورة بثياب فضفاضة صفيقة لا تشف ولا تصف لكن الرِّيَّ الإسلامي أفضل لأنه يميز المسلم عن غيره.

(٢) التقدم العلمي ليس له علاقة بالثياب بل يكون بالاجتهاد والإلهام من الله.

(٣) المسلمون الأوائل كانوا متقدمين، وهم الذين أسسوا العلوم الحديثة، ومع ذلك كانوا متدينين جداً، بل كانوا علماء في الشريعة الإسلامية أمثال ابن النفيس وابن سينا والرازي وجابر بن حيان..... وغيرهم.

(٤) الواقع خير شاهد على بطلان هذا السؤال، فهناك دول أدهشت العالم في التقدم وهي إسلامية قولاً وفعلاً، وتلبس الثياب الإسلامية القديمة أمثال ماليزيا وباكستان وأندونيسيا وغيرها، وكلنا نعلم أن باكستان دولة نووية، وماليزيا أدهشت العالم بتقدمها العلمي في الصناعة.

أسباب الإعراض عن الدخول في الإسلام^(١)

فقد يرد علينا هذا السؤال:

إذا كان الإسلام صحيحًا وأدلة صدقه واضحة ومبادئه حسنةً ويحفظ الحقوق..... وغير ذلك، فلماذا يُمثّل المسلمون ثلث العالم فقط ولم يدخل كل الناس في الإسلام؟

ويُجاب عليه من عدة وجوه:

أولاً: العالم كله لا يجتمع على دين واحد وهذه سنة الله في خلقه قال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) (هود: ١١٨-١١٩) (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) [يونس: ٩٩]

ثانياً: الأمة الإسلامية هي أكثر الأمم عددًا مع أن الإسلام يحاربه الغرب بشراسة ومع ذلك هو أسرع الأديان انتشارًا مما يدل على أنه الحق وهذا لا يخفى إلا على الجاهل.

ثالثاً: هناك أسباب منعت الكثير من دخول الإسلام، كالجهل بحقيقته والكبرياء والعناد.... وهذا ما نتحدث عنه في السطور التالية

* بدايةً نقول إن الهداية إلى الإسلام بيد الله وحده، لأن الهداية مركزها ومقرها القلب، وحركات القلب لا إرادية، فلا تتحرك بإرادة الإنسان، وإنما تتحرك بأمر الرحيم الرحمن، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع

(١) المصادر: بعد القرآن والسنة وكتب التفاسير وشروح الحديث والسيرة

- (الإيمان حقيقته وخوارمه ونواقضه عند أهل السنة والجماعة)، د. عبد الله بن عبد الحميد.

- (الإسلام أصوله ومبادئه) للشيخ محمد بن عبد الله بن صالح السحيم،

مع مصادر أخرى فرعية ذكرناها في أثناء الكلام في صلب الموضوع.

الرحمن كقلبٍ واحد يصرفه كيف يشاء، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك^(١).

فالهداية بيد الله وحده، ولقد قرر القرآن ذلك في أكثر من موضع، ومن ذلك قوله تعالى: ، (وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) [الأنعام: ١١١]، (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) [السجدة: ١٣]، وقال تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: (لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) [البقرة: ٢٧٢] (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [القصص: ٥٦].

ومع أن الهداية بإرادة الله، فإن هناك أسباباً منعت المشركين من دخول الإسلام، والذي سبب هذه الأسباب هو الله الذي يتصرف في الكون كيف يشاء، ومن هذه الأسباب ما يلي:

السبب الأول: الجهل بحقيقة الإسلام:

فالجهل بحقيقة الإسلام ومزاياه العالية وأخلاقه السامية، وما يدعو إليه من احترام الحقوق، ومحاربة العقوق أكبر مانع من الدخول في الإسلام، وقد أوضح القرآن ذلك وقرره في أكثر من موضع، قال تعالى: (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَلَٰكِنَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ) [يونس: ٣٩]، (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) [الأنعام: ١١١]، (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [يوسف: ٤٠]، وكما قيل في المثال المشهور إن الإنسان عدو ما يجهره.

(١) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

والإسلام انتشر في معظم أرجاء المعمورة، ولكن للأسف فإن أمريكا والغرب
يتعمدان تضليل الناس عن الإسلام من خلال تصويره في الإعلام على أنه إرهاب
وتطرف وتأخر وتخلف.....، ولقد اعترف بذلك كثير من علماء الغرب الذين أسلموا كما
بيناه في خطة الغزو الإعلامي في (الفصل الرابع)

السبب الثاني: التقليد الأعمى للزعماء والأحباب والآباء:

والتقليد ينشأ عن الجهل؛ فالإنسان إذا قلّد غيره في كل شيء، فهذا يعني أنه ليس عنده قدرة على الاستنباط، فيضطر إلى التقليد الأعمى لغيره.

وهذا ما فعله معظم المكذبين لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يقلدون زعمائهم وأخلائهم وآبائهم، لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على دعوة الزعماء والملوك؛ لأنهم إن أسلموا أسلم من هم تحت أيديهم تبعاً لهم.

وسوف يندم كل من كفر تقليدًا لزعيمه قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَاْفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَصَلَّوْنَا السَّبِيلَا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ الْعَذَابِ وَالْعَنُتُمْ لَعْنَا كَبِيرًا) [الأحزاب: ٦٤-٦٨].

وقد يجبر الزعيم أو الرئيس شعبه على ملة معينة، كما فعل ملك أسبانيا حين أجبر الشعب بما فيهم المسلمين على التنصير، ومن لم يتنصر يُحرق حتى الموت، ونصب لهم محاكم التفتيش التي قضت على الملايين من المسلمين.

وكذلك الخليل يقلد خليله إرضاءً له، كما حدث مع عقبة بن أبي معيط فقد أسلم ثم كفر إرضاءً لخليله، وهي قصة مشهورة في كتب السير وصححها الألباني في (صحيح السيرة) ومضمونها أن عقبة بن أبي معيط صنع وليمة ودعا لها النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له الرسول: لا أكل من طعامك حتى تشهد أني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنطق بالشهادتين وأكل النبي صلى الله عليه وسلم، وبعدها علم بذلك أبي بن خلف صديق و خليل لعقبة، فقال له: يا عقبة أسلمت؟ فقال له: نطقت بالشهادتين تطيباً لقلب محمد حتى يأكل من طعامي، فقال له: وجهي من وجهك حرام حتى تبصق في وجه محمد، فأطاع خليله وكفر وبصق في وجه النبي صلى الله عليه وسلم، فنزل قوله تعالى: (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ

أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا
[الفرقان: ٢٧-٢٩].

والتعصب الأعمى للآباء كان موجودًا في كل أمة سابقة كما قرره القرآن فقال
تعالى: (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى
أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ) [الزخرف: ٢٣]، ولو تأملنا لوجدنا أن الصبي معذور في
تقليده لأبيه، ولكن كيف يُعذر البالغ العاقل؟

السبب الثالث: الإعراض عن سماع أدلة الإسلام:

ويكون نتيجة لما يلقيه الشيطان من وساوس في صدر المرء، حتى يُعرض عن سماع الحق كما قرره القرآن الكريم فقال: (وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهُتَدُونَ) [الزخرف: ٣٦، ٣٧].

والسَّمْعُ نعمة كبيرة لمن يستغل وظيفته في سماع الحق، وسوف يعترف الكفار يوم القيامة بأنهم أهملوا وظيفة السمع في سماع الحق كما قرره القرآن قال على لسانهم: (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ) [المملك: ١٠، ١١].

وبالتمثيل يتضح القيل والتعليل ذكر الشيخ وليد نور في كتابه (إنا كفييناك المستهزئين): أن بعض المسلمين البريطانيين يجتمعون بجوار حديقة هايد بارك في مكان يسمى (بركة الخطباء) في لندن لدعوة بني جلدتهم للإسلام وشرح مبادئه السامية، والرد على الشبهات الواهية، وفي اليوم الأول من أغسطس عام ألف وتسعمائة وثلاث وتسعين من الميلاد وقف الخطيب أبو سفيان يتكلم عن الإسلام، فقام نصراني يشوش عليه إعراضاً عن سماع الحق، ثم تناول وطعن في الإسلام ورسول الأنام، فانتقم الله منه في الحال، حيث وقع صريعاً لليدين والفم بعدما بال على نفسه، ثم خرجت الرغوة الكريهة من فمه، وحاولوا إسعافه، لكنه قُضِيَ إلى جبار السماوات والأرض، وكان أحد رجال الشرطة البريطانية يشاهد الموقف، فقال للخطيب: انتقم ربك منه في الحال، قال له: نعم، فادع روح القدس أن تعيده للحياة إن استطعتم إلى ذلك سبيلاً، فالموت والحياة بيده الله وحده.

السبب الرابع: الانشغال بالدنيا والملك عن الدخول في الإسلام:

فالذي تربح على قلبه حب الدنيا لا يُقبل على الحق أبدًا؛ لأنه يتبع هواه، وكما قيل حبك للشيء يعميك عن غيره، فحب الإنسان للدنيا والملك يجعله منغمسًا في الشهوات كالحياة البهيمية، ويعميه ذلك عن اتباع الحق مهما كانت الأدلة واضحة أمام عينيه؛ لأنه يظن أن الدين سوف يسلبه الملك والنعيم، ولو تأمل بتجرد وتمعن لوجد أن الدين لا يُحرّم النعيم، ولكن يوقف الشهوات عند الحد النافع ويمنع الإسراف والتبذير، ويدعو إلى عبادة الله العليم القدير، قال تعالى عن المعذبين يوم القيامة: {إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ} [الواقعة: ٤٥]، قال ابن كثير في (تفسيره): {أي كانوا مقبلين على لذات أنفسهم لا يلوون على ما جاءتهم به الرسل}.

وبالمثال يتضح المقال:

(١) ما حكاه القرآن عن أهل سبأ، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جِئَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ} [سبأ: ١٥-١٧] فقد كان أهل سبأ منهمكين في النعيم، فانشغلوا عن شكر الله وتوحيده وكفروا به، فبدّل الله النعمة نقمة سبحانه إنه على كل شيء قدير.

(٢) بلعم بن باعوراء، فقد كان من علماء بني إسرائيل، وبعثه موسى إلى ملك مدين يدعوه إلى الله، فأشركه ملك مدين في الملك، وأعطاه الكثير من المال، فترك دين موسى، وتبع دين ملك مدين، وفي هذا يقول القرآن الكريم: {وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ} [الأعراف: ١٧٥]، وراجع (تفسير ابن كثير لهذه الآية).

(٣) المقوقس ملك مصر، فالنبي صلى الله عليه وسلم أرسل إليه كتابًا مع حاطب بن أبي بلتعة يدعوه إلى الإسلام، فخاف المقوقس إن أسلم أن ينقلب عليه شعبه،

ويتزعموا منه المُلْك؛ لأنهم كانوا نصارى، فانشغل بالملك عن الإسلام، فعَظَّمَ كتابَ النبي صلى الله عليه وسلم، وأكرم رسوله حاطب بن أبي بلتعة، وأرسل معه هدايا للنبي صلى الله عليه وسلم، لكنه لم يُسَلِّمْ خوفاً على ملكه^(١).

(٤) هرقل ملك الروم انشغل بملكه عن الدخول في الإسلام، فقد أرسل إليه الرسول صلى الله عليه وسلم كتاباً مع دحية الكلبي يدعوه فيه إلى الإسلام، فلما قُرئَ عليه الكتاب قال: كنت أعلم أن هناك نبياً سوف يخرج، وسوف يملك موضع قدمي هاتين، ولو أستطيع أن أترك الملك لتجشمت السفر إليه، ولغسلت عن قدميه، فأرسل مع دحية الكلبي هدايا كثيرة للنبي صلى الله عليه وسلم يعبر عن صدقه له، ولكنه لم يُسَلِّمْ ولما علم بإسلام النجاشي قال: (لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع) والقصة في الصحيحين من حديث أبي سفيان بن حرب.

(٥) الكثير من القساوسة يعلمون صدق الإسلام ويرفضون الدخول فيه خوفاً من أن يتخلى عنهم أتباعهم، بل وخوفاً من أن يقتلهم عامة النصارى، لذلك بعضهم أسلم سراً ويلبس ثياب الكهنة كعادته لكنه مسلم سراً وقد أشرنا إلى ذلك في الفصل الأول بعد الكلام عن البشارات في كتابهم التي نبأت بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم حين ذكرنا بإختصار قصة إسلام القس السابق اسحاق هلال مسيحية.

(١) راجع البداية والنهاية، الرحيق المختوم.

السبب الخامس: الكبرياء في النفس:

وهو أقوى الأسباب التي تمنع قبول الحق، فالكبرياء من أي مخلوق معناه رد الحق واحتقار الخلق، ولقد صرّف الله الهداية عن المتكبرين فقال جل وعلا: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعُغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ) [الأعراف: ١٤٦].

فالمتكبر إذا سمع الحق وردّه تكبّرًا منه صرّف الله قلبه عن الهداية؛ لأنه تيقن الحق، ثم رده تكبرًا منه، وهذا ما قرره القرآن فقال: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) [النمل: ١٤] يعني تيقنوا بالحق ثم جحدوا به ظلمًا واستكبارًا، وبالمثال يتضح المقال:

(١) الشيطان الرجيم فهو أول مخلوق تكبّر وكفر بسبب كبريائه، فقد أمره الله بسجود التحية لآدم، فتكبّر وقال: أنا خير منه؛ لأنك خلقتني من النار وخلقت آدم من الطين فكفر، بسبب استكباره على أمر الله تعالى، ولقد حكى القرآن هذه القصة في أكثر من موضع منها قوله: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) [البقرة: ٣٤]، وقوله: (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَّكِبَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ) [الأعراف: ١١-١٣] ولوتأملنا في القصة لوجدنا إبليس أجهل الخلق لأنه يعلم أن الملائكة أفضل منه ومع ذلك سجدوا تحية لآدم طاعة لله ولم يتكبروا، شيء آخر وهو أن إبليس حسب المسألة خطأ فهو ظن أن النار خير من الطين والعكس صحيح لأن الطين يُستخدم في البناء والنار تُستخدم في الهداد والخراب.

(٢) فرعون وهامان وقارون استكبروا وانشغلوا بالملك عن الدخول في دين الله تعالى، مع أنهم رأوا الحجج الدامغة والبراهين الساطعة، كما حكاها القرآن فقال: (ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ فَقَالُوا أَنْتُمْ لَيْشَرِينَ مِثْلَنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ) [المؤمنون: ٤٥-٤٨]، (وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ) [العنكبوت: ٣٩].

(٣) كِسرى ملك الفرس استكبر بملكه ورفض الدخول في الإسلام، فلقد أرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم كتابًا مع عبد الله بن حذافة السهمي يدعوه فيه إلى الإسلام، فلما قُرئت عليه الرسالة اشتتاط غضبًا وتكبر، ومزق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليه وقال: (مزق الله ملكه)، فاستجاب الله لنبيه، فانهزم جيش الفرس من جيش الروم فقامت ثورة ضد كسرى وثار عليه أهل بيته، فقتله ابنه شيرويه، وأخذ الملك لنفسه^(١).

(٤) بعض كفار قريش استكبروا ورفضوا الدخول في الإسلام كما حكاها القرآن عنهم (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِيحَادَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) [فاطر: ٤٢، ٤٣].

(١) الرحيق المختوم للمباركفوري.

السبب السادس: التعالي واحتقار أهل الحق:

وهذا السبب فرع عن السبب السابق وهو الكبرياء، ويدل عليه حديث مسلم عن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الكبر بطل الحق وغمط الناس) يعني احتقارهم، لكنني لم أجعله مع السبب السابق؛ لأن المرء قد يتكبر لقوته أو لملكه.... وقد يرفض الدخول في الحق إذا علم أن السابقين إليه كانوا بالأمس أقل منه منزلةً، فإذا دخل في الحق سوف يتساوى معهم، لانه فرق في الحق بين حر وعبد ووزير وخفير، وغني وفقير.....، وبالمثال يتضح المقال:

(١) قوم نوح منهم من رفض الإيمان احتقارًا للتابعين لنوح عليه الصلاة والسلام، كما حكاه القرآن عنهم (قَالُوا أَنْزَلْنَا مِنْ لَدُنْكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ) [الشعراء: ١١١]، أي أنؤمن لك ونتساوى مع الأردلين، ثم سألوه أن يطردهم؛ ليؤمنوا به فرفض، وقال: (وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) [الشعراء: ١١٤، ١١٥]، وقال تعالى: (وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) [هود: ٢٩، ٣٠].

(٢) رؤساء قريش فقد احتقروا المؤمنين السابقين؛ لأن منهم من كان عبدًا رقيقًا، ولذلك طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يطردهم حتى يتبعه رؤساء قريش، فنزل النهي من عند رب العالمين، قال تعالى: (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) [الأنعام: ٥٢].

وفي المعجم الكبير للطبراني عن ابن مسعود قال: (مرّ الملاء من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أناس من المسلمين وصهيب وخباب، فقالوا: يا محمد أهؤلاء من الله عليهم من بيننا؟ لو طردت هؤلاء لاتبعناك، فأنزل الله عز وجل (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢) وَكَذَلِكَ فَتَنَّا

بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (الأنعام: ٥٢، ٥٣) (١).

ورواها الإمام مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص قال: (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم: اطرد هؤلاء لا يجترؤون علينا - يعني لا يجترؤون علينا إن اتبعناك - فقال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه، فأنزل الله تعالى: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ}، فهم رفضوا الإسلام؛ لأنه يأمر بالعدل والمساواة بين الأحرار والعبيد والأغنياء والفقراء والوزراء والخُفراء وقد تكلمنا عن مبدأ العدل في الإسلام في الفصل الثاني.

(١) وأخرجه أحمد في (مسنده) بلفظ قريب منه، وصححه الألباني (س: ص / ٣٢٩٧).

السبب السابع: الحسد والبغي:

فقد يرفض الرجل الحق حقاً وحسداً على أصحاب الحق، وإليك أمثلة:

(١) اليهود: فهم يعلمون جيداً أن رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم صادق في دعوته ورسالته، ولكنهم رفضوا الدخول في دينه حسداً عليه؛ لأنهم كانوا يتمنون أن يخرج آخر الرُّسل من بني إسرائيل، فإذا به يخرج من العرب، فكفروا به حسداً على العرب، وحكاه القرآن فقال: (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [البقرة: ١٠٩]، (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) [البقرة: ٨٩]، أي أن اليهود كانوا يقولون للمشركين سوف يخرج نبي آخر الزمان، وسوف تؤمن به وتتبعه فقد أظلم زمانه، وسوف نحاربكم معه، ومنتصر به عليكم، ومع ذلك لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم وجاءهم بكتاب من عند الله كما بشر به التوراة والإنجيل كفروا به حسداً عليه وعلى العرب، فلعنه الله على الظالمين الحاقدين.

واليهود هم أكثر الناس على علم بصفات النبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن وُصفه ظاهر في التوراة أكثر من الإنجيل، ومع ذلك كفروا وتكتموا على صفاته حقداً عليه وحسداً على العرب، قال تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [البقرة: ١٤٦]، وإلا فلماذا أسلم الكثير منهم مثل حبر اليهود عبدالله بن سلام وكعب الأحمق.....؟

(٢) بعض رؤساء قريش، فهناك من تبين له الحق، ولكنه كفر حسداً على النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه سوف يملك العرب، وسوف يمتد ملكه إلى مشارق الأرض ومغاربها، قال تعالى عن كفار قريش: (إِنَّهُ لِيَحْزُنَنَّكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) [الأنعام: ٣٣] وروى ابن كثير في تفسير هذه الآية

(أن أبا جهل صافح النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له رجل: ألا أراك تصافح هذا الصابئ فقال: والله إني أعلم إنه لنبي، ولكن متى كنا تبعاً لبني عبد مناف) (وأخرج هذه القصة ابن أبي حاتم بسنده إلى أبي يزيد المدني) وروى ابن إسحاق في (السيرة) أن أبا جهل قال: كنا نتنازع نحن وبنو عبد مناف في الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا حتى إذا تساوينا، قالوا: خرج منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدق، وأخرج ابن جرير الطبري في تفسيره بسنده عن السُّدِّي (أنه لما كان يوم بدر خلا الأخنس بأبي جهل وسأله أصادق محمد أم كاذب؟ فقال: ويحك والله إن محمداً لصادق وما كذب قط، ولكن إذا ذهبت بنو قُصَيِّ باللواء والسقاية والحجابه والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟ فذلك قوله: (فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) والمراد بآيات الله هو محمد صلى الله عليه وسلم).

السبب الثامن: التعلق بالمعاصي يعني تفضيل الفسق على الإيمان:

فالإنسان الذي تعلق قلبه بالمعاصي، وأصبح من الفاسقين البارزين، فهذا يرفض الدخول في الإيمان وطاعة الرحمن؛ لأنه قلبه تعلق بالفسق والعصيان، ولذلك قال تعالى: (كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) [يونس: ٣٣]، وكما قيل حب الإنسان للشيء يعميه عن غيره فالكافر الذي يعشق المخدرات والمسكرات والفواحش، فمثل هذا يصعب عليه أن يترك ما شغفه قلبه، ويدخل في الإسلام، لأنه يعلم أن الإسلام يُحرّم المخدرات والفواحش والمسكرات.

والذي يزين الفسق والكفر للإنسان هو الشيطان، والكل يقع بإذن الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: (تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ وَرَثَتُهُمُ الْيَوْمَ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [النحل: ٦٣]، وكما قال الهدهد عن بلقيس وقومها وحكاه القرآن الكريم (وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) [النمل: ٢٤]، وقال تعالى عما فعله الشيطان مع المنافقين (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) [المجادلة: ١٩].

والشيطان لا يملك من الإنسان إلا إذا كان كثير البعد عن الله منشغلاً بالفسق وإذا أطاع الإنسان الشيطان تملك منه الشيطان، قال تعالى: (وَمَنْ يَعُشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ) [الزخرف: ٣٦، ٣٧]، وأسوأ قرين للإنسان هو الشيطان قال تعالى: (وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا) [النساء: ٣٨]، (وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا أُولَٰئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا) [النساء: ١١٩-١٢١].

وسوف يتبرأ الشيطان من أتباعه قال تعالى: (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) [الحشر: ١٦].

وبالتمثيل يتضح التعليل:

(١) قوم لوط كانوا أصحاب رذيلة وهي اللواط في الرجال، فاستحبوا الفسق على الهداية، فكفروا بسيدنا لوط، فقلب الله قريتهم وأمطر عليهم الحجارة قال تعالى: (فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) [الحجر: ٧٤].

(٢) بعض قبائل العرب رفضوا الإسلام؛ لأنه يُحرِّم الخمر والفواحش والربا، والإسلام يُحرِّم ذلك عليهم ومن تأخر إسلامهم بسبب حب الخمر والفواحش وأكل الربا، ثقيفٌ، فقد كانوا يتشاورون فيما بينهم كيف يدخلون الإسلام، وهو يُحرِّم الخمر والفواحش والربا، ثم أسلموا؛ لأنهم لا يستطيعون مواجهة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه^(١).

(٣) لذلك ثمود قوم صالح استحبوا الضلال على الهدى وكفروا فعاقبهم الله تعالى كما حكاها القرآن: (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ الْعَذَابُ الْهَوْنِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (فصلت: ١٧)

(١) راجع الرحيق المختوم ص ٤٤٤.

السبب التاسع: العناد:

فقد يعلم الإنسان بصدق أدلة الحق، ولكنه يُعاند، وبالمثال يتضح المقال:

(١) النمرود الذي ادعى الألوهية وناظرة سيدنا إبراهيم وأفحمه بالأدلة القوية حين قال له: إذا كنت إلهًا حقًا، فالإله يتحكم في مخلوقاته، فأت بالشمس من المغرب إذا كنت تتحكم في الكون، فُبهِت ولم تستطع ردًا، ومع ذلك كابر وعاند، ولقد سجل القرآن المناظرة قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [البقرة: ٢٥٨].

ولما كابر وعاند وادعى الألوهية مع ظهور البراهين القوية والحجج الباهرة الساطعة بعث الله عليه ذبابة دخلت في أذنه، فكانت كلما تحركت يفزع ويحدث له صداع لا يهدأ منه إلا إذا ضُربَ بالقَبَاقِبِ - نعال من الخشب - على رأسه حتى يهدأ هكذا خذله الله أمام رعيته جعله يُضْرَبُ بنعال رعيته نكالًا له على عناده.

(٢) بعض كفار قريش، فلقد ظهرت لهم كل البراهين الواضحة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن عاندوا، ومن ذلك أنهم سألوه آية تدل على صدقه، فأراهم الله القمر منشقًا شقين وبينهما جبل حِراءَ يعني ظهر لهم جليًا أن القمر مشقوقًا، وهذا لا يقدر عليه أحدٌ سوى الله الخالق لكل شيء، ثم سألو القاديين من السفر، فقالوا لهم: رأينا القمر منشقًا نصفين، فشهد المسافرون بذلك أيضًا، ومع ذلك عاندوا وقالوا: لقد بلغ سحر محمد عنان السماء، وسجل القرآن هذه الآية فقال: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّرٍ مُسْتَقِرٌّ) [القمر: ١-٣].

وهذه الحادثة المذكورة في أحاديث متواترة، وثبت الإعجاز العلمي في ذلك، راجع (التأييد بالمعجزات) في الفصل الأول.

(٣) القساوسة وأحبار اليهود فهم يعلمون يقيناً صدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم في دعوته وأن البشارات به موجودة في العهد القديم والجديد، ولقد أسلم كثير منهم واعترف بذلك مثل: القس السابق وأستاذ اللاهوت إبراهيم خليل، القس السابق إسحاق هلال مسيحة، الحاخام اليهودي يوسف خطاب، ليوبولد فايس يهودي متبحر في علوم اليهود، راجع كتاب (رحلة مع رجال ونساء أسلموا).

السبب العاشر: حصر الإيـان فيما يتعلق بالمادة فقط:

وهذا ما يفعله الغرب ومن نحا نحوهم من بلاد الكفر فهم لا يؤمنون إلا بالمحسوس أو بكل ما يتعلق بالمادة فقط، فلا يؤمنون بالرسـل ولا بالملائكة؛ لأنهم لا يحسسون بالملائكة، ولا يرونهم ولا يسمعونهم لذلك لا يؤمنون بهم.

وهذا يعني أنهم حصروا العلوم في كل ما يمكن إدراكه بالحس فقط، وهذه فتنة في ثوب شبهة، ولكنها شبهة واهية، بل أوهن من بيوت العنكبوت، ولقد حكى القرآن عن أمثالهم من الكفار، قال تعالى: (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) [غافر: ٨٣].

وأقولها صراحة: هم أول من نقضوا قولهم فهم لا يؤمنون إلا بالمحسوس، ومع ذلك آمنوا بما لا يمكن إدراكه بالحس كالجاذبية الأرضية وهذا عين الانتكاس قسماً برب الناس، فالجاذبية الأرضية لا تُدرك بالحس، ولكن تم إستنباطها بعد الدراسة العميقة، وإلا فإن هذه المعلومة لم تُعرف في العصور الأولى، وكذلك طبقة الغلاف الجوي،.... راجع التمهيد في أول الكتاب.

والأدلة على وجود الله ووحدانيته وتجل عن الإحصاء والاستقصاء، وكلها أدلة واضحة جلية وأجلى من الشمس في ضحاها كما بيناه في التمهيد في أول الكتاب، أيضاً أدلة ثبوت الإسلام وصدق سيد الأنام كثيرة، ولكنهم يتغافلون عنها عناداً ومحاربة للدين وتضليلاً لاتباعهم الجاهلين، ولو لم يكن من أدلة الإسلام سوى الإعجاز العلمي للقرآن الكريم لكفى، فكيف وأدلة ثبوت الإسلام بحر لا ساحل له (وقد تكلمنا تفصيلاً في الفصل الأول).

والغرب ومن نحا نحوهم يظنون أن الإنسان خلق للحياة فقط، فلا تكليف ولا حساب ولا عتاب ولا عذاب، وهذا ما ظنّه المشركون على مدار العصور والقرون كما حكاه القرآن عنهم (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا

هُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) [الجاثية: ٢٤]، (إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) [المؤمنون: ٣٧].

فكذلك الغربيون الهاديون يظنون أن الإنسان وُجد للحياة فقط، فلا مبعث له بعد الموت ولا حساب عليه ولا عتاب، ولذلك أطلقوا شهواتهم، حتى هبطوا إلى الحياة البهيمية السَّبُعِيَّة، فهم مزبلة التاريخ وفي عَيْهِمْ يعمهون وفي ضلالهم يترددون ولم ولن ينالوا الحياة الرضية والمعيشة الهنية إلا إذا دخلوا في دين رب البرية، وآمنوا بسيد البشرية محمد صلى الله عليه وسلم.

ولقد أسلم الكثير من علماء الغرب اتباعًا للحق وكما قال القرآن: (قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) [يونس: ٣٥]، ومن هؤلاء:

الأديب الفرنسي فانسان مونتيه، أستاذ الرياضيات الأمريكي جفري لانج، البروفسور البريطاني آرثر اليسون، البروفسور الألهماني الفريد كرونير، وغيرهم كثير، ومن أراد الإستزادة فليراجع كتاب (رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا).

عاقبة الكفر وترك الإيمان^(١)

إن الدخول في الإسلام والإيمان بالله ورُسُلِهِ وإِتباعَ شريعة النبي الخاتم محمد (صلى الله عليه وسلم) نعمة كبيرة من رفضها فقد باء بالخسران في الدنيا والآخرة، وسوف يعاقبه الله تعالى بعدة عقوبات منها ما يلي:

أولاً: الشعور بالخوف وعدم الأمان:

فالله سبحانه وتعالى جعل الأمان والأمان لعباده الموحدين، وجعل الخوف على الذين يكفرون به، فقال سبحانه وتعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) [الأنعام: ٨٢]، وبالمفهوم المخالف فإن من ترك الإيمان ليس له الأمان، بل له الخوف دائماً، فلا يشعر بالأطمئنان أبداً، ولقد قرر القرآن ذلك فقال: (سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ) [آل عمران: ١٥١] ولذلك اتسعت سوق التأمين على النفس والممتلكات، والسبب عدم الشعور بالأمان.

ولقد وعد الله الكافرين بالمصائب دائماً قال تعالى: (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) [الرعد: ٣١].

لذلك نشاهد على أرض الواقع بلاد الكفر كاليابان وأمريكا والفلبين والصين والهند وروسيا وتايلاند والدنمارك..... تتعرض بين الحين والآخر للزلازل والبراكين والتسونامي..... مما يسبب الكوارث والدمار هم بل إن التسونامي في أمريكا يدمر ولايات بأكملها، ويدمر مناطق بأكملها في اليابان ومثله في الهند والصين وتايلاند

(١) المصدر الأساسي (الإسلام أصوله ومبادئه) د. محمد بن عبد الله بن صالح السحيم ص ٢١٧-٢٢٧، وقمت بالشرح والتحليل ومعه مصادر أخرى فرعية تجدها في ثنايا البحث.

وغيرها من دول الكفر، والسبب هو أنهم كفروا بالله، قال تعالى: (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُجْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ) [الملك: ١٦].

وسبحان الله قد تحدث الزلزال في بعض البلاد الإسلامية بنفس الدرجة التي تحدث في بلاد الكفر، بسبب كثرة معاصي المسلمين، ومع ذلك لا تكون الآثار كما في بلاد الكفر، فتجد الضحايا والمصابين أقل بكثير جداً عما في دول الكفر، والله الحمد والمنة، وفي ذلك يقول تعالى: (أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) [النحل: ٤٥-٤٧].

وهناك بلاد إسلامية لا تقع فيها الكوارث أصلاً مثل مكة والمدينة، والسبب هو وجود الحرمين، وخاصة مكة لوجود الحرم الشريف، فالسيل ينزل سنوياً في السعودية، ولكن لا تحدث كوارث في بلاد الحرمين مكة والمدينة، قال تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَفَتُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ) [العنكبوت: ٦٧]، فالأمن والأمان من الله الرحيم الرحمن، وما عند الله لا ينال إلا بطاعته، فلن ينال الكافر الأمن أبداً حتى يؤمن بالله وحده.

ثانياً: المعيشة الضنك:

فالمسلم وحده هو الذي يشعر بالطمأنينة القلبية بسبب إيمانه بالله، قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد: ٢٨]، حتى ولو كان المسلم فقيراً، فهو ينام ويستيقظ مطمئن القلب هادئ النفس، لأن القلب لا يملكه أحد سوى الله، فإذا أسلم المرء وآمن بالله ملاً قلبه طمأنينة، وجعل غناه في نفسه، قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [النحل: ٩٧].

أما الكافر فيتجرع المعيشة الضنك مهما كان ثرياً، ومهما ملك من متاع الدنيا، فإنه يشعر بضيق النفس والأرق، ولذلك فإن كثيراً من الأثرياء الكفرة والفجرة لا ينامون إلا

بعد تناول المخدر، فلا يتذوقون طعم النوم الهادئ ولا الحياة المهنية والمعيشة الرضية والطمأنينة القلبية، لأن الله توعدهم بذلك فقال: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) [طه: ١٢٤].

والواقع خير شاهد فأكثر المنتحرين في بلاد الكفر والسبب هو اليأس والإحباط، مع أنهم في غنى فاحش، يملكون جميع وسائل الرفاهية، بل يسافرون إلى شتى البلدان من أجل استمتاع الأبدان، ومع ذلك يتتحرون؛ لأنهم لم يجدوا السعادة الحقيقية والراحة النفسية، ففي أمريكا يتحر سنويًا أكثر من ثلاثين ألف شخص، ومثله في فرنسا وإنجلترا، وسويسرا والسويد وإيطاليا وغيرها من بلاد الكفر، وهنا نتذكر قول سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم: (ليس الغنى عن كثرة العَرَضِ، ولكن الغنى غنى النفس)^(١)، فهو لاء من أغنى الناس، ويُقبلون على الانتحار بسبب ضيق النفس والأرق، وهذا ما قرره القرآن الكريم (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتْنَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) [الأنعام: ١٢٥].

وجدير بالذكر أن هذه الآية فيها إعجاز علمي لم يُكتشف إلا في القرن العشرين فالآية شَبَّهت ضيق الصدر وهو الإختناق بالصعود بشدة إلى الأفق ولاحظ أن كلمة (يَصْعَدُ) مُشَدَّدَةٌ وهذا يعني أن الصعود بشدة يعني بمسافات بعيدة يُسبب الإختناق وهذا ما أثبتته علماء الفلك وتحقق منه علماء الفضاء والسبب هو أن الأكسجين يقل كلما صعدا إلى الأفق حتى ينعدم تماماً ولذلك فإن رواد الفضاء يأخذون معهم أنابيب الأكسجين لإنعدامه على القمر.

والكفار دائماً يسعون لتغذية الجسد، ولم يفكروا أبداً في غذاء الروح وهو الإيثار بخالق الروح، وصدق من قال:

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة.

يا خدام الجسم كم تسعم، لخدمته أتعبت نفسك فيما فيه جسم ان
أقبل على الروح واستكمل فضائلها فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

فشتان بين المسلم الفقير الذي يجد الراحة النفسية لإيمانه وتوكله على رب البرية وبين الكافر الفاجر الغني غني مُزَيَّف، وهو الهال فقط، وليس عنده غنى في نفسه، وهو الغنى الحقيقي، ولقد فرَّق القرآن بينهما فقال: (أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الأنعام: ١٢٢]، فالكافر يعيش في الظلمات والنور أمامه كالخفاش لا يرى والنور حوله ساطع، ولقد صدق الدكتور علي القرني حين قال: (الحديد إذا لم يُستعمل غشيه الصدأ، فكذلك القلب إذا عَطَّلَ عن الإيمان بالله وحبه وذكره غلبه الجهل والهوى حتى يميته ويهلكه، فلا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا)^(١).

ثالثًا: يعيش ظالمًا لنفسه ولغيره:

* فيظلم نفسه بأمر منها:

(١) يُؤذي نفسه بتناول الخبائث التي حرمها الإسلام كالخمور والمخدرات والتدخين..... وكل هذا ثبت ضرره، وكذلك يفعل الفواحش بجميع أنواعها كما هو معروف في بلاد الكفر لذلك انتشر عندهم أخطر الأمراض كالإيدز والسيلان..... وكذلك يأكل لحوم الخنازير وقد ثبت ضررها فإنها تُسببُ الدودة الشريطية وأمراض خبيثة أخرى، ولقد سبقهم القرآن إلى أبعد من ذلك فقال: (قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ) [الأنعام: ١٤٥] ومعنى رِجْسٍ أي نجس.

وثبت علميا أن معظم بول الخنزير يتصرف في لحمه يعني لحمه مُشَبَّعٌ بالنجاسة وهذا من الإعجاز العلمي في القرآن لأنه سبق العلم الحديث في إثباتها بقرون كثيرة، وقد

(١) نقلته بتصرف من (محاضرات وخطب) د. علي القرني.

وصدق الإسلام حين أجمل وقال: (وَيُحِلُّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) [الأعراف: ١٥٧]

ملحوظة: لحم الخنزير محرم في شريعة اليهود وشريعة النصارى أنظر (سفر أشعياء: ٥-٢/٦٥) (سفر اللاويين: ١١/٧-٨) (انجيل متى: ١٥/١٧-٢٠) لكن للأسف النصارى واليهود لا يلتزمون بذلك أما المسلمون فيلتزمون بتحريمه ويتعدون عنه ومن ثم تعلم أن المسلمين هم أشد إتباعا لتعاليم الرسل من غيرهم.

جدير بالذكر أن كتاب اليهود قال عن لحم الخنزير بأنه نجس لكن المقصود من الكلمة التحريم وليس الوصف بدليل أن قال عن الجمل والأرنب كذلك أيضا فقال في (اللاويين: ١١/٥-٧) (الا هذه فلا تاكلوها مما يجتر و مما يشق الظلف الجمل) لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفا فهو نجس لكم والوبر لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفا فهو نجس لكم والارنب لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفا فهو نجس لكم والخنزير لأنه يشق ظلفا و يقسمه ظلفين لكنه لا يجتر فهو نجس لكم) فقال: نجس لكم ولم يعمم اللفظ ، يعني حرام عليكم، فليس لأحد أن يقول فيه إعجاز علمي وإلا فإن الجمل ليس بنجس والأرنب ليس بنجس، أما القران فذكر لحم الخنزير ضمن عدة محرمات ثم خصص الخنزير فقط بالنجاسة يعني حرّمه ثم وصفه بالنجاسة.

(٢) يُحَرِّمُ نَفْسَهُ مِنَ الطَّهَارَةِ

* فالمسلم يحرص على الختان وهذه طهارة للجسد من البول المتجمع تحت القلفة وهذا لا يخفى على أحد، وأما الكفار فلا يختنون.

وجدير بالذكر أن الختان موجود في شريعة اليهود والنصارى لكن الأغلبية العظمى منهم لا يلتزمون بذلك ففي (التكوين: ١٧/١٠-١٤) أوصى الله إبراهيم بختان كل ذكر ومن لم يفعل يقتل لأنه نكث عهد الله.

والمسيح اختتن في اليوم الثامن كما في (لوقا: ٢/٢١) وابن سيدنا زكريا اختتن كما في (لوقا: ١/٥٩) وراجع (سفر أعمال الرسل: ٨/٧)، (أعمال الرسل: ٣/١٦)

* والمسلم يتوضأ خمس مرات والوضوء يجعل المسلم نظيفاً دائماً، ففي الوضوء يغسل فمه وأنفه ويغسل وجهه كله ويمسح بالماء أذنه وشعره ويغسل يده إلى مرفقيه ورجليه حتى الكعبين، كل ذلك خمس مرات في اليوم، أما الكافر فيغسل وجهه مرة واحدة في اليوم حين يستيقظ من النوم وهذا يعني أن قَدَمَ المسلم أطهر من وجه الكافر.

* كذلك يغتسل المسلم بعد كل جنابة ويغتسل كل جمعة، أما الكافر فلا يعرف الغسل من الجنابة أصلاً لذلك فهو نجس بكل ما تحمله الكلمة من معاني.

* كذلك الأواني أحياناً تحتاج إلى طهارة خاصة لا يعرفها سوى المسلم مثل الإناء الذي شرب فيه الكلب، فالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) نص على أن يُغسل الإناء في هذه الحالة سبع مرات وإحداهن بالتراب، وقد ثبت صحة ذلك علمياً فقد قام بعض علماء الغرب بغسل الإناء بعد أن شرب فيه الكلب فغسلوه بالماء فقط، ثم وضعوه تحت المجهر، فتبين وجود الميكروبات، فغسلوه بالتراب والماء، ثم قاموا بالفحص فلم يجدوا الميكروبات، فهذا حكم من أحكام الإسلام ثبت صحته علمياً، وهذا إعجاز علمي في السنة فيا ليتى الذين ينكرون السنة يتنبهون.

* وأقول هنا ملحوظة: التراب مطهر مع الماء، لأنهما السبب في وجود الكائن الحي فكل كائن حي في الأرض خلقه الله من الطين؛ والطين تراب وماء.

(٣) يُحْرَمُ نَفْسَهُ مِنَ الْبَرَكَةِ، فلا يجد البركة في طعامه ولا في شرابه ولا في جسده، فيأكل كثيراً ولا يشعر بالشبع كالمؤمن، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رجلاً كان يأكل كثيراً فأسلم فأكل قليلاً فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: (إن المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء)، وعند مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضافه ضيفاً وهو كافر، فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فحلبت فشرب حلابها، ثم أخرى فشربه، ثم أخرى فشربه، حتى شرب حلاب سبع شياة، ثم أصبح فأسلم فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فشرب

حلابها، ثم أمر أخرى فلم يستتمها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المؤمن يشرب في معي واحد والكافر يشرب في سبعة أمعاء).

(٤) ويحرم نفسه من التكريم بعد الموت، فالمسلمون يُكرمون موتاهم بالغسل والتكفين والتطيب والصلاة عليهم، والدفن برفقٍ وتكريم، أما الكفار فلا يعرفون حرمةً لموتاهم لذلك نجد منهم من يحرق الموتى كما في الهند، ومنهم من يدفن الموتى بلا أدنى تكريم، والحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة.

(٥) يُعذب نفسه في الآخرة، بسبب كفره بالله لذلك سيحُدد في النار، ويُجرم نفسه من لذة النظر إلى وجه الله الكريم، وهي أعظم لذة في الوجود أسأله تعالى أن يكتبها لجميع المؤمنين.

* والكافر يظلم غيره:

وذلك لأنه لا يعرف حقاً لغيره إلا ما قرره اللوائح القانونية، وهي كلها دساتير وضعها البشر، فهي تحمل الخطأ والسيان، ولا تعرف المصلحة الحقيقية للإنسان، فهذه الدساتير نسيت حقوقاً كثيرة قد تكلم عنها الإسلام، ومن ذلك حفظ الغير بالغيب، فلا يجوز لأحد أن يغتاب أحداً فيذكره بما يكرهه وهو غائب، حتى ولو كانت الصفة فيه، والحفظ بالغيب حق من حقوق الإنسان التي لم تنص عليها الدساتير الوضعية، ونص عليه الإسلام، لأنها نزلت من عند من لا يضل ولا ينسى، ولذلك تجد الكافر يقع في عرض الآخرين بالذم والقدح، ويقع في الفواحش، فالكافر ينتهك الأعراض بلا رادع، لأنه ليس على خُلُقٍ قويم أو نظامٍ حكيم.

وكذلك يسعى الكافر فساداً في الأرض بلا رادع، بل يتجرأ على انتهاك حرمة النفس، فيزهق روح غيره لغياب الزاجر عن ذلك في بلاد الكفر، ولأنه لا يؤمن بالبعث والحساب، ومن ثم يتأكد لديك أن الكفر والشرك أعظم ظلم في الوجود قال تعالى: (إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) [لقمان: ١٣]

* وبالمثال يتضح المقال ذكر صاحب كتاب (الإسلام يتحدى) مثلاً فقال: (أصدر البرلمان السيلاني قانوناً سنة ١٩٥٦ يُجرّم القصاص في حدود سيلان، فارتفعت نسبة جرائم القتل ارتفاعاً مخيفاً بعد صدور هذا القانون، ولم يستيقظ السيلانيون من سباتهم إلا يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٥٩ عندما تسلل رجل مسلح داخل منزل رئيس الوزراء بندرانريكا وقتله بكل جرأة في غرفته، فكان أول ما فعله أعضاء البرلمان السيلاني بعد دفن رئيس الوزراء المأسوف عليه أن عقدوا جلسة طارئة استغرقت أربع ساعات، أعلنوا عند ختامها أن سيلان قررت إلغاء القانون وإصدار قانون جديد بتشريع القصاص)^(١).

رابعاً: يعيش جاهلاً بكثيرٍ من الحقائق:

فالكفر أعظم جهل في الوجود؛ لأن الكافر يجهل ما هو أوضح من الشمس في ضحاها وأجل من النهار إذا جلاها، ألا وهو وجود الخالق الرازق الحكيم، فالكافر أجهل الجهلاء؛ لأنه يتبع الأهواء، ويترك دين رب الأرض والسماء.

والكافر يجهل العديد من الحقائق التي يعرفها المسلم القارئ للقرآن والسنة النبوية، فهناك العديد من الحقائق التي توصل إليها علماء الغرب بعد دراسة مكثفة وذات تكلفة، وفي النهاية وجدوها مذكورة في القرآن والسنة النبوية الشريفة، وقد ذكرت أمثلة كثيرة في الفصل الأول (الأدلة الجلية على صدق خير البرية) حين تكلمنا عن إعجاز القرآن، ثم إعجاز السنة النبوية، ونضيف هناك بعض الأمثلة للإستمتاع، ولمعرفة أهمية الإيمان والدخول في الإسلام:

(١) أجهزة الإحساس تحت الجلد

فقد تضاربت أقوال العلماء قديماً حول مكان أجهزة الإحساس في جسم الإنسان، وبعد دراساتٍ استمرت عقود اكتشف علماء الطب أن جهاز الإحساس تحت الجلد،

(١) (الإسلام يتحدى) ص ٢٠٠، وحيد الدين خان ترجمة ظفر الدين خان، مراجعة وتقديم د.

عبد الصبور شاهين دكتور بجامعة الأزهر (مصر).

وبعدها أندھشوا لأن القرآن قرر ذلك قبلهم بأربعة عشر قرناً، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كُلًّا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) [النساء: ٥٦]

*ولذلك أسلم د. تاجات تاجس، وهو عالم تشريح تايلندي، ومن أكبر علماء التشريح في العالم، فقد أندھش من إثبات هذه الحقيقة العلمية في القرآن مع أنه نزل على نبي أمي وفي وسط أميين، وهذه الحقيقة لم تعرف إلا في القرن العشرين، فهذا دليل واضح على أنه نزل من عند علام الغيوب، فأسلم وأعلن إسلامه^(١)

(٢) السرعة الهائلة

كلنا نعلم أن أسرع شيء عرفه علماء الفيزياء هو الضوء، وهذا لم يعرف إلا في القرن العشرين، وتأمل ماذا حدث؟ يقول د. زغلول النجار: دُعينا إلى مؤتمرٍ في موسكو عاصمة الكفر، فذهبنا وفي أثناء استعراض الآيات الكونية وخاصة عند قوله تعالى: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) [السجدة: ٥]، وقف أحد علماء المسلمين كان معنا وقال: المراد من السنة في الآية السنة القمرية؛ لأن العرب لا يعرفون السنة الشمسية وهو قال: (مِمَّا تَعُدُّونَ)، والسنة القمرية اثنا عشر شهراً، ومدة الشهر القمري يبلغ ٤, ٢ بليون كيلومتر فيضرب في ١٢ شهر، ثم في ألف سنة، ثم نقسم الناتج على ٢٤ ساعة مدة اليوم، ثم نقسم على ستين دقيقة، ثم نقسم على ستين ثانية، فتوصل إلى سرعة أعلى من سرعة الضوء، فقام عالم روسي في علم الفيزياء، وقال: كنت أظنني قبل هذا المؤتمر من البارزين في علم الفيزياء، وخاصة في الضوء، فإذا بعلم أكبر من علمي بكثير، فأسلم وأعلن إسلامه، وأسلم الكثير من علماء الروس بعد إذاعة هذا المؤتمر^(٢).

(١) راجع قصة إسلامه في كتاب (رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا).

(٢) راجع القصة في (رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا) ص ١٩٨.

(٣) التحلل إلى حجارة وحديد بعد آلاف السنين، فلقد اكتشف علماء التشريح والآثار في مطلع القرن الحادي والعشرين أن بعض الأجسام تحللت إلى حجارة، وأخرى إلى حديد، والتي دُفنت منذ آلاف من السنين، وهذا كله قرره القرآن حين تعجب الكفار من الإعادة بعد الممات فقال تعالى: (وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا) [الإسراء: ٤٩-٥١].

(٤) الغذاء المناسب للحامل

فلقد أرشد القرآن إلى الغذاء المناسب للحامل، وخاصة في الأشهر الأخيرة حيث قال: (وَهَزِّيْ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكِ رُطْبًا جَنِيًّا) [مريم: ٢٥]، واكتشف الأطباء أن الحامل تعاني في الأشهر الأخيرة من الأنيميا، وتحتاج إلى غذاء مكثف لها وللجنين، ووجدوا أن البلح الرطب أو التمر يحتوي على نسبة كبيرة من الحديد، وهو سهل الهضم فلا تتقيأه الحامل، لذلك يُوصون الحامل بتناول التمر والعسل الأسود في الأشهر الأخيرة، حتى يتم تعويضها عما تفقده أثناء الولادة بسبب الطلق.

ولا ننسى أن أي امرأة تلد في المستشفى يتم عمل جلوكوز لها، وهذا لم يكن موجوداً في الأزمنة الأولى، لذلك أرشد الله تعالى السيدة مريم إلى تناول البلح.

(٥) السماوات والأرض كانتا كتلة واحدة

فلقد قام العلماء بعدة دراسات لاكتشاف بداية الكون، وظلت الدراسات طوال عدة قرون حتى استقروا على دراسة قام بها د. جاري ميلر، وهو عالم كندي أثبت أن السماوات والأرض كانتا كتلة واحدة، ثم حدث انفجار وتكونت الأجرام السماوية بما فيها المجموعة الشمسية... ولقد حصل على جائزة نوبل بسبب نظريته هذه، وبعدها اندهش حين علم أن القرآن الكريم قرر ذلك منذ بضعة عشر قرناً، فقال تعالى: (أَوَلَمْ يَرَ

الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) [الأنبياء: ٣٠]، فأسلم د. جاري ميلر، وصار من دعاة الإسلام اليوم.

خامسًا: الخزي في الدنيا والنار في الآخرة:

** فالكافر يُجزيه في الدنيا، ويُدخله النار في الآخرة قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلْيًا وَلَا نَصِيرًا) [الأحزاب: ٦٤]، وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ) [البينة: ٦]، (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) [التغابن: ١٠]

وكذلك المنافق الذي يتظاهر أنه من المسلمين وهو عميل لأعدائهم يدخل في قعر جهنم قال تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ نَصِيرًا) [النساء: ١٤٥]

سؤال هام جدًا جدًا: غير المسلم إذا تصدق كثيرا وفعل كثيرا من الطاعات لكنه غير مسلم فلماذا يدخل النار؟

الجواب: إنه يدخل النار لأنه ترك الأساس الذي يُبنى عليه الطاعات وهو الإيمان بالله ورسله وملائكته وكتبه وبالبعث والحساب والجنة والنار.... فكل ما بني على باطل فهو باطل، فكيف يرضى الله عن الذي عانده ولم يؤمن بكل رسله وأنبياؤه، فاليهود يؤمنون أن لهم الجنة لأنهم آمنوا بموسى مع أنهم كفروا بعيسى ومحمد، والنصارى يؤمنون بأن لهم الجنة لأنهم آمنوا بعيسى مع أنهم كفروا بمحمد، أما المسلمون فقد آمنوا بكل الرسل والأنبياء من أول آدم إلى محمد بما فيهم موسى وعيسى فهم الأولى بالجنة كما هو ظاهر.

شيء آخر الدنيا دار مذاكرة وإمتحان والآخرة فيها النتيجة النهائية، وهناك مواد أساسية للنجاح ومنها الإيمان بكل الأنبياء وإلَّا رَسَبَ العبد في الإمتحان، ففي الواقع

العملي نرى في بعض الجامعات تشترط لقبول الطالب لديها ان يحصل على مجموع معين في المواد الأساسية الخاصة بها فالطب مثلاً يشترط مجموعاً معيناً في المواد العلمية كالأحياء والكيمياء... فكذلك النجاح في الآخرة يتطلب اجتياز المواد الأساسية وهي الإيثار بالله وجميع رسله وكتبه وملائكته....

*** أما المسلم المتمسك بدينه ينصره الله ويُرَكِّيه في الدنيا، ويُدْخِلُهُ في الآخرة الجنة برحمته سبحانه وتعالى كما قال: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا...) [النساء: ٥٧].

فالبُشْرَى دائماً للمسلم الذي ثبت على دينه حتى الممات قال تعالى: (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التغابن: ٩]، (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ) [البينة: ٧، ٨].

* والتاريخ خير شاهد فلو قرأت تاريخ المسلمين الأوائل في العصور الأولى للإسلام لوجدت أن الله نصرهم على عدوهم نصرًا مؤزرًا على الرغم من أن العدو كان أكثر عددًا وعتادًا ولكن الله منح المسلمين أكتاف أعدائهم لأن المسلمين كانوا متمسكين بدينهم ومعتصمين بكتاب ربهم وسنة نبيهم، فنصرهم كما وعدهم فقد فقال: (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) [الروم: ٤٧].

سؤال يفرض نفسه: لماذا يُهزم المسلمون اليوم كما في فلسطين والعراق

وأفغانستان...؟

السبب واضح جداً وهو تَشْرُدُّمُ المسلمين، وَتَشَّتُّ كَلِمَتِهِمْ، وافتراقُ صفوفِهِمْ، واختلافُ أهدافِهِمْ وأرائِهِمْ، وخيانتُهُ الكثير من حُكَّامِهِمْ وابتعادهم عن الجماعة والوحدة والاتحاد، فمنهم العميل الخائن الذي انسلخ عن دينه وأصبح يخدم الأعداء مقابل مصالح شخصية، ولو فَتَّشْتَ في حرب إسرائيل ضد فلسطين ومصر وحرب أمريكا ضد

العراق وأفغانستان لوجدت أن السبب وراء هزيمة هذه الدول هو خيانة بعض المسلمين المتأسلمين فهم مسلمون بالبطاقة فقط، وهم في الحقيقة عملاء لليهود، وهذا كفر كما سنوضحه في نواقض الإسلام.

ولن نتصر إلا بعد العودة إلى كتاب الله وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وتتحقق شروط النصر وهي المذكورة في قوله تعالى: (وَلَيُنْصِرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِذْ مَكَنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) [الحج: ٤٠-٤١].

بحث هام في نواقض الإسلام^(١)

هذا الموضوع هام جداً وحساس للغاية لذلك يجب على كل مسلم أن يدرسه ولكن على يد مسلم درس العقيدة الإسلامية جيداً حتى تصل الصورة صحيحةً وتامةً فلا يقرأه العوام حتى لا يقعوا في الفهم الجسيم والخطأ العظيم وقد ذكرت في آخر البحث ضوابط مهمة له.

وبعد: فإن هناك من يدخل الإسلام ثم يخرج منه دون أن يعلم بسبب جهله بنواقض الإسلام وسوف يتضح لك ذلك في السطور التالية، وقبل كل شيء نتعرف على معنى نواقض الإسلام.

* النواقض جمع ناقض وهو الهدم والبطلان والفساد كنواقض الوضوء أي مفسداته، وقال تعالى: (كَأَلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلُهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَأَتْ) [النحل: ٩٢]، يعني أفسدته وأبطلته.

* فيكون معنى نواقض الإسلام بطلان إسلام الرجل وهدمه، ونواقض الإسلام هي نواقض الإيمان؛ لأن الإسلام يطلق على الإيمان والعكس ولا يُفَرَّقُ بينهما إلا في الكلام عن المراتب، فيفرق بين الإحسان والإيمان والإسلام.

(١) المصادر: بعد القران وكتب التفاسير والسنة

- ١- الإعلام بتوضيح نواقض الإسلام للشيخ عبد العزيز بن مرزوق الطريفي.
 - ٢- شرح نواقض الإسلام للعلامة عبد العزيز بن عبد الله الراجحي.
 - ٣- شرح نواقض الإسلام للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السعدي.
 - ٤- نواقض الإيمان لأبي حسام الدين الطرفاوي،
 - ٥- نواقض الإسلام القولية والعملية) د. عبد العزيز بن محمد بن علي،
 - ٦- نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف) د. محمد بن عبد الله الوهيبي.
- مع الشرح والتحليل والترتيب والتذييل.

الفرق بين النواقض والخوارم

* فالنواقض تُخْرِجُ من الملة، أما الخوارم لا تخرج من الملة، والخوارم جمع حارم، وهو الناقص يعني يُنْقِصُ من إيمان الرجل، فكل المعاصي وخاصة الكبائر خوارم للإيمان، ولا تخرج من الملة سوى الكبائر المتعلقة بنواقض الإسلام كالشرك الأكبر كما سنوضحه بعد قليل.

أهمية التعرف على نواقض الإسلام:

هذا الدرس مهم لعدة أمور منها:

الأمر الأول: حتى تعلم متى يُخْرِجُ المرء عن دينه فنبتعد عن ذلك.

الأمر الثاني: لأن الخروج عن الملة يترتب عليه عدة أحكام، فيجب معرفة الأمور التي تخرج عن الملة، حتى تُطَبَّقَ هذه الأحكام على المرتكب لهذه الأمور ومن هذه الأحكام:

(١) طلاق الزوجة منه فإذا كانت الزوجة مسلمة فإنها تُطَلَّقُ منه؛ لأن المسلمة لا تبقى إلا في عصمة مسلم أما إذا كانت نصرانية أو يهودية فتبقى معه إلا إذا طلبت الطلاق منه فُتُطَلَّقُ.

(٢) لا يرث ولا يُورث؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك فقال (لا يتوارث أهل ملتين) رواه كثير من الصحابة منهم جابر بن عبد الله وأسامة بن زيد وعبد الله بن عمرو واخرجه أحمد في مسنده وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني (صحيح الجامع: ٧٦١٣).

(٣) لا يدخل مكة لقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) [التوبة: ٢٨].

(٤) يُسْتَتَابُ، فإن تاب ورجع إلى دينه وترك ما يفعله من نواقض الإسلام وإلا يعاقب بضرب عنقه بالسيف، لكن الذي يعاقبه الحاكم وليس عوام المسلمين.

(٥) لا يُغَسَّل ولا يُكْفَن ولا يُصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين.

(٦) من المُحَلِّدِينَ فِي النَّارِ، فَلَا نَسْتَغْفِرُ لَهُ وَلَا نَتْرَحِمُ عَلَيْهِ، بَلْ كَلِمًا مَرَرْنَا بِقَبْرِهِ بَشَرْنَا بِالنَّارِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ (حينما مررت بقبر كافر فبشره بالنار)^(١).

وبعد فإن نواقض الإسلام كثيرة فهي تخرج عن الإحصاء والاستقصاء.

* منها ما يكون بالقلب مثل الجحد أو الشك في وجود الخالق أو إنكار شيء معلوم من الدين بالضرورة كالجنة والنار والبعث والحساب... أو استحلال المحرم قطعاً كالزنا والخمر والسرقه، أو تصديق من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم.

* ومنها ما يكون باللسان مثل سب الخالق، أو أحد الرسل، أو أحد من الملائكة، أو سب الدين عامة، أو الاستهزاء بالدين، أو الطعن في صدق القرآن، أو الطعن في صفات الله تعالى.....

* منها ما يكون بالعمل مثل إهانة المصحف وإلقاءه في الحمامات أو القاذورات أو الذبح لغير الله أو السجود لغير الله^(٢).....

شرح نواقض الإسلام الأساسية العشرة:

علمنا أن نواقض الإسلام كثيرة لا تحصى ولا تُعدُّ، ولكننا سوف نتكلم عن عشرة نواقض أساسية ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وهذه النواقض العشرة الأساسية يتفرع منها باقي النواقض، لذلك اهتم الكثير من العلماء بشرح هذه النواقض العشرة، وسوف أسوق إليك شرحاً مبسطاً وموجزاً لهذه النواقض العشرة بلا إطنابٍ ممل، ولا إيجازٍ مخل.

(١) أخرجه ابن ماجه من رواية ابن عمر، وأخرجه الطبراني من رواية سعد، وصححه الألباني (ص: ج: ٣١٦٥).

(٢) ومن أراد التوسع فليراجع (نواقض الإسلام القولية والعملية) د. عبد العزيز بن محمد، (نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف) د. محمد بن عبد الله الوهيبي.

الناقض الأول: الشرك بالله تعالى:

وهو أشد النواقض جُرمًا، الدليل قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا) [النساء: ٤٨]، (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) [المائدة: ٧٢]، (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) [المؤمنون: ١١٧].

* معنى الشرك: أن تجعل لله شريكًا في ربوبيته وألوهيته؛

فالمسلم لا بد وأن يؤمن بتوحيد الألوهية والربوبية لله تعالى.

توحيد الألوهية معناه إفراد الله بالعبادة، فلا تعبد أحدًا سوى الله تعالى كما قال جل وعلا: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) [النساء: ٣٦]

توحيد الربوبية معناه إفراد الله بالخلق والتدبير، فلا تعتقد أن هناك خالقًا للكون ومُدبِّرًا له سوى الله تعالى، قال تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [الأعراف: ٥٤].

* والشرك بالله أعظم الذنوب وأعظم ظلمٍ في الوجود قال تعالى: (إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) [لقمان: ١٣]، وفي الصحيحين عن عبد الله بن علقمة قال: لما نزلت هذه الآية (وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) [الأنعام: ٨٢]، شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه (يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) [لقمان: ١٣]).

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نِدًّا وهو الذي خلقتك، قلت: إن

ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، قلت: ثم أي؟ قال: أن تزني بحليلة جارك، ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا) [الفرقان: ٦٨]،

* ولذلك فإن الشرك مُحِبُّ لجميع العمل، لأنه أعظم الذنوب قال تعالى: (وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الأنعام: ٨٨]، وقال للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له: (لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [الزمر: ٦٥]، وقال للمسلمين: (وَمَنْ يَزِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ فِيهَا خَالِدُونَ) [البقرة: ٢١٧].

الشرك نوعان: شرك أكبر، شرك أصغر.

النوع الأول: الشرك الأكبر وهو الشرك مع الله في العبادة مثل الذبح للقبور أو للجن، وكذلك التضرع إلى غير الله لكشف ضرر لا يقدر عليه أحد سوى الله وكذلك الشرك مع الله في الخلق والتدبير وهو أن يعتقد أن هناك مُدَبِّرًا للكون مع الله، كمن يعتقد أن المطر ينزل بإذن الأولياء الصالحين، وهذا لا يقدر عليه أحد سوى الله تعالى، فهو شرك في الربوبية، وشرك في الألوهية في نفس الوقت؛ لأن المشرك هنا جعل الأولياء مدبرين للكون مع الله وتضرع إليهم لنزول المطر.

والشرك الأكبر مُخْرِجٌ من الملة، فهو ناقض للإيمان، ويترتب على فاعليه أحكام المرتدين كتطليق الزوجة المسلمة والاستتابة، فإن رجع، وإلا صُربَتْ عنقه بالسيف، ولا يُصَلَّى عليه، ولا يُدْفَنُ في مقابر المسلمين، وقد تكلمنا عن ذلك في بداية الكلام عن نواقض الإسلام^(١).

(١) وقد تكلمنا في بداية الموضوع عن (أهمية التعرف على نواقض الإسلام)

﴿أما إذا سألتَ الناسَ وطلبتَ منهم ما يستطيعون فعله وليس من خصوصيات الله تعالى فهذا ليس بشرك كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية.

﴿الشرك الأكبر أربعة أقسام:﴾

القسم الأول: شرك الدعاء والعبادة، يعني يدعو مع الله أحداً آخر، ويسأله ويتضرع إليه ويعبده، قال تعالى في حق المشركين (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) [العنكبوت: ٦٥]، يعني يشركون في الدعاء مع الله، وقال تعالى: (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) [المؤمنون: ١١٧]، فساهم (كافرون)؛ وكان المشركون يعلمون أن الله وحده هو الخالق ولكنهم عبدوا الأصنام لتقربهم إلى الله فقالوا: (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) [الزمر: ٣].

وهذا ما يفعله غلاة الصوفية مع أضرحة الأولياء يتضرعون للأضرحة، ومنهم من يركع ويسجد للأضرحة، بل رأيت من يسجد ويركع للحجر في مسجد الدسوقي ومسجد البدوي في مصر، فهناك حجر منحوت فيه كَفٌّ، ويزعمون أنها أثر لكف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحجر آخر منحوت فيه قدم، يزعمون أنها أثر لقدم النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا افتراء على النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى فرض أنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز الركوع لها ولا السجود لها لأن هذا شرك مُخْرَجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، فلا ركوع ولا سجود إلا لله وحده،

القسم الثاني: شرك النية والإرادة: ومعناه أن يريد بعمله غير الله كأن يريد الدنيا فمن فضّل الدنيا على الله فقد أشرك، قال تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوْفًا إِلَيْهِمْ أَعْمَاهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [هود: ١٥ - ١٦].

* أما ورود بعض النيات السيئة على نية العبد فليس بشركٍ أكبر، بل هو شرك أصغر مثل أن يعمل العمل يريد به وجه الله، والثناء من الناس في الدنيا أيضًا فهذا ينقص الأجر، ولا يُخْرِجُ من الملة فانتبه لهذا جيداً.

القسم الثالث: شرك الطاعة ومعناه أن يجعل غير الله مساوياً لله في التشريع.

فالتشريع لله وحده، قال تعالى: (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [يوسف: ٤٠]، وقال تعالى: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِّبَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [الشورى: ٢١].

فمن ادَّعى أن لأحدٍ سوى الله حق التشريع فقد أشرك، ولذلك أنكر الله على بني إسرائيل أنهم أخذوا التشريع من علمائهم فقال: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [التوبة: ٣١]، وفي سنن الترمذي وحسنه الألباني في (غاية المرام: ٦) أن عدي بن حاتم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكان نصرانياً ثم أسلم، فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) قال: يا رسول الله إنهم لم يكونوا يعبدونهم، فقال: بلى إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم.

* والقساوسة يعتقدون أن لهم حق التشريع كأنهم آلهة ولذلك يسجد النصراني للقسيس مع أن المسيح لم يسجد إلا لله تعالى ولقد أتى القساوسة بهذا الحق من الإنجيل المُحَرَّف كما سبق بيانه في الفصل الأول ففي (متى: ١٦ / ١٨ ، ١٩): قال المسيح لبطرس: (وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيسة وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات) وهذا يعني أن

كل ما نُحِلُّه يا بطرس للشعب أحلَّه الرب وما تُحَرِّمُه حرمه الرب فهل الرب يتَّبَع تشريع بطرس؟؟؟

ومع ذلك لو تأملت نص الإنجيل لوجدتها خصوصية لبطرس رسول المسيح وليست لأحد غيره لأن المسيح حدد بطرس فقط ولم يُعمِّم كل القساوسة.

* وهذا أيضاً ما تفعله غلاة الشيعة اليوم فهم يُجيزون للإمام أن يَنْسَخَ الثابت في القرآن والسنة، ويُصدِر حكماً آخر جديداً حسب هواهم.

* وللأسف هذا ما يفعله بعض حُكَّام المسلمين تراهم يتبعون أحكام الغرب المخالفة لشريعة الإسلام، فمعظم حُكَّام المسلمين يقلدون الغرب قلباً وقالباً، لذلك انتشر الفساد في البلاد والعباد، واختلط الحابل بالنابل؛ وأصبحنا في حيص بيص؛ فالريح تأتي بما لا تشتهي السفن.

القسم الرابع: شرك المحبة: وهو أن يُحِبَّ غير الله كمحبته لله أو أشد حُباً من الله، قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) [البقرة: ١٦٥]، فسماهم أنداداً من دون الله يعني في حكم الشرك، ووصف المؤمنين بأنهم أشد حُباً لله، وفي الصحيحين عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين)، فإذا كان من يحب بشراً أكثر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس بمؤمن، فكيف بمن يُحِبُّ أحداً أكثر من الله تعالى.

والمسلم الحقيقي لا يجد طعم الإيمان حتى يحب الله ورسوله أكثر مما سواهما كما في الصحيحين من حديث أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقَدَّفَ في النار).

ولكن للأسف من المسلمين من يجب عشيقته أكثر من الله تعالى، فلقد جلست مع شاب أحبَّ بنتًا حبًّا جمًّا، وكان يكفر بسببها، فكان يسجد لله ويقول له أنت ظالم، وهذه البنت أحسن عندي منك وغير ذلك من كلمات الكفر، ثم تاب وتزوج بغيرها، وأصبح نشطاً في الإسلام، والهداية من الله وحده، والله الحمد والمنة.

ملحوظة: من أمارات (علامات) محبة العبد لربه تعالى أن يُطيع الله في كل شيء على قدر استطاعته، وصدق من قال:

تعصم الإله وأنت تزعم حبه هذا وربي في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحبَّ لمن يجب مطيع
النوع الثاني من الشرك: الشرك الأصغر:

وهذا لا يُجْرَج من الملة، فهو لا يناقض الإيمان ولكن يُنقص الإيمان والأجر ومن ذلك ما يلي:

(١) الرياء وهو فعل العمل الصالح ابتغاء السمعة والشهرة، أو يعمل العمل لله ويتبغي الشهرة في نفس الوقت، فهذا شركٌ أصغر لحديث (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء يقول الله تعالى لأصحاب ذلك يوم القيامة إذا جازى الناس: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء)^(١).

(٢) الحلف بغير الله تعالى: ففي الحديث عن ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم (من حلف بغير الله فقد أشرك) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه الألباني (صحيح الجامع: ٦٢٠٤).

(١) أخرجه أحمد عن محمود بن لبيد (صحابي صغير) وصححه الألباني (س: ص: ٩٥١)

(٣) تعليق التتائم: فعن عقبه بن عامر قال النبي صلى الله عليه وسلم (من علق تيممة فقد أشرك) أخرجه أحمد وصححه الألباني (صحيح الجامع: ٦٣٩٤).

(٤) الإشارك مع الله في المشيئة كأن يقول شاء الله وشاء فلان.

*القاعدة في معرفة الشرك الأصغر هو إذا جاء نص وحكم على شيء بأنه شرك، ودلت نصوص أخرى على أن فاعله لا يخرج من الملة فهو شرك أصغر، لأن الذي يخرج من الملة الشرك الأكبر.

تفرقة مهمة: إتمامًا للفائدة نذكر الفرق بين الشرك والكفر.

فهناك فرق بين الشرك والكفر.

فالشرك عرفناه وهو أن تشرك مع الله أحدًا سواء في العبادة أو المحبة أو غيره كما فصلناه، والشرك منه الشرك الأكبر والشرك الأصغر كما فصلناه سابقًا.

أما الكفر فهو الجحود والإنكار، ويتنوع إلى كفر أكبر وكفر أصغر.

أولاً: الكفر الأكبر معناه إنكار الذات الإلهية أو الشك في وجود الله تعالى، وهذا هو عين الكفر، ومن صورته:

(١) عدم الإيمان بالله أصلاً.

(٢) سب الدين أو سب الخالق، أو سب أحد من الأنبياء أو من الملائكة.

(٣) الاستهزاء بالدين أو بشيء من الشرائع كالصلاة والزكاة.

(٤) إنكار شيء معلوم من الدين بالضرورة مثل إنكار البعث والحساب والجنة والنار وغير ذلك مما ثبت تواترًا في القرآن أو السنة الصحيحة.

* والشرك الأكبر والكفر الأكبر صاحبه مخلدان في النار.

ثانياً: الكفر الأصغر ويُسمى عند الفقهاء كفر دون كفر أو كفر النعمة ، وهو لا يُجْرُجُ من الملة ولكن يُنْقِصُ من إيمان فاعله، فهو كالشرك الأصغر، والفرق أن الشرك الأصغر فيه معنى التشريك، والكفر الأصغر فيه معنى الإنكار،

ومن صور الكفر الأصغر:

(١) قتال المسلم أو قتله لحديث (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)^(١)، وحديث (لا ترجعوا بعدي كفارًا بضرب بعضكم رقاب بعض)^(٢)، فهذا كفر أصغر، لأن القرآن أطلق الإيمان على المتقاتلين من المسلمين فقال: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) [الحجرات: ٩].

(٢) كفر النعمة ومعناه أن يُنسب النعمة أو الفضل إلى أحدٍ سوى الله تعالى مثل أن يقول المريض لولا الدكتور فلان ما نجحت العملية الجراحية، مع أن التوفيق من الله تعالى، أما النعمة لا يقدر عليها أحد سوى الله إن نسبه لغيره فهو شرك أكبر مخرج من الملة كأن يقول الولي فلان يُنزل المطر ويُنبئ الزرع .

(٣) كفر العشير ففي الصحيحين عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أريت النار فلم أرَ منظرًا كالיום قط أفضع، ورأيت أكثر أهلها النساء، قالوا: يا رسول الله بم؟ قال: بكفرهن قيل: يكفرن بالله قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن طوال الدهر كله، ثم رأيت منك شيئاً، قالت: ما رأيت منك خيراً قط).

(٤) ترك الصلاة من غير جحود كفر أصغر، أما تركها مع الجحود فهو كفر أكبر، وفي الحديث (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)^(٣).

(١) متفق عليه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه أحمد والترمذي والنسائي من حديث بريدة وصححه الألباني (ص: ج: ٤١٤٣)

(٥) إتيان الزوجة في دبرها أو تصديق الكاهن كفر أصغر، ففي الحديث (من أتى حائضًا أو امرأة في دبرها أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر)^(١).

القاعدة في معرفة الكفر الأصغر أن كل نص حكم على فعل بأنه كفر، ثم جاء نص أو جاءت قرائن تدل على أنه لا يُخْرِج من الملة، فهو كفر أصغر، لأن الذي يُخْرِج من الملة الكفر الأكبر.

*وبعد لقد أطلت الحديث عن الناقض الأول وهو الشرك والكفر للضرورة، فهو أخطر ناقض من نواقض الإسلام.

الناقض الثاني: من جعل بينه وبين الله واسطة يدعوه ويسأله الشفاعة:

وهذا الناقض وقع فيه كفار قريش حين عبدوا الأصنام مع إيمانهم بأن الله هو الخالق ولكنهم عبدوها لِيَتَقَرَّبُوا بها إلى الله تعالى كما حكى القرآن عنهم، فقال: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) [الزمر: ٣]، وكانوا يعتقدون فيها الشفاعة قال تعالى عنهم: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) [يونس: ١٨].

وللأسف الشديد فهذا الناقض وقع فيه الكثير من المسلمين بسبب الجهل والضلال والفساد المنتشر في البلاد والعباد، فترى كثيرًا من المسلمين يتضرعون إلى أضرحة الأولياء ويتشفعون بها على الله تعالى، ويعظمون الأولياء أكثر ما يعظمون الأنبياء ويعظمون الأضرحة أكثر ما يُعظمون الكعبة المشرفة، ويعتقدون في الأولياء النفع والضرر، ويتشفعون بها على الله، وهذا كله جهل فاضح واضح.

هناك شفاعة منفية وشفاعة ثابتة

* فالشفاعة المنفية هي الباطلة وهي التي يطلبها الشخص ممن لم يأذن له الله في الشفاعة، يعني ليس له الحق في أن يشفع لأحد، قال تعالى: (وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ

(١) أخرجه الترمذي وابن ماجه من رواية أبي هريرة وصححه الألباني (الإرواء: ٢٠٠٦).

يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَايٌ وَلَا شَفِيعٌ) [الأنعام: ٥١]، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [البقرة: ٢٥٤]، وسيعترف بذلك المشركون في الآخرة قال تعالى (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ) [الشعراء: ١٠٠، ١٠١].

✽ أما الشفاعة الثابتة وهي الصحيحة والتي تتم بشرطين:

أولاً: أن يأذن الله للشافع في الشفاعة كما قال تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) [البقرة: ٢٥٥].

ثانياً: أن يرضى الله عن المشفوع له قال تعالى: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) [الأنبياء: ٢٨].

وهناك آية جمعت الشرطين قال تعالى: (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى) [النجم: ٢٦].

الناقض الثالث: من صحَّح عقيدة المشركين الباطلة ولم يكفرهم:

لأن من لوازم الإيمان الكُفْر بالطاغوت والإيمان بالله وحده قال تعالى: (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا) [البقرة: ٢٥٦]، فلا بد من تكفير المشركين.

وهناك فرق بين الكافر الأصلي والمرتد عن الإسلام؛ فالكافر الأصلي الذي لم يدخل في الإسلام أصلاً كاليهودي والنصراني والمجوسي والبوذي..... وغير المسلمين عامةً، فهذا لا بد من تكفيره، ومن لم يكفره فهو كافر، أما المرتد فهو الذي دخل الإسلام، ثم ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام، فهذا لا يكون كافراً إلا بعد أن يناظره العلماء ويُقيموا الحجة عليه، فإن رجع، وإلا صار كافراً، والمرتد إذا ارتكب ناقضاً صريحاً من نواقض الإسلام يجب تكفيره بعد إقامة الحجة عليه من العلماء، أما إذا كان الناقض الذي

ارتكبه غير صريح أو فيه خلاف بين العلماء فلا يكفر من لم يكفره لأن كفره في هذه الحالة غير متفق عليه بين العلماء.

* ومن خشي أن يكفر أحداً ارتكب ناقضاً لإحتمال ورود عذر عنده يمنع من ذلك فلا حرج عليه، أما المتأكد من جريمة نقض الإسلام فلا بد من الحكم عليه بالكفر فمن لم يفعل فهو كافر.

الناقض الرابع: من اعتقد أن التشريع الوضعي خيرٌ من شرع الله أو خير من أحكام النبي صلى الله عليه وسلم.

وذلك لأن أحكام النبي صلى الله عليه وسلم بوحى من الله قال تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) [النجم: ٣، ٤]، ولذلك فإن العلماء يطبقون على القرآن والسنة لفظ الوحيين، لأن هدي النبي صلى الله عليه وسلم بوحى من الله، فهو أحسن الهدي مطلقاً، وفي صحيح مسلم عن جابر قال النبي صلى الله عليه وسلم: (خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم)

وتدبر معي ما ذكره القرآن الكريم (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ) [يوسف: ٤٠]، (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا) [النساء: ٦٠]، فكلمة (يَزْعُمُونَ) تدل على كذب إيمانهم، لأنهم يتحاكمون إلى غير شرع الله تعالى، وقال تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [النساء: ٦٥]، فالتحاكم إلى شرع الله وهدي النبي صلى الله عليه وسلم من لوازم الإيمان.

وللأسف بل ومما يُرثى له أن الكثير من البلدان الإسلامية يتم تنزيل القوانين الوضعية منزلة الدين الحنيف في الأحكام، فانتشر الفساد في البلاد والعباد لأنهم يتحاكمون إلى غير شرع الله تعالى وهذا كفر.

مسألة مهمة: من ترك حُكْمَ الإسلام وحكَمَ بالقوانين الوضعية لكنه يعتقد أن حكم الإسلام خير وأحسن من القوانين الوضعية، فهذا فاسق وليس بكافر؛ لأنه مرتكب كبيرة، ويسمى بالكفر العملي وليس الاعتقادي، والكفر العملي غير مُحْرَج من الملة، مثل من يترك الصلاة من غير جحود لها، فهذا كفر عملي يُسمى بالكفر الأصغر، أما إن تركها منكرًا لوجوبها فهو كفر اعتقادي مخرج من الملة.

أما من ترك أحكام الشريعة لأنه يعتقد أن القوانين الوضعية أهدى وأكمل فهو كافر، خارج من الملة، وبهذا جمع العلماء بين الآيات الحاكمة الثلاثة (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [المائدة: ٤٤]، (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [المائدة: ٤٥]، (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [المائدة: ٤٧]، إن التارك لحكم الله المنكر له كافر، والتارك لحكم الله لكنه مُقِرُّ له ويعتقد أنه أفضل فهو فاسق، وليس بكافر وكلاهما ظالمٌ لنفسه^(١)

الناقض الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم

فمن أبغض شيئاً من شرائع الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة صار كافرًا حتى ولو فعلها مع بغضه لها فلا ينفعه ذلك مثل أن يصلي مع كراهيته للصلاة، فهو كافر باطنًا مثل المنافق.

ألا ترى أن هناك كفارًا لم يدخلوا الإسلام بسبب كراهيتهم لشرائع الإسلام كما قال تعالى عنهم: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ) [محمد: ٨، ٩]، فساهم كفارًا، وأحبط أعمالهم بسبب كراهيتهم لشرائع الله تعالى، وللأسف فمما يرثى له أن هذا الناقض انتشر في المسلمين إلا من رحم رب العالمين، فترى كثيرًا ممن ينتسبون إلى الإسلام يُصرِّحون بكراهيتهم لبعض أحكام الشريعة كالنقاب والجلباب وتحريم الربا.....

(١) راجع تفسير الرازي وابن كثير، روى الطبري في تفسيره هذا الجمع عن ابن عباس .

مسألة مهمة: هناك كُرْهُ لا يقع على ذات التشريع، وإنما يقع لما جُبِلَتْ عليه النفس فهذا ليس بكفر لأن الكراهية لم تقع على ذات التشريع، مثل كره الزوجة أن يعدد عليها زوجها؛ وذلك لأن النفس جُبِلَتْ على الغيرة ومثل أن تكره مسلمة النقاب لأن عندها حساسية ولا تطيقه؛ ومثل كره المؤمنين للقتال؛ لأن النفس جبلت على حب الحياة وكراهية الموت، وكما قال القرآن الكريم: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) [البقرة: ٢١٦]، وكذلك كراهية الوضوء في اليوم البارد، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة (وإسباغ الوضوء على المكاره).

الناقض السادس: الاستهزاء بشيء من أمور الدين الإسلامي:

مثل الاستهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم أو بالصحابة أو بنبي من الأنبياء الذين ثبتت نبوتهم بالكتاب أو بالسنة الصحيحة، أو الاستهزاء بملك من الملائكة، أو بآية من القرآن أو بفريضة من الفرائض، فمن استهزأ بشيء من أمور الدين وقامت عليه الحجة ولم يرجع فقد كفر، حتى وإن كان مازحًا، والدليل قوله تعالى: (وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَحْوُكُمْ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) [التوبة: ٦٥-٦٦]، فهم كانوا يلعبون يعني يمزحون، ومع ذلك حكم عليهم القرآن بالكفر، والاستهزاء بدين الله علامة من علامات الكفار قال تعالى: (وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَتَخَدُّونَكَ إِلَّا هُزُؤًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا) [الفرقان: ٤١، ٤٢]، أيضًا الاستهزاء بعامة المؤمنين كفر قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ) [المطففين: ٢٩-٣٢]، وقال تعالى: (قَالَ احْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٍ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ اتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ) [المؤمنون: ١٠٨-١١٠].

والاستهزاء نوعان:

النوع الأول: استهزاء صريح سواء كان باللفظ أو بالفعل مثل أن يقول هذا الدين دين تخلف، أو يصدر لفظاً أو فعلاً فيه استهزاء صريح بأمر من أمور الدين، فهذا كفر وصاحبه مرتد عن الإسلام فيُقام عليه الحجة من قبل العلماء، فإن رجع وإلا صار كافراً حلال الدم.

النوع الثاني: استهزاء ضمني غير صريح مثل الغمز باليد أو رفع الصوت عند سماع القرآن أو فعل حركة تدل على الاستخفاف والاستهزاء بالدين، فهذا لا يُحكم عليه بالكفر إلا إذا أقرّ بأنه أراد الاستهزاء والاستخفاف بالدين، أو دلت القرائن على إستهزائه.

*** مسألة:** الاستهزاء بعامة الصحابة أو سبهم كفرٌ صريح، فقد أخرج الطبري (تفسيره) عن عبد الله بن عمر قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن قال عبد الله بن عمر: فأنا رأيت متعلقاً بحقب ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم - الحبل الذي يُشدُّ به الوطاء على بطن البعير حتى لا يقع أثناء السير - تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له: (أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) (١).

*** أما وصف قلة من الصحابة بصفات تنقيص مثل البخل أو الجبن فهذا فسق وليس كفراً، بشرط ألا يقع الوصف على عامة الصحابة، وألا يكون الموصوف من خيرة**

(١) وأخرجه أيضاً الطبراني في معجمه الكبير من رواية كعب بن مالك بسندٍ حسن.

الصحابة كأبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي..... وغيرهم من خيرة الصحابة، فهم أكمل البشر بعد النبيين أجمعين.

فقد كان بعض الصحابة علمه قليلاً وكان بعضهم بخيلاً كما وصفت هند بنت عتبة زوجها أبا سفيان حين قالت للنبي صلى الله عليه وسلم وهي تُبَايِعُهُ: إن أبا سفيان رجل شحيح، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: (خذي ما يكفيك وولديك بالمعروف)، وأصل القصة في الصحيحين من حديث عائشة.

*والاستهزاء بأهل العلم والصلاح من أجل دينهم وعلمهم وصلاحهم كُفْرٌ، أما إذا كان الاستهزاء بأشخاصهم وليس من أجل صلاحهم وعلمهم فليس بكفر مثل إنه أعمى أو مجنون أو عنده تحلف لا يعرف شيئاً عن الحضارة، فهذا فسق يستحق صاحبه الزجر والتعزير، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ) [الحجرات: ١١].

ملحوظة مهمة لعامة الأمة: الجلوس مع المستهزئين فيه خطر عظيم^(١)، ولذلك حَدَّثَنَا مِنْهُ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ، فَقَالَ: (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا) [النساء: ١٤٠].

الناقض السابع: السحر فمن فعله أو رضي به فقد كفر:

فالسحر فيه شرك وكفر؛ لأن فيه استعانة بالشياطين والتقرب إليهم بالقرايين أو بفعل شيء من الكفر مثل إهانة المصحف بالتبول عليه أو طؤه بالحذاء أو تلاوة القرآن في الحمام..... وكذلك قراءة الطلاسم الكفرية..... وغير ذلك مما هو كفر، حتى يرضى عنه الشيطان فيسخر له من الجن من يخدمه.

(١) وللإستزادة راجع كتاب الاستهزاء بالدين وأهله للشيخ محمد بن سعيد القحطاني.

والدليل على أن السحر كُفِرَ قوله تعالى: (وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ) [البقرة: ١٠٢]، وقد بعث الله الملكين هاروت وماروت في الأرض لِيُفَرِّقُوا للناس بين السحر والمعجزة، ويحذروا الناس من السحر لأنه كفر كما حكاه القرآن: (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ) [البقرة: ١٠٢].

وللأسف الشديد لقد انتشر السحر في كثير من بلاد الإسلام، وخاصة الريفية.

مسألة: حد الساحر في الإسلام ضرب عنقه بالسيف، لأنه كَفَرَ، فقد أخرج أحمد وأبو داود في عن عمر بن الخطاب (أنه كتب قبل موته بسنة اقتلوا كل ساحر، وفرقوا بين كل ذي محرم من المجوس وانهوم من الزمزمة (الزمزمة كلام خفي كان يقوله المجوسي عند الأكل) فقتلوا في يوم ثلاثة سواحر)^(١).

وأخرج البيهقي في سننه بسند صحيح عن ابن عمر أن حفصة بنت عمر سحرتها جارية لها، فأقرت بالسحر وأخرجته فقتلتها، فبلغ ذلك عثمان فغضب فأتاه ابن عمر فقال: جاريتها سحرتها، فأقرت بالسحر وأخرجته قال: فكف عثمان وكأنه إنها غضب لقتلها إياها بغير إذنه، ففي هذا الأثر نرى أن حفصة أم المؤمنين قتلت الساحرة، وأقرها ابن عمر وعثمان وهم من الصحابة الأجلاء، يعني قتل الساحر مشهور عند الصحابة.

فإن تاب الساحر وصحَّت توبته قبل القدرة عليه قبل منه، ولا يُعاقب في الدنيا وأمره مفوض إلى الله في الآخرة، وذلك لعموم قوله تعالى: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) [الفرقان: ٦٨-٧٠]، ففي هذه الآيات صرح بقبول التوبة من الشرك وقتل النفس والزنا والسحر كفر وشرك، فتجوز التوبة منه كما في هذه الآية.

(١) والحديث موقوف على عمر بن الخطاب، وصححه الألباني (ص: د: ٢٦٢٤).

والقرآن عفا عن قاطع الطريق إذا تاب قبل القدرة عليه، قال تعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [المائدة: ٣٣، ٣٤]، فكذلك التوبة من السحر قبل القبض على الساحر تُسقط العقوبة، والله أعلم.

ملحوظة هامة للعامة : هناك سحر رياضي، ويكون بسرعة الحركة وخفة اليد والسحر بالتمويه، فهذا غش وتدليس، وليس بكفر، لكنه يُسمى سحرًا لأن حقيقته خفيت عن العامة، ونظيره حديث (إن من البيان لسحرا)^(١)، لأن المعنى الحقيقي للكلام يُخفى على العامة.

ملحوظة أخرى قتل الساحر موجود في كتاب اليهود والنصارى كما في (الخروج:

٢٢ / ١٨)

الناقض الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين:

الأدلة: قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [المائدة: ٥١] فصَّح بأن من يتولى اليهود والنصارى فإنه منهم، وقال في وصف المنافقين: (بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُّعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) [النساء: ١٣٨، ١٣٩].

حتى الكفار الأقرباء لا يجوز مناصرتهم على المسلمين قال تعالى: (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) [المجادلة: ٢٢].

(١) أخرجه البخاري من رواية ابن عمر.

* يجب على كل مسلم أن يعمل بقاعدة الولاء والبراء، وهي قاعدة عظيمة من أصول الإيمان، ومعناها أن يوالي المسلم أهل دينه يعني ينصرهم، ويتبرأ من كل ما يخالف تعاليم دينه، قال تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِمَّنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) [المائدة: ٥٥-٥٧]، فلا يجوز معاونة المشركين على المسلمين.

وللأسف نجد بعض المسلمين يعاونون الكفار ضد المسلمين كما حدث في حرب أمريكا ضد العراق، فقد عاونهم جند الكويت، لأن العراق ضرب الكويت سابقاً، فلم ينسوا ذلك، وأعانوا المشركين على المسلمين حتى دُمّرت العراق. مسائل متعلقة بهذا الموضوع:

□ المسألة الأولى: حكم الاستعانة بالمشركين في قتال المسلمين الظالمين: فيه خلاف كبير بين العلماء، فأجازه بعض العلماء عند الضرورة القصوى كأن يكون سلاح المسلمين الطغاة أكثر تطوراً وجندهم أكثر عدداً، فيجوز الاستعانة بالجنود المشركين وأسلحتهم في دفع المسلمين الظالمين مثلما استعانت السعودية والكويت بالأمريكان، لدفع جيش العراق الظالم الغاشم، ولكن بشرط أن تكون الكلمة العليا للمسلمين وقادتهم لقوله تعالى: (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) [النساء: ١٤١]، وأرى أن الاستعانة بالأمريكان لدفع عدوان العراق لم يكن فيه ضرورة لأنه كان من الممكن الاستعانة بجنود الدول الإسلامية الأخرى.

□ المسألة الثانية: إذا اعتدى جماعة مسلمة على المشركين ظلماً وتأكدنا من ذلك جيداً: فلا نصر للمشركين على المسلمين ولا نقف مع أحد الطرفين، ولكن نحاول أن نمنع المسلمين من الظلم، ففي الصحيحين من حديث أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل: يا رسول الله أنصره مظلوماً، فكيف

أنصره ظالمًا؟ قال: تمنعه من الظلم فذاك نصرك إياه)، فنحاول منع الجيش المسلم الظالم من الظلم، ولا نعاون المشركين ضدهم. **ولاحظ** أنه لو اتحد المسلمون ما ظلموا أحداً وما ظلمهم أحد فالإسلام يُحَرِّم الظلم.

□ **المسألة الثالثة:** حكم الاستعانة بالمشركين لقتال أعدائنا المشركين: فيها خلاف كبير، والراجح جواز ذلك عند الضرورة القصوى كالأمن من مكرهم إذا لم نستعن بهم، ولقلة جنود المسلمين أو ضعف أسلحتهم مثلما استعانة دول الخليج بالأمريكان لدفع تهديدات إيران الشيعية الكافرة، لأنها تمتلك سلاحًا نوويًا متطورًا، وكما استعانت أفغانستان بمعونة السلاح الأمريكي لرد العدوان الروسي الكافر.

□ **المسألة الرابعة:** معاونة المشركين في حربهم ضد المشركين، يجوز بشرط أن تكون هناك مصلحة للمسلمين، وألا نحارب المظلومين، بل نتعاون مع المظلومين ضد الظالمين.

* وهناك شرط مهم في جميع الحالات، وهو أن تكون الكلمة العليا في الحرب للقادة المسلمين.

الناقض التاسع: من اعتقد أنه يجوز لبعض الناس الخروج عن الإسلام أو يجوز لبعض الناس عدم الدخول فيه فهو كافر:

وذلك لأن ترك الإسلام كفر وغير المسلم كافر، ومن لم يُكفِّر الكافر فهو كافر كما بيناه في الناقض الثالث.

فمن اعتقد أن بعض المشركين لا يجب عليه الدخول في الإسلام فقد كفر، لأنه أنكر النصوص التي تدل على عموم رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ومن ثمَّ يجب على جميع الخلق الدخول في دين الإسلام، ومن هذه النصوص: قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) [سبأ: ٢٨]، (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) [الأعراف: ١٥٨]، (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ

نَذِيرًا) [الفرقان: ١]، (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [الأنبياء: ١٠٧]، وقال عن القرآن: (إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ) [ص: ٨٧].

ومن السنة النبوية: في الصحيحين من حديث جابر قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أُعْطِيَتْ خُمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي نَصْرَتْ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجَعَلَتْ لِي الْأَرْضَ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، وَأَيُّهَا رَجُلٌ مِّنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتَهُ الصَّلَاةُ فَلْيَصِلْ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعثُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةُ)، وفي رواية أبي هريرة عند مسلم (وأرسلت إلى الخلق كافة وُحِّتَ بي النبيون)، ولذلك بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكُتُبَ إِلَى مَلُوكِ الْأَرْضِ، لِيَبْلُغَهُمُ الدَّعْوَةَ، وهذا دليل واضح على أن دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم عامة لكل الخلق وليس لقومه فقط.

* وكل دين غير الإسلام مردود قال الله تباركت أسماؤه: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [آل عمران: ٨٥].

شبهة واهية وردود شافية: بعض الجهلة يقولون يجوز لبعض المشركين ألا يدخلوا في الإسلام كما أن الخضر لم يدخل في شريعة موسى ويرد عليه من وجوه:

(١) إن شريعة موسى كانت لقومه خاصة فيجوز لغيرهم ألا يدخل في شريعته، ويجوز الدخول فيها بلا وجوب، أما شريعة النبي صلى الله عليه وسلم فهي للناس كافة كما قال: (وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة).

(٢) جمهور العلماء يرون أن الخضر كان نبيًا وهو الراجح عندي لقوله تعالى على لسان الخضر: (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) [الكهف: ٨٢]، وهذا يدل على أن الخضر قَتَلَ الْغُلَامَ وَخَرَقَ السَّفِينَةَ وَبَنَى الْجِدَارَ بَوْحِيٍّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى،

وهنا قال بعض العلماء أن الخضر كان نبياً، وكان يدعو إلى شريعة موسى، لأن موسى كان رسولاً أتى بشرع جديد ولا ننسى أن الخضر كان مَوْحِداً بالله تعالى.

(٣) النبي صلى الله عليه وسلم حَسَمَ هذه الشبهة بقوله في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)، وقال: (لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي)^(١)، فإذا كان موسى عليه السلام لا يسعه ترك رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لو كان حياً مع أنه نبي ورسول، ومن أولي العزم، فكيف يسع غيره الخروج أو ترك الإسلام أصلاً؟

* وأما عن قوله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) [البقرة: ٢٥٦]، فمعناه لا إجبار على الدخول في الإسلام، ولكن إذا دخل الرجل في الإسلام فلا يجوز له الخروج منه، لأنه انتهاك لحرمة الدين، أيضاً يجب الدخول في الإسلام طواعية بلا إجبار.

فنحن نؤمن أن الإسلام هو الدين الخاتم ويجب على كل الناس الدخول فيه طواعية فلا نجبر أحداً على الدخول فيه.

الناقض العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به:

ومضمون هذا الناقض أن من أسلم ورفض أن يتعلم شيئاً من دينه ولم يفعل شيئاً من واجبات الإسلام كالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وغير ذلك فليس بمسلم لأن الإيمان قولٌ وعمل، فالعمل تصديق للقول.

الدليل: قوله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ) [السجدة: ٢٢]، (وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ) [الأحقاف: ٢٣]، (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) [آل عمران: ٣٢]،

(١) أخرجه أحمد والبيهقي (شعب الإيمان) من حديث جابر بن عبد الله، وحسنه الألباني (الإرواء: ١٥٨٩).

(وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ) [المؤمنين: ٤٧].

فمن لم يعمل بشيء من أمور دينه فقد كفر، أما إذا فعل شيئاً من الواجبات وترك الباقي من غير جحود فهو مسلم فاسق وليس كافراً، ومن ترك شيئاً من الواجبات المعلومه من الدين بالضرورة منكراً لها فهو كافر، أما لو تركها من غير جحود فهو فاسق فقط، هذا إن يعلم بالفرائض.

* أما الجاهل بالفرائض فله حكمٌ خاص فإن كان حديث عهد بالإسلام ويعيش في وسط مشركين ولم يعلم بشيء من فرائض الإسلام فهذا معذور وليس كافراً، كالأمريكي الذي يُسلم حديثاً ويعيش في وسط الأمريكان المشركين أو يُسلم ويعيش في بلده بعيدة عن المسلمين فهذا معذور وليس كافراً.

أما إذا كان المسلم الجاهل يعيش في بلاد المسلمين واشتهر عنده أن ما يتركه فرض عليه ومعلومٌ من الدين بالضرورة، فهذا ليس معذوراً، وبالتالي يطبق عليه أحكام هذا الناقض وهو إن ترك كل واجبات الإسلام فليس بمسلم، وإن ترك بعضها من غير جحود فهو مسلم فاسق وليس كافراً.

تحذير هام قبل الختام: التحذير من فتنة التكفير:

فالتكفير باب عظيم جداً لذلك أردت أن أوضح أموراً مهمة متعلقة بموضوع التكفير لتكتمل الفائدة وينجلي الإشكال والتوفيق من الكبير المتعال.

أولاً: لا يجوز التكفير لمجرد فعل المعاصي:

* فالمعاصي من خوارم الإيمان، فكل معصية أو كبيرة لا تتعلق بنواقض الإيمان فهي مجرد خوارم للإيمان ولا تخرج من الملة، إلا الشرك وما يتعلق بنواقض الإيمان كما شرحناه سابقاً، فالشرك مثلاً كبيرة، ولكن يُخرج من الملة، وكذلك سب الدين وإهانة المصحف..... فكلها كبائر تُخرج من الملة.

ومعنى خوارم للإيمان أي تُنقص من إيمان فاعلها، ولا تخرجه من الملة مثل الزنا والسرقه وشرب الخمر بشرط عدم الاستحلال، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) [النساء: ٤٨]،

فالزاني والسارق..... مسلم لكن ليس مؤمناً، لأن الإيمان أعلى درجة من الإسلام، وكما في الحديث (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)^(١)

ثانياً: هناك فرق بين تكفير النوع وتكفير العين:

فليس كل ما هو كُفْرٌ يُكْفَرُ به شخص بعينه، فتكفير النوع كأن تقول من أشرك فهو كافر، ومن أهان المصحف فهو كافر، ومن سب الدين فهو كافر، أما تكفير العين معناه تكفير شخص بعينه لأنه ارتكب ناقضاً من نواقض الإيمان.

* مثال توضيحي: قلنا أن من أهان المصحف فهو كافر، وهذا تكفير نوع، ولكن إذا رأينا مسلماً أهان مصحفاً فنقول له هذا الفعل كفر ولكن لا نقول له يا كافر، لأنه

(١) أخرجه مسلم من رواية أبي هريرة.

تكفير عين، وهذا يحتاج إلى إجراءات شرعية مهمة، منها إقامة الحجّة عليه من قبل العلماء فلعله لم يعلم بالحكم، ثم يُستتاب، فإن لم يرجع كَفَّرَ العلماء.

فقد يكون الذي ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام معذوراً، إما بجهله أو عنده تأويل، فمثلاً من قال بأن القرآن مخلوق فهو كافر، ومن أنكر أو نفى الصفات الإلهية فهو كافر، ولكن إذا فعل شخص ذلك، فربما فعله لجهله أو لأن عنده تأويلات في ذهنه، فلا بد من قيام الحجّة عليه من قبل العلماء وهم الذين يحكمون عليه بالكفر أو بالفسق فقط.

ثالثاً: التكفير وإقامة الحجّة على المخالف وظيفّة العلماء وليس العوام:

قال تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [النحل: ٤٣]، (الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا) [الفرقان: ٥٩]، (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ) [آل عمران: ١٨] حتى طلاب العلم لا يُكفِّرون أحداً بعينه، أما العلماء فهم الذين يقيمون الحجّة على من صدر منه قول كفر أو فعل يكفر، فإن أقاموا الحجّة عليه يُستتاب، فإن رجع وإلا حَكِّمُوا عليه بالكفر، فالعلماء هم القادرون على إزالة ودحض شبهات المخالف.

لذلك لا بد تعيين هيئة من العلماء من قبل الدولة تختص بإقامة الحجّة على المخالفين، وتكون هذه الهيئة منتخبة من أكابر العلماء الأجلاء الحاذقين الفضلاء، لأن التأويلات تختلف من مذهبٍ لآخر، ومن طائفةٍ لأخرى، فيقوم هؤلاء العلماء بحسم النزاع بين الطوائف، بشرط ألا يكون فيهم منافقون كالعلماء العملاء الذين يجاملون السلطان على حساب دين الله تعالى.

رابعاً: التكفير والتفسيق ليس أمراً سهلاً:

فقد حَدَّرَ منه الرسول صلى الله عليه وسلم كثيراً، ففي الصحيحين عن أبي ذرٍّ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يرمي رجلٌ رجلاً رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك)، وفي البخاري عن ثابت بن الضحاك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله)، وفي الصحيحين عن ابن

عمر قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (أبيا رجل قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما)، لذلك فالتكفير والتفسيق من شأن العلماء.

خامساً: من أكره على الكفر فليس بكافر:

بشروط وهي: ألا يطبق ما هُدد به، وأن يكون الكاره الذي يُكرهه على الكفر يستطيع أن يفعل ما هدد به، وأن يكون جاداً في تهديده له، فقد يهدده بشيء بسيط، وقد يهدده بشيء عسير، وقد يكون الذي يهدده يهزل في حديثه غير جاد في تهديده أو لا يستطيع أن يُنفذ تهديده أصلاً، ففي هذه الحالات لا يجوز للرجل أن يكفر، لأن شروط الإكراه غير متوافرة.

أما من أكره على الكفر وتحققت معه شروط تحقيق الإكراه فليس بكافر لعموم قوله تعالى: (إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [النحل: ١٠٦].

ولقد عذب المشركون سيدنا عمار بن ياسر، ولم يتركوه حتى سبَّ النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر آهتهم بخير، ولما رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: (كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالإيمان، فقال له: إن عادوا فعد)^١.

سادساً: لا يقام الحد على المرتد إلا بعد قيام دولة إسلامية صحيحة:

فلا يُعقل أن يقام حد الردة في بلدٍ تصدعت فيه الفجور واللامبالاة بشرعية الدين، فلا بد من قيام الدولة على الدين الإسلامي الصحيح، وبعدها تُطبَّق الحدود.

^١ - أخرجه البيهقي في (السنن الكبرى) والحاكم في (مستدرکه) وقال (صحيح على شرط الشيخين

ولم يخرجاه) والحديث مرسل وفي سنده راوي ضعيف، ولكن أخرجه الطبري (تفسيره) بسندٍ

صحيح متصل، فزالت الشبهة فالحديث صحيح يُخْتَجُّ به والحمد لله.

سابعاً: إقامة الحدود مسئولية الحكام أو من ينوب عنهم:

فلا يُقيم أحد من العوام حَدًّا على مرتد أو شارب الخمر أو الزاني أو السارق إلا بإذن الحاكم أو من ينوب عنه، حتى لا يحدث التطرف وتنتشر الفوضى^(١).



(١) - من أراد التوسع في موضوع ضوابط التكفير، فليراجع:

١ - فتنة التكفير للشيخ الألباني (بحث ممتع).

٢ - ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة للشيخ عبد الله بن محمد القرني (بحث قيّم جداً).

٣ - نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف للدكتور محمد بن عبد الله بن علي

الوهيبي.

٤ - التكفير مفهومه وأخطاره وضوابطه للشيخ أحمد محمد بوقرين.

٥ - التكفير حكمه وضوابطه والغلو فيه للشيخ فهد عبد الله.

وصايا مهمة إلى عامة الأمة

هذه عدة وصايا من باب قوله تعالى: (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) (الذاريات: ٥٥).

الوصية الأولى: أوصيكم جميعاً وأوصي نفسي بتقوى الله عز وجل وحسن الخلق فإن هذا من السيمات الظاهرة والحقيقية للإسلام والتقوى معناها الخوف من الله، وبالتالي الإلتزام بأوامره ونواهيها.

ولقد أمر الله المؤمنين وعامة الناس بالتقوى وأمر بها رسوله صلى الله عليه وسلم:

* فامر المؤمنين بالتقوى فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)؛ وقال تعالى: (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا) (النساء: ١٣١)؛ وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) (التوبة: ١١٩)؛ وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (الأحزاب: ٧٠-٧١).

* وأمر عامة الناس بالتقوى فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء: ١).

* وأمر النبي محمداً (صلى الله عليه وسلم) بالتقوى فقال: (أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا) (الأحزاب: ١-٣).

وفي الحديث الذي أخرجه أحمد الترمذي والبخاري في (الأدب المفرد) وحسنه الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٩٧٧) عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله

صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس النار (قال الفم والفرج وسئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق).

وصدق من قال:

أيا عبد كم يراك الله عاصياً أنسيت	حريصاً على الدنيا وللموت ناسياً
أنسيت لقاء الله واللحد والثرى	ويوماً عبوساً تشيب فيه النواصياً
لو أن المرء لم يلبث ثياباً من التقى ولو أن	تجرد عُريانا ولو كان كاسياً لكان
الدنيا تدوم لأهلها لكنها تفنى	رسول الله حياً وباقياً وتبقى
ويفنى نعيمها	الذنوب والمعاصي كما هي

* أيها المسلم الحبيب العاقل اللبيب اعلم أن التقوى تفيدك في الدنيا كما تفيدك في الآخرة، فلو اتقيت الله تعالى لجعل لك من كل ضيق مخرجاً، ولوسع عليك في الرزق، وليسر لك الأمور، وجعل لك نوراً تهتدي به وتفترق به بين الحق والباطل وتدفع به وساوس الشيطان، ولغفر لك وأدخلك الجنة؛ قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) (الأعراف: ٢٠١) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (الأنفال: ٢٩) (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) (التحريم: ٢-٣) (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا) (التحريم: ٤-٥) (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفُتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلامٌ عليكم طبتم فادخلوها خالدين) (الزمر: ٧٣) (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ) (الحجر: ٤٥-٤٦) والآيات كثيرة.

الوصية الثانية: يجب علينا جميعاً أن نبتعد عن الإفتخار بالبلاد أو بالأحساب بل نفتخر ونعتز بدين الإسلام الذي فيه الصلاح والفلاح للعباد والبلاد،

فالإفتخار بالأحساب من أخلاق الجاهليه ولكن للأسف لا زال الكثير منا يفعله وقد نبأ الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك ففي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري قال الرسول صلى الله عليه وسلم (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركوهن: الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة).

وتدبر هذا الحديث العظيم عن أبي بن كعب قال: " انتسب رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان فمن أنت لا أم لك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام. فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان حتى عدت تسعة، فمن أنت لا أم لك؟ قال: أنا فلان بن فلان ابن الإسلام، فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن قل لهذين المنتسبين: أما أنت أيها المنتمي أو المنتسب إلى تسعة في النار، فأنت عاشرهم، وأما أنت يا هذا المنتسب إلى اثنين في الجنة، فأنت ثالثهما في الجنة" (١)

والعزة دائماً للمؤمنين إذا تمسكوا بدينهم قال تعالى: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (المنافقون: ٨)

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول دائماً: (كنا أذلاء فأعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة في غير دين الله أذلنا الله)

الوصية الثالثة: أوصي كل مسلم أن يسعى ليتعلم أمور دينه

* فيتعلم العقيدة الإسلامية جيداً ويدرس القرآن وتفسيره وأحكام العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية.....

(١) أخرجه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان وصححه الألباني في (س:ص / ١٢٧٠).

* ويدرس الحكمة من هذه أحكام الشريعة الإسلامية فالله سبحانه وتعالى يستحيل عليه العبث فهو ما شرَّع شيئاً إلا وله حكمة وما خلق شيئاً إلا لحكمة.

* كذلك يطلع على المناظرات التي جرت بين علماء الإسلام والقساوسة وأحبار اليهود... ليفهم طرق الأعداء في إختلاق الشبهات الواهية لتضليل المسلمين فتتكون عنده القاعدة الصلبة ولا يستطيع أحد أن يفتنه عن دينه .

فنحن نرى بعض النصارى يتلقفون من القساوسة والعلمانيين شبهات أوهن من بيوت العنكبوت ويثيرونها بين عوام المسلمين فترى المسلم بعدها يسأل عن الجواب ليس من الواجب أن يتعلم قبل ذلك ليزداد فقهاً بدينه .

والأعجب من ذلك ترى النصارى مشغولون بإختلاق وإثارة الشبهات الواهية والتي لم تأتي إلا من جهلهم، ولا ينظرون في كتابهم الذي ملأ الدنيا ضحكا من كثرة نواقضه بين أسفاره ونواقضه العلمية وفصائح ألفاظه الجنسية، وقد ذكرنا أمثلة كثيرة من ذلك في الفصل الأول، فلقد رأيت نصارى كثيرين يأتون بالشبهات من الكنيسة وبعدها أقوم بالرد عليها بفضل الله تعالى أسأله مثلاً ما هو أول إنجيل كتبت؟ ومتى كتبت؟ فأجده في حيص بيص، فهو لا يعرف شيئاً عن دينه ومع ذلك أجد شغله الشاغل هو إثارة شبهات واهية بين المسلمين وكأن القساوسة لا يهتمون بتدريس دينهم لأتباعهم بل يهتمون بتدريس دين الإسلام لهم.

* كذلك تعلم العلم الشرعي مهم جداً لمحاربة البدع التي زرعتها العدو في بلاد المسلمين، فالعالم الذي يُعلم ويحارب البدع هو كالمجاهد في سبيل الله تعالى ولذلك استثناه الإسلام من الخروج مع الجيش قال تعالى: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (التوبة: ١٢٢)

الوصية الرابعة: أوصي كل مسلم أن يجتهد دائماً في خدمة ديننا

فخدمة الدين من أهم العبادات فلا يلهو في الحياة ويترك خدمة الدين الذي خلقنا الله من أجله كما قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) (الذاريات: ٥٦-٥٨).

وخدمة الإسلام قد تكون بالعلم أو بالمال أو بالقوة أو بالجاه... أو بكل ما سبق

أولاً: خدمة الإسلام بالعلم وهذه تعتمد على صفاء الذهن وقوة الذاكرة ومن ذلك:

١- تحصيل العلوم النافعة للأمة الإسلامية كالطب والصيدلة والكيمياء وعلوم الطبيعة والهندسة بكل فروعها واللغات الأجنبية ومقارنة الأديان

* ولقد التمس النبي صلى الله عليه وسلم هذه الصفة في سيدنا زيد بن ثابت فأمره أن يتعلم السريانية ويتعلم كتاب اليهود فتعلم السريانية في سبعة عشر يوماً وأجاد كتاب اليهود كله في نصف شهر والسبب أن اليهود كانوا يسكنون المدينة المنورة وكانوا يكتبون معاهدات بين النبي صلى الله عليه وسلم ويُرسلون إليه الكتب والنبي صلى الله عليه وسلم أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب فخشي من تدليس اليهود إذا اتخذ كاتباً له منهم دارسا لكتابهم، لذلك أمر زيد بن ثابت أن يتعلم كتابهم ولغتهم^(١).

٢- تحصيل وتدريس العلم الشرعي في المساجد والندوات والبيوت... ليحفظ المسلمون تراثهم النفيس

* وهذا ما فعله كثير من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهم أم المؤمنين عائشة وأبو هريرة وأنس بن مالك وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس.... فهم السبب في حفظ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ونشرها.

وجاء من بعدهم آخرون فساروا على دربهم وجمعوا الأحاديث ودونوها في الكتب ومنهم سفيان الثوري وعبدالرزاق صاحب المصنف وابن أبي شيبة صاحب المصنف

(١) أخرجه أحمد وأبي داود والترمذي وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة: ١٨٧).

وأحمد بن حنبل الإمام المجاهد صاحب المسند والإمام مالك صاحب الموطأ والبخاري
ومسلم وأصحاب السنن الأربعة.....

ومنهم الشافعي مجدد الأمة في عصره والذي دون علم أصول الفقه وبين الناسخ
من المنسوخ والصحيح من السقيم..... والفقهاء العظيم أبو حنيفة النعمان..... وغيرهم
كثير جدا وهم القوم لا يشقى جلسهم

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليضمحل الفساد من المجتمع الإسلامي
حتى ينقرض نهائياً، ومن الممكن أن تفعل ذلك مع أسرتك ومع جيرانك ومع أصحابك
في العمل بل ومع المصلين في المسجد.....

* فتنصح تارك الصلاة بأن يصلي للذي خلقه وسواه وأطعمه وسقاه، وتنصح
المتبرجة السافرة بأن تلتزم بثياب غير مفتنة (ثياب الإسلام)، وتنصح المدخن بترك هذه
العادة الخبيثة، كذلك تاجر المخدرات وصاحب بيوت الدعارة.....

ولكن لا تكن فظاً غليظاً أثناء النصح فلست حاكماً على الناس بل تكن لِيَنَّا حتى لا
تُبْعَضَ العباد في دين الله تعالى وعليك أن تصبر ولا تيأس من الدعوى، وكما علم الله
النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا
الْقَلْبِ لَآنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران: ١٥٩) (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ
بِوَكِيلٍ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُذَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) (يونس: ١٠٨ -
١٠٩) (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) (طه: ١٣٢)

* واعلم أن كل من يهديه الله تعالى على يديك فإنه يكون في ميزان حسناتك دون أن
ينقص من أجره شيء ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم:
(من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً

و من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً) وعن أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الدال على الخير كفاعله)^(١).

٤- الدعوة إلى دين الإسلام محلياً وخارجياً في دول الكفر

كما تفعله جماعة التبليغ والدعوة لله درها فلقد أتت بنتائج باهرة مدهشة، فكم من فاسق هداه الله على أيديهم وكم من مشرك هداه الله إلى الإسلام على أيديهم، مع غياب الدعم الرسمي لها من قبل الحكومات، فتجد الواحد منهم يوفر من قوت يومه ليوفر نفقات الخروج إلى البلاد البعيدة حتى يدعو إلى الإسلام، لأنه يحمل في قلبه هم الإسلام، مع أن الكثير منهم ينقصه العلم اللازم لهذه الوظيفة، لكنهم يجتهدون قدر استطاعتهم من أجل نشر الإسلام، فأين نحن من هؤلاء.

* وكما قلنا مراراً وتكراراً أن الدعوة إلى الإسلام تحتاج إلى التسليح بالعلم جيداً ودراسة كيفية الدعوة والتدريب عليها قال تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يوسف: ١٠٨)

وهناك الكثير في دول الكفر لا يعرفون شيئاً عن الإسلام سوى ما يفتره الغرب على الإسلام وهؤلاء يحتاجون إلى التعرف على الإسلام الصحيح، ومنهم من دخل في الإسلام بمجرد التعرف عليه وعلى مبادئه الحسنه وأهدافه ...

* وأعلم أن من يدخل الإسلام على يديك يكون في ميزان حسناتك يوم القيامة ففي الصحيحين قال النبي صلى الله عليه وسلم لسيدنا علي يوم خيبر (ادعهم إلى الإسلام و أخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَمِ) وحُمْرُ النعم هي أجود أنواع الإبل.

(١) أخرجه الترمذي وصححه الألباني في (صحيح الجامع: ١٦٠٥)

ولا ننسى أن الداعي إلى الإسلام مجرد سبب فقط فالهداية أولاً وآخرها من الله وحده قال تعالى: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (القصص: ٥٦)

* وكثير من الصحابة مارس وظيفة الدعوى على الإسلام ومنهم:

- أبي بكر الصديق فقد أسلم على يديه كثير من الصحابة وسيكونون جميعاً في ميزان حسناته يوم القيامة.

- مصعب بن عمير أول سفير في الإسلام فقد أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة داعياً إلى الإسلام فظل يدعو إلى الإسلام في المدينة حتى أسلم على يديه الكثير من الأنصار بل لم يبق بيت في المدينة إلا وفيه ذكر للإسلام.

- منهم من سافر إلى بلاد أخرى يدعو إلى الإسلام مثل سعد بن معاذ.

** بل إن الهدهد مارس هذه الوظيفة فقد تسبب في إيمان بلقيس ملكة اليمن وقومها فلا يكون الهدهد أحرص منا على خدمة الدين.

ثانياً: خدمة الإسلام بالمال وهذه تحتاج إلى المال فقط ومن ذلك:

١- إعالة الفقراء والمساكين والأيتام وعامة المحتاجين حتى لا يكونوا أرضاً خصبة للتبشير التنصيري وغيره.

٢- بناء المساجد في القرى التي تفتقر إليها، أو ترميمها وتوسعة الضيق منها، أو شراء ما تحتاج إليه، أو الإنفاق على القائمين عليها كالدعاة والخدم.....

٣- الإنفاق على طلاب العلم والعلماء ليتفرغوا للتعلم والتعليم.

٤- الإنفاق على وسائل التعليم مثل طبع وتوزيع الكتب الدينية كالقرآن والتفاسير وكتب الفقه.... والاسطوانات التعليمية وعمل البرامج العلمية ونشرها على الإنترنت، وعمل الندوات والمؤتمرات العلمية....

- ٥- بناء المدارس والمعاهد الإسلامية والعلمية التي تخدم الإسلام.
٦- المساهمة في بناء المستشفيات الحديثة التي تغني عن السفر إلى بلاد العدو من أجل العلاج.

* فالصحابة خدموا الإسلام بإهم وعلى رأسهم أبي بكر الصديق وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم كثير....

ثالثاً: خدمة الإسلام بالقوة البدنية ومن ذلك:

- ١- الإشتراك في الجيوش التي تحارب أعداء المسلمين وهو الجهاد الحقيقي.

٢- تعلم وتعليم فنون القتال مثل المصارعة الكونغو فو والنینجا....

٣- تعلم وتعليم كل ما يخدم المسلمين في الحرب كالسباحة والرماية وإصابة الهدف وحمل الأثقال والفروسية والجري في الصحراء وقيادة الآلات الحديثة....

تحذير: لا تخالف الإسلام في ممارسة فنون القتال أو السباحة فلا تكشف جزءاً من عورتك كما يصنع الناس في لعب الكرة والسباحة والمصارعة فكشف العورة حرام، ولا تتعمد قتل بريء ولا تضرب الوجه ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم: [إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورته]

فائدة: الضمير في قوله: (على صورته) يرجع إلى آدم عليه السلام: لأنه أقرب مذكور لأنه مصرح به في رواية أخرى للبخاري عن أبي هريرة بلفظ (صورته طوله ستون ذراعاً)، والمعنى لم يجعله يتطور في الأرحام بل خلقه على نفس الصورة مباشرة طوله ستون ذراعاً، وأما حديث (خلق الله آدم على على صورة الرحمن) فهو منكر كما حققه الألباني في (السلسلة الضعيفة: ١١٧٦).

رابعاً: خدمة الإسلام بالجاه والسلطان وهذه واضحة ومن ذلك:

١- حماية المسلمين من أي ظلم قد يقع عليهم، ويدفع عنهم المناوئين لهم كالعلمانيين والفاستين والكافرين.

٢- استقبال اللاجئين المسلمين المضطهدين في بلادهم، كما فعله النجاشي حين هاجر إليه المسلمون فقد أنصفهم وفتح بلاده لهم، مع انه لم يكن أسلم لكنه كان يجب العدل فلما فعل ذلك هداه الله إلى الإسلام على أيدي الصحابة.

٣- يعمل على الدعم الرسمي لكل ما يخدم الإسلام مثل دعم جماعة التبليغ والدعوة الإسلامية ودعم العلماء

* وفي الأثر إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

خامساً: خدمة الإسلام بالالتزام بتعاليم الإسلام:

فمن الممكن أن تدعو إلى الإسلام وتخدمه بحسن خلقك وتطبيق أخلاق الإسلام، فالإسلام انتشر في الصين والهند عن طريق المعاملة الحسنة من تجار المسلمين، وكما يقول عمر بن عبد العزيز: (كونوا دعاة إلى الله وأنتم صامتون).

قصة: كان أبوحنيفة النعمان إماماً في الفقه ويعمل في تجارة الثياب وأوصى عاملة ألا يبيع ثوباً معيباً إلا أن يُخبر المشتري بالعيب، وفي ذات يوم باع العامل ثوباً معيباً ليهودي ونسي أن يخبره بالعيب، فلما علم أبوحنيفة ظل يبحث عن اليهودي حتى وجده في قافلة تتجهز للسفر فأخبره أبوحنيفة بأن الثوب فيه عيب وإما أن يُبدل له الثوب وإما يُنقَص له في السعر فتعجب اليهودي وقال له لماذا أجهدت نفسك في البحث عني وقد اشتريت أنا الثوب ورضيتُ أنا به؟ فقال له أبوحنيفة لأنني لا آكل المال الحرام فقال له اليهودي هذا هو الدين الحق وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، يا إمام أعطني مالي الذي دفعته وخذ بدلاً منه فإني قد دفعت إلى عاملك مالاً مغشوشاً.

فانظر هداك الله كيف أدت أخلاق الإسلام إلى دخول اليهودي في الإسلام.

* والإلتزام بتعاليم الإسلام واجب على كل مسلم ولا سيما العلماء والدعاة والمشايخ الذين يُدرّسون العلم الشرعي في المدارس والمعاهد والجامعات.....

لكن للأسف الشديد ومما يندي له الجبين ويتفطر له القلب نرى الكثير من الدعاة متمشيخين وليسوا مشايخ حقيقيين فتراهم يتهاونون في بعض الفرائض ويسعون إلى الدنيا وزينتها ولو على حساب الدين وقد حذرنا الله من ذلك فقال: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (البقرة: ٤٤) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبِرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) (الصف: ٢-٣)،
وصدق من قال:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرُهُ * هَلَا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَى * كَيْمَا يَصَحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ
لَا تَنَّهُ عَنِ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ * عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ
أَبْدَأَ بِنَفْسِكَ فَانْهَى عَنْ غَيْبِهَا * فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
فَهَذَاكَ تُعَذِّرُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى * بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيُقْبَلُ التَّعْلِيمُ

* وبعد فإن طرق خدمة الإسلام كثيرة ومُجَلُّة عن الإحصاء والاستقصاء وما ذكرته فهو مجرد مثال ليتضح المقال،

فاجتهد وأصدق النية مع الله ولن تُعَدَمَ طريقة تخدم بها الإسلام، ومن الممكن أن تجمع بين عدة طرق لخدمة الإسلام كما فعل الصحابة فتخدم الإسلام بعلمك وبمالك وبقوتك وبسلطانك... والتوفيق من الله وحده.

وأحذر المسلم من تسويق خدمة الإسلام، فإن المرء لا يدري كم سيعيش؟ فعليه أن يتزود من دنياه بخدمة الإسلام قبل أن يأتيه الموت بغتة فيندم يوم لا ينفع الندم،
وصدق من قال:

تزود من دنياك فإنك لا تدري إذا جَنَّ عليك ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من صحيح مات من غير علة وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر
وكم من صغار يُرتجى طول عمرهم وقد أُدخلت أجسامهم ظلمة القبر
وكم من عروس زَيَّنوها لزوجها وقد نُسجت أكفانها ولا تدري

الوصية الخامسة: الهجرة من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، وكذلك كل مضطهد في دينه ومستطيع للهجرة فليهاجر ليستطيع ممارسة شعائر دينه بحرية، وهذا الموضوع يتعلق به عدة أمور:

الأمر الأول: وجوب الهجرة على كل مسلم من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، لكثرة الأحاديث التي تنص على الهجرة من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام ومنها:

حديث جبرير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(بِرِّيءٍ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلِمَ؟ قَالَ: لَا تَرَايَا نَارَاهُمَا)**^(١).

حديث ابن السعدي (صحابي) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: " لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يُقاتل " ^(٢).

حديث معاوية قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: " لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها " ^(٣).

* وأما حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح: " لا هجرة بعد فتح مكة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا " فالمراد أن الهجرة انقطعت من مكة

(١) أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه الألباني في (صحيح الجامع: ١٤٦١)

(٢) أخرجه أحمد وصححه الألباني في (إرواء الغليل: تحت حديث: ١٢٠٨)

(٣) أخرجه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في (صحيح أبي داود: ٢٢٤١)

فقط، لأن النبي صلى الله عليه وسلم فتحها وأصبحت آمنة، ولكن الإستنفار منها للجهاد لا ينقطع أبداً ما دام هناك عدو يقاتل المسلمين.

والحكمة من وجوب الهجرة ألا يُفْتَنَّ المسلم بما يفعله المشركون من إنحلال وفجور وحتى لا يكون مستضعفاً في دينه فيؤذيه المشركون بسبب دينه، وحتى يمكن تناصر المسلمين فيما بينهم على أعدائهم، فمهما يكون في بلاد المسلمين من ظلم وانحلال فلن يكون كفجور بلاد الشرك كما قرره الألباني في (السلسلة الصحيحة تحت حديث رقم: ٢٨٥٧).

الأمر الثاني: وجوب الهجرة من البلاد المسلمين التي كثرت فيها المعاصي، وكذلك تجب على كل مضطهد في دينه ومستطيع للهجرة حتى ولو كان يعيش في بلد إسلامية لكنها ظالمة وحاكمها عميل لأعداء الدين وظالم للمسلمين، فيجب عليه أن يهاجر إلى بلد إسلامية أخرى يستطيع أن يعبد ربه بحرية، إذا كان مستطيعاً لذلك أما غير المستطيع فلا حرج عليه قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا وَمَنَّ يَهَاجِرُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مَرَاغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يُخْرِجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (النساء: ٩٧-١٠٠) قال سعيد ابن جبیر: إذا عمِلَ بالمعاصي في أرض فاخرج منها، و تلا قوله تعالى: (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟) " رواه ابن أبي حاتم في " تفسيره " وقال الألباني: سنده صحيح (السلسلة الصحيحة تحت حديث رقم: ٢٨٥٧)

ملحوظة هامة إلى العامة:

الهجرة من بلاد الكفر وبلاد المعاصي وبلاد الإضطهاد والظلم واجبة فقط فمن تركها وهو مستطيع فهو آثم فقط وليس بكافر، بل هو مسلم كأى مسلم ولكنه أذنب لتركه الهجرة مع استطاعته،

الأمر الثالث: ما حكم البقاء في بلاد الكفر والتجنس بجنسية بلاد الكفر؟

أجاب على ذلك الدكتور خالد بن محمد الهاجد عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فإليك مضمون كلامه :

أولاً: البقاء في بلاد الكفر يجوز بشرط:

١- وجود الحاجة الشرعية المقتضية للإقامة في بلادهم ولا يمكن سدّها في بلاد المسلمين، كالتمثيل الدبلوماسي الرسمي لبلد مسلم أو التجارة أو الدعوة إلى الإسلام أو طلب علم غير متوافر مثله في بلد مسلم من حيث الوجود، أو الجودة والإتقان أو الخوف على النفس أو الأهل والولد من القتل أو السجن أو التعذيب في بلاد المسلمين وليس مجرد الإيذاء والمضايقة أو الخوف على المال وذلك لأنه إما مضطر للإقامة والضرورة تتيح المحظورة وإما للمصلحة الراجحة على المفسدة.

٢- أن تكون الإقامة مؤقتة لا مؤبّدة، ولا يجوز له أن يعقد نية الإقامة على التأييد وإنما يعقدها على التأقيت، لأن التأييد يعني كونها هجرة من دار الإسلام إلى دار الكفر، وهذا مناقضة صريحة لحكم الشرع في إيجاب الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، فينوي أنه متى زالت الحاجة إلى الإقامة في بلد الكفار قطع الإقامة وانتقل إلى بلاد الإسلام.

٣- أن يكون بلد الكفار الذي يريد الإقامة فيه دار عهد لا دار حرب، وإلا لم يجز الإقامة فيه، ويكون دار حرب إذا كان أهله يجارون المسلمين .

٤- توافر الحرية الدينية في بلد الكفار، يعني يستطيع المسلم إقامة شعائر دينه الظاهرة .

٥- يمكنه تَعَلُّمُ شرائع الإسلام في ذلك البلد، فإن تعسّر عليه لم تجز له الإقامة فيه لاقتضاءها الإعراض عن تعلم دين الله .

٦- أن يغلب ظنه أنه يستطيع المحافظة على دينه، ودين أهله وولده، وإلا لم يجز له، لأن حفظ الدين أولى من حفظ النفس والمال والأهل .

فمن توفرت فيه هذه الشروط - وما أعسر توافرها - جاز له أن يقيم في بلاد الكفار، وإلا حرم عليه للنصوص الصريحة التي تحرم الإقامة فيها وتوجب الهجرة منها، وللخطورة العظمى على الدين والخلق والتي لا ينكرها إلا مكابر .

ثانياً: التَّجَنُّسُ بجنسية دولة كافرة لا يجوز إلا بشروط:

١- أن تتوافر شروط الإقامة في بلاد الكفر والتي ذكرناها سابقاً

٢- تحقق الحاجة الشرعية لأخذ الجنسية ، وهي أن تتوقف المصالح التي من أجلها أقام المسلم في دار الكفار على استخراج الجنسية،

فإن لم تتحقق الشروط السابقة فلا يجوز استخراج جنسية دولة كافرة، لأن في استخراجها تأييد للكفار ظاهراً، ويلزم بسببها النطق ظاهراً بما لا يجوز اعتقاده كالرضا بكفرهم وسيلتزم بقانونهم المخالف للإسلام وهذا لا يجوز، ولأن استخراجها ذريعة لتأييد الإقامة في بلاد الكفار وهذا غير جائز.

*** قلت:** وقياساً على ماسبق يجوز الإقامة في بلاد إسلامية كثيرة المعاصي بنية الدعوة إلى الإسلام وطاعة رب الآنام ومحاربة البدع والآثام، أو لتعلم مهنة مهمة أو علم مهم ينتفع به المسلمون... إذا توافرت نفس شروط الإقامة في دولة الكفر التي ذكرها الدكتور خالد سابقاً.

*** وهنا ينشأ سؤال آخر وهو أن الإقامة في أي بلد تحتاج إلى مباشرة عمل سعيّاً وراء الرزق، ومعلومٌ أن بلاد الكفر يختلط فيها الحابل بالنابل، فالحرام مختلط بالحلال هناك فماذا يصنع المسلم؟**

اجاب على مثل هذا السؤال أ.د/ سعود بن عبدالله الفينسان

عميد كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقاً فقال:

إذا تعاقد المسلم مع الكافر، على أن يعمل المسلم للكافر أعمالاً مباحة كالخياطة والحدادة، والحراثة، والصيانة، ونحو ذلك، فهو جائز بإجماع المسلمين، فقد روى الإمام أحمد في مسنده "أن علياً بن أبي طالب - رضي الله عنه - أجز نفسه من يهودي يسقي له كل دلو بتمرة".

أما إذا أجز المسلم نفسه لكافر يقوم بخدمته خدمةً فيها مهانة كأن يكون له كناساً، أو زبالاً ونحوه، فقد قال مالك وأحمد في رواية عنه لا يجوز، وعند الحنفية وعند الشافعي في القول الجديد ورواية أخرى لأحمد يجوز ذلك، ما دام المسلم محتاجاً لذلك وفقاً للقاعدة الشرعية: (تنزل الحاجة منزلة الضرورة عند الاقتضاء) وقالوا لا يوجد فرق معتبر بين جواز تأجير المسلم نفسه للكافر يعمل له عملاً ما، وبين حرمة أن يعمل خادماً عنده إذ الخدمة نوع من العمل، ولولا الحاجة التي هي بمنزلة الضرورة ما رضي مسلم أن يعمل تحت إمرة كافر.

ولا يجوز للمسلم إن أجز نفسه للغير أن يباشر الحرام القطعي بنفسه، فلا يُقدم الخمر، أو لحم الخنزير للزبائن، أو يتولى البيع والشراء لهذه المحرمات، ولا يتولى تصنيع الخمر، ولا يتولى التعليب لهذه المحرمات، للحرمة القطعية لهذا في القرآن والسنة، مما لا يكاد يجهله مسلم،

أما إذا تولى في المطعم أو المحل التجاري أعمالاً أخرى مباحة كالمشروبات، واللحم الحلال، فهذا جائز حتى ولو كان المحل التجاري والمطعم يقدم لزبائنه الحلال والحرام، ما دام أن المسلم لا يباشر تقديم المحرمات.

هذا كله من حيث الحل والحرمة والإثم وعدمه في الشرع، أما من حيث الأفضل والأحوط فهو الابتعاد عن مواطن الشبهات والريب ففي الصحيحين عن النعمان بن

بشير رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتهيات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه "

* **للأمانة العلمية:** لقد ضَعَّفَ الألباني حديث (أن علياً بن أبي طالب أجر نفسه من يهودي يسقي له كل دلو بتمر) وقال: ضعيف بهذا اللفظ.

ثم قال: والصحيح ما أخرجه البيهقي عن علي رضي الله عنه أنه مرَّ بامرأة من الأنصار ، و بين يدي باها طين قلت: تريدان أن تَبْلِي هذا الطين ؟ قالت : نعم، فشارطتها على كل ذنوب بتمر، فَبَلَّتْها لها، وأعطتني ست عشرة تمر، فجئت بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم " قال الألباني إسناده صحيح، راجع تمام التفصيل في (إرواء الغليل: حديث رقم/ ١٤٦١)

* راجع المزيد من هذه الأسئلة وأجوباتها في هذا الموضوع في كتاب: (الخلاصة في فقه الأقليات) جمع علي بن نايف الشحود حفظه الله وجزاه الله خيرا.

*** وبعد فهذا آخر ما وفقني الله إلى جمعه في مادة هذا الكتاب والله أسأل أن ينفع به كل مَنْ قرأه وَمَنْ بَلَّغَهُ، وأرجو من القارئ ألا ينساني بدعوة صالحة بظهر الغيب حتى يقول لك المَلَكُ ولك بِمِثْلٍ كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم من رواية أَبِي الدَّرْدَاءِ (مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْعَيْبِ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ وَلكَ بِمِثْلٍ)، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المراجع

- ١- القرآن الكريم
- ٢- تفسير الحافظ ابن كثير الدمشقي
- ٣- تفسير شيخ المفسرين الإمام الطبري
- ٤- تفسير الإمام القرطبي
- ٥- تفسير الإمام الألويسي
- ٦- تفسير الفخر الرازي
- ٧- تفسير الطاهر بن عاشور
- ٨- تفسير الزمخشري
- ٩- تفسير الشيخ كشك؛
- ١٠- تفسير الشعراوي
- ١١- تفسير الوسيط. لشيخ الأزهر السابق محمد سيد طنطاوي

- ١٢- تفسير المنتخب. (وزارة الأوقاف المصرية)
- ١٣- أعراب القرآن وبيانه. للشيخ محيي الدين درويش
- ١٤- وقفة مع بعض الترجمات الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم. للدكتور وجيه حمد عبد الرحمن
- ١٥- قالوا عن القرآن. للدكتور عماد خليل
- ١٦- الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم. جمع بن نايف الشحود
- ١٧- صحيح البخاري
- ١٨- صحيح مسلم
- ١٩- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني
- ٢٠- صحيح سنن أبي داود للألباني
- ٢١- ضعيف سنن أبي داود للألباني
- ٢٢- صحيح سنن الترمذي للألباني
- ٢٣- صحيح سنن ابن ماجه للألبان
- ٢٤- - صحيح وضعيف سنن النسائي للألباني
- ٢٥- السلسلة الصحيحة للألباني
- ٢٦- السلسلة الضعيفة للألباني
- ٢٧- صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني
- ٢٨- ضعيف الجامع الصغير للألباني
- ٢٩- صحيح الترغيب للألباني

- ٣٠- مشكاة المصابيح للألباني.
- ٣١- المستدرك للإمام الحاكم النيسابوري
- ٣٢- سنن البيهقي
- ٣٣- صحيح ابن حبان
- ٣٤- المحلى بالآثار لابن حزم الأندلسي
- ٣٥- مصنف أبي شيبة
- ٣٦- مصنف عبد الرزاق
- ٣٧- المعجم الكبير للطبراني
- ٣٨- المعجم الأوسط للطبراني
- ٣٩- المعجم الصغير للطبراني
- ٤٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني
- ٤١- شرح صحيح مسلم للإمام النووي.
- ٤٢- شرح سنن الترمذي للمباركفوري
- ٤٣- شرح الجامع الصغير للمناوي
- ٤٤- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري
- ٤٥- شرح بلوغ المرام للشيخ عطية محمد سالم
- ٤٦- شعب الإيمان للبيهقي
- ٤٧- الإيمان لابن تيمية. تحقيق وتعليق الألباني
- ٤٨- فتنة التكفير. للألباني

- ٤٩- الإسلام أصوله ومبادئه د/ محمد بن عبد الله بن صالح السحيم
- ٥٠- كمال الدين الإسلامي للشيخ عبد الله بن جار الله بن إبراهيم
- ٥١- مناظرة بين الإسلام والنصرانية . مناظرة عقدت في السودان في ديسمبر سنة ١٩٨٠ بطلب من بعض القساوسة الكبار ثم أسلموا في نهاية المناظرة
- ٥٢- الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد)
- ٥٣- هل العهد الجديد كلمة الله. للدكتور منقذ السقار
- ٥٤- هل العهد القديم كلمة الله. للدكتور منقذ السقار
- ٥٥- هل بشر الكتاب المقدس بمحمد صلى الله عليه وسلم. د/ منقذ السقار
- ٥٦- محمد في الكتاب المقدس للفس السابق عبد الأحد داود
- ٥٧- المختصر القويم في أدلة النبي الكريم للشيخ وليد نور
- ٥٨- إظهار الحق لرحمة الله الهندي
- ٥٩- الإسلام يتحدى للشيخ وحيد الدين خان ترجمة ظفر الدين خان
- ٦٠- بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها للشيخ سعيد بن علي بن وهف القحطاني
- ٦١- وسطية الإسلام وسماحته د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي
- ٦٢- وسطية الإسلام ودعوته للحوار د/ عبد العزيز بن عثمان التويجري
- ٦٣- وسطية الإسلام وسماحته ودعوته للحوار د/ محمد بن أحمد الصالح
- ٦٤- الإسلام وأحداث الحادي عشر من أيلول/ ٢٠٠١ للشيخ زبير سلطان قدرى
- ٦٥- قالوا عن الإسلام د/ عماد الدين خليل

- ٦٦- كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها د/ عماد السيد محمد الشرييني
- ٦٧- المفصل في الرد على شبه أعداء الإسلام جمعه بن نايف الشحود
- ٦٨- الإيمان والحياة للشيخ القرضاوي
- ٦٩- أحكام أهل الذمة للإمام ابن القيم
- ٧٠- غير مسلمين في المجتمع الإسلامي للشيخ القرضاوي
- ٧١- الإعلام بتوضيح نواقض الإسلام للشيخ عبد العزيز مرزوق الطريفي
- ٧٢- شرح نواقض الإسلام للشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله الراجحي
- ٧٣- الإيمان حقيقته وحوارمه ونواقضه عند أهل السنة والجماعة للشيخ عبد الله بن عبد الحميد الأثري
- ٧٤- نواقض الإيمان القولية والعملية د/ عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف
- ٧٥- نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف د/ محمد بن عبد الله بن علي الوهبي
- ٧٦- التكفير مفهومه وأخطاره وضوابطه للشيخ أحمد محمد بوقرين
- ٧٧- التكفير حكمه وضوابطه والغلو فيه للشيخ فهد عبد الله
- ٧٨- ملامح المجتمع المسلم الذي ننشره للشيخ القرضاوي
- ٧٩- رحلة مع رجال ونساء أسلموا للشيخ عبد الرحمن محمود
- ٨٠- حقوق الإنسان محور الشريعة الإسلامية (د/ أحمد الريسوني ، د/ محمد الزحيلي ، د/ محمد عثمان شبير
- ٨١- الإسلام بين كينز وماركس وحقوق الإنسان في الإسلام للدكتورة نعيمة

- ٨٢- سلسلة الحقوق للشيخ محمود المصري
- ٨٣- المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم د/ يحيى زمزمي
- ٨٤- من صور تكريم الإسلام للمرأة للشيخ محمد بن إبراهيم بن أحمد
- ٨٥- التبرج وخطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله. لابن باز
- ٨٦- العودة إلى الحجاب للدكتور إسماعيل المقدم
- ٨٧- جلباب المرأة المسلمة للألباني
- ٨٨- قافلة الدعاة (مجموعة خطب ودروس لمجموعة علماء ودعاة)
- ٨٩- مقاصد الشريعة الإسلامية موقع الاسلام
- ٩٠- موسوعة الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم لمجموعة علماء ودعاة
- ٩١- مقامات القرني للدكتور عائض القرني
- ٩٢- لا تحزن للدكتور القرني
- ٩٣- تاريخ الطبري.
- ٩٤- الرحيق المختوم للمباركفوري
- ٩٥- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير
- ٩٦- صور من حياة الصحابة للدكتور عبد الرحمن رافت باشا
- ٩٧- صور من حياة التابعين للدكتور عبد الرحمن رافت باشا
- ٩٨- أصحاب حول الرسول للشيخ محمود المصري
- ٩٩- حضارة العرب . للمؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون
- ١٠٠- ماذا قدم المسلمون للعالم للدكتور راغب السرجاني

- ١٠١- بناء الفكر العلمي للدكتورة حليلة الغراري
- ١٠٢- الإرهاب الأسباب والعلاج د/ عصام بن هاشم الجفري
- ١٠٣- الإرهاب المفهوم والأسباب وسبل العلاج د/ محمد الهواري
- ١٠٤- الإرهاب والعنف والتطرف في ضوء القرآن والسنة. للدكتور عبدالله بن الكيلاني
- ١٠٥- الإرهاب والعنف والتطرف في ميزان الشرع. د/ محمد علي إبراهيم
- ١٠٦- الإرهاب مظاهره وأشكاله وفقاً للإتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب. د/ محمد الحسيني مصلحي
- ١٠٧- اليسر والسماحة في الإسلام. د/ فالح بن محمد الصغير
- ١٠٨- وسطية الإسلام وسماحته ودعوته للحوار. د/ محمد بن أحمد الصالح
- ١٠٩- الوسطية في ضوء القرآن للشيخ ناصر بن سليمان العمر
- ١١٠- حياة الصحابة للكاندهلوي
- ١١١- مجموعة كتب الصلابي في سير الخلفاء الراشدين
- ١١٢- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم للشعراوي
- ١١٣- كتب ومقالات د/ زغلول النجار في الاعجاز العلمي للقرآن
- ١١٤- مجموع فتاوى بن تيمية
- ١١٥- تمام المنة في التعلق على فقه السنة. للألباني
- ١١٦- تمام المنة في فقه الكتاب وصحيح السنة. للدكتور يوسف العزازي
- ١١٧- الشرح الممتع على زاد المستقنع. للشيخ العلامة ابن عثيمين

- ١١٨- هويتنا أو الهاوية. للدكتور إسماعيل المقدم
- ١١٩- قصة الحضارة للمؤرخ الأمريكي ول ديورانت
- ١٢٠- العظماء مائة للمؤرخ الأمريكي مايكل هارت
- ١٢١- أعداد متفرقة من مجلة البيان الإسلامية
- ١٢٢- أعداد متفرقة من مجلة التوحيد الإسلامية
- ١٢٣- محاضرات وخطب للشيخ الدكتور علي القرني
- ١٢٤- شرائط خطب وندوات لعدة علماء ودعاة وباحثين...
- ١٢٥- قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أيدوا أهله د. جلال العالم
- ١٢٦- اللغة العربية التحديات والمواجهة للأستاذ. سالم مبارك الفلق
- ١٢٧- الخلاصة في فقه الأقليات. جمع وإعداد علي بن نايف الشحود
- ١٢٨- أسئلة تبحث عن أجوبة للشيخ خطاب المصري.
- ١٢٩- إباحيات الكتاب المقدس للشيخ وليد المسلم.
- ١٣٠- إقامة الحججة على العالمين بنبوة خاتم النبيين. موقع المكتبة العربية
- ١٣١- فيدوهات للدكتور ذاكر نايف.
- ١٣٢- فيدوهات للشيخ أحمد ديدات.
- ١٣٣- لندع الإنجيل يتحدث للشيخ عبدالرحمن دمشقيه
- ١٣٤- أصبت فوائد كثيرة من إخواني المسلمين من خلال موقع التواصل الاجتماعي
- ١٣٥- بابا الفاتيكان في الميزان لعلني بن نايف الشحود

فهرس الموضوعات

- ٦..... مقدمة المؤلف (جامع السفر)
- ٩..... الداعي إلى جمع هذا الكتاب:
- ١٠..... خطة الكتاب:
- ١٢..... عملي في هذا الكتاب:
- ١٢..... تنبيهات هامة:
- ٢٦..... الفصل الأول:
- ٢٦..... الأدلة الجلية على نبوة خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم
- ٢٧..... مقدمة
- ٣٢..... من بشارات العهد القديم بمحمد ﷺ
- ٣٣..... البشارة الأولى: ذكرها النبي موسى عليه الصلاة والسلام
- البشارة الثانية: نبوءة النبي موسى عليه الصلاة والسلام بخروج نبي من فلسطين وآخر من جزيرة العرب (مكة) ٤٠.....
- البشارة الثالثة: نبوءة النبي أشعيا عليه السلام بصفة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصفة مخرجه ٤٥.....
- البشارة الرابعة: نبوءة المزامير بصفات النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والمزامير هي التي نطلق عليها (الزبور) ٥١.....
- البشارة الخامسة: نبوءة المزامير (الزبور) بالحجر الخاتم وهو محمد صلى الله عليه وسلم... ٥٤.....
- بشارات العهد الجديد..... ٥٦.....
- البشارة الأولى من الإنجيل في إنجيل يوحنا..... ٥٦.....
- البشارة الثانية في الإنجيل: توجد في إنجيل متى..... ٦٤.....
- البشارة الثالثة: في إنجيل (برنانا)، ولكن التصارى يكذبون هذا الإنجيل ويحاربونه..... ٦٥.....
- * تحذير لأولي التفكير متعلق بترجمة معاني القرآن الكريم..... ٩٨.....
- الوجه الرابع منه أوجه إعجاز القرآن: الإعجاز الحفظي..... ١٢٢.....
- شهادات علماء الغرب بحفظ القرآن الكريم:..... ١٣٨.....
- ثانياً: أمثلة من الإعجاز العلمي في السُّنة النبوية الشريفة:..... ١٥٨.....
- الدليل الخامس: نصره الله تعالى لدين الإسلام..... ١٩٢.....

- ١٩٢ ويتضح ذلك من الأمور الآتية:
- ١٩٢ أولاً: العمر الطويل للدعوة الإسلامية:
- ١٩٤ ثانياً: الزيادة المذهلة لأتباع دين الإسلام:
- ١٩٦ ثالثاً: نصره الإسلام على المتنبئين اللئام:
- ١٩٨ رابعاً: نُصِرَ اللهُ جُنْدَ الإسلام:
- ٢٠٦ الفصل الثاني (مبادئ الإسلام)
- ٢٠٩ مبدأ الوسطية في الإسلام
- ٢١٥ صور من الوسطية في الإسلام:
- ٢١٥ أولاً: وسطية الإسلام في العقيدة:
- ٢١٩ عقيدة اليهود في الرسل والأنبياء:
- ٢٢٢ عقيدة النصارى في الرسل والأنبياء فيها غلو وجفاء:
- ٢٢٢ وتتلخص في أمرين:
- ٢٢٧ الأمر الثاني: الاعتقاد في تحمل الخطيئة:
- ٢٣٢ ثانياً: الوسطية في العبادة:
- ٢٣٥ ثالثاً: الوسطية في المعاملات:
- ٢٣٨ رابعاً: وسطية الإسلام في مُتَمِّعِ الحياة وتناول المباح:
- ٢٤٢ نماذج مشرقة من عدالة الإسلام المُشْرِفة:
- ٢٤٢ أولاً: صور من عدالة أحكم الحاكمين في الإسلام مع سيد المرسلين:
- ٢٤٨ ثانياً: صور من عدل سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم:
- ٢٥٠ ثالثاً: صور من عدالة بعض الصحابة وأمراء المسلمين:
- ٢٧١ أمثلة عامة من سماحة الإسلام مع المخالفين له:
- ٢٧٨ صور ذهبية من اليسر في الشريعة الإسلامية:
- ٢٨٥ صور من تيسير النبي صلى الله عليه وسلم رحمةً بالأمة:
- ٢٨٦ صور من رحمة النبي صلى الله عليه وسلم ورفقه بالناس عامة:
- ٢٩٣ الفصل الثالث (الحقوق في الإسلام)

- ٢٩٦ حقوق الإنسان في الإسلام
- ٢٩٨ أولاً: حق الحياة:
- ٢٩٨ ثانياً: حق الكرامة والتقدير والاحترام:
- ثالثاً: حق المساواة بين الأجناس والألوان والمساواة عامةً في الكرامة والتقدير وليس في الحقوق كلها: ٣٠٠
- ٣٠٣ رابعاً: حق العدالة في كل شيء بين كل أصناف المجتمع
- ٣٠٣ خامساً: حق الدفاع عن النفس وقت القضاء حتى ولو كان المتهم كافرًا:
- ٣٠٥ سادساً: حق الحرية:
- ٣٠٦ * معلومة هامة إلى العامة:
- ٣٠٧ سابعاً: حق حرية الاعتقاد فلا يجبر أحدٌ على عقيدة معينة:
- ٣٠٩ ثامناً: حق حرية التعبير:
- ٣١٠ تاسعاً: حق الضمان الاجتماعي:
- ٣١٧ عاشراً: حقوق العدو في الحرب:
- ٣٢٦ شبهات واهية وردود شافية حول حقوق الإنسان في الإسلام
- ٣٢٦ مجمل شبهات الغرب والمستشرقين وأعداء الإسلام:
- ٣٢٦ الجواب عن هذه الشبهات الواهية بالردود الشافية الكافية:
- ٣٤٥ الفروق الجوهرية بين حقوق الإنسان في الإسلام وفي المواثيق الدولية:
- ٣٥٧ أولاً: كيف كانت المرأة في المجتمع الجاهلي قبل الإسلام؟ وكيف عاملها الإسلام؟
- ٣٥٩ ثانياً: كيف كانت المرأة عند اليهود قبل الإسلام؟ وكيف عاملها الإسلام؟
- ٣٦١ ثالثاً: المرأة ومكانتها عند النصارى، وكيف عاملها الإسلام؟
- ٣٦٤ رابعاً: المرأة في المجتمعات الغربية:
- ٣٦٥ حقوق النساء في الإسلام
- ٣٦٧ أولاً: حقوق في أمور الزواج: لها عدة حقوق نذكر منها ما يلي:
- ٣٦٩ ثانياً: جعل لها حق في الميراث:
- ٣٦٩ ثالثاً: المرأة والشورى:
- ٣٧٠ رابعاً: المرأة والحقوق السياسية:

- ٣٧١ خامسا: المرأة والإفتاء:
- ٣٧١ سادسا: المرأة والثواب:
- ٣٧٣ شبهات واهية وردود شافية كافية حول حقوق المرأة في الإسلام
- ٣٧٣ الشبهة الأولى: شبهة زواج الرجل بأربعة نساء:
- ٣٨٦ الشبهة الثانية: لماذا لم يبيح الإسلام للمرأة أن تتزوج أربعًا كالرجل تمامًا؟
- ٣٨٧ الشبهة الثالثة: لماذا جعل الإسلام الطلاق بين الرجل فقط
- ٣٨٨ الشبهة الرابعة: لماذا ورث الإسلام الرجل أكثر من المرأة؟
- ٣٩٣ الشبهة الخامسة: شبهة تفضيل الرجل على المرأة:
- ٤٠٠ حقوق غير المسلمين في الإسلام
- ٤٠٣ العنصر الأول: حقوق أهل الذمة والمستأمنين:
- ٤٠٩ العنصر الثاني: ضمانات هذه الحقوق:
- ٤١٠ العنصر الثالث: واجبات أهل الذمة في دولة الإسلام:
- ٤١٢ العنصر الرابع: حقوق المعاهدين: إذا دخلوا بلادنا بعقد أمان
- ٤١٣ العنصر الخامس: حقوق أهل الحرب الذين يجاروننا
- ٤١٤ حقوق الحيوان في الإسلام
- ٤٢٠ بعض حقوق الحيوان:
- ٤٢٠ أولاً: الحيوان له الحق في سُكْنَى الأرض والأكل من خيراتها:
- ٤٢١ ثانياً: يحرم علينا حبس الحيوان والتضييق عليه:
- ٤٢١ ثالثاً: لا يجوز تعذيب الحيوان أو اتخاذه لعباً وغرضاً:
- ٤٢٢ رابعاً: يُستخدم الحيوان فيما خلق له فقط:
- ٤٢٢ خامساً: لا يجوز لك أن تُرَهَقَ الحيوان في العمل:
- ٤٢٣ سادساً: حرمة دم الحيوان:
- ٤٢٣ سابعاً: الإحسان في ذبحه وفي قتله:
- ٤٢٣ ثامناً: احترام مشاعر الحيوان واجب علينا:
- ٤٢٤ فصل في خطط الأعداء لهدم الإسلام

- ٤٢٨ الخطة الأولى
- ٤٢٨ العمل على إضعاف قوة المسلمين سياسياً
- ٤٢٨ أولاً: إلغاء الخلافة الإسلامية:
- ٤٢٩ ثانياً: بث الفتنة بين دول الإسلام:
- ٤٣٠ ثالثاً: تفتيت الدولة الكبيرة:
- ٤٣١ رابعاً: ضرب استقرار الدول الإسلامية:
- ٤٣٢ خامساً: تدمير الصحة:
- ٤٣٣ سادساً: المناداة بتحديد النسل:
- ٤٣٥ الخطة الثانية العمل على ضرب اقتصاد دول الإسلام
- ٤٣٥ بعض طرق التي انتهجها العدو لهدم اقتصاد الدول الإسلامية:
- ٤٣٥ أولاً: غزو الأسواق:
- ٤٣٦ ثانياً: الحصار الاقتصادي:
- ٤٣٦ ثالثاً: نشر سياسات هدامة للاقتصاد:
- ٤٣٧ رابعاً: إخماد كل ما يؤدي إلى التقدم الصناعي:
- ٤٣٧ خامساً: الغزو العسكري لنهب ثروات الشعوب الإسلامية:
- ٤٣٨ سادساً: دعم الكفار للسيطرة على شركات مهمة ومواقع استراتيجية في دول الإسلام:
- ٤٣٩ سابعاً: ضرب الاستقرار لهدم الاقتصاد:
- ٤٤٠ الخطة الثالثة غزو المناهج الدينية الإسلامية
- ٤٤٠ ولتحقيق هذه الخطة قام العدو بعدة أمور منها ما يلي:
- ٤٤٠ أولاً: حصر المواد الدينية في مادة واحدة
- ٤٤٠ ثانياً: المادة الدينية إضافية
- ٤٤٠ ثالثاً: دعم العلمانيين للوصول إلى المراكز المرموقة في المؤسسات التعليمية
- ٤٤١ رابعاً: تخفيف المناهج الشرعية الإسلامية في الأزهر
- ٤٤٢ الخطة الرابعة غزو اللغة العربية
- ٤٤٣ السياسة الأولى: نشر العامية

- ٤٤٣ السياسة الثانية: محاولة تحريف الخط العربي:
- ٤٤٤ السياسة الثالثة: نشر القواميس المحرفة:
- ٤٤٥ السياسة الرابعة: تعميم الدراسة باللغات الأجنبية:
- ٤٤٥ السياسة الخامسة: التشجيع على تعلم اللغات الأجنبية بشتى الطرق:
- ٤٤٩ الخطة الخامسة الغزو الفكري
- ٤٥٨ الخطة السادسة الغزو الأخلاقي
- ٤٧٢ الخطة السابعة إمتصاص الطاقة
- ٤٧٦ الخطة الثامنة الغزو الإعلامي
- ٤٩٤ الخطة التاسعة دعم العلمانيين للوصول لحكم البلاد الإسلامية
- ٤٩٧ الخطة العاشرة دعم كل تنظيم ديني أو مدني يحمل في طياته تدميراً للإسلام
- ٥١٣ الخطة الشاملة المضادة لخطط الأعداء
- ٥٣٢ الفصل الخامس موضوعات مهمة لعامة الأمة
- ٥٤٦ المميزات والثمار الذهبية في تطبيق الشريعة الإسلامية
- ٥٨٧ بحث هام في نواقض الإسلام
- ٥٩٠ الناقض الأول: الشرك بالله تعالى:
- ٥٩٨ الناقض الثاني: من جعل بينه وبين الله واسطة يدعوه ويسأله الشفاعة ويتوكل عليه:
- ٥٩٩ الناقض الثالث: من لم يُكفِّر المشركين أو صَحَّ عقيدتهم الباطلة:
- الناقض الرابع: من اعتقد أن التشريع الوضعي خيرٌ من شرع الله أو خير من أحكام النبي صلى الله عليه وسلم .
- ٦٠١ الناقض الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كفر:
- ٦٠٢ الناقض السادس: الاستهزاء بشيءٍ من الشريعة الإسلامية:
- ٦٠٤ الناقض السابع: السحر فمن فعله أو رضي به فقد كفر:
- ٦٠٦ الناقض الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين:
- ٦٠٧ مسائل متعلقة بهذا الموضوع:
- الناقض التاسع: من اعتقد أنه يجوز لبعض الناس الخروج عن الإسلام أو عدم الدخول فيه فهو كافر:
- ٦٠٨

- ٦١٠ الناقض العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به:
- ٦١٢ تحذير هام قبل الختام: التحذير من فتنة التكفير:
- ٦١٢ أولاً: لا يجوز التكفير لمجرد فعل المعاصي:
- ٦١٢ ثانياً: هناك فرق بين تكفير النوع وتكفير العين:
- ٦١٣ ثالثاً: التكفير وإقامة الحججة على المخالف وظيفة العلماء وليس العوام:
- ٦١٣ رابعاً: التكفير والتفسيق ليس أمراً سهلاً:
- ٦١٤ خامساً: من أكره على الكفر فليس بكافر:
- ٦١٤ سادساً: لا يقام الحد على المرتد إلا بعد قيام دولة إسلامية صحيحة:
- ٦١٥ سابعاً: إقامة الحدود مسئولية الحكام أو من ينوب عنهم:
- ٦١٦ وصايا مهمة إلى عامة الأمة

